

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



كلية العلوم الاجتماعية

مستغانم



تخصص : مدرسة الدكتوراه في الأنثروبولوجية

الإجتماعية والثقافية – CRASC-

- رسالة لنيل شهادة الماجستير في الأنثروبولوجيا الإجتماعية والثقافية -

ظاهرة التصوف عند سعيد النورسي

دراسة حول التجربة الصوفية عند سعيد النورسي من خلال رسائل النور

تحت إشراف الأستاذ الدكتور

أ.د/ - جرادي العربي

من إعداد الطالبة:

- ياحي فاطمة الزهراء

لجنة المناقشة

الصفة	الجامعة	الرتبة العلمية	الإسم و اللقب
رئيسا	جامعة مستغانم	أستاذ التعليم العالي	- حمداوي محمد
مشرفا ومقررا	جامعة مستغانم	أستاذ التعليم العالي	- جرادي العربي
مناقشا	جامعة مستغانم	أستاذ محاضر - أ-	- راجعي مصطفى
مناقشا	جامعة مستغانم	أستاذ محاضر - أ-	- خطاب محمد

السنة الجامعية : 2017-2018م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
مدرسة الدكتوراه في الأنثروبولوجيا



بالشراكة مع:

- جامعة محمد بن أحمد – وهران (الجامعة المؤهلة)
- جامعة عبد الحميد ابن باديس- مستغانم
- جامعة منتوري- قسنطينة
- جامعة مولود معمري- تيزي وزو
- جامعة عبد الرحمان ميرا- بجاية
- جامعة أحمد دراية – أدرار
- جامعة محمد خيضر – بسكرة
- جامعة غرداية
- المركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية

السنة الجامعية 2016-2017

كلمة شكر

الإهداء

ملخص الدراسة

16المقدمة العامة
18إشكالية وفرضيات البحث
18أهداف البحث
19أسباب إختيار موضوع البحث
19المصطلحات الأساسية
23مناهج البحث
23تقنيات البحث
25صعوبات البحث
26معالجة موضوع الدراسة من المنظور الأنثربولوجي
30الدراسات السابقة

الفصل الأول: أوضاع الدولة العثمانية وقيام الجمهورية التركية

إبان عصر سعيد النورسي

50تمهيد
	المبحث الأول: أوضاع الدولة العثمانية إبان حكم السلطان "عبد الحميد الثاني".
51المطلب الأول : الأوضاع السياسية
65المطلب الثاني : الأوضاع الإجتماعية
70المطلب الثالث: أوضاع الدولة التعليمي والثقافي
72المطلب الرابع : الأوضاع الإقتصادية
74المبحث الثاني : قيام الجمهورية التركية وإلغاء الخلافة العثمانية
74المطلب الأول : الدولة العثمانية إبان حكم السلطان "محمد رشاد خان الخامس"...
75المطلب الثاني: الدولة العثمانية إبان حكم السلطان "محمد السادس".....
75المطلب الثالث : قيام الجمهورية التركية

76	المطلب الرابع: سياسة كمال أتاتورك.....
79	المبحث الثالث : التنظيمات العوائق والآثار.....
79	المطلب الأول : عوائق الإصلاحات والتنظيمات.....
82	المطلب الثاني : آثار التنظيمات ونتائجها.....
85	المطلب الثالث: مشروع الجامعة الإسلامية وإنعكاساته الإيجابية.....
93	المطلب الرابع : مشروع سكة الحديد الحجاز وإنعكاساته.....
96	خلاصة.....
الفصل الثاني : حياة بديع الزمان سعيد النورسي وتطوراتها	
98	تمهيد.....
99	المبحث الأول :المرحلة الأولى من حياة سعيد النورسي "
99	المطلب الأول : المولد والنشأة.....
109	المطلب الثاني : جهوده الإصلاحية.....
119	المطلب الثالث :إهتمامه بالسياسة.....
135	المطلب الرابع : النورسي بين الحرب والأسر.....
140	المبحث الثاني:المرحلة الثانية من حياته "سعيد الجديد" من 1925-1949...
140	المطلب الأول: هروب النورسي من الأسر.....
140	المطلب الثاني: من الأسر الى عضو في دار الحكمة الاسلامية.....
142	المطلب الثالث : موقف بديع الزمان من "مصطفى كمال".....
149	المطلب الرابع : منفى بارلا بداية رحلة سعيد الجديد.....
153	المبحث الثالث : مرحلة سعيد الثالث ورسائل النور 1949-1960م.....
153	المطلب الأول : إنتشار رسائل النور.....
154	المطلب الثاني : محاكمة تبرئة رسائل النور.....
155	المطلب الثالث : وفاة النورسي ومطاردته.....
157	المطلب الرابع : الآثار العلمية للنورسي.....
162	خلاصة.....

الفصل الثالث : التصوف وموقف النورسي منه

164	تمهيد
165	المبحث الأول : التصوف ومراحله والموقف النورسي منه.....
165	المطلب الأول : تعريف التصوف.....
166	المطلب الثاني : مراحل الحياة الصوفية ومعالمها.....
178	المطلب الثالث : النورسي وموقفه من التصوف.....
180	المبحث الثاني : وحدة الوجود والمعرفة عند النورسي.....
180	المطلب الأول: وحدة الوجود تاريخيا.....
190	المطلب الثاني: موقف النورسي من وحدة الوجود وأضرارها على المجتمع.....
193	المطلب الثالث : المعرفة وحقيقتها ومراتبها عند النورسي.....
207	المبحث الثالث : النورسي والطريق الصوفي.....
207	المطلب الأول : طريق الوصول الى الله عند النورسي.....
212	المطلب الثاني : النورسي والجمع بين العقل والقلب ومزجهما.....
216	المطلب الثالث : تمييز النورسي بين مسلكه ومسلك الطريقة.....
222	المبحث الرابع: الطريقة وفوائدها ومزلق سالكي التصوف حسب النورسي.....
222	المطلب الأول : الطريقة وفوائدها عند النورسي.....
224	المطلب الثاني : تصنيف النورسي لأهل الطرق الذين هم خارج عن الشرع.....
226	المطلب الثالث : مزلق سالكي التصوف حسب النورسي.....
231	خلاصة.....

الفصل الرابع: الأبعاد، ثنائية الشيخ والمريد ومواقع الكرامات عند النورسي

233	تمهيد.....
234	المبحث الأول : المنهج و وسائل الخطاب عند النورسي.....
234	المطلب الأول : منهج الوسطية عند النورسي.....
236	المطلب الثاني : وسائل الخطاب لدى النورسي.....
238	المطلب الثالث : المناظرات والمحاورات كوسائل للخطاب.....
241	المطلب الرابع : المرافعات القضائية و السجن كوسائل للخطاب.....

247	المطلب الخامس : المسجد والتأليف من وسائل الخطاب.....
256	المبحث الثاني : الأبعاد التي تضمنها الخطاب النورسي
256	المطلب الأول : أبعاد الخطاب ذات البعد الديني العقدي.....
269	المطلب الثاني : أبعاد الخطاب ذات البعد النفسي.....
275	المطلب الثالث :البعد الإجتماعي ضمن الخطاب النورسي.....
281	المطلب الرابع : البعد الإقتصادي من خلال "رسالة الإقتصاد"
285	المبحث الثاني : فئات الخطاب لدى النورسي.....
286	المطلب الأول: خطابه لفئة الأطفال.....
289	المطلب الثاني: فئة الشباب من خلال حوار مع الشباب.....
293	المطلب الثالث : فئة النساء من خلال "رسالة الحجاب".....
297	المطلب الرابع : فئة الشيوخ من خلال "رسالة الشيوخ".....
303	المطلب الخامس : فئة المسجونين والمرضى المبتلين ضمن الخطاب النورسي... ..
309	المبحث الرابع : ثنائية الشيخ والمريد ومواقع الكرامات عند النورسي.....
309	المطلب الأول : ثنائية الشيخ والمريد من المنظور النورسي
314	المطلب الثاني : الكرامة مفهومها ،أنواعها وعلاقتها بالمعجزة.....
320	المطلب الثالث : موقع الكرامات عند النورسي
325	المطلب الرابع : نماذج من الكرامات عند النورسي.....
332	المطلب الخامس : علاقة الكرامة بالأنماط الثقافية الأخرى.....
346 خلاصة
347 الخاتمة العامة.....
348 خلاصات عامة حول التصوف عند النورسي
355 إستنتاجات خاصة بملامح ومعالم التجديد في الفكر الصوفي عند النورسي.....

قائمة المصادر

قائمة المراجع

الملاحق

كلمة شكر وتقدير

الحمد لله الذي وهبنا علما نافعا ومعتلا يابعا وقتلنا ولسانا ذاكرا سبحانه يصيب نوره لمن يشاء ويهدي

بهداه من يشاء.. .

كما نعترفه بالفضل الكبير لوالدينا الكرام كأهم مصدر للعتاء

نتقدم بجزيل الشكر الى

الأستاذ المشرف "جرادي العربي" الذي أفادنا بتوجيهاته ونصائحه القيمة نتمنى له دوام التوفيق

والعافية في حياته الشخصية والعملية .

إلى اللجنة المناقشة وإلى أساتذة المدرسة الدكتورالية للأنتروبولوجيا "CRASC" بوسران وكل

أساتذة علم الاجتماع بمستغانم .

الى جميع من ساعدنا في انجاز المذكورة من قريب أو من بعيد. إلى كل من علمني حرفا أقول أنا هنا

وما زلت اشكر. إلى كل من قاسمني شعورا أنا هنا لم أنسى وما زلت اذكر

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى

الوالدين الكريمين أطال الله في عمرهما

وإلى إخوتي كل بإسمه وإلى كل

العائلة الكريمة وإلى كل الأصدقاء والصديقات

وإلى أساتذتي طوال مشواري الدراسي

و إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيدا

تمحورت دراستنا حول ظاهرة التصوف عند "سعيد النورسي"، أحد أولئك الذين كان لهم الفضل في التجديد والإصلاح الديني في المجتمع التركي خاصة والعالم الإسلامي عموماً ، وذلك من خلال تناول سيرته الذاتية وأحوال عصره لتلمس الإتجاه المؤثرة في توجهاته الفكرية والروحية ، وبالتالي رصد ملامح التجديد والإصلاح في الفكر الصوفي أو التصوف النازع للإتجاه العملي والتطبيقي والممارساتي في حياة إنسان القرن العشرين.

وباعتبار أن التصوف هو ضمن حقل الفكر الإسلامي ، إلا أنه عرف بتعدد المناهج والطرق لمروحه بمراحل عدة، فهو إذن يعكس تلك الجهود البشرية والمحاولات التفاعلية داخل مجال مكاني وزماني معين ضمن نطاق الوحي(الفكر الإسلامي) ، وبالرغم مما تعرض له هذا الفكر الصوفي أو التصوف من وشبهات وبدع وشكوك شوهت حقيقته وجوهره و مست جوانبه الفكرية أو الطرقية كممارسة وتأرجح بين معارض ومؤيد ، بين مدافع عنه ومنتقد له ، إلا أنه في كل عصر كانت توجد طفرة من العلماء والمفكرين من أهل التصوف والفكر الإسلامي من يجدده ويصيغه بشكل جديد ويبعد تلك الشبهات والبدع من أولئك الذين إنحرفوا عنه رغبة في مقاصد وغايات شتى.

ولعل النورسي من بين هؤلاء الذين أبدعوا في إعادة وإحياء التصوف إلى جوهره وإلى منبعه الحقيقي ومقاصده التي نشأ فيها بشكل جديد وبمنهج تميز به عن غيره إذ جعله يتجاوب مع متطلبات ومقتضيات العصر دون إحداث العزلة (القطيعة) عن المجتمع ، بل أعاد صياغته كنموذج وكأسلوب حياة ممارسا قابلا للتفعيل والتطبيق ، بل أعاد إحياء الحياة الروحية العريضة وبمعانيها المعنوية الواسعة " الإتحاد ، التضامن ، الأخوة ، المحبة ، الصدق ، الأمل ، الشورى ... إلخ في زمن طغت فيها تيارات الإلحاد والعلمانية (التغريب) توجه أنظار الناس للحياة المادية والتمتع بها ، في خضم هاته الأوضاع المزرية والعسيرة جدد "النورسي" الفكر الصوفي منهاجاً طريقاً وسلوكاً بالرغم من نفيه التام بأنه ليس شيخ طريق ولا صوفياً إلا أن هذا لا يلغي أنه أحدث قطيعة إبستمولوجية مع الفكر الصوفي وإنما إستفاد من التصوف كمنهج لترشيد خطابه الدعوي الهادف للإصلاح والتغيير ، والتصوف عنده المعتمد والمستند كلياً على المنهج القرآني الشامل في دعوته مخاطباً كل الفئات وكل طبقات المجتمع وعلى السنة الشريفة

وعهد الصحابة بإعتبارهم النموذج المتميز للتصوف ممارسا سلوكا وأفعالا مجسدا على أرض الواقع في معاملاتهم وتفاعلاتهم مع الآخرين حتى مع أعداء الإسلام. ذلك التصوف الذي لا يعتمد على الذوق والرياضة الروحية فقط وإنما يتعداه بإعتباره منهجا ناقصا لا يفي بحاجات وإحتياجات العصر الذي يمثل عصر صراع وتحدي للفلسفات المادية المعادية للدين الإسلامي.

ولكن المميز كيف إستطاع إعادة إنتاجه بمنهج جديد بعيدا عن المشيخة الكلاسيكية وبعيدا عن إنشاء طريقة صوفية بل الأهم من ذلك يعتمد على الذكر القلبي والتأمل العقلي لخدمة الحقائق الإيمانية خدمة مباشرة ، كيف أعاد إنتاج الحقائق الإيمانية التي هي مسعى كل متصوف وأعاد هيكلتها وفق ما يتطلب مع العصر ووفق إحتياجات إنسان اليوم ، مما يعكس قابلية التصوف إلى التجديد وإن دل فإنما يدل على مرونته للتطور والتجديد وفق متطلبات وحاجيات العصر فهو صالح لكل زمان ومكان . كما أنه أعاد إحياء الحياة الروحية على عهده الأول حينما كان أسلوب عيش ممارسا مجسدا في سلوكات والتفاعلات الإجتماعية ، السياسية ، الإقتصادية ، الدينية ... ألخ للفرد داخل المجتمع لا بالإنعزال عن المجتمع بل كنموذج يعكس التربية الروحية الحقة من أخلاق وبناء روحي متوازن يقف أمام هاته التيارات التغريبية و الشبهات والبدع محققا توازنا روحيا وماديا معا ، إنه النموذج الذي يبني الإنسان أخلاقيا ويضمن الصلة الدائمة بالله عن طريق العبادة التي في مدلولها هي منبع الطاقة الروحية التي توقظ القلب وتحببه وتجعله يمارس وظيفته التعبدية بإخلاص تام لله وتنظيم وتنمية العروج الروحي الذي يرتقي بالإنسان دائما إلى الأعلى ويدفعه دوما إلى الأسمى . هكذا جعل "النورسي" بمنهج الوسطية وثنائية العقل والقلب إعادة إنتاج القيم والحياة الروحية وهذا هو جوهر التصوف.

فالتصوف عند النورسي هو التطبيق الحقيقي للإسلام في السلوك وفي جوانب الحياة الحياة المختلفة كأسلوب مجسدا على أرض الواقع يخدم الفرد والمجتمع ويحقق المحبة والإخلاص والتضامن في زمن أصبحت الماديات الشغل الشاغل لإنسان العصر وبذلك همش الجانب الروحي.

Resumé

Notre étude axée sur le phénomène du soufisme chez « **Said Nursi** », l'un des chercheurs qui a eu l'honneur de la rénovation et la reformulation religieuse dans la société Turque en particulier et dans le monde musulman généralement à travers son itinéraire personnel et les circonstances de son époque afin que d'implorer les orientations affectants sur ses tendances spirituelles et enfin dépose les caractéristiques de rénovation et de réforme dans la pensée soufi ou le soufisme extracteur d'orientation d'application dans la vie de l'individu du XXe siècle (20^{ème} siècle) .

En considérant que le soufisme est inclu dans le domaine de la pensée islamique , est connu par de multiple méthodes et manières soufi suivant son passage par plusieurs étapes, donc il reflète les efforts humaines et les tentatives d'interaction dans l'espace du lieu et du temps connu dans le cadre de la prophisie (la religion islamique). Malgré l'exposition de la pensée soufi aux interventions des soupçons et les engouements (hérésies) et les soupçons qui ont ternies (déviation) la réalité du soufisme et son contenu et qui affectent ses aspects et ses méthodes d'application du soufisme qu'est été entre opposant et partisan , défenseur et d'autre qui ont critiqué .

Par contre dans chaque époque il y'avait une mutation de savants et chercheurs du soufisme et la pensée islamique qui ont rénové et reformuler son aspect , dans un aspect nouveau , qui repousse les soupçons de ceux qui ont détourné leur opinion envers le soufisme suivant leurs désirs, objectifs et a des fins diverses.

Nursi est considéré comme l'un parmi ceux qui ont restauré et revivre le soufisme a sa source véritable et ses objectifs ou a été développé dans une nouvelle forme et méthode distinguée des autres qui l'a rendu conforme avec les exigences et les conditions de l'époque sans provoquer son isolement de la société , mais il a reformulé comme un modèle et procédé de vie pratique apte (capable) a l'activation et d'application , mais il a fait revivre la vie spirituelle d'une manière vaste avec ses significations morales larges comme : l'union , solidarité, fraternité, l'amour, l'honnêteté, l'espoir, choura...etc . Dans une époque ou les courants d'athéisme et laïque ont submergé qui orientent la vision des gens vers la vie matérielle et son plaisir, dans ces conditions difficiles et misérables. **Nursi** a rénové la pensée soufi et ces méthodes son itinéraire et comportement, malgré son refus d'être un cheikh du soufisme (tarika soufia) ou soufiste.

Cela ne prouve pas sa rupture avec épistémologie avec la pensée du soufisme . mais il a profité et bénéficie du soufisme une méthode pour rationaliser son discours prédicateur soufi visant la réforme et le changement .

Le soufisme agréer et soutenu pour lui est basé totalement sur l'approche coranique globale selon sa prédication .appelant tous les groupes et toutes les catégories de la société , selon la souna et le serment des compagnons du messenger comme modèle exemplaire du soufisme appliqué , comportement et activité , incarnée sur le terrain réellement dans leur relation et interactions avec les autres et même avec les ennemis de l'islam. Ainsi le soufisme qui ne dépend pas du (**dawek**) goût et des sports spirituelles seul, mais il le dépasse considéré comme méthode incomplète et ne répond pas aux besoins de l'époque qui représente l'ère des conflits et de l'affrontement aux philosophies physiques hostiles , religion islamique.

Mais comment reproduire avec une méthode nouvelle loin des (**Mecheikha**) classiques et loin de la création des sectes soufi (**tarikha soufia**) , mais le plus important dépend de la méditation du cœur et les contemplations mentales qui servent à la réalité de la foi directement , comment reproduire les réalités de la foi qui sont des fins des gens soufi , il les a restructurées selon les exigences de l'époque , ce qui reflète son aptitude de se renouveler .ce qui prouve sa flexibilité de sa modernisation et son renouvellement , selon les exigences et les besoins individuels qui est valable pour tous les temps et lieux qui fait revivre la vie spirituelle a son premier temps, lorsqu'il était comme modèle de vie représenter dans le comportement , interaction sociale , économique, politique , morale et religieux...etc. de l'individu dans la société sans s'isoler de la société . mais comme modèle qui reflète l'éducation spirituelle réelle , morale, développement spirituel équilibré qui s'impose devant les courants d'aliénation , les suspicions et les engouements. Qui réalisé un équilibre physique et spirituel. C'est le modèle qui construit l'être humain moralement .

Il assure le lien permanent avec le Dieu par le culte qui est dans sa signification la source de l'énergie spirituelle qui éveille le cœur et qui le revivre , et qu' il assure sa fonction de culte avec fidélité complète a Dieu et organise l'ascension spirituelle , qui assure la hausse de l'être humain vers le haut en permanence et qui le bousté toujours vers le mieux .c'est ainsi que Nursi a fait de la modération et la dualité de l'esprit et du cœur a fait de la reproduction et de revivre les valeurs ,et la vie spirituelle et c'est le noyau du soufisme.

Le soufisme chez **Nursi**, c'est l'application réelle de l'islam dans le comportement et dans tous les aspects de vie et comme un exemple modèle de vie réalise sur terrain qui sert l'individu et la société et qui réalisé : l'amour, la loyauté , la solidarité, au moment où le matérialisme est devenu la préoccupation prioritaire de l'être humain de l'époque. Ainsi il a marginalisé l'aspect spirituel.

Abstract

Our study has focused on the phenomenon of mysticism by "Said Nawrasi", one of those who have been credited with the renewal of religious reform particularly in the Turkish society, and generally in the Muslim world, through shedding light on his autobiography and the conditions of his time to touch the trends affecting his intellectual and spiritual orientations, thus monitoring the features of renewal and reform in *Sufism* or *Sufi Thought*, which draws on the practical direction of the twentieth-century human life.

The *Sufism* is part of the field of Islamic thought; however, it is known for its multiplicity of approaches and methods for going through several stages. It, therefore, reflects these human efforts and interactive attempts within a specific spatial and temporal domain within the scope of revelation (Islamic thought). Although suspicions and doubts distorted the truth and substance and the extent of intellectual or methodological aspects as a practice and swung between the opposition and the support, between defenders and critics, there was in every era a surge of scientists and thinkers of the mystics and Islamic thought who work on renewing and formulating it in a new form and reject those suspicions and doubts of those who deviated from it for various purposes and purposes.

Nawrasi is believed to be among those who were devoted of the revival of *Sufism* to its essence, its true source and purposes, in which it grew up in its new manner and distinctive approach. Such a fact made it responsive to the recent requirements and without disconnecting it from society. However, he re-formulated it as a model and a way of life to be practised, activated, and applied. In other words, he revived the broad spiritual life with its broad moral meanings like: "union, solidarity, brotherhood, love, honesty, hope, consultation (Shura) ... etc" in a time, where atheism, secular currents, and Westernization overwhelmed, the attention of people was drawn towards the material life and enjoyment of it. In the midst of these dire and difficult situations, he transformed the *Suffism Thought* into a method and a behaviour despite his total denial of being a leader of the *Sufi* method. Nevertheless, this doesn't mean that he hasn't created an epistemological break with the *Sufi Thought*, but has taken advantage of *Sufism* as a method to rationalize his missionary speech for reform and change. The comprehensive Quranic approach in his call to address all groups and all social classes, and the honourable Sunna and the Companions' (Sahabah) era as being the distinctive model of *Sufism* in practicing behaviours and actions embodied, on the ground, in their transactions and interactions with others even with the enemies of Islam. *Sufism* does not depend on the personal tastes and spiritual acts only. It rather extends that since it is an

approach which does not meet the needs of the time as it represents an era of conflict and challenge of physical philosophies that proved to be hostile to Islamic religion.

Nevertheless, what is more important is how he was able to reproduce it in a new way away from the classic and far from the establishment of a *Sufi* method. In fact, it depends on the spiritual supplication and mental reflection to serve the faith truths directly, how he reproduced the truths that are the quest of all *Sufis* and restructured them as required through time and according to the needs of man today. Such a fact reflects the ability of *Sufism* to renewal, although it demonstrates the flexibility of development and renewal according to the requirements and needs of the time. It is, thus, valid for at any time and place. He also revived the spiritual life to its first era when the lifestyles practised were embodied in the social, political, economic, religious interactions and behaviours of the individual within his society rather than isolated from it. That's to say, as a model reflecting the true spiritual education of ethics and a balanced spiritual building, facing the Westernizing trends and suspicion which achieve a spiritual and material balance. It is the model that constructs man morally and ensures the constant connection to God through worship, which in its meaning is the source of spiritual energy that awakens and revives the heart and makes him perform his worshipping function with total devotion to God. All this without forgetting the organizing and progressing of the spiritual raising that makes man rise to the top, and always push him to the best. In this way, Nawras introduced both of the approach of moderation and mind-heart duality, that reproduce values and spiritual life; and this is the essence of *Sufism*.

Sufism of Nawrasi is the true application of Islam in behaviour and all the different aspects of life, serving the individual and society, and achieving love, sincerity and solidarity at a time when materialism becomes the preoccupation of the modern man at the expense of his spiritual side.

مقدمة عامة

مقدمة عامة

إن التصوف يعتبر ظاهرة روحية عالمية، طالما أنه هناك دين يقدس وطقوس تؤدي، وشعائر تقام ، ويعد التصوف مبحثا من أهم المباحث التي يستند إليها الفكر الإسلامي حيث يركز التصوف الإسلامي على ثلاث مكونات أساسية وهي : الكتابة الصوفية والممارسة الروحية والإصلاح الصوفي . كما له مساهمة كبيرة في إغناء التراث الثقافي العالمي وعلى الثقافة الشعبية والفنون . فقد ساهم الشعر و الأدب و الموسيقى في بلورته حتى أنه تعدى خارج حدود العالم العربي و الإسلامي . وبإعتباره ظاهرة معقدة ومتداخلة، فهو عملية مركبة تستوعب الإجتماع والفكر والدين والأدب والفن وغير ذلك، وهو بهذه الصفة أيضا يتناول المسائل النفسية والإجتماعية على حد سواء، كما أنه يمثل ظاهرة فلسفية بإعتباره معبرا عن رؤية فلسفية معينة وهو زيادة على ما سبق ظاهرة أدبية لها ميزتها المتشعبة بالرمزية ولغة الإشارات لدى كثير من رواد هذا العلم، إضافة إلى الفن والموسيقى. وكثيرا ما تتجلى مجموع تلك الوجوه في فعل تربوي واحد . وقد إستصحب الدارسون تلك الوجوه في دراسة التصوف، ولاشك أن تلك الوجوه تعبر عن جزء من الظاهرة، ولا تستوعب الظاهرة ككل.

يمثل التصوف الإسلامي ظاهرة عميقة وممتدة ومتعددة المظاهر في تاريخنا الفكري وواقعا الإجتماعي والحضاري، كما أنه يعتبر جزءا أساسيا في التراث الإسلامي حيث تبوأ مكانة هامة في الفكر العربي الإسلامي، والإهتمام بالتصوف كموضوع للدراسة قديم، تناوله المؤرخون والعلماء العرب والمسلمون كالطوسي ، والكلاباذي، والقشيري وغيرهم، كما ألف فيه الفلاسفة كابن سينا والغزالي وابن خلدون ، وتجادل فيه الفقهاء وعلماء الكلام إضافة إلى جهود المستشرقين كنيكلسون وأنا ماري شيمل وغيرهم . ولم يتفق هؤلاء على رأي سواء تعلق الأمر بحدوده أو أصوله فأختلفت الآراء والمشارب حوله. فالتصوف ليس ظاهرة إسلامية خاصة بل إن جذوره وعروقه لتمتد في أي فكر ديني عموما، حتى إن كثيرا من الدارسين ربطه بأصول غير إسلامية كالمسيحية والهندية والفارسية والفلسفة اليونانية. ورأي آخر يرفض هذه الصلات جملة وتفصيلا ويرده إلى أصوله الإسلامية ومنابعه الأولى القرآن والسنة.

تتجذر الطرق الصوفية في بنية المجتمع التركي منذ مئات السنين، وقد ظلت الصوفية في تركيا محافظة على وجودها بين أفراد المجتمع وطبقات المجتمع، على الرغم من التحولات الفكرية الجذرية والمحطات التاريخية الفاصلة التي مرت بها الدولة التركية وخاصة في القرن العشرين، لاسيما مع سقوط الخلافة العثمانية وإغائها رسميا عام 1924م، وإتجاه تركيا "الكمالية" أي "كمال أتاتورك" نحو تبني العلمنة التي تهدف إلى إبعاد الدين عن وجه الدولة والمجتمع والمجال العام وتهميشه إلى أقصى حد ممكن، بل ومحاربته والحد من مظاهره كذلك في الفضاء الخاص، وظلت محافظة على وجودها على الرغم من كل محاولات القضاء عليها. من خلال أشكال وطقوس دينية : أذكار وأوراد وأناشيد وإبتهالات، وعكفت طرق أخرى صوفية تحفيظ القرآن للناس وبعضها الآخر إكتفى بالتعبير عن روحانيته بالدروشة التي تصورها وسائل الإعلام العربية في كل مناسبة دينية معينة، وإختصت كل فئة أو طريقة بلباس خاص بها، يميزها عن الأخرى. ولعل الناظر إلى طبيعة التدين في المجتمع التركي إبان الحقبة العثمانية يمكنه بسهولة أن يلمح آثار التصوف الواضحة فيه.

التصوف بوصفه ظاهرة دينية أنجبت منذ أن نشأت رجالا تركوا بصمات واضحة على التراث الديني، بعدما إنتشروا في مشارق الأمة ومغاربها، حيث يشكل التصوف رصيذا ضخما من التراث اللامادي ، جدير بالإهتمام وإستثمار ما يكتنزه من طاقات أخلاقية وجمالية في مواجهة تحديات العصر وزحف التيارات المادية وأزمة الأخلاق في كثير من المجتمعات المعاصرة وسنحاول في هذه الدراسة إلقاء الضوء عليه بوصفه ظاهرة كظاهرة دينية من خلال التطرق إلى تجربة التصوف عند بديع الزمان النورسي، ذو علما ومكانة في تاريخ تركيا الحديثة التي شهدت تطورات خطيرة في القرن العشرين، وما تزال آثاره حتى الآن يتفاعل معها المجتمع التركي المعاصر. وإستعراض لإنتشارها في تركيا ، مع إظهار التطورات والتداعيات التي واجهها المتصوف سعيد النورسي ، وكيفية تفاعله معها ، مع التركيز على تأثيره الإجتماعي والديني في المجتمع التركي في العصر الحديث.

ومما لا شك فيه أن لتصوف النورسي إسهامات كبيرة في مجمل التحولات الفكرية والحضارية والمجتمعية التي عرفتتها تركيا عبر تاريخها ، كما أنه يشكل مرجعا فكريا لمجموعة من أتباعه. فقد إشتهر حضورا وتأثيرا في شرائح المجتمع التركي، بالأرياف

والمدن مؤكدا على البعد التربوي الذي كان يحث أتباعه على ضرورة ترسيخه وتعميقه باعتبارها الأساس والمنطلق لأي عملية تغييرية فردية كانت أو جماعية.

تنسب جماعة النور/النورجية إلى الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي، وتعد من أكثر الجماعات الإسلامية حضورا وتأثيرا في شرائح المجتمع التركي، بالأرياف والمدن ومما يميزها الجماعة حرصها على أن تستقل بخط فكري يميزها عن باقي الطرق الصوفية. تحمل في طياتها رؤى وتصورات عميقة فيما يخص تدبير شؤون حياة الإنسان بجوانبها المتعددة الدنيوية والأخروية .

وعليه تتمحور إشكالية بحثنا كمايلي:

ماهي طبيعة التصوف عند سعيد النورسي ؟ وما موقفه من التصوف ؟

وللإجابة على إشكالية بحثنا ووفق المنهجية المتبعة وجب على كل باحث أثناء بحثه أن يصيغ له فرضيات كإجابات مؤقتة وعليه ففرضيات بحثنا تتمثل فيمايلي:

- 1- إستثمر النورسي الفكر الصوفي وجدده ليستجيب لمقتضيات التحديث القسري الكمالي .**
- 2- جاءت مواقف النورسي لمواجهة التحديث القسري من خلال فكر صوفي يستجيب التحديات التي فرضها التحديث العلماني بتركيا.**

أما فيما يتعلق بالهدف الأول و الرئيسي من وراء إختيار هذا الموضوع هو القيام بدراسة أنثربولوجية حول موضوع ظاهرة التصوف عند سعيد النورسي والحاجة الملحة إلى معرفة تجربته الصوفية روحا وخلقاً وإنسانيا والإقتداء به ليس في المظاهر واللباس وإنما في السلوك والأقوال والأفعال. بل إستحضار شخصيته الأخلاقية وتفعيلها وهي ما يحتاج إليها النشئ للتربية في مقابل التطور المادي للحياة. وبالتالي معرفة مدى أهمية التصوف للفرد المعاصر وممارسته وإنعكاسه على تفاعلاته داخل المجتمع كسلوك في الحياة .

ولأن الهدف من أي دراسة لا ينفصل عن دوافعها فإن غايتنا من هذه الدراسة هو الكشف عن حقيقتها كما هو في الواقع وإنجاز عمل أنثربولوجي عنها يكون وثيقة عمل للدارسين بهذه المواضيع بعدنا ، ويكون بالنسبة لدراسات أكثر عملية وأكثر عمقا. كما أن هذا البحث يمثل إستقصاء لحقائق متعلقة بتصوف "سعيد النورسي" بتركيا.

أسباب إختيار الموضوع :

إن أهم الأسباب التي دفعتنا إلى إختيار هذا الموضوع للدراسة سببين أحدهما ذاتي والثاني موضوعي فالأول مرده إلى حب الإطلاع و الإهتمام الشخصي والرغبة الملحة في تناول هذا الموضوع بالدراسة والبحث. بعدما إقترحه علينا رئيس مشروع مدرسة الدكتورالية في الأنثربولوجية سنة 2014-2015 الدكتور مولاي الحاج مراد

أما الثاني فقد تمثل في كون أن ظاهرة التصوف وتأثيره أصبح ظاهرة تفرض نفسها على الباحث ليس فقط بأنه عضو في المجتمع بل لأن معرفتها خصوصا بالنسبة لدارس علم الأنثربولوجيا و علم إجتماع تمكنه من معرفة واقع هذا النمط وتأثيره على إتجاهات الأفراد وعلى باقي النظام الإجتماعي ككل ومؤسساته بما في ذلك الأسرة كوحدة جزئية من مجموعة أفراد مكونة للمجتمع ، وهو ما يجعل إختيارها للدراسة أمرا واقعا ويشكل دافعا موضوعيا بالإضافة إلى وجود المصادر والمراجع والمقالات كمادة علمية يستند عليها في أي بحث علمي وأكاديمي.

المصطلحات الاساسية :

تعريف الكتاني التصوف: فقد حاول تعريف التصوف بصورة مختصرة فقال

« التصوف صفاء ومشاهدة»¹.

عرفه أبو الحسن الشاذلي :

«التصوف تدريب النفس على العبودية ، وردها لأحكام الربوبية»²

فالتصوف عند الفلاسفة:

¹- عبد الحليم محمود ، قضية التصوف المنقذ من الظلال ، دار المعارف، مصر ، الطبعة الثالثة، 1988 م ، ص47.

²- حامد إبراهيم صقر ، نور التحقيق في صحة أعمال الطريق ، دار التأليف للنشر، القاهرة ، مصر ، 1970م ، ص 93.

«حالات فردية، واجتهادات شخصية في طريق الوصول إلى الله تعالى، أو الإتصال به بالعشق أو الفناء أو إدعاء الإتحاد به»¹.

عرف ابن عجيبة التصوف :

«هو علم يعرف به كيفية السلوك إلى حضرة ملك الملوك ، وتصفية البواطن من الرذائل ، وتحليلتها بالفضائل ، وأوله علم ووسطه عمل وآخره موهبة»².

يعرف سمير السعيد التصوف في قوله :

«إن لغة التصوف أفاظها موهمة في ظاهرها، لكنها كلام في الكشف عن الحقيقة وعلوم الغيب ... وهي "لمجرقات في عوالم الكون وأنواع الكرامات وينطق لها أئمة القوم»³.

المفهوم الإجرائي للتصوف : نرى أن مفهوم التصوف أشمل وأعم من أن يطلق عليه إحدى هذه المسميات فإننا سوف نتناول التصوف بإعتباره مجالاً لممارسة الحياة الروحية، لأن الحياة الروحية إطار يشمل أغراض ومعاني منها التخلي عن الأخلاق الرذيلة والتخلي بالأخلاق السامية.

تعريف الطريقة :

«الطريقة في اللغة هي السيرة، وطريقة الرجل :مذهبه، يقال : ما زال فلان على طريقة واحدة أي على حالة واحدة، وفلان حسن الطريقة والطريقة الحال»⁴.

الطريقة عند الشيخ محمد الكسنزان :

¹- محمد علي الجندي ، نظرية الإمامة بين الشيعة والمتصوفة، دار الزهراء للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى، 1991م ، ص89.

²- أحمد بن عجيبة ، معراج التشوف إلى حقائق التصوف ، تحقيق: عبد المجيد خيالي ، مركز التراث الثقافي المغربي ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى، بدون سنة نشر ، ص 25.

³- سمير السعيد، الحسين بن منصور الحلاج، حياته وشعره ونثره، دار علاء الدين للنشر، دمشق، بدون طبعة وسنة نشر ، ص20.

⁴- ابن منظور، لسان العرب ج 9 ، دار صادق للطباعة والنشر، بيروت، 1968 م ، ص 221.

«هي المنهج أو الأسلوب الذي يستنبطه شيخ الطريقة من الكتاب والسنة المطهرة لتطبيق الشريعة الإسلامية تطبيقاً كاملاً بظاهرها وجوهرها»¹

مصطلح الطريقة عند ابن خلدون :

«كوصف لجماعة المتصوفة فيما سلكوا من السبل وتبعهم في ذلك أهل الطريقة ممن إشتملت رسالة القشيري على ذكرهم ومن تبع طريقته من بعده»².

المفهوم الإجرائي للطريقة : مفهوم الطريقة متعلق بأركان الدين الثلاثة الإسلام والإيمان والإحسان فهي ليست تطبيقاً لمقام الإحسان فقط ، فهي تطبيق لمقام الإسلام أولاً ثم الإيمان وأخيراً الإحسان ، إذ لا إحسان بلا إسلام وإيمان ، ونستنتج أن الطريقة هي التطبيق الأمثل لأركان الدين الثلاثة بلا فصل أو تجزئة.

يعرف الجرجاني الكرامة :

« أمر خارق للعادة ، يظهره الله تعالى على يد ولي من أوليائه تكريماً له أو نصرة لدين

الله»³.

تعرف كذلك :

«هي أمر خارق للعادة ، يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح ، ملتزم بالشريعة ، نبي كلف بشريعته مصحوب لصحيح الاعتقاد والعمل الصالح ، علم بها أو لم يعلم»⁴.

تعرف الكرامة أيضا :

¹ - جماعة من كبار اللغويين العرب ، المعجم العربي الأساسي ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم للنشر ، 1989 م ، تونس ، ص 792.

² - ابن خلدون ، المقدمة ، دار مكتبة الهلال للنشر ، بيروت ، 1991 م ، ص 296.

³ - محمد بن صالح عثيمين ، مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن عثيمين ، ج 4 ، محقق : فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان ، دار الوطن للطباعة والنشر والتوزيع ، الرياض ، 1413 هـ ، ص 311.

⁴ - أحمد الجوهري الخالدي ، كرامات الأولياء في الحياة وبعد الإنتقال ، تحقيق : سعيد عبد الفتاح ، دار الآفاق العربية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، 2008 م ، ص 20.

« عبارة عن حكاية قصيرة تروي قصة بطل صوفي أو ولي صالح له من القدرات ما يمكنه من تحقيق ما هو خارق للعادة يظهر ومخالف لسنن الطبيعة كالحديث مع الموتى وتسخير الحيوان والجماد والمشي على الماء والطيران في الهواء»¹.

تعريف الكرامة عند علي زيعور :

« بنية أساسية في الفكر البشري ، وهي كالبنية العقلانية مرتبطة بنمط مجتمعي ، وبأسلوب معيشي في الوجود ، وهي ممارسة لمعتقد ديني ، وتأكيد لهذا المعتقد ، والفكر الكرامي نمط فكري واجتماعي وشمولي النظرة ، كما أنه يأخذ ويعلل كل شيء باللجوء إلى الخيال وأوليات الدفاع عن الذات ، والإشباع النفسية كما أنه يرضي الوعي إتجاه التحديات والحوازج ترضية سهلة»².

تعريف للكرامة :

« ذلك الفعل الخارق والسلوك المميز الذي يعتقد بأن الله خص به صفوة من خلقه

»³

هم الأولياء

المفهوم الإجرائي للكرامة : هي مجرد عطاء فكري سلوكي وثيق الإرتباط بقوى غيبية ، بينما هي في الواقع نتاج إجتماعي ، وإفراز لشروط تاريخية وإنعكاسات لإكراهات إجتماعية ، وتجل لواقع يزخر بالتناقضات. لا يمكن فهمه إلا في ظل النظم والمعتقدات المجتمعية السائدة.

أما فيما يخص منهج البحث والتقنية المستعملة حيث أن المناهج تختلف باختلاف المواضيع لأن المنهج هو الطريق الذي يسلكه الباحث للوصول إلى نتيجة حيث يعرف المنهج

¹- إبراهيم القادري ، الإسلام السري في المغرب العربي ، منشورات سينا للنشر ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الأولى، 1995 م ، ص 132.

²- علي زيعور ، الكرامة الصوفية الأسطورة والحلم ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الأولى، 1984م ، ص 83.

³- محمد دحماني ، حكايات كرامات الأولياء في منطقة الشلف، مذكرة لنيل شهادة ماجستير ، كلية الآداب واللغات قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة بن يوسف بن خدة ، الجزائر، 2005-2006م، ص17.

« على أنه مجموع السبل و الأدوات و الوسائل التي يعتمدها الباحث في دراسته ويسمى من خلاله أي الكشف عن حقائق علمية»¹ .

والمنهج الذي إعتدنا عليه في دراستنا هذه هو **المنهج الوصفي الإستقرائي** الذي يهدف إلى فهم الظاهرة والمنهج الوصفي لما له فائدة في إستقصاء الظاهرة وتناسبه مع طبيعة الموضوع كما هي في الواقع والذي يهدف إلى وصف واقع التجربة الصوفية عند "سعيد النورسي" وتأثيره على إتجاهات وسلوكات الافراد بالإضافة الى وإستقراء بحيث نقوم بعملية جمع أقوال "سعيد النورسي" الخاصة بموضوع بحثنا التصوف ، وكذلك إستخدام **المنهج التاريخي**

«يهدف إلى إعادة بناء الماضي بدراسة الأحداث الماضية»²

وذلك من أجل معرفة التصوف و نشوءه وتطوراته عبر التاريخ. وكذلك من زاوية أخرى معرفة الأحداث التاريخية بمختلف إتجاهاتها التي وقعت أثناء حياة " سعيد النورسي " أي الأوضاع الإجتماعية والسياسية والدينية... إلخ وتطوراتها في عصره وبالتالي معرفة مدى تأثيرها عليه سواء على الصعيد الفكري أو الروحي. بالإضافة إلى **المنهج المقارن** وذلك بهدف معرفة ورصد الإختلافات وحتى التشابه بين الفكر الصوفي عند النورسي وغيره من المتصوفة الآخرين وذلك لا يكون إلا من خلال عملية المقارنة .

أما تقنية البحث سنستخدم في بحثنا هذا تقنية **سيرة الحياة** أو بما يعرف بقصة الحياة أو تاريخ الحياة كوسيلة أساسية لمدى تناسبها مع طبيعة بحثنا من سيرة ذاتية للمبحوث أو قصة حياته مكتوبة بالتالي الحصول على وصف دقيق لمسارات حياة المبحوث في السياق الإجتماعي وذلك لكشف أنماط العلاقات الإجتماعية والعمليات التي تشكل هذه العلاقات. بالتالي فسيرة الحياة وراءها باحث أنثربولوجي قد قام بجمع الحقائق وعينها حتى وصلت

¹ - محمد زيدان عمر ، **البحث العلمي ومناهجه وتقنياته** ، ديوان المطبوعات الجامعية للنشر ، الجزائر ، 1984م ، ص 143

² - موريس أنجرس ، **منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية تدريبات علمية** ، ترجمة: بوزيد صحراوي كمال بوشرف سعيد سبعون ، دار القصة للنشر ، الجزائر ، 2004 ، ص 105.

الينا¹ وذلك لجمع المعلومات قصد تكييف المعلومات بطريقة منظمة وممنهجة يمكن من خلالها جمع المعلومات بطريقة أكثر علمية .

مع إستخدام تقنية **الملاحظة** كأهم تقنية في البحث. أما **المجال** الزماني تحدد وفق الشروع في دراسة المؤلفات منذ إختيار موضوع بحثنا في جوان 2015 إلى غاية 4 أفريل 2017م.

عينة البحث : أما عينة البحث فكانت عينة قصدية تمثلت في إختيار مؤلفات النورسي وآثاره العلمية عن طريق إختيار الأجزاء التي تكلم فيها عن التصوف والفكر الصوفي لأنها تمثل موضوع بحثنا. الكلمات- المكتوبات – السيرة الذاتية- المثنوي النوري العربي- اللغات- الملاحق ، صيقل الإسلام ، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز وهي تمثل مصادر البحث.

خطة البحث : كان لا بد لنا من إتباع منهجية علمية من أجل إنجاز هذا البحث و الوصول إلى نتائج ، قمنا بإتباع خطة بحث تشمل المقدمة كإطار منهجي لدراستنا وأربعة فصول لكل فصل تمهيد و خلاصة على النحو التالي :

المقدمة : وهي بمثابة الإطار المنهجي للدراسة تطرقنا فيها إلى تحديد الموضوع ، أهمية وأهداف الدراسة ، دوافع إختيار الموضوع ، إشكالية وفرضيات البحث ، تحديد المصطلحات الخاصة بالبحث ، منهج البحث والتقنية المستعملة في جمع البيانات والمعلومات بالإضافة إلى صعوبات البحث وإلى الدراسات السابقة .

الفصل الأول : تناولت فيه الأوضاع التي عاش فيها "سعيد النورسي" دراسة المجال المكاني وأحوال عصره. بتقسيمه لثلاث مباحث أساسية .

الفصل الثاني : تناولت فيه حياة "سعيد النورسي" وتطوراتها وذلك بتقسيمه إلى ثلاثة مباحث المبحث الأول المرحلة الأولى من حياة "سعيد القديم" من المولد حتى سنة 1925م والمبحث الثاني يمثل المرحلة الثانية " سعيد الجديد" من 1925-1949م والمبحث الثالث يدرس المرحلة الثالثة من حياته "سعيد الثالث" ورسائل النور 1949-1960م.

¹ - مجموعة من المؤلفين ، طرق البحث أدلة العمل الميداني في الدراسات الأنثربولوجية ، دار المعرفة الجامعية للنشر ، الإسكندرية ، مصر، 2005، ص ص 83.86.

الفصل الثالث : ركزت فيه على دراسة التصوف وفق المنظور " النورسي " وموقفه من التصوف وفق أربعة مباحث تناولت فيها المبحث الأول : التصوف ومراحلہ والموقف النورسي منه ومبحث ثاني تناولت فيه وحدة الوجود والمعرفة عند النورسي والمبحث الثالث "النورسي" والطريق الصوفي والمبحث الرابع تطرقت فيه إلى الطريقة وفوائدها ومزالق سالكي التصوف حسب "النورسي".

الفصل الرابع : تطرقت فيه إلى تقسيم هذا الفصل إلى أربعة مباحث المبحث الأول دراسة منهج والوسائل التي إعتدها "النورسي" في نشر دعوته وبما أن وخطابه الدعوي الإصلاحی والمبحث الثاني نظرا لسؤالنا : لمن كانت موجهة خطابه؟ وبذلك تناولنا الفئات التي خاطبها " النورسي" والمبحث الثالث أبعاد هذا الخطاب وما تضمنه من أهداف وغايات متعددة والمبحث الرابع تناولت فيه ثنائية الشيخ والمريد وإرتباط التصوف بما يعرف بالكرامة وعلاقة هذه الأخيرة بالأنماط الثقافية الأخرى كالإستدراج والرؤية. لإعطاء الصبغة الأنثروبولوجية على بحثنا .

الخاتمة : كانت بمثابة خلاصات عامة وضمت كذلك إستنتاجات خاصة برصد معالم وملامح التجديد "النورسي" في الفكر الصوفي أو التصوف.

صعوبات البحث

يبقى البحث الأنثروبولوجي أو السوسيوولوجي دائما كأي بحث يتعرض فيه الطلبة إلى بعض الصعوبات أثناء محاولتهم للإلمام بالجوانب التي لها علاقة بالمواضيع فقد واجهنا في إعداد بحثنا هذه عدة صعاب التي نذكر منها:

- عدم وجود مؤلفات النورسي في الجامعات الجزائرية التي بحثت فيها منها جامعة مستغانم ، وهران ، تيارت ، تلمسان ، الأغواط ، الجزائر ، معسكر، الشلف ، سعيدة ، البيض وكذلك الدراسات الجامعية عنه .

- لم يتطرق النورسي إلى جانب التصوف فقط ، بل مؤلفاته تعتبر موسوعة إيمانية عالج فيها الجانب العقدي ، الجهاد، الحضارة ، التعليم، الأخلاق، الدعوة ... إلخ مما إستغرقنا في

قراءة مؤلفاته عدة مرات وإستخراج ما هو متعلق بالتصوف لحصر موضوع بحثنا مما كلفنا الوقت الكبير في الدراسة.

الدين من المنظور الأنثروبولوجي "معالجة ظاهرة التصوف من منظور أنثروبولوجي".

باعتبار أن الدين نظام للحياة ، بل يعتبر من الأنساق الإجتماعية المؤثرة على كافة الأنساق الأخرى ، هذا بالإضافة إلى أنه كما قال الدكتور إسماعيل فاروق :

« الدين عنصر فعال وأساسي في تكامل الثقافة وتجانسها».¹

خاصة بالنظر الى أن وظيفته تنحصر أساسا حسب الباحثة سلوى علي سليم في:

«صياغة قوانين ومعايير السلوك الاجتماعي من حيث تحديد واجبات الإنسان نحو الله ونحو نفسه ونحو افراد مجتمعه»².

وقد تفسر هذه الحقيقة إهتمام الأنثروبولوجيين بالدين ، إذ هو يعطي صورة واضحة عن تفاعل الإنسان في العالمين المرئي والمتمثل في المجتمع وغير المرئي والذي يمثل عالم ما فوق الطبيعة. ودوره في صياغة وتحديد النظام داخل نسيج المجتمع وتأطيره وفق ما يخدمه فالدين كنسق إيديولوجي يعبر عن منهجية مميزة للأسلوب الخاص لفكر الفرد أو الجماعة.

كما أن الشعائر الإيديولوجية تمثل نزعة المحافظة على القديم ومقاومة التغيير والعمل على إستمرارها وكذا ضبط السلوك والقيم والأخلاق الخاصة بالجماعة من أجل المصلحة العامة ويعرفه بارسونز كمايلي :

«أن الدين هو نسق من المعتقدات والممارسات المتصلة بالأشياء المقدسة»¹

¹- فاروق إسماعيل ، دراسة أنثروبولوجية في منطقة باو، دار النشر الجامعي ، القاهرة ، 1980م، ص 149.
²- سلوى علي سليم، الإسلام والضبط الاجتماعي ، مكتبة وهبة للطباعة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الأولى، 1985، ص 164.

بالتالي إذا كان الدين ينظم سلوك الإنسان فمن المنطق أن يكون ذلك عن طريق ممارسات تكرر على الدوام فلا يوجد من غير طقوس و إحتفالات مظاهر تقوي باطن المقدس وظاهر سلوكه. حيث يشير الأب شاتل إلى أن الدين هو:

«مجموعة واجبات المخلوق نحو الخالق ، وواجبات الإنسان نحو الله ، وواجباته نحو الجماعة ، وواجباته نحو نفسه»²

فالطقوس والمراسم باعتبارها تتبع من الإعتقاد الديني فهي أيضا مؤثرة فيه وعليه من الناحية الأخرى. وبالتالي الدين لا غنى له عن المظهر الإجتماعي سواء تمثل في ممارسات سنوية كعيد الأضحى على سبيل المثال أو دورية أو يومية كالصلاة ، يوثق بها الأفراد علاقاتهم مع القوة الوجودية العليا ومع بعضهم البعض.

إن الفكرة الدينية في إطارها المعنوي التجريدي تحتاج لإستكمال وجودها بالتجسيد في سلوكات متمثلة في مجموعة من الشعائر والطقوس بصور معينة ، وبالتالي هي تساعد على تجديد وتقوية العقيدة بحد ذاتها يشير الباحث عبد الله دراز الى هذا بقوله :

« إن تجسيد صور معينة من السلوك والواجبات ، ورسوم محددة من التقديس والشعائر يجدد من خلالها المتدين عهده بعقيدته التي هي دائما عرضة للنسيان من جراء المشاغل الحياة الدنيوية»³.

وتعتبر الشعائر عند بارسونز وحسب رأيه ما هي إلا :

« كونها تعبيرا تطبيقيا وعمليا تتميز بذاتها عن التفكير النظري»⁴.

فعالمية الدين في كل المجتمعات الإنسانية فكذلك فالتجربة الدينية متأصلة في الانسان حيث أن طبيعته الإنسانية تتضمن الحماس الديني الذي هو أساس التجربة ومدخلها والتصوف

¹ -Parsons Talcott, **the structure of social action**, the free press ,Glencoe Illinois ,1949,P429 .

² - محمد عبد الله دراز ، **الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان** ، دار القلم للنشر ، كويت ، 1952م ، ص 34.

³ - محمد عبد الله دراز ، **الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان** ، مطبعة عالمية للنشر ، القاهرة، 1952م ، ص58.

⁴ -Parsons Talcott, op cit , p 432.

مجموعة أفعال والتزامات. بقدر ما تكون التجربة منتجة للأفعال بقدر ما تكون تجربة روحية مقدسة ، حيث يمكن أن نعتبر التجربة الدينية يمكن التعرف على خصائصها من خلال المعيشة المباشر لتلك التجربة في إطارها الثقافي الذي نشأت فيه ، حيث يعتبر الباحث **ويليام جيمس** أن التجربة الدينية يصعب فهمها فهي ذات مجال متسع غامض ومبهم، فخصائص التجربة الصوفية حسب **جيمس ويليام** :

«هي بمثابة حالات شعورية وكذلك حالات عقلية وفكرية»¹

والرمزية في التجربة الدينية بحيث لا يمكن التعبير عن الشعور الديني ووصفه لفظيا بل الرمزية تقوم بإستجلاب المشاعر لذلك فالرموز تستخدم كأداة للفهم والإدراك. وهي تعمل إذن على ترسيخ بعض المعاني في أذهان الأفراد داخل المجتمع الواحد فهي جوهر الشعور الديني ويعتبر الدكتور والباحث **فاروق أحمد مصطفى** أن للرموز الدينية مكانة خاصة بحيث :

« للرموز الدينية مكانة خاصة لأنها تساعد على تماسك الجماعات وتربطها ، ونذكر

علي سبيل المثال الأعلام المستخدمة لدى بعض الجماعات الدينية المشتركة في الموالد باختلاف ألوانها
«².

فالتجربة الدينية مشحونة بالرمزية هي ذات معنى تعمل على توحيد النمط السلوكي والأخلاقي في حياة الأفراد وقد أشار الباحث الأنثربولوجي **كليفوردي غيرتز** بمقارنته الأنثربولوجية التأويلية للدين من خلال دراسة المعنى وكيفية إنتاج هذه المعاني التي تساهم في إعطاء نماذج ذات نمط ثقافي ديني ، إجتماعي ، أخلاقي ، سلوكي ... الخ داخل المجتمع الواحد هي في حد ذاتها تتضمن رموز مترابطة فيما بينها . يعتبر **كليفوردي غيرتز** أن :

¹ -James William , **The Varieties of Religious Experience** , the modern library , New York, 1936, p 371.

² - فاروق أحمد مصطفى ، **دراسات المجتمع المصري الموالد دراسة للعادات والتقاليد الشعبية في مصر** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب للنشر والتوزيع ، الإسكندرية ، الطبعة الثانية ، 1981م ، ص 44.

«الأنماط الثقافية تمثل صورا أو نماذج هي عبارة عن مجموعة من الرموز ذات الصلة ببعضها البعض ، وأن هذه الصور والنماذج لها معنيين : معنى لها في ذاتها ، ومعنى تدل به على معنى آخر»¹.

وبما أن الرموز الدينية معاني تعطي تلك الصور والنماذج فهي إذا لها وظائف فعالة داخل المجتمع تعمل على توحيد سلوكه وإتجاهاته في مختلف مجالات الحياة ويضيف غيرترز :

«وظائف الرموز الدينية المقدسة في توحيد روح الناس وتوحيد إتجاههم السلوكي ونمط حياتهم وأخلاقهم وأحوالهم ، فالممارسة الدينية تظهر روح الجماعة عن طريق تمثيل طريقة الحياة المثلى بالتكيف مع الشؤون الدنيوية»².

فالشعائر والطقوس في التجربة الدينية لها أهمية في التحليل الأنثروبولوجي من حيث أنها تعكس طبيعة وخصائص ومظاهر هذه الديانات ، كأنساق تعبر عن مدى فعالية الإنسان في مجالات حياته وليس من حيث الحكم على صحة أو خطأ أو صدق أو كذب مقارنة كما هو الإعتقاد في مجال الفلاسفة وعلماء العقيدة ، وإنما الإهتمام المنصب على المعتقدات والشعائر والطقوس التي يمارسونها ومدى تأثيرها وتأثرها في النسق الثقافي الكلي ، وبالتالي من خلال دراسة هذه الأنساق المشحونة بالرمزية تتضح أساليب تفكير الناس وإتجاهاتهم السلوكية. وما أقاموه من تنظيمات ثقافية تخدم هذه الظواهر. بالتالي فالطقوس والشعائر ليست خالية من المعنى وإنما هي مشحونة بالرمزية التي تعبر عن معنى .

نستنتج أن الشعائر هي التعبير الرمزي عن المشاعر والإتجاهات والقيم والمعتقدات ، عن طريق أفعال وممارسات منظمة تعمل على تقوية المعتقد . كما تمد المشتركين فيها ببعض أساليب ووسائل الضبط حيث أنها تحدد طبيعة علاقاتهم بالآخرين وتحدد أيضا علاقاتهم بالقوى ما فوق الطبيعة . وفي هذا الصدد يقول أحمد الخشاب :

«أن الشعائر تكون دور الوسيط بين الفرد والمجتمع وآلهته»¹.

¹-Geertz Clifford , **Religion as a cultural system in Anthropological Approaches to the Study of Religion**, by : Michael Banton , tavistock publications, London, 1973, pp 5-7.

²-Ibid , p 7.

الدراسات السابقة : تطرقنا فيها إلى المواضيع التي قامت بدراسة التصوف بصفة عامة ثم الدراسات التي تناولت دراسة "النورسي" وعلاقتها بموضوع الدراسة.

الدراسات التي تناولت التصوف الأجنبية والعربية :

1- دراسة آنا ماري شيميل "الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف" :

يمثل هذا الكتاب دراسة واسعة عن تاريخ التصوف في الإسلام عن طريق التطرق إلى جذوره وتياراته وإلى أعلامه ، كما أن المؤلفة تعتمد على كتب التصوف المرجعية القديمة والحديثة بمختلف اللغات التي كتبت بها خاصة الفارسية ، كما أن الباحثة "شيميل" إنتقلت إلى مختلف البلاد كتركيا ،الباكستان والهند من أجل الدراسة والبحث ومعالجة ثقافتها في هذا الكتاب.

تعتبر أن جذور التصوف العميقة في الممارسات العبادية التي علمها القرآن. بعد البحث عن ما هو التصوف تبحث المؤلفة في الإطار التاريخي للتصوف التقليدي بحثا عن جذوره في الإسلام والتي تعود إلى النبي عليه الصلاة والسلام ، ثم تقوم بسرد سلسلة من الأسماء البارزة والتي يعتمدها الصوفية بدءا من الصحابة إلى عهد الإمام الغزالي وتجربته بحيث يعتبر هذا العلامة ممن إجتذب اليه الباحثين الغربيين وترجمت له الكثير من مؤلفاته إلى لغات الغرب.

تبحث شيميل في أبعاد التصوف وتتطرق إلى أسس الطرق الصوفية وهي تعتبر

«تقسيم الإسلامي للطريق الصوفي "الشريعة- الطريقة- الحقيقة" يتطابق نوعا ما مع

التقسيم المسيحي لمراحل التصوف إلى التجرد- المشاهدة والكشف»²

وتبحث في مراتبها وأولوياتها ومقاماتها وتحولاتها عبر التاريخ الإسلامي وإختلافها حسب رجال التصوف وتجاربهم ومراتبهم كما تتعمق في قضايا المحبة والوفاء وصور العبادة والذكر والدعاء والسماع والرقص الصوفي.

¹- أحمد الخشاب ، دراسات أنثربولوجية ، دار المعارف للنشر، القاهرة ، مصر، 1970م ، ص 431.
²- آنا ماري شيميل ، الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف ، ترجمة: محمد اسماعيل السيد ورضا حامد قطب، الطبعة الأولى ، منشورات الجمل ، كولونيا (ألمانيا) - بغداد ، 2006م، ص 113.

تتابع البحث في الطرق الصوفية والتي وصفتها بانها قابلة للتكيف والتعديل مما يجعلها وسيلة مثالية لنشر تعاليم الإسلام ، كما إستخدم هؤلاء الصوفيون اللغات المحلية بدلا من اللغة العربية لغة الطبقة المثقفة ، كما أن معظم الطرق الصوفية يتطابق مع طبقات معينة من السكان تم تعرض لأبرز الطرق الصوفية وشخصياتها وأدوارها.

تتطرق كذلك الباحثة إلى دراسة التصوف الإشرافي الذي بدأت جذوره مع تصوف النور بجلاء الغزالي رائد التصوف الشرعي المعتدل وإنتشار النظريات الصوفية للسهروردي وابن العربي الذي إنتشر فكره بسرعة في أرجاء العالم الإسلامي .ترجع "شيمل" النشاط الصوفي إلى التغييرات السياسية خلال القرن 13م

كما تتناول الباحثة الشعر الصوفي الفارسي التركي حيث تعرض لموضوعات الشعر ورموزه خاصة "لجلال الدين الرومي" الذي يعتبر أكثر شخصية معروفة في الغرب أكثر من غيره ، وقد كان للطريقة المولوية الدور الكبير في نشر كلام الرومي وموسيقاه خلال الإمبراطورية العثمانية ، وكان له حضور كبير في التصوف الشعبي التركي.

يرجع تأثير التصوف في الهند والباكستان إلى أواخر القرن 12م وبداية القرن 13م إثر إندماج الطرق الصوفية الرئيسية في أقاليم الإسلام المركزية .

لا تستبعد شيمل وجود تأثيرات متبادلة بين التصوف الاسلامي والتصوف الهندوسي وكذلك مجاهدات الأولياء الهنود تحت تأثير رياضات اليوغا ، التي في النصف الثاني من القرن 16لتأسيس دين مختار من أحسن عقائد الأديان لكنها لم تفلح.

تعتبر الطريقة النقشبندية هي الطريقة الناجحة في آسيا الوسطى ولها دورا رئيسيا في السياسة خلال القرن 17م واولئل القرن 18م ، تم تتطرق إلى التصوف في الهند والباكستان والشعر الصوفي في اللغات المحلية " السندية – البنجابية- البشتية " حيث ما تزال الاغاني والقصائد والصوفية والقصص الشعبية رائجة كما كانت من قبل .

ثم تناولت عرض العنصر النسوي في التصوف فتري أن موقف التصوف من الجنس اللطيف كان متأرجحا ، حيث يمكن القول أن التصوف كان أكثر تأييدا لتطور النشاطات الأنثوية مما كانت عليه.وتذكر رابعة العدوية والصوفية فاطمة النيسابورية ، ودور المرأة في

الحياة الدينية وهو مبين في القرآن وأشهر مثال هو امرأة العزيز وقد أصبحت زليخا في الشعر الصوفي رمزا للروح من خلال الشوق المتواصل على طريق الحب والفقر. حيث تعتبر :

«مريم نموذج ورمزا للطهر الذي غالبا ما يذكر في الشعر الصوفي مازال له قوته الحيوية في العالم الإسلامي»¹.

2- دراسة تأثير التصوف في المجتمعات الأوروبية دراسة بجامعة جنيف بفرنسا

أكدت الباحثة في دراستها على أن التطور الاجتماعي كان له تأثيرات سلبية على الدول الأجنبية هذا التطور ساهم في إنتشار العنف و التفكك الأسري و الطلاق بالإضافة إلى الحريات الجنسية ، ومن ثم كان لابد من مخرج لهاته الظواهر السلبية فكان التصوف أحد الحلول لهاته المشاكل المادية والذي يساهم في الوصول إلى الوعي الذي بدوره يؤدي إلى فهم العلاقة بين الإنسان والكون من جهة وبينه وبين خالقه من جهة ثانية وإستنتجت الباحثة أن :

«هناك إنتشار نزعة إلى "الإسلام الصوفي" وطقوسه الروحية بين نخبة من المفكرين والمتقنين الأوروبيين الذين يندرجون في فلسفة البحث عن الحقيقة والتعلق بمعتقد جديد فيه روحانية وسمو التي يبرزها شيوخ الطرق الصوفية الذين يعيشون في الدول الأوروبية والتي تدعو الى التسامح والإعتدال و الإعتراف بالآخر والزهد في متاع الدنيا والنقشف والتفرغ للتعبد والتأمل»².

أما فيما يخص سبب الإنتماء إلى الإسلام كانت نتيجة التأثر الأوربيين بأوراد وأذكار أثناء حضورهم لحلقات الذكر رفقة أصدقائهم المسلمين لشعورهم بالراحة والطمأنينة والسكينة النفسية بعيدا عن الماديات واللهو والفراغ الروحي والعنف المنتشر في مجتمعاتهم إعتنقوا الإسلام.

1- إنتشر الفكر الصوفي بين المفكرين والمتقنين في فرنسا في بداية القرن 20 بسبب شيوخ الطرق الصوفية المغاربة الذين نزحوا إلى فرنسا وإستقروا فيها ونجحوا في

¹- أنا ماري شيميل ، نفس المرجع ، ص 497.

²- فوزية العشاوي ، تأثير التصوف في المجتمعات الأوروبية ، جامعة جنيف ، 2010م ، ص 2.

إستقطاب كثير من المريدين الفرنسيين ومن المهاجرين المغاربة ونشروا بينهم الثقافة الصوفية .

2- كما نلاحظ أن الباحثة لم تهمل الجانب النسوي و تأثير التصوف على النساء الأوروبيات وظاهرة النساء المتصوفات حسب الباحثة في إزدياد مستمر في المجتمعات الأوروبية المعاصرة ويمكن أن نقول أن أول مؤشر هو التخلي عن العادات والممارسات السيئة كالتخلي عن إرتداء الملابس الخليعة المثيرة للغرائز والإمتناع عن الذهاب أماكن اللهو والمجون والعدول عن شرب الخمر والكحوليات وأكل الخنزير وما إلى ذلك من العادات السيئة المنتشرة في المجتمعات الأوروبية. وبالتالي التحلي بالأخلاق السامية إن معظم المتصوفات الأوروبيات حسب الباحثة فوزية العشماوي ترى أن :

«يلجأن إلى التصوف هرباً من الضياع وتفشي الرذيلة والعري والإنفلات الجنسي وشعورهن بالمهانة والإمتهان من الصورة التي أصبحت عليها المرأة خاصة في مجال الإعلام»¹.

3- دراسة التصوف في جامعة الامارات العربية المتحدة:

تمثلت الدراسة في نشأة التصوف، والأطوار التي مر بها، والمؤثرات والأفكار والمعتقدات التي أثرت فيه، وموقف العلماء منه. إضافة إلى التعرف على مراتب الصوفية وألقابهم، وعلوم الصوفية ومصادر المعرفة عندهم، وأقسام التصوف وأبرز رجالاته في كل قسم

: نلاحظ من خلال هذا البحث أن الصوفية حسب الباحث :

« لهم مصادرهم والمؤثرات التي تأثروا بها فغالبيهم يعتبر العلوم وهيبه يحصلون عليها عن طريق الرياضات والكشف والذوق والرؤى المنامية، مبتعدين بذلك عن الهدى النبوي متبعين للأفكار والمعتقدات التي تأثروا بها»².

¹ - فوزية العشماوي ، نفس المرجع ، ص 7.
² - محمود يوسف الشوبكي، مفهوم التصوف وأنواعه في الميزان الشرعي ، مجلة الجامعة الإسلامية للنشر ، العدد الثاني ، كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية ، غزة، 2002م، ص 427.

و باعتبار أن التصوف هو ذو مدارس متعددة مختلفه الفكر والتوجه إذن لا يمكن الحكم على هاته المدارس بنفس الحكم أو النظرة حيث يؤكد الباحث بقوله :

«أن التصوف والصوفية ليسوا مدرسة و احدة بل هم مدارس وطرق وجماعات متباينة الفكر والتوجه، لا يمكن أن يعامل جميع الصوفية معاملة واحدة ، فكلما كانوا أقرب إلى السنة كانوا أقرب إلى الحق ، وكلما كانوا أبعد عن السنة كانوا أقرب إلى الضلال»¹.

4- دراسة حفيظ هروس "التصوف الإسلامي في الدراسات الإسلامية في الغرب" **بتطوان بالمغرب**

الباحث حاول في أطروحته الجواب عن سؤال جوهري مفاده: لماذا إهتم الغربيون بالتصوف الإسلامي؟ ما هي أهم السياقات التاريخية والهموم الفكرية والظروف السياسية التي أطرت إهتمام الغربيين بالتصوف الإسلامي؟ كيف استطاع رواد الآداب الغربيين الكبار أن يستلهموا قيم التصوف الإسلامي في إبداعاتهم وتصوراتهم للكون والحياة؟

ما هي أهم المدارس الصوفية وأعلام التصوف الذين إهتمت بهم الدراسات الإسلامية في الغرب وإحتفلت بمذاهبهم ورؤاهم الإنسانية؟

كلها أسئلة حاول صاحب هذه الدراسة الإجابة عنها في هذا البحث. إحتوت الأطروحة إلى خمسة فصول، يشتمل كل واحد منها على عدد من المباحث التي تضم بدورها عددا من المطالب. الفصل الأول: بمثابة المدخل التاريخي والمنهجي للبحث، وينقسم إلى مباحث الفصل الثاني خصص لحضور التصوف الإسلامي في الكتابات الغربية المبكرة الفصل الثالث توجه فيه الباحث إلى محاولة استقصاء جهود الدراسات الإسلامية الغربية في خدمة التراث الصوفي سواء من حيث النشر والتحقيق أو من حيث الترجمة الفصل الرابع: حاول فيه تدقيق النظر في معالجة التصوف الإسلامي من خلال الرؤية الاستشراقية بالطريقة التي تبلورت فيها منذ "ميلاد الاستشراق" إلى الوقت الذي أصبحت فيه هذه المنظورات القائمة على التحليلات الفيلولوجية والتاريخية تعيش أزمته بفعل موجات النقد الشديدة التي تعرضت لها. الفصل الخامس خصص لبعض المدارس والاتجاهات التحليلية للتصوف الإسلامي في الغرب التي حاولت تجاوز سقطات المقاربات الاستشراقية.

¹ - محمود يوسف الشوبكي ، نفس المرجع ، ص 428.

ومن بين أهم النتائج والتوصيات التي خلص إليها هذا البحث:

توصل الباحث إلى أن دراسة قضايا التصوف الإسلامي والتعريف برجاله ومذاهبهم، من خلال إهتمام الدراسات الغربية بالبحث و الكشف عن رجال لم يعطوا حقهم :

« رجال طمرهم التاريخ وأقصتهم الذاكرة الجماعية الغالبة، فتم إعادة الإعتبار لهم

على ضوء هذه الدراسات الحديثة»¹.

أن الدراسات الغربية للتصوف الإسلامي لا يمكن أن يسلم بها تسليما مطلقا بسبب عدم التحرر من الأفكار المغلوطة وبالتالي الفصل بين المسيحية والإسلام:

«عدم قدرة المشتغلين بالتصوف الإسلامي في الدراسات الغربية على التحرر

والإنعتاق من أسر المسلمات الدينية والفكرية المغلوطة التي طبعت هذه الدراسات وبنيت بشكل لا يقبل الشك عبر قرون مديدة، وعلى رأس هذه "المسلمات" التمييز الحاد والفصل التام بين المسيحية والإسلام وأن التصوف الإسلامي إنما يرجع في بناء ذاته وتكوينها إلى الأصول المسيحية التي اقتبس منها أسسه العامة»².

كانت الأبحاث الغربية في مجال الفكر التصوف الإسلامي نظرا للتطور الفكري و المادي والهيمنة المادية التي أدت إلى بروز الفردانية ، فجاءت لإعادة تنظيم الغرب ومعالجة مشاكله يؤكد الباحث:

«برزت في الأبحاث الروحية الغربية التي جاءت نتيجة هيمنة القيم المادية والفكر

العقلاني وشيوع الفردانية بحيث كانت بمثابة "المرآة التصحيحية" التي عالج من خلالها الغرب علاته»³.

¹ - حفيظ هروس ، "التصوف الإسلامي في الدراسات الإسلامية في الغرب" ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة عبد الملك السعدي ، تطوان ، المغرب ، 2015م ، ص 310.

² - حفيظ هروس، نفس المرجع ، ص 312.

³ - حفيظ هروس، نفس المرجع ، ص 317.

5- "تأثير الطرق الصوفية على المجتمع الصحراوي في الجزائر ، غرداية .

تمثلت دراستهم في ظاهرة التصوف أدت إلى إحداث تغييرات في هذه المجتمعات ففي الجزائر مثلا عرفت الحياة عبر أجيال متعاقبة تطورا فكريا تميز بالمحافظة، وواقعا ثقافيا يقوم هو كذلك بالمحافظة على تراث الحضارة الإسلامية والعمل لتأصيله عن طريق أساليب التعليم والتربية المتوارثة ، كما سمحت كذلك بإحداث تغيير اجتماع على عكس ما كانت تعيش عليه البلاد سابقا من خلال التركيز على تأثير الطرق الصوفية على المجتمع الصحراوي بالجزائر التي هي محور الدراسة . كما قدموا نماذج بعض الطرق الصوفية في الجزائر كالطريقة القادرية والرحمانية والشاذلية ثم التطرق إلى التأثير الإيجابي والسلبي من خلال هذه الطرق على المجتمع البحث ألا وهو المجتمع الجزائري .

ومن بين النتائج المتوصل اليها من خلال هذا البحث التوصل إلى مايلي :

«عملت الصوفية على التخفيف من معاناة الشعب الجزائري من خلال التكفل بالفقراء واليتامى والأرامل وعلى تماسك المجتمع الجزائري ووحده حيث أن الزوايا كانت تشمل عروشا وقبائل مختلفة ومن مناطق شتى، فتلك عملت على إزالة الفوارق الجهوية»¹.

مما نلاحظ الدور الاجتماعي الذي كانت تقدمه الطرق الصوفية من تقديم الطعام والملبس و الإهتمام بالفئة الضعيفة باعتبارها جزء من المجتمع ، بالإضافة إلى تحقيق المساواة وإزالة الفوارق والتمييزات الجهوية لتحقيق الإنسجام مما يبين التأثير الإيجابي على الأفراد.

«كانت الزوايا تلعب دور القناة بين فئات المجتمع خاصة بين الأغنياء والفقراء حيث كانت تستقبل الأموال من الأغنياء وتعيد توزيعها على الفقراء ، كما عملت الزوايا على الحفاظ على تعاليم الإسلام من خلال البرامج التعليمية وهذا ما كان الصد المنبع للحملات التنصيرية التي تستهدف الفئات المحرومة بدعمها بالمساعدات الاجتماعية ،وقامت بدحر المستعمر الفرنسي من خلال التوحد تحت راية تحرير الجزائر»².

¹- محمد عجيلة والجيلالي بهاز ومصطفى عبد النبي ، تأثير الطرق الصوفية على المجتمع الصحراوي في الجزائر، مجلة الواحات للبحوث والدراسات للنشر والتوزيع ، العدد 15 ، غرداية ، الجزائر ، 2011م ، ص372.

²- محمد عجيلة والجيلالي بهاز ومصطفى عبد النبي، نفس المرجع، ص 372.

مما يبين ويثبت أن الطريقة الصوفية كان لها بعد إقتصادي ودور إقتصادي فعال بإعتبارها وسيط يتمثل في التكفل بفئة الفقراء ، بحيث تساهم بتوزيع الأموال المقدمة لها على الفقراء بالإضافة إلى البعد الثقافي والتربوي من خلال تحفيظ القرآن والمحافظة على تعاليم الإسلام وبالتالي محو الأمية والجهل. كان لها بعد تعليمي إلى جانب المدرسة وبالتالي مقاومة الجهل وبعد الحماية والدفاع عن الأرض والتعاليم الدينية ومساندة الأفراد والدولة لصد العدوان .

6- مقال الدكتورة سعاد الحكيم حول "ما يقدمه التصوف للإنسان المعاصر"

تعتبر الدكتورة سعاد الحكيم أستاذة علم التصوف بالجامعة اللبنانية حيث تركز على أن التصوف هو إفتتاح على الآخر. وأهم ما يقدم التصوف لإنسان اليوم أربعة أمور حيث تحصرها الدكتورة سعاد الحكيم وتركزها في أربعة أمور أساسية هي:

«أن التصوف يحقق التقارب بين المذاهب داخل الدين الواحد بتقبل التنوع والتعدد وتدين الأحادية أم كان طرفا خارجيا كدين أو ملة أخرى، يسهم في تشييد مساحة إنسانية لتعارف الديانات وحوارها، والإلتزام بالقيم العليا ، قيم الحق والخير والمساواة والمحبة ، الارتقاء بممارسة الطقوس الدينية و إقتزان القول بالعمل»¹.

حيث تستدل بقول ثلاثة أسماء لامعة في التصوف أبو يزيد البسطامي ورابعة العدوية ، والجنيد كأشهر أعلام التصوف الإسلامي تأثيرا، كما تشير إلى أن الدور الفعال في التصوف حينما يعيد إحياء القيم لدى الإنسان المعاصر الذي طغت عليه الحياة المادية حيث قالت :

«التجربة الصوفية تبدأ عادة بالرياضات والمجاهدات ؛ وفي مضمونها هي ترويض للنفس ومجاهدتها على التحقق بالقيم الإنسانية العليا.. إن ما يشتهي منه الإنسان اليوم هو نقشي الأنانية المفرطة والطمع المتوحش حيث هناك لدى البعض إستعداد للتدمير وقتل الآخر دون مراعاة لحرمة رحم أو جوار أو نسب إنساني. فالتصوف ينعش روح البشرية ، ويعيد تدفق نسغ القيم في عروقها»².

¹- سعاد الحكيم ، ما يقدمه التصوف للإنسان المعاصر، مجلة الكسنزان الصوفية والثقافية والعلمية ، لجنة الاعلام والارشاد الطريقة الكسنزانية للنشر ، العدد 6 ، العراق ، 2008م ، ص 33.
²- سعاد الحكيم ، نفس المرجع ، ص 34.

فبالقيم السامية من تسامح ومحبة ورضا كل هذه الممارسات تعكس نظرة إيجابية إلى الآخر .
فكلما حسن من ذاته تحسنت نظرته للآخر وهذا ما يقدمه التصوف للإنسان المعاصر.

الدراسات التي تناولت النورسي

1-المشكلات الإجتماعية ومعالجتها من خلال رسائل النور لبدیع الزمان سعيد النورسي.

تهدف هذه الدراسة إلى التعريف بالإمام النورسي وإنتاجه الفكري المتمثل في رسائل النور وبيان منهجه في معالجة المشكلات الإجتماعية، وذلك بتوضيح مفهوم المشكلات الإجتماعية وأنواعها وإتجاهات تفسيرها وأساليب معالجتها، مع بيان نماذج من المشكلات الإجتماعية التي تناولها النورسي بالبحث، كالتقليد، والترف الإستهلاكي، والعنف، والفقر، والعنصرية، والإستبداد.

ركز الباحثان على أهم المشكلات الاجتماعية وفق رسائل النور، وإستنباط منهجه النورسي في معالجتها. وتمثلت إشكالية البحث فيمايلي :

ما مفهوم النورسي للمشكلات الإجتماعية وأنواعها؟ وما منهجه في معالجتها؟

وقد إستخدم الباحثان المنهج الوصفي التحليلي، الذي يقوم على وصف الظاهرة المتمثلة في المشكلات الإجتماعية وتحليلها، وذلك بإستقراء النصوص الخاصة بالمشكلات الإجتماعية في رسائله، والوصول إلى منهجه في معالجتها، وكان من أهم نتائج هذا البحث أن النورسي يرى أن المشكلة الإجتماعية هي كل حالة أو ظاهرة تتناقض مع قيم الإسلام الثابتة، وتؤثر في المجتمع تأثيرا سلبيا، وقد إتبع في منهجه العلاجي خطوات عملية مستخدما كل الوسائل التي أتاحت له، ، فكان له منهجه المتميز في معالجة مشكلات الفرد والمجتمع.

توصل الباحثان إلى النتائج التالية:

إستند النورسي في معالجة المشكلات الإجتماعية بمنهج إسلامي سليم يتوافق مع قيم الإسلام التي ينادي لإصلاح الأسس الأخلاقية والعلاقات الإجتماعية والنظام حيث يقول الباحثان:

«إتسم منهج النورسي في معالجة المشكلات الاجتماعية بأنه منهج يتناسب مع عقيدة

الأمة وقيمها وأحوالها القائمة، وتطلعاتها المستقبلية. ويتضمن منهج تربية الإعتقاد، ومنهج تربية

التفكير، ومنهج تربية الدوافع الغرائز، ومنهج تربية السلوك، وأما منهجه في معالجة مشكلات المجتمع وتربيته، فيتضمن منهج إصلاح الأسس الأخلاقية، ومنهج إصلاح العلاقات الاجتماعية، ومنهج إصلاح النظام التعليمي للمجتمع، ومنهج إصلاح نظام الحكم»¹.

كما أن المشكلات الاجتماعية ما هي إلا نتيجة حتمية للبعد عن القيم الدينية أو التعارض معها حيث خلص الباحثان إلى أن :

«المشكلة الاجتماعية من منظور النورسي هي كل حالة أو ظاهرة تتناقض مع قيم الإسلام العليا ومنها ما هو مخالف للسنن الفطرية، مما يؤثر في المجتمع تأثيرا سلبيا»².

ومن هنا نستنتج مدى جهود النورسي في عمله الإصلاحية الذي يتضمن القيم الإيجابية المحددة والمؤطرة بالمفاهيم الإسلامية التي تحقق المنفعة الفردية والجماعية .

« شعار المنهج الإصلاحية للنورسي القومية الإيجابية المقيدة بالمفاهيم الإسلامية. كما نبه النورسي إلى قانون العدالة المحضة "القرآن الكريم" وهذا هو سر التزام المؤمن بالأمن على الأرواح والأموال والأعراض لجميع أفراد البشر، وأما غير المؤمن بالله تعالى وباليوم الآخر فمستعد لتدمير العالم والجنس البشري إن استطاع تحقيقا لأنانيته، وإشباعا لنزواته»³.

1- "فلسفة الإصلاح التربوي عند الإمام النورسي" الجزائر

تركز هذه الدراسة على إستقراء فلسفة الفكر الإصلاحية التربوي الذي خلفه سعيد النورسي، من خلال رسائل النور ، والتي تعد منجم أفكار إيمانية وإصلاحية، في شتى المجالات.. خاصة مجال التربية والتنشئة والتهديب والتعليم باعتبارها مهمة في تكوين القيم والأخلاق والسلوك الرشيد، من خلال البعد الإيماني والتربية الأخلاقية وإصلاح المعلم، والقضاء على

¹- محمد أحمد عبد القادر ملكاوي و نهيل علي حسن صالح، المشكلات الاجتماعية ومعالجتها من خلال رسائل النور لبديع الزمان سعيد النورسي، مجلة الشريعة والقانون ، كلية القانون ، جامعة الإمارات العربية المتحدة للنشر، العدد 56 ، ، 2013 م، ص 348.

²- نفس المرجع ، ص 349.

³- نفس المرجع، ص 350.

الجهل -الذي يعتبره السبب الأصلي لكل أنواع الأخلاق السيئة والتأخر والإختلاف والهزائم أمام الأعداء وإصلاح المدارس الدينية التي يجب تغييرها تغييرا جذريا. ويعرض البحث لتلك القضايا بالتفصيل، حيث يتناول المحور الأول نشأة الإمام النورسي وتطوره، ويتضمن المحور الثاني الحديث عن دوره في إحياء حركة التعليم، في حين يعرض المحور الثالث لفلسفة الإصلاح التربوي في فكر الإمام النورسي. وتوصل إلى أن النورسي كان له التأثير الإيجابي والفعال في إعادة إحياء الحركة التعليمية التي هي المؤطر الأساسي للجيل الناشئ وتعليمه وتكوينه عن طريق العلم الذي يكسر شوكة الجهل الذي ينتج بدوره فسادا في المجتمع ويبين البحث ما خلص إليه مايلي :

«ولقد استطاع النورسي أن يؤثر تأثيرا إيجابيا في حياة المعلمين والمربين والموجهين بإعتبارهم القنوات التي تحمل العلم إلى عقول الناشئة و يعتبر النورسي أن جميع المفاصد الإجتماعية تتبع من هذه الأعداء الثلاثة التي هي الجهل و الفقر و الاختلاف»¹.

مما نستنتج تعميق التربية الأخلاقية عند النورسي وتأطيرها الإطار الإسلامي السليم الذي يحث على قيم الصدق والإخلاص والصبر والأمل لإرتقاء وسمو الإنسان أخلاقيا وروحيا . حيث توصل

«تقوم فلسفته التربوية على تعميق مفردات أخلاقية عديدة في نفوس الطلاب، كالصدق والأمل والصبر والشجاعة والتضحية لإزدهار الإنسان الأخلاقي»².

كما نلاحظ أن من بين أهم النتائج التي توصل إليها الباحث هو إستخدام النورسي المنهج الوسطي الذي في فلسفته التربوية الإصلاحية لإعتباره منهج سليم يفي بغرضه الإصلاحي عن طريق موازنته للعلوم الدينية والمدنية وخطابه المتوجه نحو العقل والقلب والروح حيث:

« إعتماده المنهج الوسطي لان الوسطية والاستقامة هي أنفع طريق وأيسرها وأقصرها من بين جميع الطرق المسلوكة في حياة الإنسان الشخصية والاجتماعية وهكذا كانت موازنته بين العلوم

¹- أحمد علي سليمان ، فلسفة الإصلاح التربوي عند الإمام النورسي ، رابطة الجامعات الاسلامية ، قسنطينة ، الجزائر، 2013م ، ص ص 16- 20

²- نفس المرجع ، ص 26

الدينية والمدينة، وتوجيه خطابه إلى العقل والقلب والروح معا، ويُعده عن الإفراط والتفريط، وتركيز فلسفته التربوية على هذه المبادئ»¹.

2- دراسة وحدة شكران : "الإسلام في تركيا الحديثة، بديع الزمان النورسي"

يعد الكتاب دراسة تبحث فيه المؤلفة عن الحياة الثقافية والاجتماعية، وتحاول من خلال فصوله الثلاثة أن ترصد سيرة حافلة بالأحداث لرجل قل نظيره في التاريخ الإسلامي هو رصد لحياة وكفاح مجدد تركي مشهور ألا وهو بديع الزمان سعيد النورسي، ذلك الرجل الذي وهب حياته ونفسه وكل ما يملك لخدمة الايمان والقرآن في عصر تهددت فيه القيم واستحالت الساحة إلى عبث وفوضى وانتشر الظلم في كل مكان

استعرضت المؤلفة في عملها الرائع كرونولوجية حياة النورسي منذ طفولته مرورا بنشأته خطوة خطوة . قسمت الباحثة كتابها إلى ثلاثة فصول عرضت في الفصل الأول مرحلة سعيد القديم وهي مرحلة النشأة التعليمية والطفولة والشباب في ذلك الجو الديني العثماني ونهله من العلوم الاسلامية المختلفة التي كونت شخصيته، ونبوغه وشدة ذكائه والتهامه الكتب، دون أن تغفل الظروف القاسية في تلك الفترة وفي الفصل الثاني توضح المؤلفة مولد سعيد جديد الذي ترك الدنيا مدافعا عن الدين بوسيلة أخرى بعيدة عن السياسة ومحافلها، مخرجا كذلك إلى الوجود رسائل نور نورت تركيا قبل أن تنتقل إلى العالم لتصنع المستحيل وتؤثر في قراءها أيما تأثير. ألفت الباحثة الضوء على الفترتين المتناقضتين اللتين عاشهما النورسي، وهما فترة الدولة العثمانية بتمسكها بالدين وفترة الجمهورية بمروقها عن الدين وعدائها له، وكذا القوى السياسية الفاعلة والاجتماعية والدينية التي كان لها دور كبير في إنتاج فكره الرصين

الفترة الأولى التي (مرحلة سعيد القديم) يلاحظ تأثره بالفترة العثمانية بطابعها الديني التقليدي كانت كل جهوده في هذه المرحلة منصبة على إصلاح التعليم الديني ومحاولة مزجه بالتعليم العصري وفق نظام واحد وإصلاح النظام السياسي بنبذ الظلم والمطالبة باستتباب

¹ - نفس المرجع ، ص 28

العدل ومحاربة الفقر والاختلاف وإصلاح المؤسسات والهيكل الاجتماعية والتربوية بالإضافة إلى جهوده العسكرية وذلك من خلال مشاركته في الحرب ضد العدو.

أما الفترة الثانية وهي التي مثلت مرحلة الانعطاف من سعيد القديم إلى سعيد الجديد فيتجلى فيها درجة تأثره بعهد الجمهورية وذلك بانعزاله وتركه السياسة وإنخراطه في تأليف رسائل النور التي تتسجم مع المرحلة، وهي المرحلة التي تمت فيها محاربة الدين والنهوض إلى جعل الدولة علمانية، بل الأكثر من ذلك فصلها عن الدين بشكل صارم وقطعي، وقد كانت كل الجهود في هذه المرحلة منصبة على حماية حقائق الايمان والقرآن لا غير.

وفي الفصل الثالث والأخير تعرض الكاتبة بشكل مفصل وقبل وفاة النورسي إنتشار حركة النور الذي أسسها والجهاد المعنوي التي تركز عليه المستمر إلى الآن. يعرض هذا الفصل السنوات العشر الأخيرة من حياة النورسي التي أطلق عليها بنفسه مرحلة سعيد الثالث وهي المرحلة التي وقعت فيها العديد من التغيرات على المستوى السياسي حيث انهزم الحزب الجمهوري الذي يكن العداء الشامل لحركة النور والذي انعكس بدوره على الخدمة النورية وتحركات سعيد النورسي وطلبتة، فنجاح الحزب الديموقراطي أتاح مجالاً للحركة وجعل النورسي يعلن لأول مرة عن عيد رسائل النور بطبعها في المطابع. تصور الكاتبة تلك الفترة تصويراً رائعاً مدعماً بالمراجع تتبعت من خلاله تنقلات النورسي وطلبتة بعدما تم رفع الحصار عن حركته وعن نشاطاته إلى حين وفاته¹.

3- الدكتور محمود أبو الهدى الحسيني "المنهج الصوفي المعرفي والسلوكي في

حياة الأستاذ النورسي". استانبول

قدم الباحث الدكتور محمود أبو الهدى الحسيني البحث في تصوف الأستاذ وبما أن المعرفة من أهم ما تطرق إليه الصوفيين ، كان النورسي من بين أولئك الذين تطرقوا إلى المعرفة كحقيقة لمعرفة الله من خلال أدوات إعتد عليها تمثلت فيمايلي حسب الدراسة :

¹- شكران واحدة، الإسلام في تركيا الحديثة، بديع الزمان النورسي ترجمة: محمد فاضل ، سوزلر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2007 م.

«ويتبين أداة المعرفة لديه أصلاً هي الروح والقلب، أما العقل فإنه يصلح أن يكون مبدأً الطريق ثم لا بد له من الخضوع لسلطان الروح.»¹

كما بين الباحث الفروق بين الأولياء والفلاسفة في الكلام على هذه الحقائق، وخلصتها أن:

« الأولياء الصوفية توجهوا إلى الله تعالى وحده بكليتهم وكانوا غائبين بقلوبهم وأرواحهم عن المادة. أما الفلاسفة الماديون فقد توجهوا بكليتهم إلى المادة وصرفوا كل تفكيرهم ونظرهم فيها، وصاروا لا يرون غيرها.. مسلك الأولياء الصوفية مسلك ذوقي بينما مسلك الماديين مسلك عقلي... الأولياء يعبدون الله ويستغرقون في محبته، والماديون يعبدون أنفسهم وهواهم»²

أما فيما يخص قواعد الطريقة التي إنتهجها النورسي تبين لنا مدى تأثره بالطريقة النقشبندية وتأثره بها نتيجة إنخراطه فيها وتعكس المباديء نفسها التي قام عليها النورسي خطابه ودعوته فيما بعد لخصها الباحث فيمايلي :

« إتباع السنة النبوية المطهرة ، الإخلاص ، المحبة الدنيا هي دار العمل ، لا دار للمكافأة والجزاء»³.

إن الخوض والسير الصوفي لا بد ان يكون له سبيل وطريق لبلوغه ولعل النورسي قد وضع طريقا يسلكه وموصل إلى الحقيقة ومعرفة الله وفق ما يتوافق مع الشرع والسنة وتميز طريقه بالقصر لكنه بليغ وفعال وسريع لبلوغ هدف هذا السلوك والسير وأوراده بحيث تمثل في :

«إن سالك الطريقة أن يسلك طريق العجز، والفقر، والشفقة، والتفكر... أما أوراد الطريقة وأفعالها عند النورسي هي فعل الفرائض والسنن وأنواع القربات المتعددة»⁴.

وهذا ما يميز سلوك النورسي المتميز بسلاسة هذا الطريق وتطبيقه وإختلافه عن باقي الطرق الصوفية التي تتميز بالإختلاف في السير وأوراد إذ لكل طريقة أوراد وأذكار مخصوصة بها.

¹- محمود أبو الهدى الحسيني ، المنهج الصوفي المعرفي والسلوكي في حياة الأستاذ النورسي محاضرة ألقيت في ندوة الإدراك الروحي بين التصوف والنورسي. استانبول يوم 25-26/07/2005. ص 4

²- محمود أبو الهدى الحسيني ، نفس المرجع ، ص 6.

³- نفس المرجع ، ص 19.

⁴- نفس المرجع ، ص 22.

4- دراسة خاقان ياوز، "تجديد الفكر الاسلامي في القرن العشرين وبديع الزمان سعيد النورسي استانبول"

ركز الباحث على المفكر الاسلامي سعيد النورسي وحركته، وسعى لتوضيح العلاقة المتقابلة التي أوجدت فراغا في المقولة الجديدة التي تضيف هوية سياسية بين المجتمع السياسي التركي والإسلام، والتي ستعطي شكلا ثقافيا للدولة

1- يقدم سعيد النورسي للفرد المسلم الآلات والاستراتيجيات التي يستطيع مواجهة تحديات العصر. وقد قام بذلك بتفسير المجموعات الثقافية التي تظهر مفهوماً مشتركاً يوحد بين العناصر المختلفة كالسياسة، والنقود، والمرحمة، والتربية والعائلة.

2- إن أقوى الجماعات وأكثرها تأثيراً من الناحية الاجتماعية - السياسية في تركيا المعاصرة هي جماعات النور التي تطورت وانتظمت حول كليات رسائل النور التي هي كتابات سعيد النورسي "1876-1960م".

3- وقد لعبت حركة النور دور المفتاح في الانتقال من الثقافة الشفاهية الى الثقافة المطبوعة. وهذه الثقافة المطبوعة شكلت في النتيجة ثقافة حركية وأكثر ديموقراطية في تركيا المعاصرة.

4- وميزة حركة النور الجديدة واصرارها على الروابط العرقية - الدينية، تنظر نظرة سلبية للفرد باسم الشعور الجماعي هي تقدم نفسها بمثل "جماعة ظاهرة مرئية ومستندة على المتن" كليات رسائل النور بقيادة فتح الله كولن.

5- إن مشروع سعيد يحتوي على التغيير داخل التقاليد، وهذا المشروع كان موجهاً للكتل البشرية التقليدية التي اكتسبت حركة وهاجرت الى مراكز المدن. وكلما تغيرت الحياة الاجتماعية، ودخلت المجاهيل في جملة المعلومات، وتطورت الآفاق البشرية، يتعرض مفهوم الفرد للدين الى التغيير وتزداد الحاجة للمعنويات.

6- تركيز القرآن في مركز التأثير الاجتماعي، واحياء الشعائر الاسلامية المشتركة وتوفيقها مع التغييرات المعاصرة.

7- يؤكد سعيد انه بتمكين الايمان التحقيقي مكان الايمان التقليدي يجعل المسلمين قادرين على المقاومة تجاه القوى الاشتباهية يعني المادية والشيعوية ولذلك فإن الايمان بالنسبة لسعيد هو اساس الانسان، وهو مصدر المعرفة المتعلقة بعالم الاحداث.

8- وان هوية النور تقدم إطار مفهوماً يؤمن التمسك بالتأثير الاجتماعي على مستوى الفرد إن كليات رسائل النور التي يعدونها علم وهبى من احسان الله وقراءتها جماعياً أدت الى حصول سلوك مشترك يتعلق بعالم الحوادث والتأثيرات الاجتماعية.

9- إن حركة النور صاحبة أكبر كتلة من المتعلمين وأكثر الاتباع من الشباب. وسيطروا على المدارس التي تعد المعلمين وبعض المؤسسات التعليمية العليا. وإن الساعين وراء حركة النور إما هم من المتمدنين أو في مرحلة التمدن. وأفرادها الكبار في السن يستغلون إما في التجارة أو الحرف الأخرى مثل الطب، والمحاماة، وعضوية التعليم الجامعي، والتعليم، والهندسة وغيرها لذلك فقد صارت الشبكات التجارية والبيوت الداخلية للطلبة على رأس المراكز التي تنشر افكار سعيد.

«كما تضم جماعة النور ثلاثة اجيال الجيل الاول هم الذين شاهدوا سعيداً وشاركوا في دروسه، وكون هؤلاء قد تعرضوا للظلم من طرف الدولة ووظيفتهم الرئيسية نشر كليات رسائل النور والمحافظة عليها. الجيل الثاني: هم الذين تربوا على يد الجيل الاول والتي تسيطر عليهم مجموعة الصحفيين. وقد اهتمت هذه المجموعة بالعلم والتكنولوجيا من اجل جعل نشر رسائل سعيد في ضوء القضايا الجارية الجيل الثالث: ويشكل طلبة الجامعة معظم افراد هذا الجيل، وهم منفتحين نسبياً على أفكار المفكرين الآخرين بالتالي تهجين افكارهم»¹.

5- التصوف وأثره في شخصية الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي :

¹- خاقان ياوز، تجديد الفكر الاسلامي في القرن العشرين وبديع الزمان سعيد النورسي، الصحيفة الحرة وسعيد النورسي، استانبول - تركيا، 1995م.

إن التصوف والطرق الصوفية التي تحقق تزكية النفس وتهذيبها من ظاهر الإثم وباطنه والتحلي بالأخلاق السامية دليل على أن هذا منهاجها سليم يتواءم مع الشرع في حين أننا نلاحظ أن هناك بعض الطرق التي إنحرفت في مسارها رغبة في الحصول على رغبات شتى مما جعل التصوف واجه في مساره المعارضين ومنتقدين ورافضين هذا السلوك ، غير أن النورسي إنتهج مسلك مغايراً على النهج السابق من طريقة صوفية إلا أننا نلمح تصوفه وذلك من خلال تداوله من مصطلحات صوفية كالسير والسلوك والطريقة ومن معالم تأثيره بالتصوف خاصة تأثيره بالطريقة النقشبندية من خلال الذكر الخفي فمن سيرته أنه كان يذكر بعيد عن طلابه وهذا ما يعكس تأثيره بذكر النقشبندية الخفي ويؤكد الباحث هذا بقوله :

«ويثني الشيخ رحمه الله تعالى على السادة النقشبندية في طريقتهم بالذكر الخفي ويرى لها أعظم الأثر في معالجة آفات النفس سواء المتمثلة في آفة الأنانية والتكبر، وفي الوقت ذاته لا ينكر فضل الذكر الجهري ويؤكد هذا الثناء على أصحاب الطرق وأئمتها من أمثال الشيخ الجيلاني والسيد الرفاعي والشيخ الشاذلي، رضي الله عنهم، في منهجهم التربوي الذي يربط قلوب المريدين بربهم بسلاسل الذكر»¹.

أما شخصيته الروحية ساهمت العديد من الظروف في تكوينها وأثر التصوف في شخصية النورسي ورسائله حددها الباحث في هاته الدراسة على أهم العوامل التي ساعدت في تكوين شخصية النورسي كمقومات أساسية توصل الباحث إلى العوامل التالية:

« العلم والتربية والورع غزارة علمه وذكاءه والصلة الروحية المبكرة بينه وبين الشيخ عد القادر الجيلاني، والتي تتم عن صلة قائمة قبل الرؤيا... عودته من الأسر شعوره ببوادر الشيخوخة وثالثاً أوراده وأذكاره التي كان حريصاً ودؤوباً عليها، وقيامه الليل وكثرة تلاوته القرآن»².

¹ - محمد توفيق رمضان البوطي ، التصوف وأثره في شخصية الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي ، مؤسسة الثقافة والعلوم مركز رسائل النور للنشر ، إستانبول ، 2005م ، ص 73.

² - نفس المرجع، ص 75.

وإعتبر الباحث أن النورسي في المرحلة الثانية والتي لقب به نفسه بسعيد الجديد ما هي إلا نتيجة إعداد لسعيد القديم أي المرحلة الأولى من حياته حيث يقول :

« إن ثمرة لسعيد القديم بتكوينه العلمي والتربوي، بسعة علمه، وبورعه وتقواه، بزهده وعبادته. لقد كانت فترة سعيد القديم فترة إعداد وفترة سعيد الجديد فترة عطاء وإنتاج. فسعيد القديم في شخصية الأستاذ بمثابة الجذع، وسعيد الجديد منها بمثابة الأغصان والثمار»¹

¹- نفس المرجع ، ص 76.

الفصل الأول

تمهيد

إن أوضاع الدولة العثمانية كانت تمتاز بالضعف في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر خاصة في فترة حكم السلطان "عبد الحميد الثاني" 1876-1909م كأهم فترة أثرت في فكر النورسي، لما شهدته الدولة العثمانية من تكالب الأعداء الخارجي والداخلي مما يسوقها إلى الإنحطاط والتراجع حسب ما ورد في دراسات التاريخ العثماني وذلك بإنهيارها كدولة عثمانية وقيام الجمهورية التركية العلمانية التي سخرت وساهمت بكل ما لديها من أجل طمس الهوية الإسلامية وكل ما يتعلق بهذه الأخيرة من لغة وممارسات وشعائر دينية كونها لا تحقق التقدم وبالتالي فالجمهورية التركية بقيادة "مصطفى كمال أتاتورك" أو ما لقيت "بتركيا الكمالية" كانت من أخطر ما تعرضت له الدولة العثمانية أواخر عهدها نتيجة الإضطرابات والإنقلابات التي تمت من أجل القضاء على السلطان وبالتالي القضاء على الخلافة الإسلامية خاصة وحلول الجمهورية التركية كنموذج لإلغاء الخلافة العثمانية إمبراطورية إسلامية أسسها "عثمان الأول بن أرطغرل" ، وإستمرت قائمة لما يقرب من 600 سنة، وبالتحديد من 1299م حتى 1923م ، والمناداة للتقدم من خلال نموذج غربي مخالف لما كانت تنتهجه الدولة العثمانية وطمس معالمها الإسلامية فالدولة العثمانية أواخر عهدها واجهت الإضطرابات الداخلية وخارجية مست كل الأصعدة الإقتصادية السياسية والإجتماعية والثقافية... الخ ، وإن معرفة الفترة التي سبقت "النورسي" أو أثناء ظهوره وتواجهه في الدولة العثمانية كان لها تأثيراتها على الفكر "النورسي" سواء سياسيا أو إجتماعيا وحتى دينيا لهذا سنتطرق الى أهم الأحداث التي جرت في الدولة العثمانية إبان حكم السلطان "عبد الحميد الثاني" على وجه الخصوص بإعتبار أن النورسي عاصر هاته الفترة .

المبحث الأول : أوضاع الدولة العثمانية في فترة حكم السلطان "عبد الحميد الثاني"

تعتبر هذه الفترة مهمة بالنسبة لدراستنا باعتبارها الفترة التي عاصرها "النورسي" وقد تميزت هاته الفترة بعدة أحداث ساهمت في بلورة فكره سواء السياسية أو الدينية لذلك سنتطرق بشيء من التفصيل حول أهم الأحداث السياسية التي ساهمت بدرجة أولى في التأثير على فكره وبالتالي توجهه الدعوي ، كما تميزت هاته الفترة بما يسمى عصر التنظيمات والإصلاحات التي قام بها السلطان "عبد الحميد الثاني" التي كانت من أحلك فترات الدولة العثمانية حتى أنها لقت "بالرجل المريض" على جميع الأصعدة السياسية ، الإجتماعية ، الإقتصادية، الدينية... الخ.

المطلب الأول : الأوضاع السياسية

« السلطان "عبد الحميد الثاني" هو السلطان الرابع والثلاثون من سلاطين الدولة العثمانية, ،ولد السلطان سنة 1842م وتولى عرش الدولة سنة 1876م ، بالغا من العمر خمسة وثلاثين سنة وفي أول جلوسه سنة 1876م أعلن الدستور الذي يتضمن 119 مادة وفي سنة 1877م تم إفتتاح أول جلسات البرلمان العثماني وتم في سنة 1878م قبوله تحت الضغط الروسي شروط معاهدة "سان إستيفانو"* والتي إعترفت بموجبها الدولة العثمانية بإستقلال إمارة الجبل الأسود وبلاد الصرب ورومانيا وتنازلت لصالح روسيا عن قلعة "قارص" في أرمينيا بطوم وفي السنة نفسها عقدت معاهدة "برلين"***¹ وبها تم الإعراف فيها بإستقلال الدول الأوربية الدول المذكورة آنفا وحصلت روسيا على عدة مواقع وحصلت النمسا على البوسنة والهرسك.

* - تعد معاهدة "سان استيفانو" من المعاهدات المهمة في تاريخ الدولة العثمانية، عقدت المعاهدة بين روسيا والدولة العثمانية بعد حرب روسيا وهزيمتها للدولة العثمانية؛ بسبب رفض السلطان العثماني الاعتراف ببروتوكول لندن الموقع من قبل بريطانيا وفرنسا وروسيا وألمانيا وإيطاليا والنمسا، والذي دعا السلطان العثماني بالإسراع فورا إلى إجراء إصلاحات داخلية تخص النصارى في الدولة العثمانية. حيث فرضت هذه المعاهدة على العثمانيين المهزومين أمام روسيا إدخال إصلاحات جوهرية على أوضاع المسيحيين في الدولة العثمانية، خاصة في أوروبا؛ وهو ما عني حقوقا وامتيازات للأقلية لا تتمتع بها الأغلبية المسلمة، وكان ذلك يشير إلى رغبة الدول الأوربية في تقجير الدولة العثمانية من الداخل بعد إضعافها للغاية في المحيط الدولي، بحيث تمثل "رجل أوروبا المريض" الذي ينتظر الجميع موته لتقسيم تركته الكبيرة.

** - أكدت معاهدة برلين المكاسب الروسية التي استحوذت عليها من الدولة العثمانية خاصة بواسطة معاهدة سان ستيفانو، بالرغم من عودة وادي الأشكر وبلدة دوغوبازيد للعثمانيين. معظم الأراضي التي فازت بها روسيا (أبرزها باستثناء باطوم وأجاريا الكبرى) أصبحت جزءاً من تركيا في أعقاب انهيار الدولة العثمانية وصعود الاتحاد السوفيتي.

¹ - إبراهيم بك حليم ، تاريخ الدولة العثمانية العلية ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، مصر ، الطبعة الأولى، 2004م ، ص 371.

وفي سنة 1830 م تمكنت فرنسا من إحتلال الجزائر طامعة في توسيع نفوذها خشية أن تدخل إيطاليا إلى تونس فتسارعت إلى إحتلالها وبهذا تم توقيع معاهدة باردو حيث :

« وأرغمت "محمد الصادق باي" على توقيع معاهدة "باردو" سنة 1880م وجعلت تونس تحت رايته وتمكنت بريطانيا من فرض حمايتها على مصر ، وفي سنة 1905م قام نزاع بين الدولتين بسبب نزاع بين المسلمين والمسيحيين بجزيرة "كريت" فتم تعيين وال من المسيحيين فوقع الصدام بين الطائفتين وإعترك اليونانيين والعثمانيون فألحق الفريق الثاني الهزيمة بالفريق الأول ، فتدخلت الدول الأوربية لحماية اليونانيين وأجبرت الدولة العثمانية على توقيع صلح معهم.أدخل السلطان " عبد الحميد الثاني" إصلاحات عسكرية وإقتصادية وسياسية وقد إقترن إسمه بما يسمى " بالجامعة الإسلامية" وإستفاد منها لتقوية الوازع الديني في دولته وجمع شمل العالم الإسلامي في مواجهة الإستعمار»¹.

وفي سنة 1906م قامت جماعة "تركياء الفتاة" ، وبعد أن كانت المنظمات في الدولة العثمانية تتشكل بشكل سري ويبين هذا الباحث في تاريخ الدولة العثمانية ابراهيم حليم بك :

« فقد تأسست في 1906م رسميا وعلنيا كأحزاب بإنقلاب على السلطان ، وعملت هذه الجماعة على تقليص صلاحيات السلطان وقام الجيش بمحاصرة قصر "يلدز" وإجتمع الأعضاء المجلس بسرية في سان استقانو وقرروا خلع السلطان.وتوليه أخيه " محمد رشاد" 1907م نفي إلى سلانك مدة ثلاث سنوات ، ثم نقل الى استانبول سنة 1940م حيث بقي تحت الحراسة المشددة حتى أواخر عمره ، وفي سنة 1916م توفي ودفن في ضريح السلطان محمود»²

أما عن الأحداث الأساسية في هاته الفترة الحالكة من أوضاع الدولة العثمانية نرى أن السلطان قام بعدة إصلاحات ، بحيث يمكن تقسيمها إلى ثلاثة عناصر أساسية توضح أطوار

*- تعلن هذه المعاهدة "حماية" فرنسا على البلاد التونسية وهي تشكل بداية الإستعمار الفرنسي لتونس. أعطت هذه المعاهدة لفرنسا حق الإشراف المالي والخارجي والعسكري في تونس، وحق تعيين مفوض فرنسي في مدينة تونس، وتوالى التدخل الفرنسي في شؤون البلاد. حافظ الباي على مركزه، محتفظا بسلطة التشريع والإدارة، لكن كل القرارات لا تكون نافذة إلا بقبول المقيم العام الفرنسي.

¹- إبراهيم بك حليم ، نفس المرجع ، ص 371.

**- تركيا الفتاة أو الأتراك الشباب (بالتركية: Jön Türkler) هو اتحاد لمجموعات عديدة مؤيدة لإصلاح الإدارة في الدولة العثمانية. أدت الحركة إلى الحقبة الدستورية الثانية بواسطة ثورة تركيا الفتاة. في عام 1889 بدأت الحركة في صفوف الطلاب العسكريين وامتدت بعدها لتشمل قطاعات أخرى، وكانت بدايتها كمناعة للسلطة المطلقة للسلطان عبد الحميد الثاني.

²- إبراهيم بك حليم ، نفس المرجع ، ص 372.

السياسية التي مرت بها الدولة العثمانية الى نهايتها وهي وضحت ما كانت تعانيه الدولة العثمانية من ضعف وإضطرابات داخلية تمثلت في :

الفرع الأول: المشروعية :وبدورها تنقسم إلى قسمين :

أولا :**المشروعية الأولى**: ويقصد بها الدستور الذي أصدره السلطان "عبد الحميد الثاني" (1876-1909م) في 16-3-1876 م بحيث يذكر الباحث زكريا فايد أن :

« إن المشروعية الذي أصدره السلطان عبد الحميد الثاني في 16-03-1876 على أساسه تم تشكيل أول مجلس نيابي في الدولة العثمانية دعي المبعوثان كان مجلس "المبعوثان" ببلد الخلافة العثمانية يتألف من 116 عضوا منهم أربعون مسيحيا»¹.

ولابد من أن لهاته المشروعية هدف تطمح لها بحيث كان الهدف من هذه المشروعية حسب الباحث يوسف أصاف هو التقييد وإعطاء إمتيازات والحرية للمذاهب والأديان التي كانت تمثل الأقلية في الدولة العثمانية حيث قال :

« كان الهدف من هذه المشروعية تقييد السلطة المطلقة للسلطين وإعطاء الأقليات من أصحاب المذاهب والأديان المختلفة مزيدا من الحرية والإمتيازات»².

غير أن هذه التجربة الأولى التي تسعى لتطبيق نظام نيابي باءت بالفشل وبالتالي إستغلالها ضد الدولة العثمانية ويذكر زكريا فايد الفشل والإستغلال كمايلي :

«إن التجربة الأولى في تطبيق نظام نيابي أخفقت تماما ، وإستغلت ضد الدولة العثمانية ، إذ تم جرّها بمؤامرة شارك فيها نواب الأقليات غير المسلمة إلى حرب ضروس مع روسيا أنهكتها تماما»³.

¹- زكريا فايد ، العلمانية النشأة والأثر في الشرق والغرب ، الزهراء للإعلام العربي للنشر، القاهرة ، الطبعة الأولى، 1988م، ص 107.

²- يوسف أصاف ، تاريخ سلاطين آل عثمان ، تحقيق: بسام الجابي ، دار البصائر ، دمشق ، الطبعة الثالثة ، 1405هـ أي 1984م ، ص 162.

³- زكريا فايد ، المرجع السابق ، ص 106.

ثانيا: **المشروطة الثانية** : وهي المرسوم الذي أصدره السلطان "عبد الحميد الثاني" سنة 1908م لإعادة مجلس المبعوثان بعد تعطيله قرابة ثلاثين عاما . ويشير سهيل صابان إلى أن هاته المشروطة إستهدف الحفاظ على السلطنة ووحدتها ضد العدوان الداخلي والخارجي

« وقد إستهدف إعلان المشروطة الثانية لإعادة مجلس المبعوثان بعد تعطيله قرابة ثلاثين عاما الحفاظ على كيان السلطنة ووحدتها ضد أي تدخل أجنبي أو حدوث أي إنفصال داخلي»¹.

لكن السلطان "عبد الحميد الثاني" إضطر إلى إحداث مزيد من النظم الإصلاحية ، ومنح الإمتيازات المختلفة للدول الأوروبية ، كي يكسب صداقتها في حربه مع روسيا حيث يقول الباحث زكريا فايد :

« سمح لكل طائفة دينية بإنشاء مدارس خاصة بها ، وبذلك «انهارت الجسور الأخيرة التي حمت الدولة العثمانية من الطوفان الزاحف على هيئة تيارات قوية ، عبر المسالك التي فتحتها أوروبا على الشرق بمساعدة حكام هذه البلاد أنفسهم من خلال رغبتهم في نقل النموذج الغربي»².

وكان جراء هذا الإصلاح وجود توترات داخل الدولة العثمانية مما أثارت الأقليات الغير مسلمة وبالتالي المطالبة بالإنفصال عنها ومطالبة بالحرية والتوجه نحو الثورة ممن خلق إضطراب وتوتر داخل الدولة

«إستطاعت الدول الأوروبية أن تشدد الخناق على الدولة العثمانية في أكثر من موقع ؛ وذلك بإثارها للأقليات غير المسلمة ، وتشجيعها على الثورة والإنفصال ، ففي سنة 1875م ثارت الهرسك على الدولة العثمانية مطالبة بمزيد من الإمتيازات والحرية في تسيير شؤونها ، وقد وجدت كل الدعم والتأييد من روسيا والنمسا وبعض الدول الأوروبية الأخرى ، وإستمر الصراع في هذه المنطقة بضع سنوات بالإضافة تكونت في تفليس "بأرمينيا الروسية" جماعة ثائرة ضد الدولة العثمانية بدعم سياسي بريطاني واضح»³.

¹- سهيل صابان ، **الأوضاع الثقافية في تركيا في القرن الرابع عشر هجري**، رسالة دكتوراء ، جامعة الإمام كلية الشريعة قسم الثقافية الإسلامية محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ، 1994م ، ص9.

²- زكريا فايد، المرجع السابق ، ص 106

³- محمد فريد بك المحامي : **تاريخ الدولة العلية العثمانية** ، تحقيق : إحسان حقي ، دار النفائس، بيروت، 1981م ، ص601 .

بالتالي يمكن أن نستنتج أن هاته المواجهات والحروب كان لابد لها من ممول مالي فكانت ترهق كاهل خزينة الدولة بالديون كما سنبين ذلك لاحقا ، وهو ما جعل أغلب جهودها مركزة على تسديد الديون بدل محاولة التعمير وتطوير مرافق الدولة ومؤسساتها .

ونلاحظ أن الضغوطات الخارجية والتوترات والإضطرابات الداخلية كانت من بين العوامل التي وقفت في سير الإصلاحات التي سعى إليها السلطان "عبد الحميد الثاني" في مجال السياسية والتعليم والإقتصاد والحد من النفوذ ، حيث يشير إلى هاته النقطة "سمير رجب محمد" بحيث يعتبر أن :

« إن محاولات السلطان عبد الحميد الإصلاحية في بعض المجالات السياسية والاقتصادية والتعليمية وأن يعيد للدولة هيبتها ، وذلك بإخماد الجمعيات السرية والحد من نفوذ الدونمة والماسون وتشجيع رجال الفكر الإسلامي وفتح المجال للطباعة والصحافة وتأسيس جيش عصري وإنشاء جامعة إستانبول الإسلامية والمصرف العثماني ، وإحداث إصلاحات وغيره من الجوانب الثقافية فإن الضغوط الخارجية والتناقضات الداخلية لم تسعفه لمواصلة الإصلاح ، وإن كان قد نجح في تأخير السقوط النهائي لدولة الخلافة»

1

الفرع الثاني : حركة الإتحاد والترقي

تعتبر حركة الإتحاد والترقي من بين الحركات السياسية التي نادى بقيام جمهورية تركية

« في سنة 1989م شكل جماعة من طلبة المدرسة الطبية العسكرية الإمبراطورية في "إستانبول" منظمة سرية هدفها الواضح هو عزل السلطان "عبد الحميد الثاني" ، وكان وراء هذا التشكل السري رجل ماسوني من ألبانيا اسمه إبراهيم تيمو* أو بـ "أدهم" كما كان يسمى أحيانا إتفق عدد من الطلاب

¹- سمير رجب محمد ، الداعية الإسلامية بديع الزمان سعيد النورسي، دار الهاني ، القاهرة ، 1986م ، ص 4-5.

*- إبراهيم تيمو : هو الباني الأصل ، ولد في مارس 1865م في بلدة ستروغا Struga التي تقع في أقصى جنوب يوغسلافيا سابقا ، وهناك من يقول انه ولد في بلدة اوهريد Ohrid ، وكان والده يدعى مراد بن مصطفى ، ويعود بأصله إلى منطقة مات Mat في ألبانيا ، ولقد انتقلت أسرته من بلدة مات إلى ستروغا المجاورة ، حيث أنهى إبراهيم تيمو دراسته في المدرسة الابتدائية بالإضافة إلى صفتين من المدرسة الإعدادية (الرشدية) في ستروغا ثم غادر إلى استانبول ، ولقد تمكن بمساعدة إسماعيل طوبطاني I.Tobtani ووحيد بلوشميا Bloshimia وهما من أصدقاء والده من الوصول إلى أستاذ الجيولوجيا إبراهيم باشا وهو أيضا الباني الأصل ، حيث قام الأخير بتسجيل إبراهيم تيمو في المدرسة الإعدادية الطبية .انظر : <http://www.muslim.org> يوم 2016-05-25

على الإشتراك في تلك المنظمة وكان في مقدمتهم "إسحاق سكوتي" و "شركس محمد رشيد" و "عبد الله جودت" و كربيان ، وتشكلت النواة الأساسية من أعضائها الأربعة في هذه الجمعية السرية ¹.

ويرجع السبب في خروج هذه الجمعية حسب **ميلر ويليام** الذي يعتبر أنها إنبثقت من المدرسة والكلية الحربية حيث قال

« إن خروج هذه الجمعية من المدارس والكليات الحربية ، إلى القطار الذي يأتي من باريس إلى محطة "سيركجي" ، والتي تقع قرب المدرسة العسكرية ، حيث كانت الأفكار الغربية تصل للطلاب بشكل مباشر بسبب الاحتكاك بالأجانب ووصول الصحف والمجلات الغربية إليهم وقد باشرت أعمالها منذ عام 1891م في "جنيف" أولا ثم نقلوها إلى "باريس" ، وكانوا يعملون على نشر دعوتهم سرية ، واتخذوا لذلك طريق الجيش لبث أفكارهم» ².

فسميت بجمعية الإتحاد والترقي وهي فرع من تركيا الفتاة حسب **الباحث فتحي بشير البلعاوي** :

«عرف هذا التنظيم بإسم "الإتحاد والترقي" Committee of Union and Progress "وهو فرع من "تركيا الفتاة"، كان إسم الجمعية في الأوساط العسكرية هو "الإتحاد العثماني"، وكان "أحمد رضا بك" - ممثل الجناح المدني- متأثرا بأفكار الفيلسوف "أوغست كانت" وكان دستور هذا الفيلسوف هو "الانتظام والترقي" ، فأخذ أحمد رضا كلمة "الترقي" إستلهاما من دستور "كانت" واحتفظ العسكريون بمسمى "الإتحاد"، وإتفق الجميع أن تكون جمعيتهم بإسم الإتحاد والترقي» ³.

وكانت هاته الجمعية معارضة للحكم إذ كانت تخطط للإطاحة بالسلطان كما كان لها صلة بالماسونية ولقد بين **"سعيد الأفغاني"** هذا حيث وضح في دراسته المعنونة ب "كانت الصهيونية هي خالعة السلطان "عبد الحميد الثاني" ومقوضة المملكة العثمانية" .

¹- أرنست رامزور ، **تركيا الفتاة وثورة 1908م**، ترجمة: صالح أحمد العلي وتقديم نقولا زيادة، مكتبة دار الحياة للنشر والطباعة ، بيروت ، 1960م، ص 49.

² - Miller William , **the Ottoman Empire and its Successors 1801-1913**, new impression , University Press, Cambridge ,1966,p 474.

³- فتحي بشير البلعاوي، **مساق تاريخ الدولة العثمانية** ، الجامعة الإسلامية، غزة ، 2008م ، ص 6-7.

« كانت مخططاتهم معارضة لحكم السلطان ، حيث دأب أعضاء الجمعية على عقد إجتماعاتهم السرية في المحافل الماسونية ، وكان أول إجتماع لهم في المحفل الماسوني الإيطالي وفتحت السفارات الأجنبية أبوابها لكل مخطط عصيان على السلطان " عبد الحميد الثاني " ، وكانت إنجلترا وفرنسا سابقتين إلى إيواء اللاجئين من معارضي الحكم الحميدي ، وتركتم يعملون في عواصمها علنا لإسقاط السلطان»¹.

ونتيجة للمراسلات السرية بين أعضاء الجمعية السرية في الداخل وفي الخارج وفي نشر أفكارهم داخل الدولة العثمانية ويشير الباحث "ساطع الحصري" بقوله في هذا الشأن أنه :

« إعتد الإتحاديون على تنظيماتهم في أوروبا لنشر أفكارهم لصعوبة تحقيق ذلك من الداخل ، لأن طبع المنشورات السرية في داخل البلاد كان مستحيلا بسبب صرامة المراقبة الموضوعة على مختلف المطابع كبيرة كانت أم صغيرة ، لذا كانت تطبع الصحف والمنشورات في الخارج وكان إدخالها صعبا إلى الأراضي العثمانية إلا أن وجود السفارات الأوربية وقنصلياتها كان يسهل كثيرا من دخول هذه المنشورات لأن هذه السفارت كانت مصونة من مراقبة الدولة العثمانية بسبب الإمتيازات الأجنبية كما نشط الإتحاديون بمساعدة الدول الأوربية لمواصلة نشاطهم في الخارج ، خاصة بعد إنتشار فروع الجمعية في بعض مناطق الدولة العثمانية »².

إن الجمعيات التي تأسست داخل الدولة العثمانية لم تستطع أن توسع نشاطها بسبب صرامة النظام الحميدي وإتقان عمل الجاسوسية ، لكن بعد عام 1905م توسع نشاطها حيث أنه

« وجدت الجمعية بعد 1905م مجالا واسعا لعملها في الولايات الثلاث : مناستر ، قوصوة وسالانيك ، بسبب المراقبة الدولية الموجودة فيها برعاية كل من إنجلترا ، فرنسا ، النمسا وإيطاليا إلا أن سالانيك تبعا لأهميتها عين لها هيئة عليا للمراقبة الدولية حتى لا يتيسر على الدولة العثمانية مراقبة

¹- سعيد الأفغاني ، كانت الصهيونية هي خالعة السلطان ومقوضه المملكة العثمانية ، مجلة العربي، ديسمبر العدد 69 ، 1972 ، ص 152.

²- ساطع الحصري ، البلاد العربية والدولة العثمانية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1965م ، ص 104.

التحركات المناهضة للسلطان وإن كان هناك مفتش عثماني عام إلا أن وجود الدول الخمسة كان يشل من تحركه¹ .

شهدت الفترة الممتدة بين 1902-1907م نشاطا ملحوظا ضد السلطان ، فقد بدأت أفكار "تركيا الفتاة" تنتشر من داخل وخارج الإمبراطورية فهناك جماعات ركزت نشاطها في **جنيف** و**القاهرة** وما يثبت هذا أنه تم عقد مؤتمر اتحادي بباريس ، وجماعات أخرى نشطت في **إستانبول** في المدارس الحربية والمدنية التي كانوا نواة الحركة الثورية ، وبواسطة القائد التركي "**مصطفى كمال**" صار للجمعية فروع في **يافا** و **القدس** ، وقد إنظم إليها قواد كما عملوا على إجبار السلطان عن التخلي على العرش.

« وفي عام 1902م عقد في باريس مؤتمر إتحادي للبحث في الخطط المستقبلية وفي كيفية مناهضة السلطان ، وفي عام 1907م عقد مؤتمر ثاني وكانت مقرراته إجبار السلطان " عبد الحميد الثاني" على ترك العرش، تبديل الإدارة الحاضرة من أساسها وتأسيس أصول المشروطية والمشورة² »

حيث كانت أهداف الإتحاديين وشعاراتهم تتمثل في **حرية - عدالة - مساواة** والواقع أن هذه المبادئ التي أشرنا سابقا أن لها علاقة باليهودية والماسونية أثر تأثيرا كبيرا على منتسبي الجمعية ، الذين حافظوا على تلك المبادئ والتقاليد حتى بعد الثورة. وما يجدر الإشارة إليه هو إنتماء اليهود في هاته الجمعية وأصبحت لهم الكلمة وبالتالي النفوذ فيها حيث يشير الباحث **أرنست رامزور** إلى هذا بقوله :

« أن اليهود المنتسبين لفرقة الإتحاد والترقي أصبحوا أصحاب الكلمة العليا والنفوذ في هذه الجمعية وفي عام 1908م إتسعت الجمعية وتفاقم خطرها خاصة بعد دخول اليهود في عضويتها ودخول يهود **الدونمة المتسترين Gyptic Jew** او **Donmeh** * المقيمين في **سالانيك** بإعتبار أن هذه المدينة

¹- ساطع الحصري، نفس المرجع ، ص 108.

²- نفس المرجع ، ص 106.

* **الدونمه** : كلمة تركية بمعنى المرتدين ، وكلمة «دونمه» مكونة من كلمتين تركيتين مدغمتين "دو" بمعنى "إثنين" و"نمه" بمعنى "عقيدة" فهم أصحاب عقيدتين واحدة ظاهرة وهي الإسلام، والثانية مبطنة وهي اليهودية. و أيضا يقال إن الكلمة مشتقة من كلمة "دونماك" بمعنى "العائدين" أي يهود المارانو الذين هاجروا من شبه جزيرة أيبيريا إلى الدولة العثمانية.

تضم أوفر عدد من اليهود في تركيا وتضم عدد كبيرا من الدونمة ، فقرر أعضاء الجمعية القيام بالثورة يوم 5 جوان 1908م و23 جويلية 1908م¹.

كما أن اليهود هم الذين نشروا الفوضى داخل البلاد ونظموا القوة المناهضة للحكم العثماني، ويؤكد هذا "seton Watson" في كتابه "The Rice of Nationality in Balkans" أن اليهود لعبوا دورا فعالا في ثورة 1908م وذلك بقصد تحطيم الإمبراطورية العثمانية وسلحوا أعضاء "تركيا الفتاة" في الخارج ونظموا صفوفهم وأمدوهم بالمال ، كما نظموا عصابات حيث قال :

« إن أصحاب العقول المحركة لثورة الإتحاد والترقي عام 1908م كانوا يهودا من

الدونمة ، وأما المساعدات المالية فإنما كانت عن طريق الدونمة ويهود سالانيك المتمولين »².

ويعترف أحد المؤرخين الصهيوني kallen في هذا الصدد كذلك حيث صرح بقوله :

« أن أكثر أعضاء جمعية الإتحاد والترقي كانوا من الدونمة ، وممن عاشوا في

المنفى ، وكان هؤلاء تلامذة السياسة الأوربية ، الذين كانت تأتيهم المساعدات المالية من الرأسماليه العالمية من فيينا ، بودابست ، برلين وربما من لندن وباريس »³.

ويؤكد السلطان نفسه " عبد الحميد الثاني " في مذكراته ، صله الجمعية بالماسونية و الدور الذي لعبته الدول الأوربية بمثابة الحصن لهاته الجمعية و القضاء على الدولة العثمانية وعلى حكمه حيث قال:

« أن أعضاء تركيا الفتاة في سالانيك كانوا تحت تأثير الماسون ألمانيا و إيطاليا بدأ

أنور ونيازي تحت ضغط الماسون الألمان مع جماعة سالانيك بالتحرك ضدي... وأن الإتحاديين في سالانيك كانوا يرون أن التحالف مع الإنجليز ضرورة ملحة لأنها أكبر دولة بحرية »¹.

¹ - أرنست رامزور ، المرجع السابق ، ص 126.

² - seton Watson, The Rice of Nationality in Balkans, E.P. Dutton, New York ,1918 , p 134.

³ - Ibid, p 135.

كما أنه إتبعته كافة الدول الأوروبية أساليب للحرص على التعاون مع أقليات الدولة العثمانية لاسيما اليهود من ذوي النفوذ بالإضافة إلى العملاء المحليين والأجانب على السواء ويتحدث "مصطفى كامل" عن هذه الحقيقة فيقول :

« لقد دخل في جسم الدولة كثير من الأجانب نساء ورجالا وغيروا أسمائهم بأسماء إسلامية وعملوا على الإرتقاء في المناصب حتى وصل بعضهم إلى أسماها ، وصاروا من أقرب الدخلاء في زمن عبد الحميد الثاني في كل فروع الدولة العلية حتى في الجيش نفسه وصارت لهم سلطة عظيمة ونفوذ كبير وكنت من يجد من وزراء الدولة العلية من يعمل لصالح روسيا مدعيا أنه روسي السياسة ، ومن يعمل لصالح إنجلترا مدعيا أنه إنجليزي السياسة ، ولكن ليس منهم من كان عثمانيا السياسة»².

مما نستنتج أن هؤلاء الذين دخلوا الدولة العلية قد لعبوا دورا في إنهاكها وتقصير عمر الدولة ، ذلك أن ولائهم لم يكن ولاءا عثمانيا ولكن كان ولاءا أجنبيا وبالتالي بلغ الأمر إلى خيانة الدولة من الناحية العسكرية .

«عندما نشبت الحرب الروسية - التركية 1877م ووصل الروس إلى بعض قرى القسطنطينية واستولوا على أدرنة شرع الناس يذكرون فيما بينهم بوقائع الحرب وينسبون للوزراء ورجال الدولة إلى الخيانة وقواد الجيش تارة أخرى إلى التقصير وذلك بالإتفاق مع الإنجليز»³

الفرع الثالث : علاقة جمعية الإتحاد والترقي بيهود الدونمة والماسونية

المفهوم السياسي ليهود الدونمة يعني اليهود المسلمين الذين لهم كيانهم الخاص، وقد أطلق المعنى الخاص بالدونمة منذ القرن السابع عشر على اليهود الذين يعيشون في المدن الإسلامية وخاصة في ولاية سلانيك وأطلق العثمانيون اسم الدونمة على اليهود لغرض بيان وتوضيح العودة من اليهودية إلى الإسلام ثم أصبح علما على فئة من يهود الأندلس الذين لجؤوا إلى الدولة العثمانية وتظاهروا بإعتناق العقيدة الإسلامية. قد إستطاعوا أن يأتروا في جمعية الإتحاد

¹- حسن حلاق ، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية 1897-1909م ، دار النهضة العربية للنشر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1999م ، ص 300.

²- مصطفى كامل ، المسألة الشرقية ، مؤسسة هنداوي للنشر ، القاهرة، مصر، طبعة أولى، 1898م ، ص 11.

³- إسماعيل سرهنك ، حقائق الأخبار عن دول البحار ج1 ، المطبعة الأميرية للنشر ، القاهرة ، مصر ، طبعة أولى ، 1896م ، ص 723.722.

والتراقي، وكان السلطان "عبد الحميد الثاني" عارفاً بحقيقة الدونمة ويؤكد هذه الحقيقة الجنرال جواد رفعت أتلخان، حيث يقول في هذا الصدد:

«إن الشخص الوحيد في تاريخ الترك جميعه، الذي عرف حقيقة الصهيونية والشبائنية وأضرارهما على الترك والإسلام وخطرهما تماماً، وكافح معهما مدة طويلة بصورة جدية لتحديد شرورهم هو السلطان التركي العظيم كافح هذه المنظمات الخطيرة لمدة ثلاث وثلاثين سنة بذكاء وعزم وإرادة مدهشة جداً كالأبطال»¹.

ونتيجة لموقف عبد الحميد من الدونمة، قام يهود الدونمة بالتعاون مع المحافل الماسونية* للإطاحة به، وقد استخدم هؤلاء شعارات معينة كالحرية والديمقراطية وإزاحة "عبد الحميد"، وعلى هذا الأساس قاموا بنشر الشقاق والتمرد في الدولة العثمانية بين صفوف الجيش، وكانت الغاية من هذا هي تحقيق المشروع الإستيطاني الصهيوني بإستيضان فلسطين، وكان يهود الدونمة يشكلون اللبنة الأولى لتنفيذ المخططات اليهودية العالمية.

لقد لعب يهود الدونمة دوراً كبيراً في تأسيس ونشاط جمعية الإتحاد والتراقي، فهذه الجمعية لم تكن مقتصرة على الإطلاق على العنصر التركي حسب ما ذكره الباحث "محمد علي الزعبي":

« كانت تضم خليطاً من القوميات والأجناس والمذاهب المختلفة، وإجمالاً فزعماً الإتحاد والتراقي كانوا بشكل عام من أصول إجتماعية متواضعة، إذ كانوا من أبناء صغار الموظفين، وصغار تجار المدن. ولقد عمل يهود الدونمة وفق منهجية وإستراتيجية على قدر من التخطيط والمتابعة، وكان من هؤلاء "جاويد Cavid" الذي أصبح فيما بعد وزيراً للمالية، حيث أثبت جدارة كبيرة في الشؤون المالية والإقتصادية»².

¹ - فتحي بشير البلعاوي، المرجع السابق، ص 13.

*الماسونية: هي منظمة يهودية سرية هدامة، إرهابية غامضة، محكمة التنظيم تهدف إلى ضمان سيطرة اليهود على العالم وتدعو إلى الإلحاد والإباحية والفساد، وتتستر تحت شعارات خداعه مثل (حرية - إخاء - مساواة - إنسانية) وجل أعضاءها من الشخصيات المرموقة في العالم، من يوثقهم عهداً بحفظ الأسرار، ويقومون ما يسمى بالمحافل للتجمع والتخطيط والتكليف بالمهام، تمهيداً لتأسيس جمهورية ديمقراطية عالمية - كما يدعون - وتتخذ الوصولية والنفعية أساساً لتحقيق أغراضها في تكوين حكومة لا دينية عالمية

² - محمد علي الزعبي، الماسونية في العراق، معتوق الإخوان، بيروت، الطبعة الأولى، 1972، ص 87.

كما أشار إلى أن شعار الجمعية مقتبسا من اليهودية ومما له علاقة بالماسونية بإعتباره:

« أن وحي الحركة في سالانيك يبدو يهوديا بصفة رئيسية ، فكلمات حرية- عدالة-

مساواة شعار الأتراك الإتحاديين هي ذاتها شعارات محفل **Macedonia Ristora** وشعارات الجمعية اليهودية بني برث **Beni Brith** وهي إحدى فروع الماسونية المتعاونة مع الإليانس الإسرائيلي العالمي»¹.

كما يؤكد "جواد رفعت أتلخان" وهو القائد التركي المعاصر للسلطان "عبد الحميد الثاني"

« أنه في القرار المرقم ب 70 للجمعية الماسونية الفرنسية جاء فيه أن تأسست جمعية

سرية باسم **Jeune Turque** فباشرت نشاطها من سالانيك التي تضم اليهود الأكثر نفوذا في أوربا ويعتبر أن فرقة الإتحاد والترقي ولدت فعلا في محفل ماسوني المسمى ماكدونيا ريزتورا **Macedonia Ristora** المؤسس من قبل قارصوة اليهودي السلانيكي»².

ومن خلال تصريحات الباحث "جواد رفعت" يمكن أن نستخلص أنه كان هناك إنتشار

الماسونية وتغلغلها داخل الدولة العثمانية ومدى مساهمة جمعية الإتحاد والترقي في نشر أفكارها داخل المجتمع العثماني بإستعمال كل الوسائل السياسية وحتى المالية كشعاراتها وتعاليمها التي تشبه شعارات الماسونية مما يعكس أن لها علاقة بها ووجودها في النقود التركية بعد إحداث تغييرات وإستبدالها بنقود تحمل شعارات الإتحاد كحقيقة ولعل الصور الموجودة في الملاحق من شعارات والنقود المتداولة آنذاك تبين ذلك .

كما يؤكد "محمد خليفة التونسي" ذلك في كتابه **الخطر اليهودي إلى هاته العلاقة :**

« هناك علاقة إرتباط وثيق بين الماسونية و الصهيونية بحيث يذكر أن الحركة

الصهيونية عمدت الى إبتداع الحركة الماسونية الحديثة من أجل أن يتخلى الإنسان على كل ما يؤمن به

¹- نفس المرجع، ص 87.

²- جواد رفعت أتلخان ، **الخطر المحيط بالإسلام الصهيونية و بروتوكولاته**، ترجمة: وهبي عز الدين ، بغداد، 1965، ص 150.

ليصبح ما يسمونه كوزمو بوليتيني Cosmo-Politini ولذلك فإننا نرى أن نشاط الحركة يكاد ينحصر في الأوساط الحاكمة وليس في الأوساط الجماهيرية¹.

كما أن هذه الجمعية كانت تتلقى الدعم المالي من طرف الدونمة والتي كان يمتلكون ثروات في الدولة العثمانية إبان الحكم الحميدي مما مكنهم للسيطرة على الجمعية باعتبار أنهم كانت لهم ثروة وكانوا يوافقون على مطلب الجمعية متظاهرين بذلك لإستمالة الجمعية والسيطرة عليها حيث أكد هذا كذلك خليفة التونسية حول الخطر الصهيوني

« لقد تلقت جمعية الإتحاد والترقي مساعدات مالية من يهود الدونمة الذين كانوا يمتازون بإمتلاكهم الكثير من الثروات ، خصوصا إمتلاكهم لتجارة سالانيك ، وبهذا أحكم يهود الدونمة سيطرتهم على الجمعية ، وحتى يحافظوا على هذه السيطرة كان لا بد لهم أن يتظاهروا على الأقل ، بأنهم يوافقون على تحقيق جمعية الإتحاد والترقي لأحلامها القومية ، وكانت السرية والطرق الملتوية أمرين رئيسيين لكليهما ، وبهذا أوقع اليهود جمعية الإتحاد والترقي في شركهم²»

ويمكن ملاحظة وإستنتاج أن جمعية الإتحاد والترقي تتميز وجهين ، الوجه الأول وجه سري الذي تتكون منه خلايا ومجموعات الإتحاد والترقي داخل الدولة العثمانية وتتبع طرق الحذر، باعتبار أنها تأسست بشكل سري أما الوجه الثاني نتيجة مساندة الدول الأوربية لها كان لها وجه علني ولكن بطبيعة الحال خارج الدولة العثمانية خاصة في أوربا .

وكان الفكر السياسي لجمعية الإتحاد والترقي يؤكد على المفاهيم الطورانية على المستويين الداخلي والخارجي التي تهدف إلى هدم القيم الإسلامية في المجتمع العثماني وعملت على نشر الإلحاد والأفكار الغربية وإنتشار الماسونية والدعوة لهتك حجاب المرأة المسلمة وإختلاطها مع الرجال وخاصة في المدارس وكان الكثير من رجال الإتحاد والترقي يساهم في بعض نشاطاتها وأفراحها. ولم تكف الجمعية بإعلان المشروعية " الدستور " ، بل قررت خلع السلطان " عبد الحميد الثاني" وتحريض الجنود العثمانيين على الثورة وخلع السلطان ، فتم تدبير حادثة 31

¹ - محمد خليفة التونسي ، الخطر اليهودي برتوكولات حكماء صهيون ، بيروت ، 1961م، ص 173-174 أنظر أيضا : عودة بطرس عودة ، القضية الفلسطينية في الواقع العربي ، دار الكتب المصرية، القاهرة ، 1970م، ص 142.

² - نفس المرجع ، ص 143

مارس سنة 1909 في إستانبول، هي ثورة مضادة وهي الحادثة التي قتل فيها بعض عسكر جمعية الإتحاد والترقي بإستانبول، وحدثت فوضى عارمة في العاصمة بتخطيط يهودي صرف، وعلى أثره دخل عسكر الإتحاد والترقي من سلانيك إلى إستانبول وإرتكبوا مذبة كبيرة في قصر الخلافة بلا مبرر، وقتلوا إسماعيل حقي وزير الحربية، ووجهوا إتهامات للسلطان عبد الحميد بأنه يريد إحياء الشريعة الإسلامية

« كانت حادثة الواحد والثلاثين من مارس 1909م الشهيرة خير معبر على حالة السخط المتزايدة التي عمت تركيا قد ظل كثير من عناصر هذا العصيان الذي بدأ بتمرد بعض فرق الجيش في إستانبول وإستمر إثني عشر يوما ¹»

تم تشكيل ما يسمى المجلس الملكي في " سات إستفانو" ، فاجتمع مع مجلس حركة الإتحاد والترقي وقرروا :

« خلع السلطان عبد الحميد، وذلك بعد إستصدار فتوى من شيخ الإسلام محمد ضياء الدين تحت التهديد وتوجه وفد مكون من الفريق بحري "عارف حكمت"، وأرام الأرمني، وأسد طوبطاني، وعمانوئيل قره صو اليهودي؛ إلى قصر الخلافة وسلموا رسالة الخلع للسلطان، الذي تقبل الأمر بهدوء ، وتم نفيه سنة 1907م إلى قصر الأتيني بسلانيك الذي كان يملكه شخص يهودي إمعانا في إذلاله، حيث عاش معزولا عن الناس، محاطا بحراسة مشددة بعد أن جرد من كل ثروته، ثم نفي بعد ذلك إلى "قصر بيلربي"، حيث توفي عن عمر الـ 76 عاما في (10 فبراير 1918م). دفن في ضريح السلطان محمود الى جانب عمه "عبد العزيز" ².

المطلب الثاني: الأوضاع الإجتماعية للدولة العثمانية

إن الأوضاع التي آلت إليها الدولة العثمانية في أواخر عهدها كانت لها تأثيراتها على المسار الفكري والروحاني "لسعيد النورسي" والتي بدورها ساهمت في إنتقال "النورسي" من مرحلة إلى أخرى نتيجة هذا التراجع والانحطاط الذي مس تركيا من جميع النواحي والمجالات ولعل الجانب الإجتماعي يعد إحدى هاته الجوانب التي كانت لها تداعياتها على

¹- واحدة شكران ، المرجع السابق ، ص 111.

²- واحدة شكران ، نفس المرجع ، ص 127.

الفكر النورسي وصقل منهجه وإنتهاج طريقا لمعالجة القضايا السلبية التي كانت تنتشر في تلك الحقبة التاريخية والتي بدورها إنعكست في الممارسات والمعاملات لدى العوام ولدى الطبقات الخاصة التي كان لها دورا فعال في المجتمع لكونها تحتل مراكز عليا داخل هيكل الدولة العثمانية وسنورد بعض الجوانب الإجتماعية التي أثرت بشكل قوي في تفكير النورسي وقوت عزيمته من أجل القضاء على ما حل بالدولة العثمانية ما يفسد مجتمعها عامة وأفرادها على وجه الخصوص . ومن بين الأوضاع التي كانت آنذاك:

« القضاء على معالم القومية العربية ولغتها وكيانها ، ولقد إمتدت يد العزل والإضطهاد والسجن إلى الشخصيات العربية من وزراء وعلماء وموظفين»¹

« كان الإتجاه القومي الطوراني يقضي بسياسة التتريك وطمس معالم اللغة العربية والشخصية العربية بل الإضطهاد التركي حتى للعرب إزداد عما كان من قبل وأحس العرب بالسخرية والإحتقار بهم وبتراثهم كما أسيئت معاملتهم وأضعفت لغتهم»²

وكان العربي أينما وجد يسمع كلمات الإهانة والمذلة ، الدالة على التحقير وذلك لنشر الشقاق

«كانت كلمة " بيس عرب" تطلق على كل عربي والتي تعني "عربي قذر" يسمعا العربي أينما سار في الأستانة ، حيث تم وصفهم بأنهم جواسيس للسلطان "عبد الحميد الثاني" سنة 1908م»³

نلاحظ من خلال هذا ما هو إلا مؤامرة يهودية ماسونية لتكريس الإنقسامات والخلافات بين الأتراك نظرا لعظم نفوذ اليهود الماسون فيها حيث كان لهذا النفوذ الدور البارز في سياسة الإتحاديين ولاسيما فيما يخص بسياسة تتريك العرب للقضاء على معالم القومية العربية ولغتها وكيانها بإعتبارها لغة القرآن وبالتالي القضاء على معالم الإسلام .

¹- حسان حلاق ، المرجع السابق ، ص 11.

²- أنيس صايغ ، الهاشميون والثورة العربية الكبرى ، دار الطليعة للنشر والتوزيع ، بيروت ، طبعة أولى ، 1966 م ، ص 19.

³- حسان حلاق ، المرجع السابق ، ص 11.

كما أن اليهود كانت لها حياة طبيعية داخل الدولة العثمانية ولها حقوق مثلها مثل غيرها من الأقليات وممارسة الأنشطة داخل الدولة العثمانية ، مما كان هناك هجرة متزايدة والإستفادة من الممتلكات .

« تزايد الهجرة اليهودية ، تحويل ممتلكات الدولة العثمانية العربية إلى شبه مستعمرة

للرأسمال الأجنبي»¹.

ولم يقتصر الإتجاه الطوراني وتزايد الهجرة والتحقير من العربي كجوانب إجتماعية سادت تلك الحقبة وميزتها بل تعدت إلى العمال خاصة الفلاحين كعملية الإبتزاز وفرض الخراج على الأراضي مما يجعلهم في حالة فقر وعوز ونقص وإحتياج.

« إبتزاز الفلاح وجميع فلاحي الدولة عموما من خلال حق جباية الأعشار و

الضرائب والخراج وكان هذا العامل سبب بضيق العيش وفقدان حقوق شعب الدولة العثمانية كما كانت هناك ضرائب غير رسمية تفرض على الفلاحين إذ أنه من الناحية العملية كان يزداد على الضرائب والخراج ما يسمونه بالمال المضاف أو المال البراني»² .

كما أن السلطات المحلية العثمانية كان لها دورا فعلا في زيادة تردي الأوضاع من خلال الرشوة في التوظيف وكذلك التعيين لم يكن يتم إلا بواسطة تقديم الرشوة لرجال السلطان ، مما يعكس لنا إنتشار ظاهرة الرشوة وتفشيها في المجتمع العثماني بطبيعة الحال كظاهرة سلبية مما نلاحظ عدم الشفافية والعدالة مما يجعل من يتولى المنصب أن يكرر ما مورس عليه فيقوم بعد تنصيبه بإسترجاع ما قدمه مضاعفا بإستخدامه نفس الأسلوب

« أصبحت المناصب في تلك الأيام لا تقدر برواتبها الرسمية بل بمقدار ما تدره

على الموظف من المال البراني ، وكان الموظفون الأتراك يذكرون أن الوظيفة الفلانية راتبها كذا من القروش

¹- عادل إسماعيل و إميل خوري، السياسة الدولية في الشرق العربي ج3، دار النشر للسياسة و التاريخ ، بيروت ، 1961م ، ص 74.

²- هارون كوهين ، الشرق العربي ، ترجمة : أنقولا عكا ، دار الطليعة للنشر ، بيروت ، 1980م ، ص 323.

ولكن البراني فيها هو ثلاثة أمثال الراتب أو أربعة أمثاله ، وكانوا يكررون لفظة "البراني" في منتهى البساطة .
«¹

من خلال هذا يتبين لنا سوء الإدارة العثمانية وبالتالي الإخلال بالنظام وإنتشار النظام العثماني
الفاقد داخل نسيج المجتمع العثماني .

كما يؤكد هرتزل في وصفه الرشوة أيام عهد السلطان "عبد الحميد الثاني" بأن الرشوة
منتشرة بين جميع النافذين في القصر ما عدا السلطان فقال :

« ولعل عار الإرتشاء الذي يبدأ على بوابة القصر ولا ينتهي إلا على بعد قدم
واحد من العرش ليس أسوأ ما في الأمر ، فكل موظف لص ، هذا هو على الأقل ما سمعته من كل النواحي ،
وما رأيته يثبت أن ما سمعته ليس بهتانا»² .

وكان هرتزل في وصفه لإنتشار الرشوة إلا من خلال تقديمه للرشوة التي دفعها لرجال
السلطان كدليل على تفشيها بشكل كبير بين النافذين في جهاز الدولة وذكر ثمن البخشيش الذي
دفعه أينما ذهب

« قدر هرتزل ثمن البخشيش الذي دفعه لرجال السلطان والوسطاء بحوالي أربعين
ألف فرنك ، وبذلك يكون قد إضطر إلى اللجوء إلى الأساليب اليهودية القديمة جدا ، أساليب دبلوماسية
السلام الخلفية ...، وكان يستعمل الرشوة حيثما ذهب»³

وهذا ما يجعلنا نلاحظ تميز فترة السلطان "عبد الحميد الثاني" بتغذية الروح القومية
والإنفصالية لعناصر الدولة العثمانية والواقع أن السلطان أكد في مذكراته هذا الواقع بقوله :

¹ - الأمير مصطفى الشهابي ، محاضرات في الاستعمار ج 2 ، جامعة الدول العربية معهد الدراسات العربية العليا
، القاهرة ، 1956م ، ص 190.

² - أنيس صايغ ، يوميات هرتزل ، ترجمة : هدا شعبان صايغ ، مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية للنشر
، طبعة ثانية ، بيروت ، 1973م ، ص 177.

³ - جانسن ، الصهيونية وإسرائيل وآسيا ، ترجمة : راشد حميد ، مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية
للنشر ، بيروت ، 1972م ، ص 77.

« إن دول أوروبا الكبرى أرادت تقسيم العالم فيها بينها ومن ضمن ذلك الدولة العثمانية إن دول الأوربية كانت تتذرع بإعطاء الحقوق للمسيحيين في الدولة العثمانية ، ولكن فهمنا أن هذا مجرد كلام المقصود منه تقسيم الدولة »¹

وأضاف أن الدول الأوربية إتبعَت أساليب "فرق تسد" بين مختلف طوائف الدولة ومن ذلك أسلوبان هما :

« الأول : تأييد المسيحيين ضد المسلمين ومساعدتهم في شن الثورات والحروب ضد المسلمين والثاني : العمل على إيجاد ضديات وفتن بين المسلمين أنفسهم ، وهذا ما يسهل أهداف الدول الأوربية بعد إضعافنا وكانت إنجلترا و أمريكا تساعدان على هذه الفتن و إثارتها »²

ومن خلال هذا يمكن أن نستخلص أن الفتن الأرمينية عام 1890م كانت تحت على التمرد والعصيان من أجل إضعاف الدولة العثمانية والإخلال بنظامها وذلك ما يؤدي إلى التدخل الأجنبي ومنه التدخل في شؤونها متحججة لحماية الأقليات المتواجدة بأراضيها .

« تمثل الفتن الأرمينية 1890م تمرد وعصيان لإضعاف الدولة العثمانية ، حتى حتى يتيسر لأمريكا أن تعاقب الحكومة العثمانية مما دعى الدول الأوربية إلى عقد إتفاقية برلين بينها وبين الحكومة العثمانية على إقرار بند خاص باليهود والنصارى المتواجدين داخل الأراضي الدولة العثمانية ينص على لا يمنع النصارى واليهود من إجراء رسوم أديانهم و إشاع بطارقتهم وكواهنهم فيما يتعلق بمذاهبهم »³.

ونلاحظ أن اليهود قد عومل معاملة حسنة نتيجة هذا التسامح الذي لمسّه اليهود في الإمبراطورية العثمانية من جراء إعطائهم حريتهم الدينية . بل تعدت ممارسة الديانة إلى تولي مناصب مرموقة في جهاز الدولة العثمانية .

¹ - مجهول المؤلف ، مخطوط سلاطين آل عثمان ج23 ، المكتبة الظاهرية ، دمشق ، بدون سنة نشر ، ص 75.

² - نفس المرجع ، ص 75.

³ - حسان حلاق ، المرجع السابق ، ص 34.

« تولى عدد كبير من اليهود المناصب المرموقة والهامة ومنه أوجدوا لأنفسهم الأحياء الخاصة بهم لا قسرا ولا إمتثالا وإنما بدافع نفسي تقليدي وخروجهم من عزلتهم كان في مجمله لترويج تجارتهم»¹.

المطلب الثالث : أوضاع الجانب التعليمي والثقافي

أما مؤسسات التعليم كما هو معروف في تاريخ الدول الإسلامية عامة والعثمانية خاصة فكانت تابعة - في الغالب لما يسمى بالأوقاف ؛ وهي مؤسسات شبه مستقلة وغير مقيدة بمقررات أو مناهج تعليمية معينة ، ولم تستطع هذه المؤسسات بمناهجها الجامدة أن تصمد أمام متغيرات العصر

« لقد كانت المدارس في أواخر عهد السلطان عبد الحميد في حالة سيئة للغاية، حيث كانت تعاني من كم المناهج والمواد الدراسية الجامدة التي لم تتغير منذ القرن الخامس عشر والمباني المتصدعة وعدم وجود مرافق للطلاب بها، بالإضافة إلى مصار الدخل المستقلة التي تعتمد على الأوقاف التي خصصتها الحكومة المركزية لها عام 1840م، وكان هذا نتاجا طبيعيا لفترة طويلة من التدهور عجل به الإصلاح التعليمي الذي قامت به التنظيمات الأولى والذي قام به بعد ذلك السلطان عبد الحميد نفسه»²

وتميزت فترة السلطة الحميدية بعدة إنجازات ضخمة في المجال التعليمي والثقافي من خلال الإصلاحات التي قام بها وبتغيير النظام القديم بنظام جديد غربي كإنجاز الكليات والمعاهد

« تأسيس الكثير من الكليات والمعاهد العليا ومن أهمها كلية الهندسة ، كلية الطب ، أكاديمية الفنون الجميلة... الخ ، إلى جانب هذا مئات المدارس والمكتبات والمتاحف كما فتح مستشفى للأطفال والعساكر ودار للعجزة ، كما قام بتطوير البوليس وأمن النيابة العامة»³.

وهذا يدل على إستبدال النظام السائد وإدخال النظام الغربي وبالتالي إتباع المناهج التي تتبعها لذلك داخل المجتمع العثماني

¹ -Tharaud jerome et Jean Tharaud, **petite histoire des juifs** , Editeur Plon, paris, 1927, p 29.

² - شكران واحدة ، المرجع السابق ، ص 79.
³ - إبراهيم بك حليم ، المرجع السابق ، ص 372.

« أستبدلت المدارس الدينية والمؤسسات التعليمية برمتها بالأنظمة القانونية والتعليمية ذات الطابع الغربي التي جاءت بها التنظيمات »¹

الفرع الأول :تعريب الدولة

فقد حاول السلطان "عبد الحميد الثاني" إدخال اللغة العربية كلغة رسمية للدولة في الحكومة والتعاملات، وإصطدم مع القوميين الأتراك الذين خافوا من زوال التحكم والسيطرة التركية على الدولة لو عربت الدواوين , وكان يهدف "السلطان" من ذلك القضاء على القوميات الناشئة والمتنامية، ليس عند الأتراك فقط ولكن عند العرب خاصة بالشام ومصر؛ ذلك لأن القومية العربية ظهرت كرد فعل للقومية التركية.

الفرع الثاني : إصلاح التعليم

رأى "عبد الحميد الثاني" أن نظام التعليم والمدارس التركية أصبحت معامل لتفريغ أتباع الفكر القومي والعلماني والمتغربين والمفتونين بفكر والنودج الغربي خاصة بأوربا ؛ لذلك إتخذ قرارات سريعة لإصلاح التعليم وكل ما يساهم في تعزيز الفكر القومي .

« ألغى كل المواد التعليمية التي تساعد على إذكاء الشعور القومي والتغريب، وضع مناهج مواد شرعية في المدارس الأولية حتى الثانوية (فقه ، تفسير، أخلاق)، جعل المدارس والجامعات تحت رقابته وإشرافه الخاص مباشرة، منع الاختلاط في المدارس والجامعات، وأنشأ مدارس خاصة بالنساء وأنشأ مدرسة العشائر والتي تقوم فكرتها على تعليم أبناء العشائر والقبائل العربية بإستانبول، والدراسة فيها يغلب عليها الجانب الشرعي مع بعض علوم الرياضيات واللغات، وكان الهدف منها إعداد جيل صالح من قادة الأمة، والتواصل مع المسلمين في أرجاء الدولة العثمانية الكبيرة»².

فقد قاومت المشاريع الإصلاحية التي دعا إليها بعض العلماء في فترات مختلفة كما عارضت فكرة إقامة المطبعة ؛ لأنها قادمة من الدول النصرانية .مما خلق صراع بين التعليم القديم والحديث

¹- شكران واحدة ، المرجع السابق ، ص 79.

²- خلع السلطان عبد الحميد .. السقوط الحقيقي أنظر الموقع : <http://islamstory.com> يوم 25-04-

« غير أن بعض السلاطين إستطاع القيام بمشاريع إصلاحية سمحت بابتعاث الطلاب إلى المدارس الأوروبية وافتتاح مدارس متوسطة ذات نهج حديث ، وهو ما عرف "بالمكتب" ، وبذلك ، نظرا لما كان يجلبه من إمتيازات لطالبيه ، وإنما إستقدمت المدرسين الغربيين للعمل في المدارس والكليات العسكرية ، وسمحت بإقامة مؤسسات تعليمية أجنبية بإشراف الحكومات الأوروبية مباشرة وفي عاصمة الخلافة»¹

وبذلك نستنتج أن من خلال إستحداث التعليم الحديث الذي يتميز بالمناهج الغربية أدى إلى إنتشار الغزو الثقافي الغربي للدولة ، وقويت حركة ترجمة الفكر الأوروبي مما أدى إلى التضييق على التعليم الديني والعمل على إلغاءه من خلال إستبداله بالمناهج الغربية في مراحل التعليم بهدف تنشئة أجيال تعتمد على العلوم المادية بالإعتماد على علوم الحضارة الغربية كمنهاج للتقدم والرفي لأن التعليم القديم سبب في التخلف والركود.

« ألغى وزارة الأوقاف والمدارس الدينية وحول الجوامع إلى متاحف ومنع رحلات الحج والعمرة، وألغى الحجاب والحروف العربية، وألزم الأتراك بالتعبد باللغة التركية، ونقل الإجازة الأسبوعية ليوم الأحد مثل النصرى، وألزم الناس لبس القبعة الفرنجية، وألغى الأعياد والمناسبات الدينية»²

المطلب الرابع: الأوضاع الإقتصادية للدولة العثمانية

كانت الدولة من الجانب الإقتصادي تتميز بالتدهور نتيجة الديون كما أنها كانت سببا في سقوط الدولة فيما بعد مما جعل الدول الأجنبية تتدخل في شؤونها الداخلية وبتالي لها دور في سقوطها.

« كان الإقتصاد العثماني متدهور ويعاني من الديون المقدرة بمليون ونصف مليون جنية، هذا ما ذكره "هرتزل" خلال الإجتماع مع السلطان "عبد الحميد الثاني" في 18 ماي 1901م ومقابلته مع حاخام اليهود في تركيا "موسى بيبي" Moshe levy "ومترجم القصر الخاص "ابراهيم بك" ، وبقي هرتزل أياما أخرى

¹- محمد أنيس، المرجع السابق ، ص 135.

²- هشام عبد المنعم ، مصطفى كمال أتاتورك ، أنظر الموقع <http://islamstory.com> يوم 2016-07-11

في أستانبول يحاول الإتصال بالشخصيات التركية مثل " عزت بك" و"ابراهيم بك" و " نوري بك" للتباحث معهم بشأن القروض اليهودية لتغطية العجز المالي في الدولة»¹.

بالرغم مما كانت تعانيه الدولة العثمانية من ضعف وتدهور الجانب الإقتصادي إلا أن هناك إصلاحات قام بها السلطان " عبد الحميد الثاني" إنعكست إيجابا على هذا القطاع.

« تميزت فترة حكمه بعدة إنجازات ضخمة على جميع المستويات على المستوى التعليمي ، الثقافي ، السياسي والعسكري بتطوير الأمن والبوليس وأمن النيابة إلى جانب هذا الجانب الإقتصادي الذي له دور كبير في الدولة العثمانية ، كما أنه أصدر مجلتي العقوبات والتجارة ، كما أسس مينائي "إستانبول" و "إزمير" وفتح معامل للسجاد والجلود والسجائر»².

كما أنه بعد خلع السلطان عام 1909م تضمن التطوير الإقتصادي ولكن الجهاز التركي الإقتصادي كان ضعيفا ولا يمكن أن يقف وحده بدون دعم ، وبالتالي أصبح اليهود المسيطر على الجهاز الداخلي للدولة ، يعملون على السيطرة الإقتصادية والصناعية في تركيا الفتاة.

من خلال هذا نلاحظ أن أثناء هاته فترة حكم السلطان "عبد الحميد الثاني" أنجز عدة إصلاحات تميزت في جانبها السياسي والعسكري والإجتماعي منها التعليم والمستشفيات ودار العجزة...الخ والجانب الإقتصادي كتأسيس الموانئ التي تعتبر من أهم الموانئ إلى يومنا هذا ، كما إهتم بالجانب تأمين وحماية المواطنين وذلك بتطوير البوليس وأمن النيابة وفي تطوير إقتصاد من خلال المعامل المنتجة للجلود والسجاد...الخ ، كما أنه إهتم بالجانب الثقافي كغيره من الجوانب الأساسية الأخرى بإضافة المتاحف وبأكاديمية الفنون الجميلة من أجل المحافظة على هوية وثقافة الدولة العثمانية آنذاك.

¹- حلاق حسان ، المرجع السابق ، ص 176.

²- إبراهيم بك حليم ، المرجع السابق ، ص 372.

المبحث الثاني : قيام النظام الجمهوري و إلغاء الخلافة العثمانية

إن المرحلة التي تلت خلع السلطان تعتبر مرحلة ما بين 1908-1922 تعتبر آخر مرحلة من مراحل الدولة العثمانية والتي إنتهت بزوال الدولة العثمانية. كان عام 1908 نقطة تحول جوهرية في عهد عبد الحميد وفي تاريخ الدولة العثمانية. وعرف عن هذا السلطان سعيه لترسيخ نظام الخلافة الإسلامية وأطلق شعار "يا مسلمي العالم إتحدوا"، وكان عهده من أكثر أوقات الدولة العثمانية نجاحا وصعوبة في الوقت ذاته.

المطلب الأول : الدولة العثمانية إبان فترة السلطان محمد رشاد خان الخامس

« ولد المشار إليه سنة 1844م وجلس سنة 1909م على الحكم بالغا من العمر 56 سنة دامت مدة حكمه بتسع سنوات بعد خلع السلطان "عبد الحميد الثاني" عن الحكم. ليتولى هو الحكم قضى معظم فترات حياته في قصر زنجيرلي محاطا بالجواسيس الذين يرصدون حركاته ويقدمون التقارير المشوهة عنه في عهده إستلم حزب الإتحاد الترقى الحكم الفعلي بالبلاد وكانت سياسته قومية تهدف إلى تترك شعوب الإمبراطورية وقد أدت هذه السياسة إلى تغذية الحركات القومية وكثرة الثورات وتفليس الخزينة»¹

ومن خلال هذا نلاحظ أن السلطان كان بمثابة أداة طيعة بيد الإتحاديين الذين أصبحوا مسيطرين على جهاز الحكومة ومقدرات الدولة ومنه تغير النظام في تركيا وأن الحكم الجديد أصبح خاضعا ليس فقط للنفوذ السياسي الصهيوني وإنما للنفوذ الإقتصادي أيضا.

« بعد ثلاث سنوات من حكمه إحتلت بريطانيا طرابلس الغرب 1910م وتلتها ثورة البلقان وإعلان إستقلال بلغاريا ، وفي سنة 1912م دخلت الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى مؤازرة الدول الوسط وخرجت منهزمة كما فقدت كل أراضيها العربية»²

توفي السلطان "محمد رشاد خان الخامس" سنة 1916م . قبل بضعة أشهر من إستلام بلاده للحلفاء. ليخلفه بعد ذلك السلطان "محمد وحيد الدين" أو المعروف "بمحمد السادس".

¹ - إبراهيم بك حليم ، المرجع السابق ، ص 375.

² - إبراهيم بك حليم، نفس المرجع ، ص 375.

المطلب الثاني : الدولة العثمانية في عهد السلطان "محمد وحيد الدين" أو "بمحمد السادس"

ولد سنة 1860م وحكم سنة 1918م عن عمر يناهز 57 عاما كانت مدة حكمه أربع سنوات

« ولد في 1860م وجلس سنة 1918م لمدة أربع سنوات عن بالغا من العمر سبعة وخمسون عاما بعد إعتلائه العرش كانت الحرب العالمية الأولى على نهايتها واجبره الحلفاء على تسليم الأسلحة ووضع كل الصناعات الإستراتيجية تحت الرقابة وإستولوا أيضا على مضيق الدردنيل والبوسفور ولم يبد أية مقاومة بينما رفض "مصطفى كمال أتاتورك" حركة المقاومة إنطلاقا من الأناضول وأعلن إلغاء "سلطنة محمد وحيد الدين" الذي أصبح لعبة في يد الحلفاء فحكم عليه السلطان بالإعدام ، وتمكن "مصطفى كمال" من تحرير إزمير وطرد الحلفاء من تركيا وأعلن المجلس التركي حل السلطة سنة 1920م وذلك بتجريد السلطان من سلطته السياسية وأبقى على سلطته الدينية على إعتباره خليفة للمسلمين وفي سنة 1922م تم تجريده من هذه السلطة»¹

كانت وفاته سنة 1923م في سان ريمو بإيطاليا عن عمر يناهز 65 عاما ونقل جثمانه الى سوريا ودفن في فناء جامع السلطان "سليم".

وبهذا يعتبر خلع السلطان "محمد السادس" كآخر سلطان يحكم الدولة العثمانية في أواخر زوالها. وهكذا كانت نهاية الخلافة الأخيرة ، بإعتبار أن الإطاحة وخلق السلطان "عبد الحميد الثاني" كانت بمثابة السقوط الحقيقي للدولة العثمانية.

المطلب الثالث : قيام الجمهورية التركية

شهدت تركيا بعد الحرب العالمية الأولى حركة قومية قادها "مصطفى كمال أتاتورك" والتي تعني "أبو الأتراك"، وأعلن تركيا الجمهورية فتولى رئاستها عام 1923، حتى وفاته عام 1938، وقد تمكن من إحلال نظام علماني في البلاد، وأرسى أيضا عددا من العادات الغربية إحقا للبلاد بأوروبا ومنها وإستبدال الكتابة بالأحرف العربية إلى اللاتينية.

المطلب الرابع : سياسة كمال أتاتورك

¹ - إبراهيم بك حليم ، نفس المرجع ، ص 379.

إنتهج " مصطفى كمال أتاتورك" سياسية تركز على المفاهيم الطورانية* ، ويمكن إجمال هذه السياسة فيما يلي :

« إبعاد وعزل العناصر العربية التي عينها السلطان المخلوع "عبد الحميد الثاني" من المناصب الحكومية بعد أن وجهت لها مختلف التهم ، وكانت نسبة المعزولين منهم عالية حتى لم يبق في الوزارة الخارجية العثمانية من العرب سوى موظف واحد»¹.

ورغم هذا الإجراء الذي يتنافى مع الوزن الديمغرافي الذي يمثله العنصر العربي في الخريطة السياسية العثمانية حيث بين هذا الباحث "برج محمد عبد الرحمن" ذلك :

« في إنتخابات مجلس المبعوثان التي أعقبت المشروطية الثانية من بين 275 وهو مجموع أعضاء المجلس، لم يكن نصيب العرب سوى 50 نائبا ، رغم أنهم يمثلون خمس سكان الإمبراطورية ، أما نصيب الأتراك فكان 152 نائبا»².

« تهميش اللغة العربية وإحتقارها ، وإعتبار اللغة التركية لغة إجبارية وإلزامية في الإدارة والمدارس الحكومية ، أثار هذا المسلك من جانب الإتحاديين ردود فعل قوية خاصة من الطبقة المثقفة والعرب ،فإندلعت حرب على صفحات الجرائد منددة ومستنكرة سياسة التتريك وطالب البعض من المثقفين من الاتحاديين إعتبار اللغة العربية لغة رسمية في البرلمان على غرار ما هو جاري تطبيقه في النمسا التي تقرر بوجود ست لغات رسمية»³.

لقد أثبتت السياسة التركية في ما بعد تناقضها والدين الإسلامي وأسس ومبادئه ، فما سياسة "مصطفى كمال" أبي الأتراك إلى إقتلاع هذا الدين من المجتمع التركي بمحاربة تمظهراته وذلك من خلال ترجمة القرآن من لغته الأصلية العربية إلى التركية وإلغاء الحجاب... إلخ

* - هي سياسة عنصرية طورانية هدفها إحياء أمجاد الأوائل ، وربط الأتراك المحدثين بالأقدمين عن طريق إحياء التراث الحضاري القديم .

¹- سليمان موسى، الحركة العربية الحديثة 1908-1924م ، دار النهار العربي للنشر ، بيروت ، 1977م ، ص 26.

²- برج محمد عبد الرحمن ، دراسة في التاريخ العربي الحديث والمعاصر ، مكتبة الأنجلو المصرية للنشر ، القاهرة ، 1940م ، ص 119.

³- برج محمد عبد الرحمن ، نفس المرجع ، ص 124.

« ترجمة القرآن إلى التركية وإلغاء الحجاب ومنع المظاهر الإسلامية واستبدالها بالمظاهر الغربية ، سوى دليل واضح على العدوانية التركية حيال الإسلام»¹ .

« في سنة 1925م منع الكماليون الطرق الصوفية ، وأغلقوا التكايا والزوايا ، ومنعوا الزي الديني والوطني ، وألزموا موظفي الدولة بلبس القبعة»²

وهكذا نلاحظ أنه تم فرض القوانين التي تخالف الدين حتى قبل الإعلان الرسمي للعلمانية ، حيث شكلت لجنة من رجال القانون لتتريك القانون المدني السويسري وأخرى لشرحه ، وألغى العمل بالشريعة الإسلامية حتى في الأحوال الشخصية ، وتم إستبدال الحروف العربية باللاتينية والتقويم الإفرنجي "الميلادي" بدل التقويم الهجري .

وأكد "كمال أتاتورك" حرصه الشديد على محو النفوذ الديني من شؤون الحياة كاملا بقوله :

« إنه ليس لتركيا الجديدة علاقة بالدين، وإن ذكر الدين الإسلامي في الدستور التركي

عام 1924م إثر إلغاء الخلافة لم يكن إلا مجارة للأفكار القديمة البالية ، ولكن ذلك مقضي عليه بالزوال»³

وبناء على منهج أتاتورك للعلمانية تم صياغة وإصدار قرارات حول الدين اللغة العربية

« تمنع قراءة القرآن الكريم وكل ما يمت إلى اللغة العربية بصلة ، وتم تتريك كل ما

يتعلق بالصلاة وغيرها من الشعائر الإسلامية . ، فأصبح تعلم القرآن الكريم أو أي علم إسلامي باللغة العربية جريمة يساق صاحبها إلى المحاكم بحجة معارضة قانون الحروف اللاتينية »⁴ .

ولم يكتف "كمال أتاتورك" بغلق الزوايا والتكايا والطرق الصوفية فحسب ، بل صدر في 25 نوفمبر 1925م قانون ينص على أن جميع أعضاء المجلس والموظفين والعاملين في جميع

¹ - عضيد جواد الخميسي، مفهوم القومية التركية (الطورانية) وجرائم الإبادة، الحوار المتمدن، العدد4694، 2015. أنظر الموقع : <http://www.ahewar.org> / يوم 25-03-2016.

² - أحمد السعيد سليمان ، التيارات القومية والدينية في تركيا المعاصرة ، دار المعرفة ، القاهرة ، 1961م ، ص64.

³ - محب الدين الخطيب ، أنقرة والدين الإسلامي . مجلة الفتح ، دار المطبعة السلفية ، القاهرة ، العدد 69 ، 1927م ، ص ص 280 - 283.

⁴ - سهيل صابان ، المرجع السابق ، ص 270

المؤسسات الرسمية والخصوصية إكتساء القبعة التي إكتستها الأمة و أصبحت غطاء الرأس المعمم على جميع الشعب التركي .

« أن قانون 25 نوفمبر 1925 يحدد الزي العلمي لرجال الدين فقد أقر المجلس أن تكون العلامة المميزة لزي العلماء العمامة البيضاء والجبّة السوداء ، وأما قانون لبس القبعة " Sapka " فكان نتيجة أن تحقق المظهر الغربي الخارجي للجمهورية التركية ، وكان الشيوخ ورجال الدين يجبرون على إرتداء القبعة وهم على أعواد المشانق»¹.

¹- إبراهيم الدسوقي شتا ، الحركة الإسلامية في تركيا ، الزهراء للإعلام العربي للنشر ، القاهرة ، 1986م ، ص 40.

المبحث الثالث : عوائق الإصلاحات والتنظيمات وآثارها

المطلب الأول: عوائق الإصلاحات

الفرع الأول : المصاعب المالية

كانت الدولة العثمانية تعاني من مرحلة التنظيمات وبالتحديد بدءا من عام 1869م ، إذ كانت تمثل أخطر أزماتها المالية التي كانت تتصاعد سنة بعد سنة

« عام 1869م كانت الدولة تشهد إفلاسا رهيبا ، فقد ارتفع الدين العام العثماني إلى ما يقارب المليار فرنك، وكحل لهذه الأزمة إتجهت الدولة نحو التقليل من الإنفاق على الإدارة و المؤسسة العسكرية فانعكس هذا بدوره سلبا على سلوك الموظفين والمسؤولين بقبولهم الرشاوي وميلهم إلى إختلاس أموال الدولة»¹.

الفرع الثاني : طبيعة الإصلاح والمصلحين

تتمثل حقيقة في الطبقة المثقفة التي حملت لواء التحديث ومناهضة له وبالتالي كانت طبقة تؤمن بحتمية الإصلاح، لكنها لم تكن ثورية بالدرجة الكافية ، فبينما أدخلت نظم التعليم الأوربي في مدارس الدولة بقيت المعاهد الدينية دون أن تمتد إليها يد الإصلاح وبذلك تميزت الحياة الفكرية في الدولة بالإزدواجية بين التعليم القديم والتعليم الحديث .

« ظلت الطبقة المثقفة الجديدة تمثل النخبة التي تفصلها عن الجماهير وعن طبقة العلماء هوة سحيقة ، فبينما كانت طبقة العلماء تعيش على التراث الفارسي والعربي كانت الجماهير تعيش على قيم وأساليب بدائية وفي نفس الوقت كانت الطبقة المثقفة تعيش على أفكار أوربية باهتة»².

¹- الغالي غربي ، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي 1288-19166م ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2007م ، ص 160.

²- نفس المرجع ، ص 161.

الفرع الثالث : الجهل

من الصعوبات الداخلية التي كانت تمثل عائقا في وجه هاته الإصلاحات تمثلت في الجهل وغلبته في المجتمع العثماني ما عدا فئة قليلة ، زيادة على ندرة المتعلمين الذين يتفقهون الإصلاح ويؤمنون بأهميته في إنقاذ الدولة ويتجلى لنا ذلك من خلال مؤشرات تثبت هذا الجهل في الدولة والتي تمثلت في إفتقاد الدولة لأخصائيين في جميع الأصعدة خاصة المجال الإقتصادي الذي تميز بالتدهور .

« إفتقاد الدولة إلى الخبراء الماليين والإقتصاديين الذين يتفادون الأخطاء المالية التي أرتكبت ، كإنخفاض قيمة العملة وتفاقم التضخم وإصدار عملة ورقية دون تغطيتها بحسب الأصول العلمية المتعارف عليها»¹.

بالإضافة إلى ذلك ولطبيعة النظام الإقطاعي التقليدي الموجود كان هناك معارضة الطبقات الإقطاعية التي كان وجودها يعتمد على النظام الإقطاعي والإجتماعي التقليدي وبالتالي الحرص الشديد على مصالحها القائمة لإعتبارهم أن أي تغييرات قانونية أو سياسية يمكن أن تعرض وضعها إلى الخطر

« معارضة الطبقة الإقطاعية لهذا راح رموز هذه الطبقة والشريحة الإجتماعية المنتفذة في دواليب الدولة بإفتعال الأزمات الداخلية لعرقلة تطبيق هذه التنظيمات»².

الفرع الرابع : المركزية الحكومية

كانت التنظيمات تهدف أساسا إلى مركززة السلطة العثمانية عبر إضعاف وسائط السلطة المحلية فيها وتحويل هذه الوسائط إلى وظائف إدارية متخصصة ومرتبطة إرتباطا وثيقا بالقرار المركزي الصادر عن الأستانة

¹- أحمد طربين، تاريخ المشرق العربي المعاصر، مطبعة طربين للنشر والتوزيع ، دمشق، 1981م، ص 253.
²- وجيه كوثراني، السلطة والمجتمع والعمل السياسي من تاريخ الولاية العثمانية في بلاد الشام، مركز الدراسات الوحدة العربية للنشر والتوزيع ، بيروت ، 1988م ، ص 84.

«كان الهدف وراء التنظيمات الإستغناء والتخلص من المواقع والأدوار التي كان يقوم

بها الأعيان والعلماء والمشايخ ومشايخ الحرف والنقباء»¹.

غير أن الدولة فشلت في بناء إدارة مركزية قادرة على تلبية إتساع السلطة وعلى إنشاء عساكر نظامية قادرة على تغطية أمن كل الولايات وعلى إقامة شبكة من المواصلات التي تؤمن سرعة الإنتقال ليس للسلع وحسب وإنما أيضا بشكل أساسي سرعة وصول القرار الإداري وتنفيذه ، لذلك كانت المعاناة وعلى رأسها القصور الحكومي المركزي وشكواه من سوء التطبيق والبطء وفساد الإدارة ، يشدد على عنصر من عناصر أزمة التنظيمات وهو عدم أخذها مبدأ التنوع الإجتماعي و الجغرافي والعرقى في البلاد العثمانية بعين الإعتبار.

الفرع الخامس : الإمتيازات الخارجية

لم تمس الإصلاحات النظام الداخلي فقط بل تعدت ذلك ومست النظام الخارجي فيما يخص الإمتيازات الأوروبية فقد فتحت أبواب السلطنة على مصراعيها أمام الدول الأوروبية لممارسة أنشطتها الإقتصادية والسياسية والتبشيرية .

« ترسيخ الإمتيازات الأجنبية القديمة وتوسع إطارها في مختلف مجالات الحياة العامة

السياسية والإقتصادية والثقافية والإجتماعية وهذا كله أدى إلى مزيد من التغريب الذي إستفادت منه فئات إجتماعية غير إسلامية والتي سوف يحتل البعض منها مواقع مهمة في الهيكلية الإدارية الجديدة»²

ومن هنا يمكن أن نلاحظ أن الرأسمال الأجنبي ومدى تأثيره داخل الدولة العثمانية حيث بدأ يتغلغل في السلطنة ومنه إدخال النظام الأوربي والقروض الأجنبية ليسيطر بفضل نظام الإمتيازات على صادرات الدولة ووارداتها وعلى البنوك والسكك الحديدية والمرافق الحيوية الأخرى كمصادر الطاقة والمياه والتعدين العثماني، لنرى فيما بعد إكتسب الرأسمال الأجنبي السيطرة على صادرات الإمبراطورية ووارداتها وسككها الحديدية وموانئها وإمداداتها الطاقية والمياه ومصادر تعدينها وأصبح الحصول على عقود إمتياز للمناجم والسكك الحديدية سهلا.

¹ - مصطفى أحمد عبد الرحيم ، في أصول التاريخ العثماني ، دار الشروق للطباعة والنشر ، بيروت ، 1982م ، ص 188.

² - وجيه كوثراني، المرجع السابق ، ص 84.

«بعد رفع الحضر على بيع الأراضي للأجانب عام 1867م إستخدام الإمتيازات كمضلة للتدخل في شؤون الدولة مما يبين الإحتكاك بالعالم الغربي والتعرف على أنظمتها السياسية الغربية وإقتباس مفاهيم جديد كالحرية والديمقراطية والدستور والإستفادة من التطور السياسي والإقتصادي والعسكري الذي وصل إليه الغرب»¹

الفرع السادس : الحروب الخارجية

إهتمام الدولة العثمانية بما يعرف بالحروب البلقانية وبالتالي عدم الاهتمام بالجانب الإصلاحية التي كانت تقوم به.

« أدى إنشغال الدولة العثمانية بالثورات البلقانية التي كانت تدعمها وتؤازرها الدول الأوروبية خاصة روسيا ، إلى إنصراف الدولة عن التركيز على مشاريع الإصلاح وإلى التفكير في الدفاع عن ولاياتها ، فصار الباب العالي مع وجود هذه الإرتباكات والأخطار الخارجية والحروب مضطر إلى أن يستخدم في المجهود الإستعداد للدفاع عن جميع مواردها وما عندها من مال لإصلاح الحال ولم تركز على تنظيم الأحكام»².

المطلب الثاني : آثار التنظيمات ونتائجها

من أهم الآثار التي ترتبت عن تطبيق الإصلاحات و التنظيمات تلك التي مست صلاحيات القاضي وتقليصها وبالتالي تقليص دوره في الحياة السياسية في المجتمع العثماني

« تقليص صلاحيات القاضي التي يتمتع بها بموجب النظام الشرعي والعرفي القديم ، فقد تقلص موقعه هنا إلى وظيفة إدارية "مفتش" ، ولم يبق من صلاحياته الشرعية الواسعة سوى حق النظر في الأحوال الشخصية للمسلمين العثمانيين»³.

« ترسيخ الإمتيازات الأجنبية القديمة وتوسع إطارها في مختلف مجالات الحياة العامة السياسية والإقتصادية والثقافية والإجتماعية وهذا كله أدى إلى مزيد من التغريب الذي إستفادت منه فئات إجتماعية غير إسلامية والتي سوف يحتل البعض منها مواقع مهمة في الهيكلية الإدارية الجديدة»¹.

¹ - أنظر الموقع : <http://www.ouarsenis.com> يوم 2016-02-25

² - أحمد طربين ، تاريخ المشرق العربي المعاصر ، مطبعة طربين للنشر والتوزيع ، دمشق ، 1981م ، ص 253.

³ - حرب خوري ، طبيعة السلطة السياسية وتوزعها في دمشق 1860-1908م ، ص ص 457-465.

رغم أن منشور التنظيمات 1856م أقر مبدأ المساواة بين جميع الفئات بغض النظر عن إنتمائها من غير المسلمين ، إلا أن الحكومة لم تستطع أن تطبق هذا المبدأ تطبيقاً مطلقاً

« منشور التنظيمات 1856م مبدأ المساواة بين تبعه الدولة فقد ظلت الخدمة

العسكرية مقصورة على المسلمين دون غيرهم بينما دفع المسيحيون البديل كما ظلت الوظائف العامة بصفة عامة ولاسيما الإدارية والقضائية محصورة في يد المسلمين»²

إستمرار الدول الأوربية بالتحجج و الإدعاء بحماية الطوائف المسيحية وزيادة ترابط الطوائف المسيحية بفعل القوانين التي أصدرتها الدولة من أجل تنظيم شؤون البطرقيات والأسقفيات وتكوين المجالس المليية كما أشرنا سابقاً بالإمميزات الأجنبية الدينية التبشيرية

عرفت الحركة الفكرية والتعليمية إنتعاشاً ملحوظاً وذلك بسبب إنتشار موجة المدارس التي هدفت الدولة من ورائها تخريج ضباط عسكريين وموظفين مدنيين يساهمون في تكوين الجهازين العسكري والإداري وهكذا تمكنت من التدخل في شؤونها.

« أكثرت الدولة من إنشاء المدارس الحديثة لاسيما العسكرية منها ورغم مساهمة

الدولة في إنشاء المدارس المدنية إلا أن نشاط الجمعيات والإرساليات التبشيرية الكاثوليكية والبروتستانية كان قوياً في مجال الثقافة والتعليم»³ .

كما تم خلق إزدياد الإحساس بالإنتماء إلى الحضارة وإلى الأمة العربية وهكذا ساهمت التنظيمات الخيرية في حركة اليقظة الوطنية العربية والإسلامية.

« كانت التنظيمات أول أعراف رسمي بالمساواة المدنية والإجتماعية بشكل واسع

بين جميع الرعايا الدولة العثمانية أسهمت في الوقت نفسه في إزدياد التكتل الطائفي عندما منحت لرجال الدين صلاحيات كثيرة مكنتهم من صيانة مفاهيمهم الطائفية»¹

¹ - وجيه كوثراني، المرجع السابق ، ص 84.

² - محمد أنيس ، الدولة العثمانية والشرق العربي 1514-1914م ، مكتبة الأنجلو المصرية للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى ، 1993م ، ص 218.

³ - محمد أنيس ، نفس المرجع ، ص 218.

« زاد تطلع مختلف الملل نحو أوروبا كل بحسب ميولها ومبشرها لتحقيق مزيد من

المكاسب الاجتماعية والإقتصادية بواسطتها»².

فبالرغم من التقصير الذي أصاب تطبيق التنظيمات عمليا إلا أن الدولة العثمانية طبقت إلتزاماتها تجاه رعاياها من غير المسلمين التي وردت في منشور كلخانة ، فيما يتعلق بأمنية الروح والشرف والمال . إذ أبطلت عادة مصادرة الأموال ووضع حد لتلك التعسفات التي كانت تصدر من الولاية والباشوات وضباط الإنكشارية وبذلك تمتع الرعايا بما فيهم المسيحيون واليهود بما يملكون علنا ، بعد أن كانوا يضطرون إلى إخفاء ثرواتهم والتظاهر بالفقر ، كما تمتعوا بحرية أكثر من ذي قبل.

رغم كل النعوت والأوصاف السلبية التي توجه إلى عصر السلطان " عبد الحميد الثاني" من طرف المدرسة التاريخية الغربية وإجماع رموزها على إعتبره من أحلك عصور الدولة العثمانية ، إلا أن حركة الإصلاحات لم تتوقف في عهده بل شهدت تطورا ملحوظا وبخاصة في مجال التعليم فقد زاد عدد المدارس التعليم الحديث وعدد طلبتها وكانت ملكية المؤسسة الأولى للتعليم العالي والتي ظلت مركزا فكريا مهما ، موثلا للأفكار الحرة المعادية للإستبداد ، زيادة على هذا أنشأ حوالي ثمانية عشر مكتبا حديثا لمختلف الصنائع والعلوم والفنون كالمالية والحقوق والفنون الجميلة والتجارة والهندسة المدنية والبيطرة والشرطة والجمارك والطب

« أفتتح أول جامعة في الدولة العثمانية هي "دار الفنون" كان مقرها الآستانة ،

أما في ميدان القوانين فقد صدر في عهده أربعة قوانين مهمة إثنان منها يتعلقان بتنظيم المحاكم والباقيان بالإجراءات المدنية ، أما القوات العسكرية العثمانية كانت من أولى الأولويات التي إهتم بها السلطان فقد زود هذه القوات بالخبرة الأجنبية من خبراء ومدربين من الدول الأوروبية وبصفة خاصة من ألمانيا ، التي أرسل إلى

¹ - أميل ثوما ، تاريخ مسيرة الشعوب العربية الحديث ج 1 ، ، دار الفارابي للطباعة والنشر ، بيروت ، 1979م ، ص 81.

² - محمد مخزوم ، أزمة الفكر ومشكلات السلطة السياسية في المشرق العربي في عصر النهضة ، معهد الإنماء العربي للطباعة والنشر ، بيروت ، 1986م ، ص 35.

كلياتها عدد من الضباط العثمانيين لمتابعة الدراسة فيها ونشطت حركة ترجمة الكتب ذات الطابع العسكري من طرف الضباط العثمانيين من اللغات الأوربية إلى التركية»¹.

كذلك في عهد " عبد الحميد الثاني" تميز بالإستثمار وبالتالي إرتفاع الرأسمال الأجنبي

«إزداد حجم رؤوس الأموال الأجنبية التي إستغلت في إستثمار موارد الدولة

الإقتصادية»².

المطلب الثالث : الآثار الإيجابية كل من الجامعة الإسلامية وخط سكة حديد الحجاز

نلاحظ من خلال تتبع التاريخ العثماني أن فترة "السلطان عبد الحميد الثاني" كانت فترة تمتاز بالضعف والتراجع والإنعكاسات السلبية على جميع الأصعدة منها السياسية والإقتصادية والإجتماعية وحتى الثقافية والدينية إلا أنه لا يمكن التغاضي عن ما حققه السلطان من إنجازات كانت لها تأثيراتها الإيجابية داخل الوسط المجتمع التركي وعلى بلدان العالم الإسلامي كمشروعي " الجامعة الإسلامية " و" السكة الحديدية الحجازية للشامية" كانت من بين الإنجازات الهامة والإيجابية على الصعيد الإسلامي العثماني وللعالم الإسلامي كافة ، لذلك سأحاول أن ابين الجوانب الإيجابية لهذين المشروعين في عهد السلطة الحميدية في وسط وصفه المؤرخين لتاريخ الدولة العثمانية بأحلك مراحل الدولة العثمانية ونهاية عهدها .

الفرع الأول : " عبد الحميد الثاني" والجامعة الإسلامية

فكر السلطان عبد الحميد في قيام الجامعة الإسلامية ، وما دفعه إلى ذلك أسباب من أهمها أن دولة الخلافة العثمانية كانت تمر في ذلك الوقت بأسوأ مراحل تاريخها ، فإن نفوذها على العالم الإسلامي بدأ ينكمش ، ودورها القيادي أخذ يتقلص. ووسط الأحداث التي هزت كيان الدولة العثمانية رأى السلطان عبد الحميد فقد أقر باقامة جامعة إسلامية تعيد لم شمل العالم الإسلامي

¹- الغالي الغربي ، المرجع السابق ، ص 160

²- نفس المرجع ، ص 160.

« رأى استغلال الوازع الديني في هذه البلاد ليقوم عليه مشروعاً يحيا به الخلافة الإسلامية في الأستانة مرة أخرى . من هنا كانت دعوة السلطان عبد الحميد لقيام فكرة " الجامعة الإسلامية " كرابطة دينية تجمع المسلمين في شتى العالم بعامة وفي المشرق الإسلامي بخاصة في جبهة واحدة . وهذه الجبهة تعمل تحت قيادة الخلافة في الأستانة " لتستظل بظلها ، ولتعتصم بأمنها»¹ .

الفرع الثاني : الجامعة الإسلامية وإنعكاساتها على الجانب الديني

من الجانب الديني كانت " الجامعة الإسلامية" قد قوت من شوكة السلطان " عبد الحميد الثاني " بإعتباره ممثل المسلمين ورافع لواء الجامعة ، وقد رأت أوروبا بأن السلطان إستطاع إستغلال المشاعر الدينية عند رعاياه خاصة وعند المسلمين عامة وبواسطة هذا الإستغلال يستطيع أن يهدد النفوذ الأوربي ليس في المناطق العثمانية فحسب بل أيضا في المناطق الإسلامية الخاضعة مباشرة للحكومات الأوربية

« بدأ السلطان يهدد الدول الأوربية بنصرة الإسلام لمنصب الخلافة ، فالمسلمون في ألبانيا يهدد بهم النمسا والمسلمون التتر والأكراد يهدد بهم روسيا والمسلمون في الهند يهدد بهم إنجلترا والمسلمون في الغرب يهدد بهم فرنسا»² .

« كما أنه أدى به الأمر إلى الإنتساب إلى أحد الطرق الصوفية الإسلامية لإرضاء نزعات بعض المسلمين وكسب تأييدهم»³ .

¹- محمد المعتصم ، الدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية وحركة الجامعة الإسلامية ، مجلة البحوث الإسلامية ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، العدد 3 ، 1977 م ، ص 266.

²- محمد أنيس ، المرجع السابق ، ص 243.

³- حلاق حسن ، المرجع السابق ، ص 270.

الفرع الثالث : دور الطرق الصوفية إتجاه الجامعة الإسلامية

«يعتقد أن السلطان عبد الحميد الثاني تبنى فكرة الجامعة الإسلامية ، بعد أن تبنى أفكار أبرز دعاة العالم الإسلامي حينها ممن حمل هذا المشروع وهم : "تامق كمال" في المجتمع التركي و"جمال الدين الأفغاني" و"محمد عبده" في العالمين العربي والإسلامي»¹

وأخذ السلطان عبد الحميد الثاني على عاتقه تنفيذ هذه الفكرة عمليا لكن هناك رأي آخر

« بغض النظر عن أهدافه الأخرى التي تسعى الى تثبيت حكمه وحكم بني عثمان والتي تعتبر هدفه الأساس في الوقت نفسه الذي دعت الطرق الصوفية إلى إعطاء مسحة مقدسة للسلطان فهو في نظرهم شخصية دينية جليلة لا يجوز أن تطالها يد النقد والتجريح، وهو رمز لوحدة المسلمين، وعزتهم وفخرهم، وحامي الشريعة الإسلامية ، والقيم على تنفيذها»².

«بدأت الدعوة إلى الجامعة الإسلامية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، من خلال عدد من المفكرين المسلمين الذين دعوا إلى وحدة المسلمين في كفاحهم ضد الغزاة وقيام نهضة حقيقية في كل الميادين، تعتمد مبادئ الإسلام والعلم الحديث والتربية المعاصرة والتجديد في مختلف جوانب الحياة وكان أبرز هؤلاء : جمال الدين الأفغاني، والشيخ محمد عبده، ومحمد رشيد رضا، وعبد الرحمن الكواكبي، والطهطاوي وغيرهم»³.

الفرع الرابع : أسباب إعتقاد السلطان على الطرق الصوفية

لقد حاول السلطان "عبد الحميد الثاني" من أن يستفيد من هذه الفئات من المتنورين من جهة والصوفية من جهة ثانية لصالح تمتين حكمه، لقد كانت سياسته تمتاز بالحنكة حاولت جمع المتناقضات داخل العالم الإسلامي ووضعها في خدمة السلطان. وبالتالي معرفة الدور الذي

¹- سمير أبو حمدان، جمال الدين الأفغاني وفلسفة الجامعة الإسلامية، دار الكتاب العالمي للنشر والتوزيع، بيروت ، 1992، ص 78.

² - Bernard lewis ,The Ottman Empire in the Mid Nineteenth Century , a review Middle Eastern Studies, vol 4 , 1965, p3

³- محمد جلال كشك، القومية والغزو الفكري، مكتبة الأمل، الكويت ، ب سنة، ص192.

قامت به الطرق الصوفية تجاه الجامعة الإسلامية في هذه الظروف الصعبة التي تواجه السلطنة العثمانية وبالتالي معرفة الأسباب التي دفعت بالسلطان عبد الحميد الثاني إلى إعتماده على الطرق الصوفية .

من أبرز الأسباب مايلي :

« كانت السلطنة تتعرف على الرأي العام الإسلامي من خلال شيوخ هذه الطرق في مختلف أنحاء العالم الإسلامي من بلاد تركستان حتى شمال إفريقيا أن الدولة العثمانية كانت تعتمد على بعض الشيوخ الصوفية في تمثيل علاقتها مع المسلمين وخصوصا في الأماكن التي كان يراد فتحها. حيث كانوا يؤدون دورا إعلاميا دعائيا للسلطنة إتخذ السلطان "عبد الحميد الثاني" من هؤلاء المتصوفة متطوعين لخدمة سياسته وشكل رابطة بين مقر الخلافة. "إستانبول" وبين تكايا وزوايا الطرق في كافة أنحاء العالم الإسلامي. وكان السلطان قد تأثر شخصيا بالتصوف وبالتحديد بالطريقة الشاذلية، حيث كان لشيخه محمود أبو الشامات مكانة خاصة لديه إستمرت حتى وفاته»¹

ولعل أن نزعتة التصوفية وميله للمشايخ وفضوليته للتنبؤ بالمستقبل وتعلقه بهم ساعده في إستقطاب عدد منهم. لقد قرب السلطان عبد الحميد إليه مجموعة من شيوخ الطرق الصوفية من أمثال الشيخ "أبي الهدى الصيادي" من حلب والشيخ "محمد ظافر المدني" من طرابلس الغرب . والشيخ "سعيد" من حمص، والشيخ "أحمد القيصرلي" من المدينة المنورة و"فضل العلوي" من حضرموت .

«توسع نفوذ " أبو الهدى الصيادي" إلى الشؤون السياسية والادارية والعسكرية، وكانت له أعين تأتية بكل الأخبار، ومما زاد في نفوذه اعتقاد السلطان عبد الحميد الثاني أن أبا الهدى كان أحد الشيوخ الكبار للطريقة الرفاعية»².

¹- محمد حرب سلطان، عبد الحميد الثاني آخر سلاطين العثمانيين الكبار، دار القلم للنشر، دمشق ، الطبعة الأولى ، 1990م ، ص 195.

²- عبد العزيز محمد الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة، 1980م، ص 214.

وبالفعل فإن "أبا الهدى" بصفته شيخا للرفاعية ومرشدا للسلطان "عبد الحميد الثاني"، وضع تحت تصرفه عددا كبيرا من الوعاظ الذين كانوا يجوبون المشرق ويزرعون بين سكانه الدعوة للطريقة الرفاعية ولتأييد السلطة العثمانية .

كما إعتد على أحد كبار أشرف مكة "الشريف عون" الذي كان عضوا في الطريقة الرفاعية . وقد نجح هذا الأخير في التوصل إلى منصب "شيخ شيوخ الطرق" وبالتالي إستطاع أن يستقطب أتباع الزوايا المعارضة له حول فكرة الخطر الأوروبي على الإسلام وضرورة التكتل ضد هذا الخطر. ليصبح شريف مكة عبر هذا التنظيم المساعد المخلص للشيخ أبي الهدى الصيادي ،والخادم الأمين للسلطان. ومن جهة أخرى كان لشريف مكة تأثيره الكبير على الحجاج حيث أرسل إليهم المرشدين يدعون للجامعة الإسلامية ولقائدها السلطان العثماني وهكذا أصبحت مكة المكرمة بفضل شريفها و "مرشدي الحجاج" وبفضل منصبه كشيخ للطرق. محورا للسياسة الإسلامية المعاصرة. وهذا ملخص عن فكر محمد الشناوي

« إعتد على أحد كبار أشرف مكة "الشريف عون" الذي كان عضوا في الطريقة الرفاعية ، فمن هناك إنتشرت هذه الدعوات، وإنتقلت إلى العالم الاسلامي كله، عبر الحجاج الذين نقلوا إلى بلادهم بذرة الحلم الكبير الذي كان يدغدغ مخيلة السلطان "عبد الحميد الثاني" في جمع شمل كلمة العالم الإسلامي من جديد حوله وإعادتهم إلى كنف الدولة تحت شعار الجامعة الاسلامية»¹.

وقد بلغت مكانة الشيخ "أبي الهدى الصيادي" عند السلطان ،أن السلطان كان لا يرفض له أمرا حتى رسخ في ذهن معاصريه أنه صاحب الكلمة الأولى عنده . وقد وصف "أحمد الشوابكة" نشاط الطرق الصوفية في تنفيذ سياسة الجامعة الإسلامية ومقاومة الإستعمار الأوروبي، وتعبئة الأهالي ضد المستعمرين وخصوصا في شمال إفريقيا . فتحدث عن أسلوب المقاومة السرية التي نفذها أتباع الطرق الصوفية ومرابطو الزوايا، وذكر أن هذه المقاومة كانت تدار من قبل لجنة مركزية في العاصمة "إستانبول" تتألف من مجموعة من علماء الدين ومشايخ الطرق الصوفية .

¹ - أحمد الشوابكة ، حركة الجامعة الاسلامية، ص . 266

«وجود هيئات فرعية تعمل في أقاليم مختلفة من الدولة العثمانية أبرزها تلك الموجودة في مكة المكرمة والتي كانت تعمل تحت إشراف شريف مكة وتنشط في موسم الحج لنشر فكرة الجامعة الإسلامية بين الحجاج. وأخرى في بغداد، وكانت تنشط بين القادمين من شمال أفريقيا لزيارة ضريح الشيخ عبد القادر الجيلاني، وقد قدر عددهم في إحدى السنوات بخمس وعشرين ألفاً ، لقد سعت هذه الطرق الصوفية الموالية لسياسة الجامعة الإسلامية كالثاذلية والقادرية والمدنية الى مواجهة المستعمر الفرنسي في شمال أفريقيا وتعبئة الأهالي ضده»¹.

كما كان للدور الذي قامت به الطريقة السنوسية في تعاطفها مع الدولة العثمانية، وتأييد السياسة الإسلامية التي إنتهجها السلطان عبد الحميد، ذلك أن السنوسيين كانوا ينظرون إلى الخلافة العثمانية على أنها ضرورة دينية وسياسية.

وقد راسل السلطان "عبد الحميد الثاني" "محمد المهدي السنوسي" طالبا إليه المساعدة في الوقوف بوجه الأوروبيين مذكرا إياه بواجبه إتجاه الخلافة .

« وقد كثرت المراسلات بين الإثنين فردا على بعثة السنوسي إلى "عبد الحميد الثاني" في أيلول 1895 أرسل عبد الحميد صادق المؤيد مرة ثانية إلى الكفرة مزودا بالهدايا التي هي عبارة عن صحيح البخاري وساعة ولكي يطمئن السنوسي السلطان "عبد الحميد الثاني" إلى سلامة نواياه أرسل الشيخ عبد العزيز العيساوي من المتصوفين السنوسيين في أيلول 1895 إلى الأستانة حيث أكد ولاء الشيخ المهدي للسلطان وتأييده للسلطنة»².

وذكرت المصادر أن السلطان عبد الحميد أرسل قافلة من المتصوفة إلى الهند حيث عملت هناك على تدعيم فكرة الخلافة العثمانية، ومحاربة الدعاية البريطانية الداعية إلى جعلها للعرب، وقد زارت هذه القافلة بعض حكام شبه الجزيرة العربية ولا سيما الحجاز طالبة تأييد هؤلاء الحكام للسلطان عبد الحميد في سياسته الداعية إلى الجامعة الإسلامية

¹ - احمد الشوابكة ، نفس المرجع ، ص 263-264.

² - محمد فؤاد شكري ، السنوسية دين ودولة ، مركز الدراسات الليبية للنشر ، إكسفرود . 2002م ، ص 85-86.

«هناك إتصالات جرت بين السلطان "عبد الحميدالثاني" بوصفه رئيسا للجامعة

الإسلامية، وتجمعات الطرق الصوفية وشيوخها في تركستان وجنوب افريقيا والصين»¹

نستنتج من خلال ما تقدم أن فكرة "الجامعة الإسلامية" لقت في عهد السلطان "عبد الحميد الثاني" رواجاً ونجاحاً لافتاً وهذا لا يخلو من أنها واجهت صعوبات من قبل الراضين لها كفكرة دينية . بالرغم من ذلك فإن الطرق الصوفية لعبت دوراً بارزاً في نجاح فكرة الجامعة الإسلامية والعمل على نشرها . وقد شعرت الدول الأوروبية بأن السلطان "عبد الحميدالثاني" قد استطاع إستغلال مشاعر المسلمين الدينية وأن بإستطاعته أن يهدد النفوذ الأوروبي في المناطق العثمانية والمناطق الإسلامية الخاضعة للسيطرة الأوروبية، فهو قد هدد عبر حركة الجامعة الإسلامية النمسا بمسلمي ألبانيا، وروسيا بمسلمي التتار، وبريطانيا بمسلمي الهند وفرنسا بواسطة مسلمي شمال إفريقيا.

« قد بلغ من نفوذ هذه الحركة في شمال إفريقيا أن وصفتها إدارة المخابرات الفرنسية

... ويمكن للسلطان "عبد الحميد الثاني" بصفته رئيساً للجامعة الإسلامية أن يجمع من خلال إرتباطاته الوثيقة بالجماعات الدينية في شمال إفريقيا جيشاً محلياً منظماً يتمكن إذا لزم الأمر أن يقاوم به أي قوة أجنبية»².

من خلال هذا يتضح لنا دور الطرق الصوفية ومشايخها بدعم السلطان في فكرة الجامعة الإسلامية وإنتشارها بفضلهم، لعبت الطرق الصوفية دور وسائل الإعلام ، من أجل أن يحقق المشروع الوحدة ، حتى أنه كان إعتراف ألمانيا بحركة "الجامعة الإسلامية" و بالسلطان "عبد الحميد الثاني" خليفة للعالم الإسلامي، وزنا سياسياً بارزاً كونه صادر عن إمبراطور. دولة أوروبية كبرى فإستغلها السلطان في الدعوة لنفسه، وترسيخ حركة الجامعة الإسلامية.

الفرع الخامس : الجامعة الإسلامية من الناحية الإجتماعية

¹- محمد حرب , مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني , دار القلم للنشر، دمشق، الطبعة الأولى ، 1991، ص 198.

²- علي محمد صلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض واسباب السقوط ، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، الطبعة الأولى ، 2001، ص424.

ففي السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر ، عندما أدرك السلطان " عبد الحميد الثاني " تدهور الأوضاع في الدولة العثمانية ولا يمكن بقاءها إلا بالإعتماد على المسلمين والعرب وتأييدهم في مواجهة التدخل الأوربي في شؤون الدولة وكانت سياسته تقضي بالحفاظ على ما تبقى من ولايات في حوزة الإمبراطورية العثمانية وبالتالي أن لا يثير غضب المسلمين والعرب في ممارسة نشاطاته السياسية ، ومن هنا كانت الحركة الصهيونية تسعى لدى الحكومة العثمانية بتحقيق مشروع إستيطان فلسطيني ومن هنا جاء رد السلطان بعدم الموافقة عليه ، ثم إن السلطان كان يعاني في هذه الفترة من نمو الشعور القومي لدى قوميات عديدة مثل القومية العربية، القومية البلغارية ، القومية اليونانية و الأرمنية والسلافية وبالتالي كثيرا ما حاولت الأقليات في الدولة العثمانية أن تبرز نشاطها وتسعى لإستقلالها الثقافي والإجتماعي وحتى السياسي ، فكانت الدولة تحارب هذه الإتجاهات سواء العربية أو الأرمنية حيث أن النزعة الاستقلالية الارمنية حاولت إعادة تراث وحضارة الأرمنيين فلم يجد الجو السياسي الملائم.

الى جانب هذا تزعم السلطان " لحركة الجامعة الإسلامية " 1908-1909م والتي كانت تهدف الى تحقيق مكاسب سياسية ، حيث كانت هذه الحركة تدعوا إلى ضرورة وحدة المسلمين شعوبا وحكومات للوقوف في وجه التيار الأوربي الزاحف ، دعا جميع مسلمي العالم في آسيا الوسطى وفي الهند والصين وأواسط أفريقيا وغيرها إلى الوحدة الإسلامية تحت لواء "الجامعة الإسلامية"

« نشر شعاره المعروف يا مسلمي العالم إتحدوا، وأنشأ مدرسة للدعاة المسلمين سرعان ما أنتشر خريجوها في كل أطراف العالم الإسلامي الذي لقي منه السلطان كل القبول والتعاطف والتأييد لتلك الدعوة، ولكن قوى الغرب قامت لمناهضة تلك الدعوة ومهاجمتها لذلك نراه إعتد على تعاضد المسلمين ووحدتهم إستند على أسس إسلامية وعمل على الصعيد السياسي مباشرة ضد النفوذ الأوربي المتغلغل ، إلى جانب الدعوة الإصلاحية ضد المساوية الدينية والإجتماعية التي دخلت المجتمعات الإسلامية»¹.

¹- محمد أنيس ، المرجع السابق ، ص 241.

المطلب الرابع : مشروع سكة حديد الحجاز وإنعكاساته

ويعتبر مشروع "خط سكة حديد الحجاز" الذي إنتهى عام 1908م من بين أهم المشروعات التي قام بها السلطان " عبد الحميد الثاني" والتي كانت لها ايجابيات على المستوى الديني والإجتماعي خاصة والسياسي والعسكري كذلك كمايلي :

الفرع الأول : إنعكاساته على الجانب الديني

تكمن أهميته على الصعيد الإسلامي حيث نلاحظ أن تمويله كان من خلال تبرعات المسلمين

«ما أنفقه على هذا المشروع ثلاثة ملايين ليرة جمع أكثر من ثلث المبلغ من تبرعات

المسلمين في جميع أقطارهم»¹.

من خلال هذه النقطة نلاحظ كيف أن هذا المشروع لم يكن مشروعاً خاصاً بالدولة العثمانية وإنما تعدى ذلك بكونه مشروعاً إسلامياً قد ساهم في استمالة عواطف المسلمين من جميع انحاء العالم وهنا تكمن أهميته الدينية وعلى الصعيد الديني في إستمالة عطف المسلمين أينما وجدوا وكسب صداقتهم من جهة أخرى وذلك لما يترتب عليه من تيسير سبل أداء فريضة من فرائض الاسلام المتمثلة في فريضة "الحج"، والتي تستمد الطريق في القريب العاجل أمام كل مسلم للقيام بفريضة الحج ، نظراً لأن روح العصر في الشرق العربي آنذاك إتسمت بالطابع الديني فقد أثر هذا المشروع ليس على العامة من المسلمين فحسب ، بل كذلك على الخاصة أيضاً لاسيما المستفيدين من النظام العثماني وعلى بعض قاداتهم ومتفقيهم مثال "علي باشا" الإبن الثاني للأمير عبد القادر الجزائري الذي شكر السلطان على تحقيقه هذا المشروع

«هو تمهيد السبيل بين الكعبة وتخفيف أثقال الحجة على طلابها بإنشاء هذا الخط

الحجازي ، الذي جمع قطر الحجاز وقصر الشام بل الدنيا بأجمعها ... والمسلمون في كل صقع من البلاد يجأرون بالدعاء إلى رب العباد أن يطيل عمر سلطانهم وكفيل عمرانهم»².

¹- جورج أنطونيوس، يقظة العرب، ترجمة: ناصر الدين الاسد وإحسان عباس ، دار الكتب العربية للنشر والتوزيع ، بيروت 1966، ص 243.

²- Revue du Monde Musulman , paris, 1907, 1909 p, 524-525. من خطاب من خطاب علي باشا عبد القادر الجزائري موجه إلى السلطان " عبد الحميد الثاني".

الفرع الثاني : إنعكاساته على المجال الإجتماعي

ومن الناحية الإجتماعية تظهر أهمية مشروع "سكة حديد الحجاز" أي السكة الحديدية الحجازية- الشامية ، أسفرت عن ثروة البلاد والعباد والراحة للحجاج وتوطيد الأمن والرفاهية وتعمير البلاد والخرابة وتأهيل العامرة الخالية وبالتالي ما عزز لدى المسلمين القيام بهاته الفريضة دون عناء بالنسبة للتنقل بل كانت كمحفز لدى المسلمين وبالتالي كانت كنقطة إلتقاء للتعارف بين المسلمين ومعرفة بعضهم البعض من جميع أقطار العالم على إختلاف أجناسهم ولهجاتهم المحلية ومنه تبادل ثقافات إسلامية بالدرجة الأولى ومعرفة الأحوال الإجتماعية والدينية والثقافية والسياسية والإقتصادية فيما بينهم كما أكده محمد عارف الحسيني

«أن هذه السكة تقارب المسلمين من بعضهم البعض وتعارفهم وإئتلافهم وتواددهم و إتحادهم وإتقان كلمتهم وبيان أحوالهم بالتبادل على إختلاف أجناسهم ولغاتهم وبعد بلادهم»¹.

الفرع الثالث :الجانب السياسي والعسكري من مشروع خط السكة الحديدية الحجازية

نظرا لما لمسهُ السلطان " عبد الحميد الثاني " من مشاعر لدى العوام المسلمين قد تفيدهُ في المجال وميادين السياسة والعسكرية عمد الى مضي بسياسة عسكرية ، فيعتبر خط "سكة حديد الحجاز" الذي أوصل القسطنطينية بالمدينة المنورة مخترقا سوريا من الشمال إلى الجنوب حيث يرى "أنطونيوس جورج" أن لهذا المشروع أهدافا سياسية وحربية قبل كل شيء ، إذ أن السلطان كان يهدف من ورائه إنشائه وصول جيشه بالسرعة اللازمة إلى شبه الجزيرة العربية والعودة منها وكان من قبل مظطرا إلى نقلهم بالبحر بواسطة قناة السويس وهو المشروع الذي أشرف عليه "عزت باشا العابد" ونفذه مهندسون ألمان ، كان له وقع طيب ومؤثر في نفوس المسلمين ويؤكد "أنطونيوس" هذه الحقيقة بقوله :

« إن تنفيذ هذا المشروع كان ضربة خبير في السياسة فقد أثار الحماسة البالغة في جميع ديار الإسلام وربما كان من الآثار في تثبيت مكانة الخلافة أكثر من جميع خطط عبد الحميد الثاني

¹- محمد عارف الحسيني ، أعظم مآثر السلطانية العثمانية السكة الحديدية الحجازية الشامية ، دار الكتب الوطنية الظاهرية للنشر والطباعة ، دمشق ، 1910م ، ص 32.

الأخرى كما أن تنفيذ مشروع خط سكة حديد الحجاز - الشام ، كانت من الأسباب السياسية والعسكرية من حيث انها يأتي في مقدمتها عمليات نقل "الفيالق التركية" إلى المناطق العربية في حالة نشوب حروب أو ثورات معادية للدولة العثمانية.¹

¹ - جورج أنطونيوس ، يقظة الأمة العربية ، دار العلم للملايين للنشر والتوزيع، بيروت ، الطبعة الثامنة، 1987 م ، ص 142.

خلاصة

إن الأحداث التي شهدتها النصف الثاني من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين هي أكبر من أن تختزل في سطور وإنما اكتفيت بعرض سريع لأوضاع الدولة العثمانية أثناءها حتى يتيسر فهم الظروف التي نشأ فيها "بديع الزمان سعيد النورسي" ، ومدى تأثير ذلك كله في فكره ، توجهاته وجهوده الدؤوبة لمواجهة فترة حالكة من فترات تاريخ العالم الإسلامي ، بحيث عايش هذه المراحل كلها ، وتأثر بها وأثر فيها ، وكان شاهدا عليها وعلى عصره ، دعا في شبابه - في عهد السلطان عبد الحميد وأواخر عهد الخلافة إلى الإصلاح والتجديد ، وبناء الدولة على الإسلام بدل دعوة التتريك التي أثارت القوميات غير التركية وبذلك نراه عاصر عهد الخلافة العثمانية وقيام الجمهورية التركية كما أنه عايش إن صح التعبير ذلك التناقض.

الفصل الثاني

حياة بديع الزمان سعيد النورسي وتطوراتها

تمهيد

إن بداية إنهيار الدولة العثمانية نهاية القرن التاسع عشر 19م كانت من بين أصعب الفترات التي واجهها العالم الإسلامي والتي تميزت بالنكبات والصعوبات بإعتبارها مركز الخلافة الإسلامية وحاملة راية الإسلام ، لتحل على أنقاضها في القرن العشرين 20م تركيا الكمالية التي تهدف إلى إبعاد الدين عن وجه الدولة والمجتمع والمجال العام وتهميشه إلى أقصى حد ممكن بل محاربتة والحد من مظاهره حتى في الفضاء الخاص ، في مثل هذه الظروف ظهر "سعيد النورسي" من بين الشخصيات الإسلامية المعاصرة التجديدية الإصلاحية التي كانت لها إسهامات كبيرة في مجمل التحولات الفكرية والحضارية والمجتمعية التي عرفتها تركيا الحديثة عبر تاريخها ، كما أنه يشكل مرجعا فكريا لمجموعة أتباعه ، فقد إشتهر حضورا وتأثيرا في شرائح المجتمع التركي بالأرياف والمدن مؤكدا على البعد التربوي الذي كان يحث أتباعه على ضرورة ترسيخه وتعميقه بإعتباره الأساس والمنطلق لأي عملية تغيير فردية كانت أو جماعية.

"سعيد النورسي" هو واحد من هؤلاء العظماء ألقى الله تعالى على كاهله مسؤولية النهوض بتجديد الحياة في الإيمان الراكد في القلوب وبعث التصدي لهذا التيار الجارف المكتسح الذي كاد يسلم الشعب التركي المسلم عن تاريخه ودينه وإسلامه. وما تركته شخصية "سعيد النورسي" من آثار عميقة واضحة المعالم في الحياة السياسية والفكرية والإجتماعية والدينية في الشعب التركي هذا التأثير الذي ما زال ساريا يفعل فعله ويؤدي دوره حتى بعد وفاته .

فيا ترى من هو "سعيد النورسي"؟

المبحث الأول : المرحلة الأولى من حياة سعيد النورسي

مرحلة سعيد القديم من المولد حتى سنة 1925م

المطلب الأول : مولد ونشأة النورسي

الفرع الأول : المولد ونسبه وأسرته :

ولد سعيد النورسي الملقب ببديع الزمان حسب ما ذكره في سيرته الذاتية أنه ولد بقرية نورس

« في قرية "نورس" التابعة لناحية "إسباريت" المرتبطة بقضاء "خيزان" من أعمال

ولاية "بتليس" عام 1977م (1294هـ) ، من أبوين صالحين ومسلمين ، و كان والده " الصوفي ميرزا " ورعا يضرب به المثل، لم يذق حراما ولم يطعم أولاده إلا حلالا حتى أنه إذا عاد بمواشيه من المرعى شد أفواهها لئلا تأكل من مزارع الآخرين ، أما والدته "تورية" فكانت لم تقارق صلاة التهجد طوال حياتها إلا في الأيام المعذورة شرعا و لم ترضع أولادها إلا على طهر و وضوء»¹.

نرى أن النورسي ولد في وسط صوفي إسلامي و أسرة متدينة و محافظة تتميز بالورع الديني رغم أنها ميسورة الحال حيث كانت :

« تشتغل بالزراعة و تملك بعض المواشي و الأبقار عندما جاء "سعيد " إلى الحياة

كانت له أختان هما: درية و خانم ، و أخ اسمه عبد الله ثم جاء بعده ثلاثة إخوة هم : محمد ، عبد المجيد ومرجان، و نستطيع أن نسجل من مجمل المصادر الموثوقة و نقلا عن لسانه أن أصل عائلته و أجداده قد أتو من ولاية " إسبارطة" و هي ولاية تقع في غربي تركيا، و أن نسبه ينتهي إلى أهل البيت ، فمن جهة الأب إلى سيدنا الحسن رضي الله عنه ومن جهة الأم إلى سيدنا الحسين رضي الله عنه»².

إن الأسرة هي اللبنة الأولى في تنشئة الطفل و تكوين شخصيته ، فإذا كانت الأسرة فاسدة فسدت تنشئة الطفل أما إذا كانت صالحة ينعكس هذا على تربية أبنائها ، لذلك نستنتج أن صوفية النورسي ترجع بالدرجة الأولى إلى الوسط الأسرى الذي نشأ فيه المشحون بالدين و

¹ - بديع الزمان سعيد النورسي ، السيرة الذاتية ، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي ، شركة سوزلر للنشر و التوزيع، بدون طبعة ، بدون سنة ، ص 35 .

² -أورخان محمد علي ، سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة، دار الفضيلة للنشر و التوزيع، القاهرة، طبعة أولى، 1999، ص 8.

الورع و الزهد الموروث أبا عن جد و هذا ما تثبتته سيرة حياته و نسبه الأسري الذي ترجع جذوره إلى أهل الرسول صلي الله عليه و سلم مما يعكس تنشئته السليمة.

الفرع الثاني : نشأته ودراسته الأولية

أولا : نشأته :

إن البيئة التي نشأ فيها النورسي أكسبته دقة الملاحظة و شدة الإنتباه و سرعة البديهة ، فلم يكن كغيره من الأطفال لما يتمتع به من نكاء و فطنة و حب للإطلاع و الفضول و الإكتشاف فلم يكن يتقبل أي شيء يسمعه دون محاولة معرفة ماورائه و الكشف عن سببه ، كما أنه لم يؤمن بالخرافات بل كان واقعا في تفسيراته لكل ما يجول في خاطره و ما يحدث في حياته حيث حدث في صغره واقعة تثبت أنه كان على قدر كبير من نبوغ و فطنة و هي أنه :

« حينما كان صبيا خسف القمر فسأل والدته عن سبب الضجة التي يحدثها أهل القرية بالضرب على الدفوف والدق على القدور وعلى صفائح المعدن ، فأشارت إليه وهي تقول له وتكرر ما تعرفه عن هذه الظاهرة لقد بلع الثعبان القمر والأهالي يحدثون هذه الضجة لإخافة الثعبان وتخليص القمر منه ، لكن سعيد لم يقتنع بهذا الجواب فقال وهو معترضا ولكن القمر لم يختف تماما إذ يمكن رؤيته وهذا الإعتراض الوجيه يبين مدى قوة الترابط المنطقي في فكر سعيد الصغير وعدم تسليمه بكل ما يقال له ، فأجابت والدته بالقول: إن الثعبان الموجود في السماء شفاف مثل الزجاج ، لذا فإننا نستطيع رؤية القمر في بطنه»¹.

ظلت هذه الفكرة راسخة في ذهنه إلى أن درس علم الفلك فحاول دراسة ظاهرة الخسوف و التعرف على كيفية حدوثها معتمدا على براهين علمية و اقعية خاضعة للعقل و المنطق فوجد

« أن الذين يقولون كما تقول والدته قد تلقوا التشبيه حقيقة واقعية ، لان الفلكيين شبهوا القوسين الناشئين من تداخل دائرة الشمس (منطقة البروج) و مدار دراجاتها مع دائرة القمر وهي

¹- أورخان محمد علي ، نفس المرجع ، ص 8

ميل القمر و مدار منازلہ شبھوہما تشبھیہا لحتیتین ضخمتین و سموہما تتین ، و أطلقوا علی إحدى نقطتی تقاطع تلك الدائرتین (الرأس) و الاخری (الذنب) ، فحینما یبلغ لقمر الرأس و الشمس الذنب تحصل حیلولة الأرض بإصطلاح الفلكیون - ای تقع الأرض بینہما تماما - و عندها یخسف القمر أي كأن القمر یدخل فی فم التتین»¹ .

و هكذا عرف أن تفسیر أمہ و أهل قریتہ لہذہ الظاہرة لم یکن نابعا من خیالہم بل کان مستمدا من تفسیرات العلماء لکنہم قاموا بفہمہ و تأویلہ حسب تفکیرہم البسیط و العامی، و مع مرور الزمن أصبح ہذہ الفکرۃ عبارة عن مجرد حکایة خیالیة متداولة و کلام للعوام . مما اهتم كذلك بالفلسفۃ و طبیعتہا الفکریة العمیقۃ ، و یذکر ہذا بقولہ فی کلیات رسائل النور فی الجزء التاسع المعنون بالسیرۃ الذاتیة :

« کان النورسی فی مرحلۃ مبکرۃ من صباہ یشغل فکرہ مشکلة الحیاة و الموت و مشکلة الوجود و العدم و ہذا ما یبین لنا أن طبیعة ہاتہ المشاکل ہی ذو طبیعة فلسفیة و فکریة عمیقۃ ، إذ شغلت الفلاسفۃ و المفکرین و لا تزال تشغلہم ... حدثت خیالی فی عہد صباي أي الأمرین تفضل؟ قضاء عمر سعید یدوم ألف سنة مع سلطنة الدنیا و أبہتہا علی ان ینتہي ذلك إلى العدم ، أم وجودا باقیا مع حیاة إعتیادیة شاقۃ؟ فرأیتہ یرغب فی الثانیة و یضجر من الأولى قائلا : " إننی لا أرید العدم بل البقاء ولو کان فی جہنم»² .

بالرغم من صغر سن النورسی إلى أن فکرہ کان واسع یشغلہ الكثير من التساؤلات المرتبطة بالوجود و الحیاة ... و غیرہا من الأفكار الفلسفیة التي تشبع بہا من خلال ملاحظتہ الدقیقة و بحثہ الدؤوب و قراءتہ المستمرة فی مختلف الكتب و حضورہ لمجالس الکبار و سماع ما یدور فیہا من نقاشات مختلفۃ حول مختلف المواضيع و فی شتی العلوم .

ثانیا : دراستہ الأولى :

منذ السنة الأولى من عمر النورسی و بعد ظهور ملامح الوعي لدیہ بدأ فی تلقی المبادئ الأولى للمعرفة و العلم من والدیہ ، إلا أن إلتحاقہ بالمدرسة و بداية تحصیلہ العلمي كانت :

¹ - بديع الزمان سعید النورسی ، المصدر السابق ، ص 40، 41.

² - نفس الصدر ، ص 40.

« سنة 1885م الموافق ل 1303هـ بتعلم القرآن الكريم في مدرسة "الملا محمد

أمين أفندي" في قرية مجاورة "النورس" في قرية "تاغ" إلا أنه لم يتحمل المكوث فيها فتركها فعاد إلى قريته "نورس" المحرومة من كتاب أو مدرسة لتلقي العلم»¹.

« بعد مدة قصيرة ذهب إلى قرية "برمس" كان يشرف عليها الشيخ " نور محمد "

لكنه تشاجر مع أربعة طلاب حيث إتفق هؤلاء الطلاب الأربعة على مشاكسته بإستمرار مما دفعه للمثول بين يدي الشيخ "سيد نور محمد " شاكيا إليه هؤلاء الأربعة قائلا بإعتزاز: "أيها الشيخ المحترم أرجوا أن تقول لهؤلاء ألا يأتوا للشجار معي جميعا فليأتوا مثني مثني" ، تعجب الشيخ من هذه الرجولة المبكرة في سعيد الصغير وقال ملاطفا : أنت تلميذي لن يتعرض لك أحد ، وبعد هذه الحادثة أطلق عليه تلميذ الشيخ فظل في هذه المدرسة مدة طويلة كانت كافية لجلب إنتباه الشيخ وإعجابه به حتى أنه قرر أن يذهب ليرى والدي هذا الطفل الغريب المتميز في كل شيء وليسأل كيف إستطاعوا تربيته مثل هذه التربية وهذه النشأة»².

نلاحظ من خلال هذا أن " النورسي" كان يجلب إنتباه كل من تتلمذ على يديهم من العلماء و المشايخة ، لما يتميز به من ذكاء و حسن التصرف و صواب القول و بلاغة اللسان والحوار المقنع ، هذا كله مما جعل أحد مشايخته يشعر بالفضول للتعرف على أهله و كيفية تربيته، فقرر هو و بعض من رجال القرية الذهاب إلى قرية نورس ، و بعدما وصلوا إلى القرية وسألوا عن "الصوفي ميرزا" فدلوهم على البيت فطرقوا على الباب فخرجت والدته وأخبرتهم أن والده على وشك الرجوع من المزرعة ثم فرشت للزائرين حصيرا تحت شجرة أمام الدار ، سألتها الشيخ كيف ربيت هذا الصغير ؟

« أجابت الوالدة عندما أصبحت حاملا بسعيد لم أطأ مكانا دون وضوء وعندما

جاء سعيد إلى الدنيا لم أرضعه دون وضوء، ثم جاء الصوفي ميرزا راجعا إلى بيته وهو يسوق بقرتين وثورين ولكن "الشيخ نور محمد " و أصدقاؤه دهشوا عندما رأوا أن أفواه هذه الحيوانات مكممة ، لم يتمالكوا أنفسهم عن إبداء الدهشة ومن الإستفسار عن سبب هذا المنظر الغريب فقال لهم : إن مزرعتي

¹ - بديع الزمان سعيد النورسي ، السيرة الذاتية ، نفس المصدر ، ص 43.

² - أورخان محمد علي ، مرجع سبق ذكره ، ص10.

بعيدة بعض الشيء وأنا أضطر في الذهاب والإياب إلى المرور عبر مزارع الجيران ، لذا أكمم أفواه هذا الحيوانات كي لا تأكل من حشائش هذه المزارع ونباتاتها لأنني أحذر أن تدخل بيتي لقمة حرام "»¹.

إن مارآه شيخ النورسي و ما سمعه كان دالا بأن الأسرة التي نشأ فيها كفيلة بأن يبرز منها هذا الطفل المتميز و النابغة، فنشأة سعيد النورسي كانت في بيئة سليمة ذو تربية دينية وإسلامية صالحة وسليمة 'نعكست بدورها على فكره وسلوكه في محيطه وتفاعلاته مع الآخرين مما غرس فضولا لدى العلماء الذين تتلمذ على يدهم و يندهشون ويعجبون من تصرفاته وتفكيره رغم صغر سنه مقارنة مع أقرانه.

« إنتقل النورسي مع أخيه إلى قرية نورشين أين كان التدريس في هذه المنطقة و المدارس الدينية تدرس باللغة العربية ، و كان يتم الصرف على هذه المدارس من مبالغ الزكاة و التبرعان التي تجمع من أهالي تلك المنطقة ، و كان طلاب المدارس هم من يجمعون هذه المبالغ في مواسم معينة بين القرى ، غير أن سعيد لم يكن يخرج معهم فقد كانت عزة نفسة تمنعه من ذلك و من قبول أي عطاء من أي شخص حيث صرح في كتابه المكتوبات بقول في المكتوب الثاني : "لقد إفتتعت قناعة تامة و بإمارات كثيرة ، أنني لست مأذونا بقبول أموال الناس ، و لاسيما هدايا الميسورين والموظفين إذ أتأذى بقسم منها ، فهذه الحالة إذن أمر معنوي، إنني أفضل أن أكل كسرة خبز يابس، و أن ألبس ثوبا فيه مئة رقعة ورقعة ينقذني من التصنع و التملق على ان أكل أطيب حلوى الآخرين و ألبس أوفر ملابسهم وأضطر إلى مراعاة مشاعرهم وهذا ما أكرهه"»² .

رغم أن النورسي كان فقيرا إلا أنه كان قنوعا و راضيا بما يملكه ، لذلك كان يرفض كل الهبات المالية المقدمة لأنه كان عزيز النفس عفيفا مما جعله يتوقف عن الدراسة للمرة الثانية و لازم أباه. ولكن حادثة مهمة جرت له في ذلك الشتاء، هي رؤية الرسول عليه الصلاة والسلام في منامه حيث رأى فيما يرى الرأي أن :

¹- نفس المرجع ، ص 10.

²- بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات ، ترجمة : إحسان قاسم الصالحي ، شركة سوزلر للنشر و التوزيع، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، 2001، ص 18.

« أن القيامة قامت والكائنات بعثت من جديد فامتلكته الرغبة القوية في رؤية

الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن كيف يستطيع ذلك وأين يلقاه؟ في مثل هذا الزحام؟ وبينما هو يفكر في ذلك خطرت له فكرة الذهاب إلى الصراط المستقيم الذي يسير منه الرسول عليه الصلاة والسلام فأسرع إليه ووقف ينتظر مر به الأنبياء الكرام صلوات الله عليهم فقبل أيديهم كلهم ، ثم أقبل الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام فهوى سعيد الصغير على يديه يقبلهما ثم طلب منه العلم فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: "سيهب لك علم القرآن شريطة أن لا تسأل أحدا من أمتي سؤالا" كان ذلك سنة 1891م¹.

بعد هذه الرؤية التي بقيت في ذاكرته إلى أواخر حياته، عاد إلى الدراسة بناحية "أرواس" لتلقي العلم من "الملا محمد امين أفندي"

« لكن الشيخ عندما رأى صغر سن سعيد لم يهتم به و وكل مهمة تدريسه إلى

أحد طلابه مما حز في نفس سعيد و شعر بأنه قد ترفع عن تدريسه ، وفي أحد الدروس إعترض قائلاً: "إنه ليس كذلك يا سيدي ، ثم ذكره بترفعه عن تدريسه، ولم يمكث هناك طويلاً بل ذهب إلى مدرسة "مير حسن ولي" وهنا شاهد أيضاً عدم إهتمام الطلاب في المراحل الأولى ، ترك سبعة من الدروس المقررة وبدأ بالكتاب الثامن ثم ذهب للإستجمام في قسبة و سلطان (كواش) لمدة شهر، ومن بعده توجه برفقة صديقه " الملا محمد " نحو "بايزيد" وهي قضاء على الحدود الإيرانية التابعة لولاية " آغري"، وهنا بدأت دراسته الحقة التي كانت دراسته الأولى في النحو والصرف، دامت هذه الدراسة المكثفة والجادة ثلاثة أشهر على يد الشيخ "محمد الجلاي" ،حيث أكمل قراءة مايقارب خمسين كتاباً خلال ثلاثة أشهر ، وقد استوعبها و أجزى عليها وتسلم الشهادة بإكمالها² .

عدم إهتمام المشايخة بالنورسي وإهماله و عدم المبالاة به جعله دائم التنقل من مدرسة إلى أخرى حتى وجد ملاذه الذي يرضي فضولة و يشبع قريته في إحدى القرى التابعة

¹ - بديع الزمان سعيد النورسي ، السيرة الذاتية، المصدر السابق ، ص 45.

² - محمد على اورخان ، نفس المرجع السابق ، ص 12.

*- **احمد الخاني** : الأديب الكردي الشهير ولد في خان التابعة لولاية حكاري جنوب شرقي تركيا عام 1650م ، درس العلوم الإسلامية في القرى القريبة له مؤلفات ودواوين منها "نوربهار" و "ميم وزين" ويعد الأخير من عيون الأدب الكردي. نظم الشعر في اللغات الكردية والفارسية والتركية، توفي في بايزيد ودفن فيها سنة 1706م.

لولاية أخرى حيث كان متعطشا للمعرفة في مختلف العلوم ، فأقبل على قراءة الكثير من الكتب .

«كان يقرأ مايقارب مائتي صفحة أو يزيد من متون أمهات الكتب أمثال "جمع الجوامع" "شرح المواقف" و "إبن حجر" مع الفهم التام دون معونة أحد . إلا أنه ماكان يسأل بسؤال عن أي علم كان إلا ويجيب عنه إجابة شافية . وتعتبر هذه الفترة هي الفترة الخصبة اساسية في تحصيله العلمي فاستغرق في القراءة والدراسة حتى انقطعت علاقته مع الحياة الاجتماعية وكان نادرا ما يتكلم ، ويقضي معظم أوقاته عند ضريح الشيخ " أحمد الخاني" * وخاصة في الليالي، علما أن الناس يتخوفون ويترهبون من دخوله نهارا و لهذا كان الناس يقولون : " أنه حظي بفيض من أحمد الخاني و يسندون وضعه إلى كرامة الشيخ، و في هذه الفترة دخل إلى مرحلة زهد و تقشف و رياضة نفس عنيفة متأثرا في ذلك بأراء وسلوك بعض الحكماء الإشراقين»¹ .

«و لم يدخل إلى ذلك بشكل تدريجي كما فعل هؤلاء الحكماء بل دخلها فجأة ثم قرر الذهاب إلى بغداد وذلك بغية زيارة علمائها، فتزيا بزبي الدراويش وانطلق مشيا على الأقدام يقطع الجبال الوعرة والكثيفة سالكا مسلك الزهاد حيث بدأ بممارسة الرياضة الروحية وممارسة الزهد حتى هزل يوما بعد يوم ونحل جسمه ، حيث كان يكتفي بقطعة صغيرة من الخبز لمدة ثلاثة أيام سعيا لبلوغ حالة الحكماء الذين ينظرون إلى الرياضة الروحية أنها توقد الفكر ، بل إنه إقتات فترة من الوقت على الأعشاب فقط، كما أنه إتبع القاعدة النبوية الجليلة دستورا لحياته من زاوية التصوف وعمل بهل طوال مسيرته في الحياة»² .

وهذه القاعدة هي :

1- اورخان علي ، مرجع سابق ، ص 14.
الإشراقيون : جماعة من المتصوفة ، جمعوا بين الفلسفة اليونانية وحكمة فارس القديم من أذواق التصوف القلبي ، بحثوا في مراتب الوجود وفي الأنوار الإلهية وأقسام البرزخ والمعاد والنبوءات ، ويعد السهروردي 1153-1191م خير من يمثلهم إذ كان مذهبه يدور حول محور واحد هو النور ومراتبه التي هي مراتب الوجود العلوية والسفلية ، كما أن الفلسفة الإشرافية نشأت في القرن الثاني عشر وكانت لها أثر قوي على الفلسفة الإسلامي وخصوصا الفلسفة الفارسية والتي لا زالت ممتدة إلى يومنا هذا لإعتبارها أن الواقع كله سلسلة متصلة مع العالم المادي كونه جانبا من الجوانب الالوهية وهذا النوع من اللغة يوحي بشكل كبير أنها ضمن البناء الفلسفي الصوفي ، ولذا صنفت الإشرافية ضمن التصوف الإسلامي.

2- بديع الزمان سعيد النورسي ، السيرة الذاتية ، مصدر السابق، ص 47.

« دع ما يربيك إلى ما لا يربيك »¹.

لكن سعيد النورسي لسبب ما ولم يذكره في مؤلفاته انه غير فكره في الذهاب إلى مدينة بغداد فتوجه إلى مدينة "بتليس" وعندما وصوله إليها ذهب عند أستاذه السابق الشيخ " أحمد أمين أفندي" حيث بقي يومين عنده حضر يهما دروسه ، إقترح عليه أستاذه لبس زي العلماء والتي تتمثل في "الجبة" التي كان يرتديها العلماء آنذاك وأن يدع زي الدراويش، لكنه رفض قائلاً:

«إنني لا أبلغ بعد الحلم ، فلا أجدني لائقاً بلبس ملابس العلماء وكيف أكون عالماً وأنا ما زلت صبياً ولكن تقديم جبة مولانا خالد النقشبندي من بعد مئة سنة مع العمامة الملفوفة بها وإرسالها إلي في هذا العام بأسلوب غريب لكي ألبسها ، قد أورتني قناعة ببعض الإمارات، فأن ألبس تلك الجبة المباركة التي يبلغ عمرها مائة سنة عندما كان في الرابعة عشر من عمره ، لا ثلاثم صغر سنه بإعتباره لبس الجبة خاصة بالعلماء والكبار»².

كل ما مر به سعيد النورسي من عراقيل و صعوبات جعلت فكره و عقله ناضجاً قبل الوقت و هو مازال لم يبلغ الحلم بعد عن عمر يناهز الأربعة عشرة سنة ، و أصبحت تظهر عليه علامات العالم المتمكن الذي لا يهمل أبسط الأمور و أدقها، مما جعل اخاه الأكبر " الملا عبد الله" يقتنع بما يمتلكه النورسي ليرغب في التعلم عند أخيه الصغير بعدما كان تلميذاً لديه أصبح أستاذاً له.

الفرع الثالث : شهرته

ذاع صيت سعيد النورسي بين أفراد قريته و القرى المجاورة و اكتسب شهرة بين أوساط العلماء ، و هذا راجع لما كان يقوم به من مناظرات بين العلماء الكبار و اجابته عن كل الأسئلة التي كانوا يطرحونها عليه ، بالرغم من أنها كانت في بعض الأحيان أسئلة تعجيزية لما كانت تتميز به من غموض و تعقيد لا يمكن لمن يبلغ سنه إدراكها .

¹- حديث شريف رواه النسائي وقال الترمذي حديث حسن صحيح.

²- بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق في فقه دعوة النور ، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي ، شركة سوزلر للنشر ، القاهرة ، مصر، الطبعة الثالثة ، 1999، ص 140.

« ذهب إلى "سعد" وإلى مدرسة "الملا فتح الله أفندي" وبدأ أستاذه بالثناء عليه والإعجاب به في جلساته مع العلماء قائلا: "لقد أتى إلى مدرستنا طالب في أوج شبابه ، وأجاب عن كل ما سألته عنه دون توقف، فأعجبت بذكائه النادر وعلمه الوافر أيما إعجاب»¹ .

وبهذا الإعراف والإعجاب بالنورسي شاع بذلك ومنه أصبح سعيد النورسي شائعا ومشهورا في "سعد" كما أنه هناك

« حفظ كتاب "جمع الجوامع" في ظرف أسبوع ، وكان أستاذه لا تجمع له جلسة مع علماء المدينة إلا ويذكر إعجابه بعلم تلميذه وذكائه مما زاد فضول علماء "سعد" ، وأرادوا أن يمتحنوا هذا الصبي العالم وجاء "الملا سعيد" إلى جلسة إمتحان بصحبة أستاذه "الملا فتح الله أفندي" ، وبدأ العلماء بإلقاء أصعب الأسئلة عليه لكن سعيد أجاب عن هذه الأسئلة دون إستثناء .مما جعل العلماء يعجبون به ايما إعجاب وتقدير .وكان يبلغ سعيد النورسي في هذه الأثناء الخامسة عشر من عمره حيث كان يتميز بقوة البدن والنشاط وأفحم جميع العلماء وتغلب عليهم مما جعلهم يطلقون عليه " سعيد المشهور"² .

الفرع الرابع : إمامه بالعلوم الحديثة

أولا: إمامه بأمهات الكتب في علم الكلام

وفي سنة 1892م ذهب إلى مدينة "ماردين" ، إلا أنه رغم سنه الصغير وقدرته العلمية الفائقة رضوا به أستاذا لهم بعد أن قاموا علمائها بمناقشات معه، حيث أنه خلال هذه الفترة

« إطلع على منهج كل من "جمال الدين الأفغاني" و"الطريقة السنوسية" وكان هذا من خلال إلتقائه بأحد طلاب جمال الدين الافغاني والآخر من منتسبي الطريقة السنوسية ، كان في دار الوالي "عمر باشا" الذي إستدعاه بعدما خرج من مدينة "ماردين" 1892م وذهب الى مدينة "بتليس"، حيث كان "عمر باشا" واسع الإطلاع ومحبا للعلم والعلماء ولديه مكتبة تحتوي على أصناف ومختلف

¹- بديع الزمان سعيد النورسي ، سيرة ذاتية ، مصدر السابق، ص 52.

²- أحمد علي سليمان ، فلسفة الإصلاح التربوي عند الإمام النورسي ، ملتقى دولي حول الفكر الإصلاحية عند الإمامين عبد الحميد بن باديس وبديع الزمان النورسي ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، 2013، ص7. أنظر أيضا سعيد النورسي، السيرة الذاتية، ص 52-53.

العلوم ، حيث إستدعاه ليقوم في غرفة قصره الكبير ، وبقي "الملا سعيد" لفترة دامت سنتين إستطاع فيها مطالعة أمهات الكتب في المنطق وعلم الكلام وفي التفسير والحديث والنحو والفقہ، ولقدرته الفائقة للحفظ فقد إختار ثمانين كتابا وحفظها عن ظهر قلب لمدة ثلاث أشهر "كالمطالع" و "المواقف" وغيرهم¹ .

و بالرغم من إقامته في دار الوالي "عمر باشا" لمدة سنتين في "بتليس" كان له ست بنات ، ثلاث منهن صغيرات وثلاث منهن كبيرات بالرغم من أنه عاش معهم في بيت واحد إلا أنه لم يميز بين الثلاث الكبيرات، وقد نزل عالم لضيافته وعرف في ظرف يومين وميز بينهما، حتى أنه سأل "سعيد" لماذا لا تنظر إليهن؟ فكان يجيبه

« صون عزة العلم تمنعني من النظر»² .

« في 1894م ذهب إلى إحدى قصبات مدينة "سعد" تدعى "تيللو" ، حيث إعتكف هناك و حفظ كتاب "القاموس المحيط" للفيروزآبادي إلى باب السين، أي حفظ ما يزيد على الف ومئة و خمسين صفحة و كان لا يأكل سوى الحساء والخبز الذي يجلبه له أخوه الصغير "محمد" كان يقوم بإعطاء حبات الحساء إلى النمل ويكتفي بغمس الخبز في سائل الحساء»³ .

إطلع النورسي على أهم الكتب في الفقه و اللغة و التفسير و النحو حيث كان عددها يفوق مئة كتاب بل و حفظها في عمر السابعة عشرة سنة وهذا عندما كان يقيم في دار الوالي بمدينة ماردين .

ثانيا : الإمام بالعلوم الحديثة وتلقيه ببديع الزمان

كان ذلك من خلال دعوة الوالي "حسن باشا" سنة 1897م "سعيد النورسي" إلى مدينة "وان" ، حيث لم يكن في هذه المدينة عالما معروفا ، فاستجاب سعيد للدعوة وذهب إليها وإستقر فيها مدة خمسة عشر سنة ، كما أنه إقتنع أن إستحصال العلوم الحديثة إلى جانب علم الكلام القديم الذي يقتضي على رد الشبهات والشكوك الواردة في الدين ،

¹ - أورخان علي ، المرجع السابق ، ص 18.

² - بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق في فقه دعوة النور ، ص 312.

*- تيللو: قصبة تمتاز إلى حد الآن بتخريج العلماء الصالحين ، تبعد عن مدينة سعرد ب سبعة 7 كلم .
³ - أورخان علي محمد، المرجع السابق، ص 15. انظر أيضا سعيد النورسي، السيرة الذاتية ، ص 54.

« فأصبح يطالع كتب العلوم الحديثة حتى إستحصل على أسسها تاريخ، جغرافية، رياضيات، جيولوجيا، فيزياء، كيمياء، فلك، الفلسفة و أمثالها من العلوم وذلك خلال مدة قصيرة دون معونة أحد، كما حفظ خلال أربع وعشرين ساعة كتابا للجغرافية وتعد مناظرته لمدرس الجغرافية ألزم الحجة في دار الوالي "طاهر باشا" 1897م وتعتبر هذه أول مناقشة علمية مع أحد أساتذة المدارس، كما أنه أقام عند "طاهر باشا" والذي كان كذلك يملك مختبرا علميا في قصره وكان مجلسه ملتقى العلماء إلى أن وصل به أن ألف كتابا عن الرياضيات غير أنها فقدت في إحدى الحرائق التي نشبت في "وان"، ومن خلال مناقشاته الرياضية والعلمية مما يبين ذكائه الخارق ، حيث أن كل مسألة رياضية طرحت أمامه إلا و حلها في ذهنه ويسبق الجميع وهكذا نرى أن "سعيد النورسي" ذكاهه الخارق وعلمه الغزير وإطلاعه الواسع ، ونظرا لتعدد مواهبه ولذكائه الخارق وقوة ذاكرته أطلق العلماء عليه لقب "بديع الزمان"، كما أن هذا اللقب شبهه به الأستاذ "الملا فتح الله" من سعد لسعيد القديم ببديع الزمان الهمداني*، فأعطى إسم "بديع الزمان" له¹.

لم يكتفي النورسي بالإطلاع على الكتب القديمة بل حاول الإلمام أيضا بكل الكتب الجديدة و العلوم الحديثة . ومن هنا نرى أن "سعيد النورسي" يقبل لقراءة كتب العلوم الحديثة بشغف وإهتمام ونظرا لتعدد مواهبه ولذكائه الخارق وقوة ذاكرته أطلق العلماء عليه لقب **بديع الزمان**

المطلب الثاني : جهوده الإصلاحية

الفرع الأول : إصلاحه بين العشائر ولقائه بمصطفى لدفع الظلم

أولا :لقائه مع مصطفى باشا لدفع الظلم

كان السلطان عبد الحميد الثاني قد أعطى رتبة الباشوية لبعض رؤساء العشائر الكردية في شرقي البلاد وذلك مؤلفون بإتباعهم المسلحين تقوم بوظيفة الحراسة على الحدود مع

¹ - واحدة شكران ،المرجع السابق ، ص 28.

*- **بديع الزمان الهمداني**: هو أحمد بن الحسين 969-1007م أي ما يوافق 358-395هـ كاتب وأديب من أسرة عربية ذات مكانة علمية مرموقة فنسب اسمه لهمدان المنطقة التي ولد بها ، فكان له قوة الذكاء وسرعة الحفظ وقوة النفس ، كان ينشد الشعر فيحفظ القصيدة كلها وينظر في أربعة أوراق في الكتاب نظرة واحدة ثم يحفظها عن ظهر قلب ، وذيع صيته عند الملوك والرؤساء ، الف حوله الكثير من طلاب العلم .من أشهر مؤلفاته كتاب " المقامات". كنيته ابو الفضل ولقبه بديع الزمان استقر في خراسان ومات في مدينة هراة.

روسيا تحفظ الأهالي من هجمات العصابات الأرمنية المسلحة، وكان "مصطفى باشا" أحد رؤوساء هذه العشائر ، حيث كان رئيس عشيرة "ميران" وكان معروفًا بظلمه

« ذهب "الملا سعيد" للقاءه بعد رؤيته في المنام "الشيخ عبد القادر الكيلاني*، الذي قال له إذهب الى "مصطفى باشا" وأدعه الى الهداية والى ترك الظلم والى أداء الصلاة ، فإن لم يستجب لك فقتله، وفعلا ذهب سعيد النورسي الى عشيرة "ميران" وعند لقاءه بمصطفى طلب منه أن يترك الظلم وان يصلي أو أن يقتله حتى أنه جرت مشادة بينهما إلى أن إقترح عليه "مصطفى باشا" مناظرة علماء جزيرة "ابن عمر" مناظرة علمية فيما بينهما ، فإذا أقام سعيد النورسي الحجة عليهم والزمهم قد ينفذ مصطفى باشا طلبه وأن لم يفعل سيلقي سعيد النورسي في النهر ، لكن جواب "الملا سعيد " بقوله: " كما أنه ليس من شأني إلزام جميع العلماء ، فليس بإستطاعتك أن تلقيني في النهر ، ولكن إن تفوقت عليهم أن أطلب منك بندقية ماوزر لأقتلك بها إن لم تحافظ على وعدك ، وإنعقد المجلس وبدأ العلماء بطرح أسألتهم الصعبة والتي تضمنت ما يقارب الأربعين سؤالاً وأجابهم إجابات صائبة ، سوى سؤال واحد أخطأ في جوابه ، دون ان ينتبه إليه العلماء وبعد ان إنقض المجلس تبعهم "الملا سعيد" قائلاً: " أرجوا المعذرة... لقد سهوت في جواب السؤال الفلاني ولم تفتنوا إليه والجواب الصحيح كذا وكذا" ، وأصبحوا بعد هذا المجلس يجلسون منه مجلس الطالب لينهلوا من علمه ، أما "مصطفى باشا" فقد وفى بوعدته وأهدى "سعيد النورسي" بندقية "ماوزر" وبدأ بإقامة الصلاة «¹.

ثانيا : الإصلاح بين العشائر

كان ذلك من خلال دعوة الوالي "حسن باشا" سنة 1897م "سعيد النورسي" إلى مدينة "وان" ، حيث لم يكن في هذه المدينة عالما معروفا ، فإستجاب سعيد للدعوة وذهب إليها و إستقر فيها مدة خمسة عشر سنة ، وكان يتجول بين عشائرها لتدريس الطلاب وإرشادهم وتكوين علاقات مع الوالي والموظفين ، حيث كان معظم وجل إهتمامه أن يصلح بين العشائر المتخاصمة ، حتى أنه أصلح بين "مصطفى باشا" و "شكر آغا"، حتى أن الإدارة

*- عبد القادر الجيلي أو الجيلاني أو الكيلاني (470 هـ - 561 هـ)، (1077-1166) هو أبو محمد عبد القادر بن موسى بن عبد الله، يعرف ويلقب في التراث المغاربي بالشيخ بوعلام الجيلاني، وبالمشرق عبد القادر الجيلاني، ويعرف أيضا ب"سلطان الأولياء"، وهو إمام صوفي وفقه حنبلي، لقبه أتباعه بـ "باز الله الأشهب" و"تاج العارفين" و"محيي الدين" و"قطب بغداد". وإليه تنتسب الطريقة القادرية الصوفية.-¹
1- أورخان علي، المرجع السابق ، ص 18.

العثمانية أخفقت في فض النزاع بينهما، هذا الأخير الذي كان يؤدي إلى إراقة الدماء وإنتشار العداوة والبغضاء بينهما لمدة سنين.

الفرع الثاني: إصلاحه في مجال التعليم

إستقر "سعيد النورسي" في مدينة "وان" عدة سنوات لتدريس الطلاب وإرشاد الناس حيث أنه تميز بطريقة تدريس إختلفت عن طرق التدريس آنذاك في المدارس الدينية و من هنا بدأت فكرته للإصلاح أي إصلاح نظام التعليم

«حيث أنه تميز بمزج الطرق القديمة المتبعة بالعلوم الحديثة وذلك بغية تقوية حججه وتوصيل معلوماته إلى تلامذته بأسهل الطرق متفاديا الطرق المعقدة في التدريس، ، إذ رأى أنه لا بد من الإصلاح وذلك كخطوة أولى من خطوات الإصلاح التي يجب أن يبتدأ بها ، فكان يعتبر أن العلوم الحديثة يجب أن تدرس إلى جانب العلوم الدينية ، حيث أن الحلقات العلماء في المدارس الدينية لا تجعل الطلاب يتزودون بالعلوم الحديثة وأن المدارس الحكومية الإعتيادية تدرس القوانين العلمية دون تدريس على أنها نواميس إلهية»¹ .

أراد سعيد النورسي تغيير نظام التعليم و طريقة التدريس التي كانت معتمدة آنذاك و التي كانت تقتصر على الطرق التقليدية في التعليم و الكتب القديمة، هذا النقص في نظر النورسي في كل المدرستين جعل فكرة الإصلاح تتبادر الى ذهنه من أجل التوفيق بين العلمين في آن واحد دون التركيز على علم وإهمال الآخر واقتصار كل مدرسة بعلم واحد في تدريسه وإنما إصلاحه يدعوا إلى المزج بين العلوم الدينية والعلوم الحديثة في آن واحد ، بحيث المدارس الحكومية تدرس الدين إلى جانب العلم والمدارس الدينية تدرس العلم إلى جانب الدين وبهذا لا ينحرف الطلاب إلى الإلحاد والشك والتعصب.

و كان يطمح ويأمل في إنشاء جامعة إسلامية تجمع بين تدريس العلوم الدينية وتدريس العلوم الحديثة وكان يريد إنشائها في شرقي "الأناضول" في "وان" أو "ديار بكر" تحت إسم

¹ - إحصان قاسم الصالحي، جوانب من حياة بديع الزمان، مركز بحوث رسائل النور للنشر والتوزيع ، إستانبول، تركيا، 2015، ص 3. أنظر أيضا بديع الزمان سعيد النورسي ، رسالة الحشر ، ترجمة: إحصان قاسم الصالحي، دار بني آسيا للنشر و التوزيع، إستانبول، 1985، ص 6.

"مدرسة الزهراء" مشابهة بذلك "الأزهر" بمصر ، تنهض بمهمة نشر حقائق الإسلام وتدمج فيها العلمين " الدينية والحديثة" حيث يؤكد النورسي فكرة الإصلاح بمقولته الشهيرة

« ضياء القلب هو العلوم الدينية ، ونور العقل هو العلوم الكونية الحديثة ، وبامتزاجهما تتجلى الحقيقة فتتربى همة الطالب و تعلو بكلا الجناحين ، و بافتراقهما تتولد تعب في الاولى و الحيل و الشبهات في الثانية »¹.

« وقدم مشروعاً للسلطان عبد الحميد الثاني لإنشاء جامعة إسلامية ، لكن المشروع الذي يطمح له لم يكن إلا في سنة 1911م في عهد "محمد رشاد"، عندما عاد من بلاد الشام رجع إلى إسطنبول وعرض مشروعه بخصوص الجامعة الإسلامية على السلطان رشاد ، فأعجب السلطان بهذا المشروع فخصص له مقداراً من المال لتنفيذه و إنشاء هذه الجامعة فشرع في وضع الحجر الأساس للجامعة على ضفاف بحيرة "وان" غير أن الحرب العالمية الأولى حالت دون إكمال المشروع»².

الفرع الثالث : إصلاحه الديني

أولاً: التحول الفكري عند سعيد النورسي 1899م وبداية إصلاحه الديني

أثناء إقامته في مدينة "وان" وخلال هذه الأثناء والفترة جرت حادثة غيرت فكره وأثرت على تفكيره تأثيراً قوياً ، وتعود أحداث هذه الحادثة عندما نشر في أحد الصحف المحلية أن وزير المستعمرات البريطاني "غلاستون" * ، خطب في مجلس العموم البريطاني ، وبيده نسخة من القرآن الكريم قائلاً:

« خطب وزير المستعمرات البريطاني "غلاستون" ، في مجلس العموم البريطاني

، وبيده نسخة من القرآن الكريم قائلاً ما دام القرآن بيد المسلمين ، فلن نستطيع أن نحكمهم ، لذلك فلا مناص لنا من أن نزيله من الوجود أو نقطع صلة المسلمين به»³.

¹ - بديع الزمان سعيد النورسي ، صيقل الإسلام ، المصدر السابق ، ص 428.

² - إحسان قاسم الصالحي، جوانب من حياة بديع الزمان، المرجع السابق، ص 6.

*- وليام غلاستون : 1809-1898م ، رجل من رجال السياسة البريطانية ، بدأت حياته السياسية من 1832م ، عندما انتخب عضواً في مجلس العموم البريطاني عن "حزب المحافظين" وقضى بقية حياته في السياسة ، حيث شغل مناصب عدة وزارات ، منها رئاسة الوزراء عدة مرات ، كان يعرف بتعصبه المقيت للنصرانية ، وعادته الشديد للدين الإسلامي والشعوب الإسلامية.

وقد علم هذا من الوالي " **ظاهر باشا** " وبأن أوربا تحيك مؤامرة خبيثة حول القرآن الكريم و بهذا الخبر الذي زعزع كيانه وإتجاه هذا التصريح المعادي لمشاعر المسلمين أعطى "**سعيد النورسي**" عهدا بأن يكرس حياته لإظهار إعجاز القرآن الكريم للعالم حيث قال:

« لأبرهنن للعالم أن القرآن شمس معنوية لا تخبو سناها ، ولا يمكن إطفاء نورها »¹.

أصبح "**سعيد النورسي**" بعد هذه الحادثة قوي مما قوى عزيمته على إنشاء "**مدرسة الزهراء**" والتي من خلالها يستطيع أن يحقق وعده ومن هنا بدأت رحلته إلى العاصمة "**إستانبول**" عازما ومصرًا على أن يقابل المسؤولين وبالتالي أن يقنعهم

« بضرورة إنشاء هذه المدرسة أو الجامعة الإسلامية ومدى أهميتها وتجمع العناية بالعلوم الشرعية والدينية والعلوم الرياضية تحت سقف واحد ويشاهد العالم الغربي عظمة هذا الدين ، ويكون ذلك حصانة من خطر إفساد الدعوات القومية الشعوب الإسلامية»².

ومن أجل النهوض بهذه المنطقة علميا ، ومن هنا بدأ " **سعيد النورسي**" بجهاده المعنوي معتمدا على الحكمة القرآنية وخادما للقرآن وأصبح القرآن الكريم له دليلا ومرشدا وأستاذا وأصبحت جميع العلوم المتنوعة في ذهنه مدارج لإدراك معاني القرآن الكريم وإثبات حقائقه.

نستنتج من خلال ما تقدم ومن خلال ما لحظناه في سيرته الذاتية التي صرح بها عن نفسه ومن خلال ما كتب عنه من خلال عدة مؤلفات ومن خلال عدة مؤتمرات دولية تطرقت الى دراسات حول "**سعيد النورسي**" من خلال تناول عدة زوايا منها ماهو ديني ومنها ماهو أخلاقي ومنها ما هو سياسي... الخ أن رحلته إلى إستانبول للمرة الثانية أي ما يوافق سنة 1907 م وهو ما يسبق عهد الحرية وقبل تدبير الانقلاب المدبر للخلع السلطان عبد الحميد

³- سهيل صابان ، عثمان علي، تطور الأوضاع الثقافية في تركيا من عهد التنظيمات الى عهد الجمهورية 1839-1990م ، المعهد العالمي للفكر الاسلامي ، مكتب التوزيع في العالم العربي ، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ، 2010م، ص 428.

¹-إحسان قاسم الصالحي ، يديع الزمان سعيد النورسي: نظرة عامة عن حياته وأثره ، دار سوزلر للنشر، إستانبول، 1987 ، ص25. أنظر أيضا سعيد النورسي ، السيرة الذاتية، ص 66..

²- صابان سهيل، عثمان علي، المرجع السابق ، ص 429.

الثاني ، أن توجهه كان له غاية ألا وهي مناظرة العلماء ومدرسي المدارس الدينية الى مناقشته وأن يجيب عن جميع أسئلتهم.

ثانيا :إرسال عريضة للسلطان بإنشاء " مدرسة الزهراء "

« و في عام 1907م اتجه النورسي إلى إستانبول أي قبل عهد الحرية ، وجهته هو دعوة إلى العلماء ومدرسي المدارس الدينية إلى مناقشاته ومناظراته ، فأجاب عن جميع أسئلتهم إجابة شافية وصائبة»¹ .

« و هذا بغية الحصول على الدعم و المساندة الرسمية لانشاء جامعته الاسلامية التي أطلق عليها اسم مدرسة الزهراء ، و كان يناهز الثلاثين آنذاك»².

كما أنه أثناء إقامته بإستانبول قام بإرسال عريضة الى "السلطان عبد الحميد الثاني " وذلك ليطلب منه بإنشاء " مدرسة الزهراء " ، بحيث شرح له "بديع الزمان" المشكلة التي تقع في المنطقة الشرقية والتي تعاني من الجهل والفقر وقلة الخدمات حيث قال:

« مع العلم أن الدولة على علم باحوال أهالي المنطقة الشرقية الذين يعدون جزءا مهما من الأمة العثمانية ، إلا أنني أرجوا من ذلك السماح لي بتقديم بعض المطالب التي هي ضمن الواجب العلمي المقدس، لقد تم فتح بعض المدارس في شرقي الأناضول ، ولكن لا يستفيد من العلوم التي تدرس في هذه المدارس سوى الطلاب الذين يعرفون اللغة التركية ، أما الذين لا يعرفون التركية فلا يجدون أمامهم سوى الإنخراط في المدارس الدينية ، ولعدم معرفة معلمي هذه المدارس اللغات المحلية فإن الأطفال يبقون محرومين من الدراسة والتعليم وهذا يؤدي إلى زيادة الجهل وإلى زيادة القلاقل وهذا يشغل أذهان ذوي الغيرة»³ .

¹- بديع الزمان سعيد النورسي، اللمعات ،تر: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، مصر، بدون سنة، وطبعة نشر ، ص 262.

²- واحدة شكران ، المرجع السابق ، ص63.

³- أورخان محمد علي ، المرجع السابق ،ص 24.

وبالتالي إقتراح "سعيد النورسي" لتفادي هذا النقص كان يعتبر من أهم الإصلاحات التي يجب على السلطة العثمانية القيام بها من أجل الإصلاح والقيام بجهود فعلية ومجسدة على أرض الواقع وذلك بإقتراحه

« على الحكومة بالقيام بفتح عدة مدارس وفي عدة مناطق مختلفة في شرقي الأناضول مثل "بتليس" ، "وان" و "سعد" ، وتعليم خمسين طالبا في كل مدرسة على حسابها على أن تدرس المواد العلمية في هذه المدارس جنبا إلى جنب مع العلوم الدينية »¹.

وهكذا في نظره يتم إرساء أسس المعارف من أجل تقوية الوحدة ومن أجل الدين والوطن ، ثم يقابل السلطات نفسه ليس من أجل هذا الطلب فقط بل نراه من خلال ما سرد عن حياته أنه الى جانب هذا الطلب الإيجابي أنه في نفس الوقت وأثناء ذلك ينتقد الإستبداد والظلم ونظام الامن والإستخبارات في قصر "يلدز".

ويشير "سعيد النورسي" إلى نقطة أساسية ألا وهي أنه لما قدم إلى إستانبول لاحظ وشاهد أن المدارس الدينية لم تتقدم كالمرافق الأخرى في البلاد ويرجع السبب في ذلك إلى الإستنباط من الكتب وعدم إجراء المناظرات العلمية بين الطلاب، كما لاحظ أن هناك تباين في الأفكار بين أهل المدارس الدينية والمدارس الحديثة والزوايا فيشير أيضا:

« إلي أن أهل المدارس الدينية يتهمون أهل المدرسة الحديثة بضعف العقيدة لتأويلهم ظواهر بعض الآيات والأحاديث تأويلا لا يفضي إلى غير المراد منها. وهؤلاء يعدون أولئك غير موثوق بهم لعدم إقبالهم على العلوم الحديثة ، فحين ينظر أهل المدارس الحديثة إلى التكايا و الزوايا كأنهم أهل بدعة حيث يبنون رأيهم هذا على ظن باطل لدى العوام وبعض الجهلاء الذين يعدون أعمالا وحركات في الذكر،ولهذا دعى " سعيد النورسي " أن تصبح هذه المرافق الثلاثة جهازا متناسقا للتقدم والرفي بمزج العلوم الدينية مع العلوم الحديثة»².

¹- إحسان قاسم الصالحي، بديع الزمان سعيد النورسي، نظرة عامة عن حياته وأثاره، شركة سوزلر للنشر ، القاهرة، مصر، الطبعة العاشرة ، 2013 م، ص 17.

²- بديع الزمان سعيد النورسي ، السيرة الذاتية، المصدر السابق، ص 72.

و لهذا نرى أن طموحه كان يدعو إلى أن تصبح هذه المدارس (الدينية و الحديثة و التكايا) دون إقصاء أي واحدة منها أو تهيمشها متناسقة فيما بينها من أجل التقدم ، وهذه هي الغاية التي أتى من أجلها إلى إستانبول راغبا في تحقيقها في إستانبول و لهذا كان دائما يكرر مقولته:

« الدين هو ضياء القلوب ، أما العلوم المدنية فهي نور العقول فبإمتزاجهما تتجلى الحقيقة . فتتربى همة الطالب وتعلو بكل الجناحين وبإفتراقهما يتولد التعصب في الاولى والحيل والشبهات في الثانية»¹ .

ثالثا : لقاء بديع الزمان مع مفتي الديار المصرية الشيخ بخيت المطيعي:

«كان ذلك في السنة الأولى من عهد الحرية»² .

حيث حضر مفتي الديار المصرية "الشيخ بخيت المطيعي" والذي كان عالما معروفا ، وقد كان يبدو للبعض أنه سيكون شيئا طريفا أن يقوم هذا العالم بمناظرة "بديع الزمان" فلعله ينجح فيما لم ينجح فيه علماء "إستانبول" فيلزمه الحجة ، وعرض هذا الإقتراح على العالم المصري فلم يمانع ذلك بل قبله ، وفي ذات يوم في مقهى قرب جامع "أيا صوفيا" ، وبعد صلاة العصر إنتهز العالم المصري وجود "بديع الزمان" هناك وبدأ بالحديث معه أمام جمع من العلماء بالسؤال التالي: ما قولك عن الحرية الموجودة في الدولة العثمانية وعن المدنية الأوروبية؟

فكان جواب سعيد النورسي كالتالي :

«إن الدولة العثمانية حبلى الآن بجنين أوربا وستلد يوما حكومة مثلها، أما أوربا فهي حاملة بالإسلام وستلد يوما ما»³ .

¹ - بديع الزمان سعيد النورسي، صيقل الإسلام ، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، مصر ، الطبعة الثالثة ، 2002 ، ص 428.

² - بديع الزمان سعيد النورسي، السيرة ذاتية ، ص 84.

³ - بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق ، المصدر السابق، ص 386

وقد أعجب العالم المصري بهذا الجواب الدقيق والعميق وإلتفت إلى حوله من العلماء ليقول لهم:

« لا يناظر هذا الشاب ولا أتمكن أن أغلبه فلقد شاهدنا الولادة الأولى أنها سبقت أوربا في بعدها عن الدين بربع قرن، أما الولادة الثانية فستظهر بعد حوالي ثلاثين سنة بإذن الله، ستظهر قي الشرق والغرب دولة إسلامية »¹.

رابعاً : رحلته للشام وخطبته المشهورة وتأثيرها الدعوي

في شتاء سنة 1911م الموافق لـ 1327هـ ، زار " النورسي" ديار الشام حيث كانت له أخته هناك. وألقى خطبة باللغة العربية في الجامع الأموي في دمشق ، مخاطباً العلماء وجمعاً غيراً من المصلين ، وقد طبعت خطبته هذه في كراسة تحت عنوان " الخطبة الشامية" والتي شخّص فيها أمراض الأمة الإسلامية وعلاجاتها ، حضرها ما يقرب من عشرة آلاف شخص بينهم ما لا يقل عن مائة من كبار علماء الشام .

ونلاحظ أن ما تطرق إليه "النورسي" تناوله لمجموعة من الأمراض التي تصيب المجتمع والتي تهدد كيان المجتمع الإسلامي وتؤدي إلى تدهوره. مثلها كالمريض العضوي الذي يصيب جسد الإنسان فيخل بوظائفه ويهدد نظامه العام ويؤثر عليه تأثيراً سلبياً ، وسنذكر بعض الأمراض التي ذكرها وركز عليها وذلك من أجل تسليط الضوء عليها هي كالاتي:

« 1- اليأس والقنوط الذي ما زال يجد أسباب الحياة في نفوسنا. 2- موت الصدق في حياتنا الإجتماعية والسياسية. 3- حب العداوة. 4- تجاهل الرابطة الروحية التي تربط المؤمنين ببعضهم البعض. 5- ذبوع الإستبداد ذبوع الأمراض المعدية المختلفة. 6- حصر الهمة في المنفعة الشخصية دون الإلتفات الى النفع العام»².

ولم يتطرق إلى ذكر الأمراض بل قدم كذلك الحلول لمواجهة هذه الأمراض وبالتالي إعادة النظام لهذا المجتمع المريض ،

¹- بديع الزمان سعيد النورسي ، السيرة الذاتية، المصدر السابق ، ص 84.

²- بديع الزمان سعيد النورسي ، صيقل الإسلام ، ص 491.

« كما بين الدواء لكل مرض من الأمراض المذكورة مبتدءاً بالأمل »¹

ومن دمشق ذهب إلى "بيروت" ومنها سافر إلى "إستانبول" عن طريق البحر للسعي مرة أخرى

« لتحقيق غايته في إنشاء " مدرسة الزهراء" فيقابل السلطان "محمد رشاد" وقد أخذ وعدا من السلطان ومن جمعية الاتحاد والترقي بفتح دار للفنون الإسلامية "جامعة إسلامية" في الشرق ، إلا أن أحداث الحرب العالمية الأولى قضت على هذا المشروع »².

الفرع الرابع : محاولة إبعاده من إستانبول

كانت شهرته العلمية قد إنتشرت في أقطار "إستانبول" فتجمع حوله الطلاب والعلماء يسألونه وهو يجيب بكل شفافية وصواب،

« إعترف له الجميع بالإمامة وبأنهم لم يشاهدوا في علمه وفضله أحدا. وفي ختام المناظرات العلمية التي دامت بنجاح باهرا أياما وأسابيع قالوا إن هذا الرجل مجنون لأنه يعلم كل شيء وسجلوا إسم "سعيد المسكين" في سجل المجانين وألقوا أنه مجنون العلم والمعرفة والوطن والمدينة في مستشفى المجاذيب وبعثوا له من القصر طبيبا ليفحص قواه العقلية في المستشفى بأمر من السلطان عبد الحميد الثاني»³.

وبعدما تحاور الطبيب مع "سعيد النورسي" ، هذا الأخير الذي تكلم عن سبب قدومه إلى "إستانبول" كان من أجل رفع الجهل وذلك عن طريق الإصلاح بمزج العلوم الدينية مع العلوم العلمية فيما بينها من أجل التقدم والرقي وبعد أن أعطى المبررات الشافية للطبيب وبعد سماعه أدرك مدى جديته وسعيه الحثيث في خدمة الوطن ونفع الاهالي في المعرفة وكيف أنه في قمة الذكاء ،فكتب الطبيب تقريرا ضمنه بهذا الكلام:

¹- نفس المصدر ، ص 492.

²- إحسان قاسم الصالحي، بديع الزمان سعيد النورسي، نظرة عامة عن حياته ومآثره، المرجع السابق ، ص 27.

³- بديع الزمان سعيد النورسي ، الشعاعات ، ترجمة : إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، 1993، ص541.

« لا يوجد بين القادمين إلى إستانبول من يملك ذكاء وفطنة مثله ، إنه نادرة العالم " ، فأصدروا أمرا مستعجلا بإخراج "سعيد" من المستشفى ، وبعثوا مع وزير الأمن "شفيق باشا" أمرا إداريا يتضمن تخصيص مبلغ قدره ثلاثون ليرة ذهبية مرتبا شهريا مع مبلغ من التبرعات وذلك لأجل إبعاده عن إستانبول»¹.

لكن "سعيد النورسي" رفض ذلك وإعتبره إتاوة على سكوته.

وما يمكن الإشارة إليه أن "سعيد النورسي" قضى فترة داخل المستشفى حيث أنه :

« قضى قرابة ثمانية أشهر في المستشفى وذلك تبعا للإجراءات والروتين المعقد

والرسمي من أجل خروجه من المستشفى من خلال تقديم التقرير والمصادقة عليه حتى الخروج أحد وقتنا طويلا

«²

المطلب الثالث : إهتمامه بالسياسة

الفرع الأول :. بدايه إهتمامه بالسياسة وتأثيرها على الفكر النورسي:

بدأ إهتمام سعيد النورسي بالسياسة أثناء تواجده " بماردين" وذلك قبل الإنقلاب حسب ما يرد

« أثناء إعلان المشروطية الثانية سنة 1908م ، حيث أنه عندما وصل الى " ماردين" يذكر في سيرته الذاتية أنه التقى خلال سنة 1892-1893م، بشخص فاضل حوالي مدينة "ماردين" أرشده الى الحق وبين له المسلك المعتدل القويم في السياسة ، ويقول سعيد النورسي أنه أفاق من نومه بروية كمال المشهور والذي يعتبر من المؤمنين بالحرية والإتحاد الاسلامي»³.

« حيث أنني بايعت السلطان سليم وقبلت فكره في الاتحاد الإسلامي ، لأن ذلك الفكر هو الذي أيقظ الولايات الشرقية ، فهم قد بايعوه على ذلك . فالشركيون الآن هم أولئك لم يتغيروا ، فأسلافي في هذه المسألة هم: "السيد جمال الدين الأثغاني" ومفتي الديار المصرية "محمد عبده" ومن

¹- عماد عبد السلام رؤوف، مذكرات عبد المجيد محمود الوزير في العهد الملكي بالعراق ، دار الحكمة للطباعة والنشر والتوزيع، لندن ، الطبعة الأولى ، 2008، ص6 . أنظر أيضا : سعيد النورسي ، السيرة الذاتية، ص 74.

²- أورخان علي ، المرجع السابق، ص 28.

³- بديع الزمان سعيد النورسي، السيرة الذاتية ، ص 58.

علماء الاعلام علي صعاوي والعالم تحسين والشاعر نامق كمال الذي دعا الى الإتحاد الإسلامي والسلطان سليم الذي قال: " إن مغبة الإختلاف والتفرقة حتى في قبري فسلحنا في دفع صولة الأعداء إنما هو الإتحاد ، إن لم تتحد الأمة فإني أتحرق أسي" ¹.

من خلال هذا نرى أن النورسي أبدى نشاطا دائما ومناصرة للمنادين بالحرية وإهتماما بالأمر الإجتماعية والسياسية ، حتى انه في كثير من الأحيان سوق به إلى المحاكم العسكرية العرفية لإتهامه بعدة جنايات كونه مناصرا للحرية ويسعى إلى تهدئة الأوضاع والإضطرابات السياسية بعلوه المنصات وخطابه للحرية والوطنية .

« أثناء تواجده في " ماردين " كان له نصيب في إلتقائه أيضا طالبين أحدهما من طلاب السيد جمال الدين الأفغاني وبالتالي إطلع بواسطته على منهج السيد جمال الدين الأفغاني» ².

ومما تجدر الإشارة إليه أن منهج السيد جمال الدين الأفغاني ترك بصمة على فكر "سعيد النورسي" من خلال منطلقاته الفكرية وإيديولوجيته في عصر النهضة في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين التي كانت تعبيرا عن واقع إجتماعي وفكري وسياسي وإقتصادي لما كانت تعيشه الأمة الإسلامية آنذاك.

ونرى أنه منذ بداية إهتمامه بالسياسة سار على خطى السيد "جمال الدين الأفغاني" من أسلافه الذين نادوا بالإتحاد الاسلامي ، حيث عاصر "جمال الدين الأفغاني" 1839-1897م الهجمة الأمبريالية الشرسة التي تعرض لها العالم الإسلامي في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر 19م والتدخل في أمور الدولة العثمانية الداخلية ، هذا الوضع إنعكس على أفكاره الإصلاحية التي إتخذت الأوضاع موقفا مغايرا يمكن أن يكون أقرب للعداء للغرب الأوربي .

« أهم فكرة ركز عليها "جمال الدين الأفغاني" Jamel Eddine Al Afghani في تصوره للنهضة الدينية إعتبر الاسلام دين ومدنية إنسانية مزدهرة في كل نواحيها» ¹.

¹ - بديع الزمان سعيد النورسي ، صيقل الاسلام ، ص 446.

² - سعيد النورسي ، السيرة الذاتية ، ص 58.

وسمحت له ظروف إقامته في مصر تكوين جيل من الشباب في الأزهر قاوم عملية التحديث والعلمنة التي كانت وراءها بريطانيا. كما أنه أسس مجلة إسمها "العروى الوثقى" مع "محمد عبده" والتي حملا على عاتقهما من خلال مقالاتها ، إحياء الإسلام الصافي بين الشريعة والعقل خدمة لبناء الأمة الإسلامية الجديدة، كما سنرى أن هذا الأسلوب إتبعه "النورسي" من خلال كتاباته لمقالات حول الحرية والمناداة بها في إطار ما تنادي به الشريعة خاصة بعد إعلان عهد الحرية.

كما تجدر الإشارة كذلك الى أن إرتباط "جمال الدين الأفغاني" بحركة الجامعة الإسلامية التي من خلالها دعا إلى الإتحاد الإسلامي ووحدة الصفوف المسلمين شعوبا وحكومات وعلى رأسها الدولة العثمانية لمجابهة الزحف الإستعماري المتزايد على ديار المسلمين وذلك لمباشرة الإصلاح الديني والإجتماعي والتعاون الوثيق لتحريرهم من السيطرة الاجنبية ، كما أكد بدوره على شعيرة الحج كوسيلة أساسية لتقوية هذه الوحدة ، لأن الحج عبارة عن مؤتمر إسلامي سنوي كبير يلتقي فيه المسلمون من كافة أرجاء الأرض ، يتباحثون في الشؤون الدينية والإسلامية ويضعون الخطط ويرسمون الطرائق للدفاع عن الإسلام والمسلمين.

كما يمكن أن نشير الى ما أكده " جمال الدين الأفغاني " كحوصلة إلى ما سعى إليه من أجل الإصلاح والنهوض بالأمة الإسلامية مايلي :

«ضرور الإقتباس من الحضارة الغربية في ميادين العلوم الحديثة والأنظمة السياسية والدستورية ، وإقامة الدولة على أساس العقل وتضامن الطوائف في وحدة المجتمع القومي والتمسك بالسعي لا بالقدرية»²

نلاحظ في هذه النقطة وهذه الإيديولوجية أن "سعيد النورسي" قد أكد على ضرورة الإلمام بالعلوم الحديثة وقد ذكرنا هذا سابقا حين كان يقيم في وان حيث أنه درس العلوم الحديثة لأول مرة في مكتبة الوالي من خلال هذا نستنتج أن سعيد النورسي و جمال الدين

¹ - رفاعة رافع الطهطاوي ، مناهج الألباب المصرية في مناهج الآداب العصرية، مطبعة شركة الرغائب للنشر و التوزيع، القاهرة، مصر، 1912م، ص22.

² - الغالي غربي، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي 1288-1916م، ديوان المطبوعات الجامعية للنشر، بدون طبعة ، الجزائر، 2007م، ص237.

الافغاني إنتهجا نفس الفكرة أو حتى بعض الأفكار إن صح القول وذلك بهدف إصلاح ديني إجتماعي...الخ من أجل دفع الإستعمار الأوربي عن الإسلام والمسلمين أينما وجدوا.

«أن الوحدة الحقيقية تقوم على الإعتقاد الديني المشترك، أكثر مما تقوم على أي نوع من أنواع الولاءات الأخرى بما فيها الولاءات الوطنية، كما أن دواء ضعف البلدان الإسلامية إنما يكون بالعودة والرجوع الى القرآن الكريم والإسلام الصحيح وبناء الدولة على أساس ديني. ورغم فشل حركة " جمال الدين الأفغاني" سياسياً، إلا أنها تركت آثار بعيدة المدى في حياة المجتمعات الإسلامية من الناحية الدينية. وذلك أنها كانت أكثر إدراكاً لمشكلات العالم الإسلامي إذا قورنت بالحركة الوهابية أو السنوسية، ونرى ان جمال الدين الافغاني قد فضل النهج السياسي قبل كل إصلاح»¹.

ومما لا شك فيه أن هناك تقارب جد كبير في توجه أفكار " جمال الدين الأفغاني" وما ينادي به "سعيد النورسي" من خلال ما طرحه "جمال الدين الأفغاني" كمفكر إسلامي في عصر النهضة وكرائد للإصلاحات التي نادى بها، هذا ما يجعلنا نلمس تأثر " سعيد النورسي" بحركة "جمال الدين الأفغاني" ومحتواها وما طمحت للوصول إليه كواقع عن أوضاع إجتماعية ودينية وسياسية...الخ من أجل الوحدة والاتحاد الإسلامي في وجه المدنية وفي وجه الإستعمار الأوربي الإستبدادي.

غير أن " محمد عبده" تلميذ جمال الدين الافغاني إنتهج طريقة إصلاحية بعيدة عن السياسة تختلف عن أستاذه جمال الدين لإنشاء حركة تجديدية فكرية إسلامية في بداية القرن العشرين تعتمد على العمل التربوي الذي هو محور إهتمامه الأكبر من أجل القضاء على الجمود الفكري و الحضاري، لإعادة إحياء الأمة الإسلامية التي تتوافق مع مستجدات العصر، وهو بذلك يرى أن التربية والتعليم وسيلتين من وسائل إيقاظ الوعي في الامة، و بواسطتهما تتجدد حيوية الأمة ويعاد تكوينها، ومنه نستنتج أنه كان بعيداً كل البعد عن السياسية و ما يرتبط بها و لم يدمجه في تجديده الإصلاحية عكس أستاذه، و لخص فكره الإصلاحية قائلاً:

¹ - نفس المرجع، ص 238.

« إرتفع صوتي بالدعوة إلى أمرين عظيمين الأول تحرير الفكر من قيد التقليد وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف ، الأمر الثاني إصلاح اللغة العربية و أساليبها في التحرير سواء كان في المخاطبات الرسمية أو المراسلات بين الناس.وهنا أمر آخر كنت من دعائه هو التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب وما للشعب من حق العدالة على الحكومة»¹ .

كما دافع "محمد عبده" أيضا عن موقف الإسلام من المدنية الغربية بقوله :

« إن الإسلام لن يقف عثرة في سبيل المدنية أبدا ولكنه سيهذبها وينقيها من اوضارها. وستكون من أقوى أنصاره متى عرفتة وعرفها أهله.... وهذا الجمود سيزول ... بعودة هذا الكتاب الذي كان يتبعه العلم حينما سار شرقا أو غربا ، لا بد أن يعود نوره الى الظهور و يمزق حجب الضلالات»².

و من خلال ما تقدم نلاحظ أن النقاط التي تعرض لها "محمد عبده" من خلال فلسفته الإصلاحية تناولها النورسي وأكد عليها من خلال ما لمسناه من سيرته الذاتية وحول فكره الإصلاحي في المجتمع التركي بإعتبار أن الدين – الإسلام- قادر على إستيعاب الحضارة الغربية ومنافستها والسبق عليها .

«إذا ما أعيد إحياءه بشكل يعطي للعقل قيمته التي إفتقدها طيلة عصور الإنحطاط وهذا الاسلام المتثور من شأنه ان يحمي المسلمين والعرب من أثر التدخل الأجنبي بإسم التحديث والتطوير»³.

إن نشاط السياسي "لسعيد النورسي" كان يتجلى من خلال ما يقوم به ، فعندما دعاه الوالي "حسن باشا" في مدينة "وان" هذه الاخيرة التي مكث بها قرابة خمسة عشر سنة حيث « إستقر فيها قرابة خمسة عشرة سنة 15 سنة عام 1897م ، قضاها في التجوال بين العشائر والمصالحة فيما بينهم حتى أنه إستطاع إجراء الصلح بين "شكرآغا" و "مصطفى باشا" رئيس

¹- الغالي غربي، نفس المرجع ، ص 238.

²- نفس المرجع ،ص 239.

³- أحمد السماوي، الإستبداد والحرية في فكر النهضة، دار محمد علي الخامي للنشر والتوزيع، تونس،1988م، ص 23.

عشيرة "ميران" بينما أخفقت الإدارة العثمانية من فض النزاع بينهما»¹.

ومن خلال هذا نرى كيف ان "النورسي" كان يمارس السياسة عن طريق الموعدة والإرشاد بين هذه العشائر والتي طالما السلطات والحكومة العثمانية عجزت عن فعل ذلك. و نرى من خلال سيرة "سعيد النورسي" الذاتية وكل مجريات حياته أنه في حياته في إستانبول كانت له حياة ذات طابعا سياسيا إلى حد ما إذ كان يحمل فكرة خدمة الدين عن طريق السياسة ، من خلال ما كان يقوم به بصعوده المنصات وإلقاء الخطب .

« ناصر بذلك الدعوة الى الحرية وعارض بشدة "جمعية الإتحاد والترقي" عنما شاهد من ظلمهم، وبعدهما أعلن الدستور نراه يناصر جمعية "الإتحاد المحمدي" ، والتي بدأت تتوسع وتنتشر في زمن قصير حتى إنضم إليها خمسون ألفا من الأعضاء كل من "أدابازاري" و " إزميت"»²

ولم يقتصر عمله السياسي على إلقاء الخطب وإعتلاء المنصات لتهدئة الأوضاع وحالات الفوضى التي كانت تعم أرجاء إستانبول والتي سيتم ذكرها لاحقا ، وانما تعدى نشاطه السياسي ذلك الى نشر وكتابة المقالات في هذه الفترة وتعاقبت في الصحف الدينية فإستفاد الناس والسياسيون والعلماء من تلك المقالات والخطب أيما إستفادة.

رغم أن ممارسته السياسة هذه لم تكن في خدمه مصلحته الشخصية كما هي متدواله في زماننا الحاضر وما يكشفه لنا واقعنا المعاش حاليا، بل كانت من أجل المصلحة العامة وذلك بهدف إخماد نار التشنت والقتال والفتن، وبالرغم من هدفه النبيل والخالي من اي مصلحة شخصية الا أنه في غالب الأحيان وكثيرا ما كانت تشير اليه أصابع الإتهام حول التحريض ودفع الناس الى التمرد والفوضى والعصيان التي تعم شوارع إستانبول ، ليلقى القبض عليه عدة مرات ويدخلونه السجن كما نراه يتعرض إلى عدة محاكمات من خلال المحكمة العسكرية العرفية والتي كل مرة يتحصل فيها على براءته من جميع التهم الموجهة إليه. وسنذكر حادثة 31 مارت والتي كانت سبب دخوله السجن ومحاكمته محاكمة عسكرية كان ذلك أيام عهد السلطان "عبد الحميد الثاني".

¹- بديع الزمان سعيد النورسي، السيرة الذاتية ، المصدر السابق ، ص62.

²- نفس المصدر ، ص 111.

الفرع الثاني : محاولة جمعية الإتحاد والترقي ضم سعيد النورسي في صفوفهم بسلانيك

ذهب "بديع الزمان سعيد النورسي" إلى مدينة "سلانيك" التي كانت آنذاك المركز الرئيسي والأساسي لأنشطة "جمعية الإتحاد والترقي"⁽¹⁾ ، التي كانت و تأسست في سرية و المناهضة لحكم "السلطان عبد الحميد الثاني" حيث أن إتصال أعضاء هذه الجمعية بـ"سعيد النورسي" بإعتبار أن شعارهم حرية – العدل و المساواة – الإتحاد في خط مواز مع أفكاره حول الشورى و حول الأخوة الإسلامية ، والعدالة الإسلامية والتي في مضمونها لا تميز بين الغني والفقير وبين القوي والضعيف.

كان "سعيد النورسي" يؤكد على مبدأ الشورى بشكل خاص على أنه مبدأ إسلامي لرد الإتهامات الغرب بأن النظام الديكتاتوري والنظام الفردي نتيجتان طبيعيتان للدين الإسلامي. وعندما أعلنت المشروطية الثانية سنة 1908م ، ألقى "بديع الزمان" خطبة في ميدان الحرية "سلانيك" شرح ضمنها مفهوم الحرية أي الحرية التي يرسم الشرع حدودها وليست الحرية الفوضوية التي لا ضابط لها.

أحاط أعضاء "جمعية الإتحاد والترقي" بـ "بديع الزمان" محاولين بذلك جره إلى صفوفهم والإستفادة من شعبيته ومن شهرته لدى العوام وبالتالي يستطيعوا من خلاله إستمالة العوام وتأييد الناس لهم ومن ما يطالبون به من مطالب تخدم بالدرجة الأولى مصالحهم الذاتية التي لا تخدم المجتمع ككل وإنما تعزز مطالبهم الشخصية.

¹ - الإتحاد والترقي: جمعية سرية شكلها طالب ألباني في المدرسة الطبية العسكرية السلطانية يدعى "إبراهيم تمو" مع قسم من أصدقائه من الطلبة سنة 1889 ، وكانت تهدف إلى خلع السلطان عبد الحميد الثاني، ورفعت شعار "حرية، مساواة ،عدالة" ساعدتها المحافل الماسونية، وانتسب كثير من أعضائها إليها، كما أن دولا أوروبية عديدة مدت لها يد المساعدة. استفحل أمرها عندما تغلغت في صفوف الجيش الثالث العثماني في مدينة "سلانيك" التي كانت مقراً ليهود "الدونمة" وفيها محفل الماسونية، وبدأت حركة تمرد في هذا الجيش وأرسل زعماء الحركة هذه برقيات تطالب السلطان بإعلان الدستور وإعادة مجلس المبعوثان (النواب) واضطر السلطان إلى إعلان المشروطية الثانية سنة 1908 وبعد سنة من إعلانه الدستور تم خلعه ونفيه إلى "سلانيك" ونصب أخوه "محمد رشاد" مكانه، ورغم أن أعضاء جمعية الإتحاد والترقي قد حقق إصلاحات في الإدارة والجيش إلا أنه قبض على الحكم بيد من حديد و أقام دكتاتورية ظالمة، وورط الدولة في الحرب العالمية الأولى، وبعد إعلان هدنة موندروس في 1918/ 10/30م. بيوم هرب زعماء هذه الجمعية إلى خارج البلاد

وقد إلتقى "سعيد النورسي" عددا من شخصياتها من بينهم "ميكايل قره صو" الذي كان يطمح للقاء مع "النورسي" في إطار محاولات التأثير فيه ولم يمانع "سعيد النورسي" ذلك ، و لكن المقابلة التي جرت بينهما لم تطل لأن " قره صو" فر هاربا من اللقاء وهو يقول:

« كاد هذا الرجل العجيب -النورسي- أن يدخلني في الإسلام بحديثه»¹.

« لكن بعد نجاح هذه الجمعية بدأت بإغتيال معارضيهما في الطرقات ، قام "بديع الزمان" منددا بظلمها ، ووصفهم بأنهم المعتدون على الدين المولون ظهورهم إلى الشريعة وكشف عن مخططاتهم»².

ومن ثم أُلقت القبض عليه وأرسلته إلى المحكمة العسكرية.

الفرع الثالث :موقفه من "جون تورك" وجمعية الإتحاد والترقي ومطالبه منهم

أولا : موقفه من الجمعية :

كان "النورسي" يحسن الظن بالطيبين منهم من خلال جوابه الذي طرح عليه في محاورته العشائر: كنا نسمع سابقا وإلى الآن أن أكثر أفراد جون تورك* هم من الماسونيين الذين يعادون الدين. حيث كان يقول في جوابه :

«مما يسند هذا الوهم ويقويه عدم مبالاة بعضهم بالدين ، لكن إطمئنا إن قصد من لم ينظم منهم إلى الماسونية ليس الإضرار بالدين، بل نفع الأمة وتأمين سلامتها ولكن البعض منهم يفرطون في الهجوم على التعصب المقيت الذي لا يليق بالدين، وأن الذين سبق منهم خدمات للحرية والمشروطة أو الذين إرتضوا بها إسم "جون تورك"* فاعلموا أن قسما من أولئك هم مجاهدو الإسلام

¹ - عبد الله الطنطاوي، بديع الزمان النورسي، انظر: <http://elrahmanmeawd.blogspot.com>: 15ماي 2016م، بتوقيت 9:19:30.

² - حسن إزال ، بديع الزمان سعيد النورسي ومشروعه الإصلاحى فى التربية والتعليم، مركز النور للدراسات والحضارات الفكرية ، إسطنبول ، العدد 3 ، 2011م، ص 155.

*- جون تورك: أي "تركيا الفتاة" : هم الافراد والجماعات المعارضين للحكم في الدولة العثمانية منذ عهد السلطان "عبد العزيز" وفيهم نامق كمال وضياء باشا ممن يطالبون بالحرية ، كانت مطالب هذه الجماعات تتلخص في إعلان الدستور وتأسيس حياة برلمانية ، وتعد جمعية الاتحاد والترقي أقوى هذه الجماعات تأثيرا إذ استطاعت بالتعاون مع القوى الخارجية إزاحة السلطان عبد الحميد الثاني من الحكم . أنظر سعيد النورسي ، صيفل الأسلام ، ص 390.

ومنهم فدائيوا سلامة الأمة ، فالذين يشكلون القسم الأعظم منهم هم غير ماسونيين ويمثلون أكثرية الإتحاد والترقي ، فهناك علماء ومشايخ في صفوف "جون تورك" ، رغم وجود زمرة من الماسونيين المفسدين وهم قلة قليلة لا يتجاوزن عشرة بالمئة منهم بينما التسعون بالمئة الباقية منهم مسلمون ومعلوم أن الحكم للأكثرية ، فأحسنوا الظن بهم إذ أن سوء الظن يضركم ويضرهم معا"¹.

أما رأيه عن الإتحاد والترقي فكان جوابه :

«أنه يعترض بشدة التي يزاولها سياسيوهم، كما أن "سعيد القديم" على الرغم من معارضته الشديدة لهذه المنظمة ، إلا أنه وقف موقف الإعجاب والتقدير والتزام وطاعة من أن تلك الجماعات العسكرية سيظهر منهم بعد سبع سنوات مليون من الشهداء الذين هم بمرتبة الأولياء ، فمال إليهم طوال أربع سنوات دون اختيار منهم وبما يخالف مشربه ولكن بحلول الحرب العالمية الأولى وخضها لهم ، فعاد سعيد الجديد الى الاستمرار في جهاده وخالف سعيد القديم"².

ويقول سعيد النورسي أنه في بداية عهد الحرية ، ملحدين داخلين ضمن الإتحاديين يقولون: إن في الإسلام والشريعة المحمدية دساتير قيمة شاملة نافعة جدا فكانوا ينحازون إلى الشريعة المحمدية بكل ما لديهم من قوة فهم من هذه النقطة مسلمون أي يلتزمون الحق ويوالمونه مع أنهم غير مؤمنين.

ثانياً: مطالبه من الإتحاد والترقي:

كان للنورسي عدة مطالب لجمعية الإتحاد والترقي والتي يمكن ذكرها في الآتي:

1- مطالبته بإنشاء مدرسة الزهراء.

2- الصدق والأمانة وضمن مستقبل العلماء وكانت دعوته هذه موجهة إلى الأعضاء

الذين ليسوا من الماسونيين من هذه الجماعة قائلاً:

«يا طبقة الخواص ، نحن العوام ومعاشر أهل المدرسة الدينية نطالبكم بحقنا

، نريد أن تصدقوا قولكم بفعلكم ولا تعتذروا بقصور غيركم و لا تتواكلوا فيما بينكم وتتكاسلوا في خدمتنا

الواجبة عليكم... وأن تستمعوا الى احوالنا وتستشيروا حاجاتنا وأن تستفسروا عن أوضاعنا... إننا نطلب

¹ - بديع الزمان سعيد النورسي ، صيقل الإسلام، المصدر السابق، ص 404.

² - بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق، المصدر السابق، ص 127.

ضمان مستقبل العلماء في الولايات الشرقية ونطلب نصيبنا من معنى "الإتحاد" و"الترقى" لا من الإسم ،
فتطلب ما هو هين عليكم وعظيم عندنا»¹.

3- إنشاء مجلس شورى للإجتهد.

«كانت المشيخة مودعة إلى مجلس الشورى ولو بصورة غير منتظمة ويتركب من شخصيات مرموقة ، ولقد أظهر الزمان أن هذه المشيخة الإسلامية والتي تمثل الخلافة ليست خاصة لأهل إستانبول أو للدولة العثمانية ، وإنما هي مؤسسة جلية تعود للمسلمين عامة، فوضعها الحالي لا يؤهلها للقيام بأعباء إرشاد إستانبول وحدها، بل العالم الإسلامي لذا ينبغي أن تتول هذه المشيخة الى درجة ومنزلة تتمكن بها من كسب ثقة العالم الاسلامي كمرآة عاكسة لمشاكل المسلمين ، وتغدوا منبعاً للإجتهدات والأفكار وعندها تكون قد أدت مهمتها ، لقد طالب بهذه الفكرة أعضاء "تركيا الفتاة" إبان إعلان الدستور ، فلم يوافقوا عليها و بعد مضي إثني عشرة سنة طالبتهم بها أيضا فقبلوها ولكن المجلس النيابي قد حل والآن أعرضها مرة أخرى على نقطة تمرکز العالم الإسلامي»².

وعندما أعلن الدستور أي في عام 1908م الموافق ل 1306هـ ، أنتخب مجلس النواب حيث تكون الوزارة مسؤولة أمامه .فصرف جل همه في إلقاء الخطب وكتابة المقالات ، مبينا مفهوم الحرية في الإسلام ومطالباً بتحكيم الشريعة الإسلامية.

كما تحدث عن الفترة التي كان يعيش فيها موضحاً تميزها عن غيرها بقوله إن عصرنا هذا يتميز بطابعين عجيبين:

«أولهما: أن المرء في زماننا هذا مع علمه و تأكده من نعم ولذات الآخرة التي تشبه الماس يفضل عليها المتع الدنيوية ،الشبيهة بالقطع الزجاجية المكسرة، و بذلك ينساق وراء أرباب الضلالة بعد أن كان من أهل الإيمان ، ثانيهما: الضلال المترتب عن الإلحاد والعلوم الطبيعية والتمرد المتولد عن الكفر

¹- بديع الزمان سعيد النورسي ، السيرة الذاتية، المصدر السابق ، ص 90 . انظر أيضا: سعيد النورسي ، صيقل الاسلام، ص 427.

²- بديع الزمان سعيد النورسي ، صيقل الاسلام، المصدر السابق، ص 351.

العنادي في الماضي ، أما اليوم فقد تغير الحال ، كثر الملحدون وزاد الضلال بسبب ضلالات العلوم والفنون ووقفوا في وجه حقائق الإيمان»¹.

الفرع الرابع : تمرد الجيش ومحاكمته

أولا : تمرد الجيش

يعود تاريخ هذه الحادثة الى 31مارت* أي ما يوافق 13 أبريل1909م، وهذه الحادثة هي عبارة عن عصيان بين أفراد الطابور العسكري الذي قد أرسل من قبل الإتحاديين من مدينة "سلانيك" إلى إستانبول لحماية المشروطينية ، فقد ثار الجنود وحبسوا ضباطهم في الثكنة.

بدأت الحركة قرب منتصف ليلة 31 مارس 1909 م في ثكنة "طاش قشلة"² عندما قام جنود "أوجي طابوري"* بحبس ضباطهم في الغرف ثم تدفقوا إلى ساحة "سلطان أحمد" و بدؤوا عند حلول صباح اليوم التالي بإطلاق الرصاص في الهواء مما ولد فرعا و رعبا عند الأهالي، ثم أخذوا يهتفون : نريد الشريعة! نريد الشريعة! ثم أرسل الجنود المتمردون رسلا إلى معسكرات الجيش الأخرى يطلبون الالتحاق بهم، وفعلا التحق بهم بعض الجنود الآخرين كما التحق بهم بعض طلبة المدارس الدينية والصوفية و بعض المدنيين من المعارضين لجمعية الاتحاد و الترقى، و مع أن السلطان أرسل رئيس كتابه للمتمردين حال سماعه النبأ يخبرهم بأن الشريعة بخير و أنه لا يستطيع أحد أن يمسخها بسوء إلا أن المتمردين أصبحت لهم مطالب أخرى منها تغيير الصدر الأعظم حسين حلمي باشا، و وزير الحربية علي رضا باشا، و قائد الفرقة الأولى محمود مختار باشا، و رئيس مجلس المبعوثان أحمد رضا، و نفي الاتحاديين من البلد و إعادة ضباط الـ"الايلي"³ إلى الخدمة و العفو عن جميع المشتركين في هذا التمرد لأنهم لا يقصدون سوءا.

¹- بديع الزمان سعيد النورسي ، صيقل الاسلام، المصدر السابق، ص 352

*- هذا حسب التقويم الرومي لسنة 1325هـ ، و يصادف 22 ربيع الأول 1327 هـ- 1909/04/13

²- هذه البناية تستعمل الآن كإحدى بنايات جامعة الهندسة في إسطنبول و هي خلف فندق (هيلتون)

**- كان الضباط في الدولة العثمانية على نوعين : الضباط من خريجي الكلية الحربية، و يطلق عليهم (مكتبلي) أي خريجي المدارس، و الضباط الذين تدرجوا في الرتب العسكرية بطول الممارسة من رتبة الجندي حتى رتبة الضابط (الايلي). و قد بدأ الاتحاديون بإخراج هؤلاء من الجيش و إحالتهم على التقاعد مما ولد تدمرا في الجيش

«لم تلبث سلانيك و هي مركز الاتحاد و الترقى أن انهالت بالبرقيات على قصر (بلدز) تتهم السلطان بأنه هو المدبر لهذا التمرد لكي يقضي على المشروطية الثانية و على جمعية الاتحاد و الترقى حامية هذه المشروطية، و أخيرا تقرر إرسال قوة من سلانيك للقضاء على هذا التمرد و قد أطلق على هذه القوة اسم "جيش الحركة" تحت قيادة" محمود شوكت باشا"، ولم تكن هذه الثورة جيشا نظاميا، بل كانت تتألف بالإضافة إلى الجنود الأتراك من متطوعين من مختلف الجنسيات من بلغاريين و ألبانيين و من يهود مدينة سلانيك، و الحقيقة أن هؤلاء المتطوعين لم يكونوا سوى أعضاء العصابات المقدونية التي حاربت الدولة العثمانية طوال سنوات عديدة ، انتهت هذه الحادثة بوصول هذا الجيش الذي وجهه الإتحاديين لقمع العصيان فوصل الى استانبول وسيطر على الوضع يوم 23 افريل ، بعدما دام العصيان إحدى عشرة يوما ، كما أعلنت المحكمة العرفية وشكلت محكمة عسكرية لمحاكمة المسؤولين عن هذه الحادثة ، وبعد هذه الحادثة تم عزل السلطان "عبد الحميد الثاني" من الحكم عام 26 أفريل 1909م»¹.

وكان "سعيد النورسي" أحد المتهمين في هذه الحادثة والتي تمت محاكمته ، ويذكر لنا "سعيد النورسي" عن الأسباب الحقيقية بعد تقصيه من الجنود وإطلاعه على الأخبار في الجرائد و الاسباب الرئيسية وراء هذا العصيان ويعدها فيمايلي ويحصرها في سبعة أسباب أدت إلى تلك الحادثة:

« لقد كان تسعون بالمئة 90% من هذه الحركة موجهة ضد الإتحاد والترقى و ضد إستبدادهم و دكتاتوريتهم، كانت ترمي إلى تبديل الوزراء الذين كانوا محل النقاش والجدال بين الفرقاء والأحزاب، إنقاذ السلطان المظلوم من الخلع الذي تقرروصم عليه، منع التعليمات وإنهاء التفتينات التي لا تليق بالآداب العسكرية والآداب الدينية الكشف عن قائل السيد "حسن فهمي" بعد أن تم تضخيم موضوع إغتياله ، تسوية موضوع الضباط "الايلى" الذين أخرجوا من الخدمة العسكرية وإنصافهم ، الوقوف تجاه تعميم مفهوم الحرية ، أي تحديد معنى الحرية بالآداب الشرعية ثم القيام بتطبيق الحدود الشرعية التي لا يفهم العوام منها سوى القصاص وقطع اليد.»².

لكثرة عدد هؤلاء الضباط، و كان أحد أسباب هذا التمرد. للتطلع اكثر على الحادثة انظر : بديع الزمان ، صيقل الاسلام ، المصدر السابق ، ص 448.

¹- إحسان قاسم الصالحي ، سعيد النورسي نظرة عامة عن حياته وأثاره، ص 23.24. أنظر أيضا : سعيد النورسي، السيرة الذاتية ، ص 103.

²- بديع الزمان سعيد النورسي، صيقل الإسلام، المصدر السابق، ص 448.

وما كان رد فعل "النورسي" سوى أنه خاطب الجنود بلسان جميع الجرائد وذهابه بصحبة من العلماء يوم الجمعة إلى الجنود الذين هم في الوزارة الحربية وأخضع ثمانية طوابير إلى الطاعة بخطب مؤثرة جدا ، ولقد أظهرت نصائحه فوائدها بعدها بمدة ودوره في تهدئة الجيش والجنود من حالة الفوضى وهذه مقتطفات من خطابه:

« أيها العسكر الموحدون ، إن شرف ثلاثين مليوناً من العثمانيين وثلاثمائة مليوناً من المسلمين وكرامتهم وسعادتهم و رمز وحدتهم منوطة من جهة بطاعتكم إن كانوا يظلمون أنفسهم بخطيئة واحدة فإنكم بعصيانكم هذا تظلمون ثلاثمائة مليوناً من المسلمين لأنكم بعصيانكم هذا تلقون الإخوة الإسلامية إلى التهلكة، إعلموا جيدا إن مركز الجندي عظيم جدا ، إذ هو أشبه ما يكون بالمعمل فإذا إختل دولاب منه يخل العمل في المعمل كله. الا إن جنود الأفراد لا يتدخلون بالسياسة ،والإنكشاريون خير شاهد على هذا ، انكم تطالبون بالشرعية الا أنكم تخالفونها وتلوثونها... إنني أبلغكم ما أمره الرسول صلى الله عليه وسلم وهو أن الطاعة فرض ، فلا تعصوا ضباطكم فليحيا ولتعش المشروعية المشروعة»¹.

ولم يقتصر دوره السياسي على تهدئة الجنود فحسب وإنما تعدت لتهدئة المشاعر المتهيجة لعامة الناس خشية منه أن يخل الناس النظام وأمن البلاد بتدخلهم في السياسة . فقام بتهدئتهم بلسان طالب علم قروي قد تعلم اللغة التركية حديثا ومثال ذلك في إجتماعه بالطلاب

« في جامع بايزيد" وفي المولد النبوي الشريف المقام في "آيا صوفيا"، وفي مسرح الفرخ هدأ الى حد ما ثورة الناس وغضبهم ، فلولا تلك الكلمات والخطب التي القاها على مسامعهم لكانت الفوضى قد عمت أرجاء المسرح وانقلبت إلى إقتتال دموي بين أنصار جمعية "الاتحاد والترقي" ومعارضيه، لكن بفضل حنكته استطاع "سعيد النورسي" إعتلاء المنصة وخاطب بصوته الجمهوري الحاضرين ودعاهم إلى النظام والإخلاق والسكون أولا ، ثم بين لهم أن عليهم أن يرضوا أنفسهم على إحترام رأي المقابل وإحترام حرية النقاش ، وإن من العار على امة أعلنت المشروعية ألا تراعي هذا الأمر ،

*- حسن فهمي : صحفي معروف بمعارضته لجمعية الاتحاد والترقي ، تم إغتياله من قبل هذه الجمعية فوق جسر غلطة، مما أثار إغتياله إستياءا عاما ونقمة ضد الإتحاديين.

¹- بديع الزمان سعيد النورسي، صيقل الإسلام، المصدر السابق، ص 449-450.

مذكرا اياهم برحابة صدر الرسول صلى الله عليه وسلم وقيامه بالمشورة مع أصحابه وإستطاع فعلا إقرار السكون والهدوء في ذلك الإجتماع الذي كاد ينقلب إلى مذبحة»¹.

كما أنه خاطب جميع فئات المجتمع دون استثناء ودون تمييز بين فئاته وعلى سبيل الذكر نراه مرة أخرى يهدئ من فئة الحمالين

« ويعود بنا ذلك التاريخ الى 4 أكتوبر 1908م أي ما يوافق 9 رمضان 1326هـ ، عندما أعلنت النمسا ضم البوسنك والهرسك اليها مستفيدة من افول "السلطان عبد الحميد الثاني" على إثر هذا القرار تم إعلان مقاطعة جماهيرية للبضائع النمساوية وللمخازن التي تتبع هذه البضائع و أعلن الحمالون مقاطعتهم لتفريغ البضائع النمساوية ولكن الامور لم تبق محصورة في هذا المجال بل تطورت الى حد هدد الحياة التجارية في "إستانبول" ، كما إنحرفت وجهة المقاطعة إلى عصيان الحمالين لأوامر رؤسائهم ، وأصبحوا يجتمعون ويتجمعون في بعض المقاهي وفي مركز رئيسي لهم في "خان عشيرة" فأصبح الجو مهددا بالإنفجار ، فتوجه إليهم "بديع الزمان" والقى عليهم خطبة حسب مداركهم إستطاع فيها الحيلولة دون التطور السيء للأحداث ، حتى إن مفتش الشرطة العام لإستانبول قدم شكره وتقديره لمساعيه الحميدة»².

وقد أثرت فيهم خطبته تأثيرا وترك أثرا على أولئك الحمالين الذين قاطعوا العمل ، وأرشدهم

« أن بسلاح الصناعة والمعرفة والاتفاق يمكن مجاهدة الأعداء الثلاثة والتي تتمثل في الجهل والضرورة والاختلاف ، وان يتصرفوا تصرفا يتسم بالعقلانية بعيدا عن التهور لأن الخصام والعداء فساد»³.

ثالثا: محاكمة سعيد النورسي :

¹- بديع الزمان سعيد النورسي ، السيرة الذاتية ،المصدر السابق، ص 93.

²- بديع الزمان سعيد النورسي، السيرة الذاتية ، نفس المصدر ، ص 94.

³- بديع الزمان سعيد النورسي، صيقل الاسلام ،المصدر السابق، ص 443.

كانت محاكمته على إثر حادثة 13 أبريل 1909م ، وكان دوره الناصح للجنود بالعودة الى ثكناتهم ولكنه مع ذلك قدم للمحاكمة ليحكم عليه بالاعدام وقال له الحاكم العسكري "خورشيد باشا" :

« وأنت أيضا طلبت بالشرعية ، وتدعوا الى تطبيق الشرعية ؟ إن من يطالب بهذا يشنق هكذا مشيرا بيده الى المشنوقين»¹.

فقام سعيد النورسي وألقى على سمع المحكمة خطابا قال فيه :

« لو أن لي ألف روح لما ترددت أن أجعلها فداء لحقيقة واحدة من حقائق الإسلام ، وأنا مستعد للذهاب مع هؤلاء الذين علقوا في المشانق. . لقد كانت هذه الحكومة تخاصم العقل أيام الاستبداد والآن فإنها تعادي الحياة فليمت الجنون وليعش الموت وللظالمين فلتعش جهنم »².

و يواصل خطابه بقوله :

« فلئن أعدمتم ظلما فإني أغنم ثواب شهيدين معا، وإن لبثت في السجن فهو بل ريب أفضل مكان في ظل هذه الحكومة الظالمة التي ليس فيها من الحرية إلا لفظها فالموت مظلوما هو خير من العيش ظالما ، وأقول كذلك إن بعضا ممن جعلوا السياسة أداة للإلحاد ، يتهمون الآخرين بالرجعية أو بالإستغلال الدين لأجل السياسة ليستروا على سيئاتهم وجرائمهم ، إن عيون السلطة وجواسيسها أشد قسوة من سابقهم فكيف يوثق بهم ويعتمد عليهم وكيف نبني العدالة على أقوالهم؟»³.

« وذكر الجنايات البالغة إحدى عشرة جناية ونصف»⁴.

لقد قام النورسي بالدفاع عن نفسه أمام المحكمة من أجل أن يثبت برأته أمام هذا الحكم الجائر في حقه و الظالم من قبل المحكمة العسكرية التي كانت تتهمه بأنه سبب في التمرد

¹- علي القاضي، ماذا تعرف عن بديع الزمان سعيد النورسي، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع ، تركيا، الطبعة الأولى ، 2001، ص 10.

²- علي القاضي، نفس المرجع ، ص 11.

³- بديع الزمان سعيد النورسي ، السيرة الذاتية، المصدر السابق، ص 109.

⁴- ثم ذكر الجنايات البالغة إحدى عشرة جناية ونصف أنظر إليها بالتفصيل في كتاب سعيد النورسي ، صيقل الإسلام ، المحكمة العسكرية العرفية، ص 441 الى غاية الصفحة 462.

،في حين كان هو يسعى إلى توعية الناس من خلال الخطابات الصوفية التي كان يلقيها ، و بعدما إقتنعت المحكمة بحججه و دفاعه عن نفسه منحتة البراءة.

« ذهب "بديع الزمان" من مدينة "بايزيد" - حيث المحكمة- الى منطقة "السلطان أحمد" ويتبعه جمع غفير من الناس يهتفون فلتعش جهنم للظالمين وغادر مدينة استانبول متوجها إلى "وان" سنة 1910م، حيث بدأ "سعيد النورسي" يتجول بين القبائل والعشائر يعلمهم أمور دينهم ويرشدهم إلى الحق و يلقي دروسا ومحاضرات»¹.

كما كان يقوم بإلقاء دروسه الاجتماعية ومحاضراته العلمية بأسلوب المحاوره ضمن أسئلة و أجوبة ، ثم نشرها في رسالة باللغة التركية أسماها "المناظرات" *

«كان يجري في الوقت نفسه محاورات مع السياسين والمسؤولين بغية نشر أنوار الاسلام في صفوفهم ، وهناك ألف كتابه " المناظرات " الذي طبع في استانبول سنة " 1913م"، ومما يمكن الإشارة إليه كذلك أثناء دفاعه في المحكمة العسكرية قد طبع مرتين في وقته ونشر»².

الفرع الخامس : نظرتة للمدنية وتأثيراتها السلبية على المجتمعات المسلمة والعثمانية خاصة

إن الأوضاع التي آلت إليها الدولة العثمانية في أواخر عهدها والإضطرابات السياسية والاجتماعية وتدهور أوضاعها على جميع الأصعدة ، ماهي إلا إنعكاس لتطبيق سياسات الإصلاح التي مست نظامها أيام عهد السلطان عبد العزيز إلى السلطان عبد الحميد الثاني هذا الاخير الذي في ايام حكمه أعلن الدستور أو ما يعرف يسمى بالمشروطية الثانية والتي تنادي بالنظام المدني وقيام المدنية على غرار النظام الدولة الاوربية الغربية وذلك كمنهج للتطور والتقدم والرقي. لكن الواقع بين أن التيار سار عكس ذلك لنستخلص ونستنتج أن المدنية التي سعت إليها الدولة العثمانية كانت النكبة الحقيقية على الدولة العثمانية والتي كانت من بين الأسباب التي ادت الى إنهارها وإنحطاطها أواخر القرن التاسع عشر 19م.

¹ - علي القاضي ، المرجع السابق ، ص 11 ، أنظر أيضا : إحسان قاسم الصالحي ، المرجع السابق ، ص 26

*- تم ترجمتها الى اللغة العربية ونشرها في كتاب صيقل الاسلام في جزء المناظرات ص 378.
² - سعيد النورسي، المصدر السابق ص109.

من خلال هذا سأطرق إلى رؤية النورسي حول هاته المدنية والتي كان له رؤيه حولها من خلال مفهومها وأساس قيامها في مقابل دولة تقوم على الشريعة وذلك لما أشار إليه من خلال تناوله لهذا الجانب الذي لم يغفل عنه ولم يهمله.

يعتبر النورسي في عام 1919م أن المدنية هي خبيثة ولم يرى منها غير الضرر وهي مرفوضة في نظر الشريعة، حيث أن سيئاتها طغت على حسناتها فوجه سؤال له حول هذه المدنية كالتالي : لماذا ترفض الشريعة هذه المدنية ؟

فكان جوابه كالتالي :

« لأنها تأسست على خمسة أسس سلبية ، فنقطة استنادها هي القوة وهذه شأنها: الإعتداء وهدفها وقصدها المنفعة وهذه شأنها: المزاحم ودستورها في الحياة الجدل والصراع وهذا شأنه: التنارع، والرابطة التي تربط المجموعات البشرية هي العنصرية والقومية السلبية التي تنمو على حساب الآخرين وهذه شأنها: التصادم كما نراه، وخدمتها للبشرية خدمة فانية جذابة هي : تشجيع الهوى المنفعة وإثارة النفس الأمانة وتطمين رغباتها وتسهل مطالبها وهذا الهوى شأنه: إسقاط الانسان من درجة الملائكية الى درك الحيوانية الكلبية ، وبهذا تكون سببا لمسح الانسان معنويا، ولأجل هذا فقد دفعت هذه المدنية الحاضرة ثمانين بالمئة 80% من البشرية إلى الشقاء ، وأخرجت عشرة بالمئة 10% منها الى سعادة مموهة زائفة و ظلت العشرة الباقية 10% بين هؤلاء وأولئك أن السعادة تكون سعادة عندما تصبح عامة للأكثرية بيد أن سعادة المدنية هي لأقل القليل من الناس ولأجل كل هذا لا يرضى القرآن الكريم بمدنية لا تضمن سعادة الجميع أو لا تعم الغالبية العظمى»¹.

كما أنه أصبح لا يغفى عنا ان سعيد النورسي لا يتطرق إلى أي جانب أو موضوع يشخصه لنا إلا ووصف لنا كيفية معالجته أو الوقاية منه، حيث أنه بين لنا كيف أنه بتحكم الهوى الطليق من عقاله . تحولت الحاجات غير الضرورية الى ما يشبه الضرورية ، إذ بينما كان الانسان محتاجا الى أربعة أشياء في حياة البدواة والبساطة ، إذ به في هذه المدنية يحتاج إلى مئة حاجة ، وهكذا أردته المدنية فقيرا مدقعا . كما أن السعي والعمل لا يكفيان لمواجهة

¹ - إبراهيم علي العوضي، بديع الزمان النورسي فكره ودعوته ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، عمان ،الأردن ،1998م ص 39.

المصاريف المتزايدة إنساق الإنسان الى مزاولة الخداع والحيلة وأكل الحرام ، وهكذا فسد أساس الأخلاق.حسب فكر ورأي النورسي.

نرى أن ما تقدم هاته المدنية وحشية فاقت جميع القرون ، إذ بها أن هذه المدنية بينما تمد للجماعة والنوع ثروة وغنى وبهرجة إذ بها تجعل الفرد فقيرا محتاجا فاسد الأخلاق. في مقابل هذه المدنية ذات الأساس السلبي قدم لنا النورسي مدنية جاءت بها الشريعة ذات أسس إيجابية

« مدنية تقوم على أسس إيجابية تقوم على أسس مستنبطة من الشريعة الاسلامية بغرض مواجهة الفساد . كما أن المدنية التي تأمرنا بها الشريعة هي المدنية التي تصنع أسسا إيجابية بناءة مكان تلك الاسس النخرة الفاسدة السلبية»¹.

« فالمدنية التي تنص عليها الشريعة هي أن نقطة إستنادها هي الحق بدلا من القوة و الحق من شأنه العدالة والتوازن وهدفها الفضيلة بدلا من المنفعة ،والفضيلة من شأنها المحبة والتجاذب ، وجهة الوحدة فيها والرابطة التي تربط بها المجموعات البشرية الرابطة الدينية والوطنية والمهنية بدلا من العنصرية ومن شأنها الأخوة الخالصة ، والسلام والوئام والذود عن البلاء عن البلاء عند إعتداء الأجانب . ودستورها في الحياة التعاون بدل الصراع والجدال ، والتعاون من شأنه التساند والاتحاد ، وتصنع الهدى بدل الهوى ليكون حاكما على الخدمات التي تقدم للبشر وشأن الهدى : رفع الانسانية الى مراقبي الكمالات هي تحد من الهوى وتحد من النزعات النفسانية وتطمئن الروح »².

من خلال ما قدمه لنا بديع الزمان سعيد النورسي وتشخيصه الدقيق لهاته المدنية وطرحها لنا بين لنا أنه يمكن إعتبارها كعملة ذات وجهين ، حيث جعلنا نحكم على أن هاته المدنية هي في حد ذاتها ذات تيارين متناقضين ومتضادين ، أهدافهما ومنافعهما متضادة ، فنفع إحداهما يستلزم الضرر والإختلاف والتدني و الضعف والإنحطاط والتبعية وما يتبعها من فساد على الأمة وعلى المجتمع خاصة وعلى الفرد بشكل أخص.

المطلب الرابع : النورسي بين الحرب والأسر

¹ - بديع الزمان سعيد النورسي ، صيقل الإسلام ، المصدر السابق ، ص 359.

² - بديع الزمان سعيد النورسي ، صيقل الإسلام ، ص 360.359

الفرع الأول : بديع الزمان قائدا للقوات الفدائية ومفتيا

في عام 1912م عين "بديع الزمان" قائدا للقوات الفدائية التي تشكلت من المتطوعين المسلمين القادمين من شرق الأناضول. كان "النورسي" صاحب عقيدة وإيمان، ويؤمن أن حب الوطن من الإيمان، فعندما أعلنت كل من (اليونان وبلغاريا وصربيا والجبل الأسود) الحرب على (تركيا)، قام "النورسي" بتشكيل فرق من المتطوعين .

و قبيل إندلاع الحرب العالمية الأولى أصبح "بديع الزمان" عضوا في تشكيلات خاصة*، و كان هدفها المحافظة على وحدة الأراضي الإمبراطورية ، وقد أفتى جماعة من علماء الدين فتوى الجهاد ، وذهب "سعيد النورسي" إلى مدينة "وان" حيث شكل من المتطوعين فرقا للجهاد وقال لهم :

«تهيؤوا واستعدوا إن زلزلا شديدا أوشك على الأبواب»¹.

إن الفرق التي شكلها النورسي كانت يحسب لها ألف حسب لأنها كانت تتميز بالجرأة و القوة و عدم الخوف ، حيث زرعت فيهم خطابات النورسي و فتاويه بذرة الجهاد بالتقدم نحو الأمام دائما و عدم التراجع إلى الوراء.

وقام السيد "محمود أسعد أفندي" بكتابة نص الفتوى ومع أن "بديع الزمان" كان من أنصار الصلح المنفرد ، وكان معارضا لدخول الحرب إلا أن عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى (1914-1918م)، دخلت فيها الدولة العثمانية ، حمل السلاح وأسرع إلى جبهة القتال ، و

«قد قامت التشكيلات الخاصة بالإستفادة من جميع القدرات المتاحة لها

لنشر فتوى الجهاد في جميع أنحاء الدولة العثمانية وفي جميع الممالك الإسلامية التي كانت مستعمرة بيد الأجانب وقد طبعت الفتوى بجميع لغات المسلمين»².

*- تشكيلات خاصة: هي مؤسسة سياسية وعسكرية وأمنية سرية ، شكلت بأمر من السلطان ووظيفتها المحافظة على وحدة الأراضي الإمبراطورية العثمانية ومحاربة أعدائها.

¹- إحسان قاسم الصالحي، بديع الزمان نظرة عامة عن حياته وأثاره ، المرجع السابق ، ص 39.

²- إحسان قاسم الصالحي ، المرجع السابق ، ص 29.

الفرع الثاني : النورسي في الحرب العالمية الاولى (1914- 1918م)

دخل "النورسي" واعظا في الجيش العثماني سنة 1914م وفي سنة 1915م حيث قام بمايلي:

« شكل فرقة المتطوعين "الأنصار" وقادهم في جبهة الففقااس. حيث إحتل الروس شرقي الأناضول في 31-10-1914م وتم دفعهم في 15-01-1915م بعد أن إستشهد ستون ألف جندي عثماني وعاد الروس لإحتلال المنطقة مرة أخرى في 13-01-1916م بثلاثة أضعاف القوات العثمانية ودخلوا "أرضروم" في 16-02-1916م أثناء الحرب العالمية الأولى»¹

وأثناء هذه المعارك الدامية كان " سعيد النورسي" يقاتل هو وطلابه الجيش الروسي بكل ما أوتوا من جهد وفي هذه المعارك وفي خنادق القتال ألف "سعيد النورسي" كتابه "إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز" باللغة العربية ، فكان يملي وتلميذه "الملا حبيب" يكتب.

وعندما دخل الجيش الروسي الى مدينة "بتليس" كان "النورسي" وطلابه يدافعون عن المدينة ببسالة نادرة، حيث جرى قتال شديد في شوارع المدينة و أزقتها إلا أن القوة الروسية كانت متفوقة إلى درجة كبيرة على القوة الصغيرة المدافعة عن البلدة.

و خلال المعركة جرح "سعيد النورسي" جرحا بليغا وسقط في بركة للماء تحت أسوار الجسور مع أحد طلابه

« بقي في تلك الحالة ثلاثين ساعة مغشيا عليه نتيجة إستمرار النزف ، و عندما رأى تلميذه أن النزف مستمر والبرد الشديد سيقضيان على أستاذه ذهب و أخبر الروس بالأمر»²

وهكذا تم أسر " سعيد النورسي" من قبل الروس فأصبح بذلك أسيرا

الفرع الثالث: النورسي أسيرا بيد الروس عام 1916م

¹- بديع الزمان سعيد النورسي ، السيرة الذاتية، المصدر السابق، ص 123.

²- إحسان قاسم الصالحي ، المرجع السابق ، ص 30.

« أسر "سعيد النورسي" من قبل الروس وأرسل إلى أحد معسكرات الأسر في "قوصورما" في شرقي روسيا»¹

« وذلك بعدما ذهب أحد من طلابه وفي فوجه والذي يسمى "عبد الوهاب" الذي يعرف شيئاً من الروسية لإبلاغ الروس عن موضعهم وإنقاذ أستاذه من الموت ، وفعلاً تم ذلك فأخذ الروس الأستاذ في سدية على أكتافهم»² .

«وتم أسره أي إيسارته في تلك الليلة في بتليس»³ .

عندما كان أسيراً في "قوصتورما" مع تسعين ضابطاً كأسرى في ردهة واحدة ، كان يلقي عليهم دروساً ، وفي أحد الأيام حضر القائد الروسي وشاهد الموقف وقال:

«إن هذا الكردي قائد المتطوعين قد ذبح كثيراً من جنودنا ، ويأتي الآن ويلقي دروساً سياسية هنا لا يمكن هذا ، إمنعه قطعاً»⁴ .

ولكن بعد يومين قال:

« يبدوا أن دروسكم غير سياسية ، بل دينية وأخلاقية ، إستمر عليها ، فسمح بإلقاء الدروس»⁵ .

و بعدما قاله القائد الروسي استمر النورسي فيلقاء محاضراته على السجناء .

«كما أن "النورسي" إلى جانب الدروس التي كان يلقيها ، إلا أنه جعل غرفة في التكنة مسجداً لأداء الصلاة الجماعية وكان يأم الجماعة ، ولم يتدخل في ذلك قط ، ولم يمنعهم من الاختلاط والاتصال ببعضهم البعض ولم يقطعوا عنهم المراسلات»⁶ .

¹ - نفس المرجع، ص 30.

² - بديع الزمان سعيد النورسي، السيرة الذاتية، ص 128.

³ - بديع الزمان سعيد النورسي، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ترجمة: إحصان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة ، 2002، ص 178.

⁴ - بديع الزمان سعيد النورسي، السيرة الذاتية، المصدر السابق، ص 129.

⁵ - بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، المصدر السابق، ص 574.

⁶ - بديع الزمان سعيد النورسي ، المكتوبات، المصدر السابق، ص 94.

بقي في الأسر في روسيا لمدة ثلاث سنوات تقريبا.

الفرع الرابع: محاكمته بالإعدام في الأسر وتأثيره ذلك عليه

تعود هذه المحاكمة إلى أيام الأسر "سعيد النورسي" في روسيا ، ولعلا أهم الأسباب التي أدت إلى محاكمته إلى أنه في يوم من الأيام عندما يزور "نيقولا نيقولافيتج" معسكر الأسرى للفتيش يقوم له الأسرى إحتراما وعندما يمر من أمام "سعيد النورسي" لا يحرك ساكنا ولا يهتم به مما أفت نظر القائد العام فيرجع ويمر من أمامه بحجة أخرى ، فلا يكثرث به أيضا وفي المرة الثالثة يقف أمامه وتجري بينهما المحاوراة الآتية بواسطة مترجم

« المترجم : أما عرفنتي ؟

النورسي : نعم لقد عرفته انه "نيقولا نيقولافيتج" ، خال القيصر والقائد العام لجبهة القفقاس.

المترجم : فلما اذن قصد الاهانة ؟

النورسي : كلا ! انني لم استهن به ، وانما فعلت ما تأمرني به عقيدتي .

المترجم : وما تأمرك عقيدتك ؟

النورسي : انني عالم مسلم أحمل في قلبي الايمان ، فالذي يحمل الايمان في قلبه أفضل ممن لا يحمله ، فلو أنني قد قدمت له احترما لكنت اذا قليل الاحترام لعقيدتي ، ولهذا لم أقم له»¹.

لكن نيقولا نيقولافيتج : ما كانت ردة فعله إلا أنه إعتبر جواب "النورسي" إلا إهانة له فقال

« إذن فهو باطلقه صفة عدم الايمان علي يكون قد اهانتني و أهان جيشي وأهان

أمتي والقيصر" ، فليشكل حالا محكمة عسكرية للنظر في استجوابه . وقد تشكلت محكمة عسكرية بناءا على هذا الامر ويأتي الضباط الاتراك والالمان والنمساويون للإلحاح على "سعيد النورسي" بالاعتذار من القائد الروسي وطلب العفو منه الا أن جوابه كان كالاتي : " انني راغب في الرحيل الى دار الآخرة والمثول

¹- بديع الزمان سعيد النورسي ، الشعاعات، المصدر السابق ، ص 571 .

بين يدي الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، فأنا بحاجة الى جواز سفر فحسب للآخرة ولا استطيع أن
اعمل بما يخالف ايماني»¹

ونرى فيما بعد أن هذه المحاكمة أنهت أعمالها باصدار قرار الإعدام بموجب مادة إهانة
القيصر والجيش الروسي ، وتحضر مفرزة يقودها ضابط روسي لأخذه إلى ساحة الإعدام
ويقوم "سعيد النورسي" إلى الضابط الروسي قائلاً له بإبتهاج :

« اسمحوا لي بخمس عشرة دقيقة لأؤدي واجبي فيقوم للوضوء وأثناء صلاته
وأدائها يحضر "نيقولا نيقولافيتج" ويخاطبه : أرجو منك المعذرة ، كنت أظن انكم قمتم بعملكم هذا قصد
اهانتني ، فاتخذت الاجراءات القانونية بحقكم ، ولكن الآن أدركت انكم تستلهمون هذا العمل من إيمانكم ،
وتنفذون ما تأمركم به عقيدتكم لذا ابطلت قرار الحكم بحقكم ، انكم تستحقون كل تقدير واعجاب لصلاحكم
وتقواكم ، أرجو المعذرة فقد ازعجتكم وكرر رجائي مرارا أرجو المعذرة »².

و من خلال هذا تقرر العفو عنه من الإعدام وأصبح "سعيد النورسي" حراً كما أنه نجا
مرة أخرى من الإعدام .

¹- نفس المصدر ، ص 572.

²- بديع الزمان سعيد النورسي ، الشعاعات ، ص 572 .

المبحث الثاني : المرحلة الثانية من حياة النورسي

مرحلة سعيد الجديد من 1925م-1949م

المطلب الأول : هروب النورسي من الأسر

من خلال ما تقدم في سيرته الذاتية وما كتبه عنه عدة مؤلفين حول سيرته الذاتية بعد أن مكث "سعيد النورسي" في الأسر مدة سنتين وأربعة أشهر وأربعة أيام وهذا ما صرح به مترجم كليات رسائل النور إحسان قاسم الصالحي .

« مكث في الأسر مدة سنتين وأربعة أشهر وأربعة أيام إستطاع الهرب والفرار منه اثر حدوث " الثورة البلشفية" وماتبعا من اضطراب وفوضى فوصل الى ألمانيا حيث استقبل هناك استقبالا كبيرا ومنها توجه الى إستانبول»¹ .

خلال رحلته مر بعدة مدن من بينها:

«"وارشو" و "فيينا" حيث يقول هكذا أكملت سياحة الأسر بصورة تدعوا الى الدهشة لسهولتها حيث اكملت سياحة الفرار الطويل بسهولة ويسر كبيرين بحيث لم يكن لينجزها اشجع الاشخاص واذكاهم وامكرهم وممن يلمون باللغة الروسية»² .

« كما أستقبل إستقبالا رائعا من طرف الخليفة و شيخ الإسلام والقائد العام ومن قبل طلبة العلوم الشرعية وقبول بتكريم وحفاوة أكثر مما إستحق بكثير»³ .

المطلب الثاني : من الأسر الى عضو في دار الحكمة الاسلامية

« بعد عودته من الأسر ووصوله الى استانبول اعطت له الوزارة الحربية مكافأة قدرها " 150 ليرة ،مئة وخمسون ليرة " مع ميدالية حربية تقديرا لشجاعته وجهاده في جبهات القتال و لم

¹ - احسان قاسم الصالحي ، المرجع السابق ، ص33.

² - بديع الزمان سعيد النورسي ، اللمعات، المصدر السابق ، ص 361 .

³ - بديع الزمان سعيد النورسي ، السيرة الذاتية ، ص 133. أنظر ايضا ، محمد علي اورخان ، المرجع السابق، ص52.

تقتصر مكافأته على اعطائه هذا بل انه في 13 أوت 1918 عين في استانبول عضوا في دار الحكمة الاسلامية تقديرا له واعترافا لعلمه وفضله وذلك دون علمه»¹ .

و تعتبر دار الحكمة تتمثل في هيئة علمية عالية المستوى تضم أكبر المشايخة والعلماء .

« دار الحكمة الاسلامية تابعة للمشيخة الاسلامية العامة للدولة العثمانية وكانت

لا تضم إلا كبار العلماء الأفاضل ك "محمد عاكف" شاعرا ، "اسماعيل الحقي" العالم ، "ازميريلي" و"حمدي" مفسر ،"الماليلي" ... الخ»² .

وكانت عضوية دار الحكمة الاسلامية لا توجه الا للأشخاص والعلماء البارزين ، ولم يشارك "سعيد النورسي" في إجتماعات دار الحكمة بسبب ما كان يحس به من حاجة ماسة إلى الراحة لما تعرض له من معاناة في الأسر وطلب عدة مرات إعفائه من العضوية إلا أن طلبه رفض .

« في هذه الفترة كانت الحكومة خصصت له مرتبا ، ولم يأخذه من هذا المرتب

سوى ما يقيم اوده والباقي طبع به ما ألفه من إثنتي عشرة "12" رسالة ، فدفع ما إدخره من مرتبه الى مصاريف الطبع ، كما انه وزع الرسائل مجانا»³ .

لم يحتفظ سوى برسالة أو رسالتين أما الاخرى وزعت مجانا على المسلمين، كما نشير أنه خلال هذه الفترة وهذه الاثناء لم يكن مستقلا وانما كان يقيم مع ابن أخيه "عبد الرحمن" .

ومن خلال التاريخ العثماني نلاحظ أن اثناء هذه الفترة إحتلت الإنجليز إستانبول في 1920م، فشعر النورسي بغيرته على دينه فقررتأليف و نشر رسالة الخطوات الست مهاجما فيها العدو

¹- محمد على اورخان ، المرجع السابق ، ص51.

²- بديع الزمان سعيد النورسي، السيرة الذاتية ، المصدر السابق، ص135.

³- إحسان قاسم الصالحي، المرجع السابق ، ص 36.

« أن طعنة كبيرة وجهت إلى العالم الإسلامي، ولذلك ألف "بديع الزمان" كتابه "الخطوات الست"، وبدأ ينشر رسالة الخطوات الست سرا بمساعدة طلابه وأصدقائه حيث هاجم فيها الغزاة الإنجليز بشدة أزال دواعي اليأس الذي خيم على كثير من الناس»¹.

« هاجم بلغة قوية رادعة وبحكم الشبهات التي أثرت آنذاك ببراهين قاطعة مفندا حججهم وبلغت أنظار المسلمين إلى أطماعهم ويحارب اليأس الذي تسلط على كثير من النفوس وبشد العزائم»².

وذلك لأن الإنجليز بدأوا بإتباع أسلوب الحرب النفسية وبنشر أفكار معينة ضمن هذه الحرب غايتهم تحطيم روح المقاومة لدى الشعب المسلم، حيث سرت الآثار هذه الحرب النفسية في كثير من الأوساط الشعبية والعلمية وإستمالة بعض الشيوخ حيث صرح النورسي

« إستطاعت القوى المحتلة على رأسها الإنجليز إستمالة بعض العلماء إلى صفها من ضمنهم شيخ الإسلام آنذاك الى جانبها بالترغيب والترهيب وضد حركة الاستقلال التي إشتعلت في الاناضول، من خلال كل هذا وعندما شاهد النورسي مدى سريان هذه الحرب النفسية وقوة تأثيرها قام بنشر هذه الرسالة " الخطوات الست" بين فيها مكاييد الانجليز»³

إن الرسائل التي كان يوزعها النورسي على الناس سرا من أجل أن يبين لهم مكائد الإستعمار و الغاية منه حتى لا يتم خداعهم من طرف الاستعمار الذي كان يقدم لهم أفكار خاطئة و واهية، لكن الإنجليز لم يدعه يكمل ما بدء به لأنه كان يقف في طريقهم فحاربوه و حكموا عليه بالإعدام مرة أخرى ولكن هذه المرة غيابيا .

المطلب الثالث : موقف بديع الزمان من مصطفى كمال

¹- إحسان قاسم الصالحي، جوانب من حياة بديع الزمان، مرجع السابق، ص 5.

²- على القاضي، المرجع السابق، ص 12.

³- محمد علي اورخان، المرجع السابق، ص 64.

حينما تم عصيان الأناضول، وكان مصطفى كمال على رأس الحركة، إستدعى بديع الزمان سنة 1920م إلى أنقرة للاحتفال به وتكريمه، ولكنه فوجئ حينما وصل إليها بخيبة أمل كبرى إذ شعر بالإتجاه نحو معاداة الشريعة الإسلامية، وحينئذ قاطع إحتفال تكريمه.

« أرسل بيانا مطولا إلى المجلس النيابي الذي كان مصطفى كمال رئيسا له ضمنه نصائح لهم في عشر فقرات، وجعل عنوانه هذه الجملة" اعلموا أيها المبعوثون أنكم مبعوثون ليوم عظيم". وكان من تأثير هذا البيان الذي تولى إلقاءه (كاظم قره بكر) أن إستقام على التدين وإقامة الصلاة ستون نائبا منهم»¹.

غير أن هذا أثار حفيظة مصطفى كمال، فاستدعى بديع الزمان ودخل معه في مناقشة حادة في ديوان المجلس النيابي وكان مما قاله مصطفى كمال:

« لا ريب أننا بحاجة إلى أستاذ قدير مثلك، لقد دعوناك إلى هنا للاستفادة من آرائك المهمة، ولكن أول عمل قمت به لنا هو الحديث عن الصلاة، لقد كان أول جهودكم هنا هوية الفرقة في أهل هذا المجلس ،فأجابه بديع الزمان مشيرا إليه بإصبعه : "باشا... باشا إن أعظم حقيقة تتجلى بعد الإسلام إنما هي الصلاة، إن الذي لا يصلي خائن، وحكم الخائن مردود»²

وهنا إضطر مصطفى كمال أن يعتذر وينهى الحديث ومع ذلك فقد كان بديع الزمان يأمل أن يخرج من ظلام الحكومة الكمالية نورا، وأن يقلب سعيها إلى خدمة الإسلام، ولكن العقبات أخذت تظهر متوالية.

ونظرا لمكانة بديع الزمان بين الناس فقد أحب مصطفى كمال أن يستجلب قلبه فجعله رئيسا للوعاظ في شرق الأناضول كله، وعضوا في رئاسة جامعة دار الحكمة ومنحه بيتا ضخما يسكن فيه وجعله من المقربين إليه غير أنه لم يوافق على قبول شيء منه، ولم يلبث أن فارق "أنقره" إلى "وان"، بعد أن تزلف إليه النواب طويلا أن لا يفارقهم، وهناك انزوى عن الحكام والناس في مكان منعزل عن الجميع، وذلك عام 1921م وكان هذا التاريخ هو

¹ - جمال الدين فالح الكيلاني وزياد حمد الصميدعي، بديع الزمان سعيد النورسي قراءة جديدة في فكره المستنير، دار الزنبقة للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، 2014م، ص 22.

² - جمال الدين فالح الكيلاني وزياد حمد الصميدعي، نفس المرجع، ص 22.

الفصل بين مرحلتين متميزتين من حياة بديع الزمان، كان يطلق بعد ذلك على فترة ما قبل هذا التاريخ من حياته اسم سعيد القديم، ويطلق على نفسه في ما بعد ذلك اسم: سعيد الجديد.

الفرع الأول : ردود فعل الإتجاهات الدينية من إجراءات الحركة الكمالية

كانت ردود كل من ردود فعل النقشبنديين و فعل النورسين وفعل تلامذة الإمام سليمان حلمي تتميز بصد ومجابهة الحركة الكمالية المعادية للدين بالمرصاه لها حيث إن علمنة الدولة العثمانية وقيام الجمهورية برئاسة "كمال أتاتورك" الذي قاد الدولة الى للتخلص من الاستعمار الأوربي وعلمنتها والتي كان لها رد فعل كبير لدى الشعب التركي ، فقد حاول " كمال أتاتورك" في بداية حكمه أن يسبغ على ثورته طابعا إسلاميا لنيل تأييد شعب الأناضول ، فقام بالتحدث بلغة إسلامية في أكثر من مناسبة ، وقد جاء في خطابه بمسجد مدينة "باليكسیر" عام 1923م مايلي :

« إن المساجد ليست لكي ينظر بعضنا إلى بعض ركوعا وسجودا بل هي للطاعة والعبادة وأن نتداول أمور الدين والدنيا ، وكل فرد يجب أن يعمل لصالح بلده جسما وروحا»¹

وقد سيطر على عقول المسلمين أنه يعيد للخلافة مجدها وقوتها خروج قوات الحلفاء وقد رأو فيه الإخلاص والتفاني حتى إنهم عرضوا عليه أن ينصب نفسه خليفة للمسلمين لكنه لم يقبل ، وبدأ ينفذ أهدافه ببطء شديد وبدراية كاملة بعقلية وروح الشعب الذي أراد تغييره ، حتى إن الشعراء والمعاصرين له تغنوا بأمجاده وخدماته وجهاده من أجل الوطن ، ولكن ما لبثوا أن إكتشفوا نواياه الدسيسة التي كان يوجهها من أجل فصل الإسلام عن الدولة العثمانية وتترك كل ما هو عربي وإسلامي وبدأ في تنفيذ إجراءاته الواحدة تلو الأخرى.

سنورد بعض الإجراءات التي قام بها " كمال أتاتورك" في سبيل ترسيخ العلمانية والقضاء على كل ما هو إسلامي والتي أدت الى ردود و أفعال قوية لدى الشعب التركي خاصة الإتجاهات الدينية التي كانت من ضمن مخططات الحركة الأتاتورية لطمسها من التراب التركي لأنها منبع الدين وتكريس مبادئه وإنتشاره لدى العوام التركي وحتى الطبقات

¹- إحسان قاسم الصالحي ، المرجع السابق ، ص 113.

« ففي عام 1924م صدر قرار يتعلق بالعلمانية والتي بدورها غير المادة التي تنص على أن الإسلام هو دين الدولة الرسمي" والتي تعدلت إلى : "الدولة التركية هي جمهورية قومية و دولية و علمانية و إصلاحية»¹ .

«كانت الطرق الصوفية تنتشر في كل أنحاء تركيا من البكتاشية إلى النقشبندية إلى المولوية والقادرية والشاذلية والرفاعية والخلواتية والملاطية والعشاقية وغيرها ، وقد كان لمشايخ هذه الطرق والزوايا الصوفية في تركيا وقت إعلان الجمهورية ضلع في الجمعيات والإجتماعات السرية والدعوة إلى التظاهر وإثارة العصية ضد الحكومة الكمالية الجديدة ومن أبرز زعمائهم كانوا " أبو الهدى الصيادي الوري" و"الحجازي سيد أحمد أسعد" زعيم الطريقة الرفاعية و"محمد ظافر" زعيم الطريقة الشاذلية»² .

وكان النظام العلماني يسعى إلى إنهاء دور رجال الدين في أمور الدولة بل أكثر من ذلك وهو دورهم في حياة الناس الإجتماعية والثقافية المعيشية ، وعندما إرتضى شيخ الإسلام إرتداء القبعة والظهور مرتديا إياها بجوار أتاتورك ، لم تكن التنظيمات الصوفية قد استسلمت وكان التيار الصوفي بالمرصاد امام حملة أتاتورك ضدهم حين أعلن أن تركيا لن تكون بلد المشايخ والدرأويش والمريدين ، كما أعلن أن المتصوفة يجهلون أصول الشرع وليست لديهم مقدرة على تلاوة الفاتحة، وما إن تسلم "أتاتورك" تولي زمام حكم البلاد بدأ بقمع المظاهر الدينية بحيث إعتبرها عادات وتقاليد موروثة منذ مئات السنين ، كما أعلن أن هذه الطرق الصوفية تقوم على الأساطير والخرافات والمبالغات ، وأن مشايخ هذه الطرق يقومون بخوارق ومعجزات لا أساس لها ، كما ذكر "مصطفى كمال أتاتورك" في خطابه في مدينة "قسطنوني" 30 أوت 1925م ، حيث تنتشر "الطريقة المولوية" تعرض فيه للطرق الصوفية فقال:

« إن طلب العون والمساعدات من قبور الأموات هو صفة من للمجتمع الإنساني المتحضر وإنني أتساءل ماذا عسى أن يكون هدف رجال الدين جعل حياة أتباعهم أفضل مما هي

¹- أحمد نوري النعيمي ، الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا، دار النشر عمان ، الأردن ، 1993م ، ص 17.

²- سليم الصويص ، أتاتورك منقذ تركيا وباني نهضتها الحديثة ، مطبعة تشلز ، عمان ، الأردن ، بدون سنة نشر ، ص 259.

عليه روحيا وماديا فإذا كان هذا هو هدفهم فإنني أرفض مجرد التصور بأنه مازال في تركيا بعد كل هذا الجهاد للقضاء على الجهل والتخلف أناس مازلوا يلتمسون تحسين أوضاعهم المعيشية من خلال مشايخ الطرق واساليب الشعوذة ، و على الأمة التركية بأسرها أن تعلم أن الجمهورية التركية العلمانية لا يمكن أن تكون بعد اليوم أرضا خصبة للمشايخ وال دراويش وأتباعهم من أصحاب الطريقة ، وإن كان هناك طريقة حقيقية فهي طريقة الحضارة المبنية على العلم ، وعلى مشايخ الطرق أن يفهموا هذا وبالتالي يغلقوا زواياهم وتكايهم عن طيب خاطر وإلى الأبد قبل أن أدمرها فوق رؤوسهم»¹.

و نلاحظ بعد عودة "أتاتورك" من "قسطنطيني" نحو "أنقرة" إذ به أصدر مجموعة من القوانين

« تنص على غلق التكايا وحلها ومنعها من ممارسة شعائرهم تحت طائفة العقوبة الصارمة»².

حيث إحتوى على مايلي :

« إلغاء كل الطرق بأنواعها ومشايخها وإلغاء ألقاب الدراويش والمريد والأستاذ والسيد والجلبي والبابا والأمير والنقيب والخليفة و العرافة والسحر والتنجيم وكتابة التعاويذ والأحجية والتمايم، إغلاق الزوايا والتكايا الموجودة بالدولة سولء كانت وقفا أو ملكا لمشايخها ،حظر إستعمال عناوين وصفات أزياء تدل على تلك الطرق الصوفية ، إغلاق جميع المزارات وقبور السلاطين والأولياء ومشايخ الطرق ،يحكم كل من يخالف هذه القرارات بالحبس مدة لا تقل عن ثلاثة أشهر وغرامة لا تقل عن خمسين ليرة ،تحويل جميع ما في الزوايا والتكايا من أثاث إلى المتاحف التابعة للدولة، زي العلماء هو عمامة بيضاء وجبة سوداء وهي العلامة المميزة»³.

«إجبار العلماء على إرتداء الزي خارج وظائفهم ، تخيير العلماء في السلام بين رفع غطاء الرأس أو الإشارة بأيديهم»⁴.

¹- هدى درويش ، الإسلاميون وتركيا العلمانية ، دار الأفاق العربية للنشر ، القاهرة، الطبعة الأولى ، 1998م، ص 114.

²- مصطفى الزين، ذنب الأناضول، رياض الريس للنشر، لندن، بدون سنة نشر ،ص 309-310.

³- فتحي رضوان ، مصطفى كمال أتاتورك ، دار مطابع المستقبل ومؤسسة المعارف للنشر، بيروت ، 1983م، ص 94.

⁴- هدى درويش، المرجع السابق، ص 115.

الفرع الثاني : النورسي وجمعية الإتحاد المحمدي

سائد "بديع الزمان سعيد النورسي" وناصر جمعية "الإتحاد المحمدي" التي تأسست في 5 أبريل 1909م ،أي ما يوافق عام 1327هـ، وأعلن أن هذه الجمعية في إجتماع حاشد في جامع " آيا صوفيا" المسجد الشهير في مدينة إستانبول بالقرب من منطقة السلطان ،حيث ألقى هناك خطبة.

أسس هذه الجمعية مجموعة من الأشخاص المرموقين كأمثال "سهيل باشا" و"الشيخ صادق" بعدما قطعوا صلتهم بتلك الجمعية السياسية .وأصبحت هذه الجمعية محصورة في العبادة وإتباع السنن المطهرة ، وأن جهة الإرتباط في هذا الإتحاد هو توحيد الله ، قسمه ووعده هو الإيمان.

« ويعتبر المنتسبون لهذه الجمعية من جميع فئات المجتمع دون إستثناء، أي جميع المؤمنين اينما وجدوا ، كما نرى أن هذه الجمعية ناشرة أفكارها في الكتب الإسلامية والصحف اليومية والتي تستهدف إعلاء كلمة الله ، وتعتبر اجتماعاته ونواديه هي الجوامع والمساجد والتكايا والمدارس الدينية من أجل إحياء السنة النبوية وإسداء النصح لهم والنظام الداخلي لهذا الإتحاد هو "السنة النبوية " وقانونه الأوامر الشرعية ونواهيها وسيوفه البراهين القاطعة ، أما مقاصدها فهي إعلاء كلمة الله »¹.

« تأسست هذه الجمعية وجاءت كرد فعل للمخاوف التي بدأت تسري بين صفوف

الشعب»².

بدأت بعض الصحف بنشر المقالات الإلحادية ، وقد حضر "بديع الزمان " هذا الإجتماع يحف به جمع غفير من طلاب المدارس الدينية وألقى في هذا الإجتماع خطبة إستمرت قرابة ساعتين حث فيها الجميع على التمسك بأداب الإسلام . وكان ممن أسس هذه الجمعية كذلك "الدرويش وحدتي" ، وبالرغم من أن " بديع الزمان لم يكن من مؤسسي هذه الجمعية إلا أنه كان يناصرها وكان ينشر بعض مقالاته فيها مثلما

¹ - بديع الزمان سعيد النورسي ، السيرة الذاتية ، ص 95.

² - محمد علي أورخان ، المرجع السابق ، ص 35.

« كان ينشر في جرائد أخرى عديدة كجريدة "الأقداح" و"سريستي" و"الميزان" و"المصباح"... الخ ، و كانت مقالات "بديع الزمان" في جريدة "وولقان" كلها من المقالات البناءة التي تحض على وحدة الصف وتجنب الفرقة وتجنب الحركات المتطرفة »¹

كما أن بعض المقالات كانت موجهة إلى "درويش وحدتي" نفسه ينصحه فيها ويبين له الطريق الصحيح ، فقد كتب له مرة إلى أخي الدرويش وحدتي

«إن الأدباء يجب أن يتحلوا بالأدب ولاسيما بالأدب الإسلامي ، وليكن الضمير الديني هو الحارس لنظام المطبوعات ، لكن نصائح "بديع الزمان" له ذهبت أدراج الرياح وإستمر على نهجه حتى عندما ألقى القبض عليه في حادثة 13 افريل 1909 وقدم الة المحاكمة وشنق»².

«كان بديع الزمان يقول عنه " أنه متمسك بالدين إلا أنه يعوزه المنطق

»³

العقلاني

الفرع الثالث : ثورة الشيخ سعيد البيراني⁴

ثورة الشيخ سعيد بيران أو ثورة الشيخ سعيد النقشبندية هي ثورة قامت في جنوب شرق تركيا ضد سياسة التتريك والتعسف التي إنتهجتها حكومات "مصطفى كمال أتاتورك" المتعاقبة بحق الأقليات.

¹ - نفس المرجع ، ص 35.

*- " الدرويش وحدتي": قبرصي الأصل أتى إلى إستانبول بعد إعلان المشروطية الثانية وعمره عشرون سنة ، وهو صاحب جريدة "وولقان" بمعنى "البركان" اشتهر بمقالاته العنيفة ضد جمعية "الاتحاد والترقي" كان جريدته "وولقان" بمثابة لسان حال جمعية الإتحاد المحمدي.

² - محمد على اورخان ، المرجع السابق ، ص 36

³ - بديع الزمان سعيد النورسي ، صيقل الإسلام، المصدر السابق ، ص 538.

⁴ - الشيخ سعيد البيراني: هو مرشد الطريقة النقشبندية وزعيم الثورة الكوردية في تركيا أثناء حكم "كمال أتاتورك"

وقد حاصرت القوات التركية الثوار ومنعتهم من دخول العراق وسوريا و إيران ، و في أواسط نيسان 1925 تم اعتقال الشيخ سعيد مع عدد من قادة الانتفاضة التي خبت نارها شيئاً فشيئاً، وفي نهاية أيار حوكم الشيخ سعيد وقادة الانتفاضة الآخرون، وصدر حكم الإعدام بحقه مع 47 من قادة الثورة.

نقد حكم الإعدام فيهم في 30 أيار 1925 و أمام حبل المشنقة قال الشيخ سعيد:

« إن الحياة الطبيعية تقترب من نهايتها، ولست أسفا قط عندما أضحى بنفسى في سبيل شعبي، إننا مسرورون لأن أحفادنا لن يخجلوا منا أمام الأعداء". وقد بلغت خسائر الكرد تدمير 900 بيت وحرق وإزالة 210 قرى، فيما وصل عدد القتلى إلى 15 ألفاً، فضلاً عن نهب ممتلكات وثروات كل من وصلت إليهم أيدي الجنود الأتراك. أسفر قمع هذه الحركة عن تهجير مئات الآلاف من الكرد والعرب والآشوريين إلى سوريا»¹.

الفرع الرابع: موقفه من ثورة الشيخ "سعيد البيراني"

أثار اتجاه أتاتورك وحكومته المعادي للدين السخط والنقمة بين أوساط الشعب ؛ لذا قامت حركات تمرد ضد السلطة ، كان أهمها حركة سعيد البيراني عام 1925 م ، وهو زعيم للعشائر الكردية. وتذكر بعض المصادر أنه كانت هناك مراسلات بين النورسي والبيراني :

« تمت مراسلات بين سعيد البيراني وبيدع الزمان ، من أجل قيام هذا الأخير بدعم

الثورة المسلحة ، نظرا لما كان له من تأثير وسط العشائر الكردية ، ولاسيما بمدينة "وان" »².

كما وتضيف مصادر أخرى في عدم قبول النورسي لهذه الثورة وإنما رفضها حيث قيل

« أن النورسي رفض رفضا قاطعا ، ناسبة إليه أقوالا مختلفة في سبب التحذير من

الإقدام على الثورة أو التفكير فيها»¹

¹- أنظر الموقع <https://ar.wikipedia.org> يوم 23-8-2016.

²- جمال الدين فالح الكيلاني و زياد حمد الصميدعي ، المرجع السابق ، ص 30 .

لم تختلف المصادر على عدم مشاركة النورسي في ثورة عام 1925 م ، وإنما الخلاف بينها في سبب عدم المشاركة فأكثر المصادر ذكرت أن إجماعه عن المشاركة راجع إلى معارضته مبدأ الثورة ذاته الذي ينجم عنه قتل الأخ لأخيه ، لكن كل هذا ولم ينج من حكومة أنقرة التي أمرت بالقبض عليه ونقله إلى استانبول ومن ثمة إلى مدينة "بوردر" ثم إلى بارلا 1926.

المطلب الرابع :منفى بارلا بداية رحلة سعيد الجديد

أولا : منفى بارلا

بعد فشل ثورة الشيخ " سعيد بيراني" قامت قامت الحكومة بإعتقال زعماء العشائر الكردية ونفيهم إلى أماكن أخرى حتى يظلوا تحت المراقبة كان النورسي من بين الذين إعتقلوهم .

« وفي بارلا بدأت المرحلة الاخرى الثانية من حياة بديع الزمان وهي المسماة مرحلة سعيد الجديد ، وقد كانت حافلة بالإتهامات والملاحقات والمطاردات والسجون والمعتقلات ، و المحاكمات والمنافي مما لم يمر في حياة إنسان شعاره في ذلك " إن طلاب النور ليست لهم أي علاقة بالسياسة»².

« أمضى النورسي في "بارلا" ثماني سنوات ونصف السنة ألف فيها أكثر رسائل النور وهو يعاني من عدة أمراض ولا يشتهي الطعام بل كان يكتفي من الطعام بكسيرات من الخبز مع قليل من الحساء ولا يقبل الهدية ولا تبرعا ولا زكاة من أحد كان كما قال عن نفسه يعيش على البركة والإقتصاد ، وخلال مدة النفي في " بارلا" استطاع النورسي أن يكسر طوق العزلة ، فعلى رغم مراقبة السلطات له ، تعرف عليه بعض شباب البلدة»³ .

وبتوالي اللقاءات أصبح هؤلاء الشباب من أخلص طلبية النورسي ؛ إذ أخذوا على عاتقهم مهمة نشر رسائل النور عن طريق استنساخ هاته الرسائل ونشرها في أوساط تركيا سرا

¹- نجم الدين شاهين ، المرجع السابق، ص 254.

²- بديع الزمان سعيد النورسي ، السيرة الذاتية ، ص 535.

³- بديع الزمان سعيد النورسي ، اللمعات، المصدر السابق ، ص 377.

«إستتساخ رسائل النور بمئات الآلاف من النسخ ، وتوزيعها سرا في أرجاء تركيا

كلها ، متحملين تبعات هذا العمل من اعتقال ومطاردة وتعذيب عن طيب خاطر وإطمئنان نفس»¹ .

وفي الوقت الذي بدأت تتسع فيه دائرة رسائل النور ، وتجمع حوله الآلاف من الشباب ، و الموظفين ، والتجار ، وغيرهم أصدرت الحكومة أمراً بمنع الأذان بالعربية عام 1931 م ، وأصبح يردد باللغة التركية . وبسبب عدم تنفيذ النورسي ومجموعة من طلابه هذا القرار ، قامت السلطات في (بارلا) بنفيهم إلى إسبارطة.

ثانيا : النورسي في إسبارطة:

وفي إسبارطة استمر النورسي في تأليف رسائله إلى غاية سنة 1935 م ، حيث بدأت موجة اعتقالات لطلبة النور شملت مائة وعشرين طالب ، كما طالت النورسي نفسه ، وسيق الجميع إلى سجن مدينة (اسكي شهر) ، بانتظار محاكمتهم لإتهامهم بمايلي:

« تأليف جمعية سرية ، السعي لهدم أسس الثورة الكمالية، تشكيل طريقة صوفية في الوقت الذي منعت فيه الحكومة هذه الطرق، إثارة روح التدين بنشر رسالة التستر "الحجاب" التي تدعو النساء إلى الاحتشام والتستر واتباع توجيه الإسلام ، وقد عدت الحكومة هذه الرسالة عملاً ضد قانون "الزي"»² .

وعلى إثر ذلك وضع النورسي - أولاً - في سجن انفرادي بهدف الضغط عليه وتحطيم روحه المعنوية ، إلا أنه استمر في التأليف .

« فألف هناك : "اللمعة الثامنة والعشرين" ، و "اللمعة التاسعة والعشرين" ، و "اللمعة الثلاثين" ثم "الشعاع الأول" ، و "الشعاع الثاني" ولم يقتصر نشاطه على التأليف ، وإنما كان يدعو كثيرا من المجرمين أثناء اتصاله بهم ، فاهتدوا على يديه واستقاموا على الطريق المستقيم»³

¹ - إحسان قاسم الصالحي ، بديع الزمان حياته وأثاره ، المرجع السابق، ص 69.

² - جمال الدين فالح الكيلاني و زياد حمد الصميدعي ، المرجع السابق ،ص 33 أنظر أيضا : أورخان محمد علي ، المرجع السابق ، ص 180.

³ - إحسان صالح القاسمي ، المرجع السابق ، ص 79 ، أنظر أيضا : اورخان محمد علي ، المرجع السابق ، ص 181.

وبعد فترة من إعتقاله قدم بديع الزمان للمحاكمة .

ثالثا :النورسي أمام محكمة دينزلي

« تم تحويل النورسي وتلاميذه من أنقرة إلى إسبارطة ، ثم إلى دينزلي ، وفي عام 1934 قدم إلى المحاكمة ،و تمهيدا لهذه المحاكمة شكلت السلطات لجنة تحقيق في رسائل النور و دراستها وقد جاء في قرار اللجنة المدققة لرسائل النور في مدينة دينزلي ، ليس لبديع الزمان فعالية سياسية ، كما لا يوجد أي دليل على أنه يؤسس طريقة صوفية أو قائم بانشاء أي جمعية و إن موضوعات كتبه تدور حول المسائل العلمية والإيمانية وتفسير للقرآن الكريم»¹ .

أطلق سراحه بعد أكثر من ثمانية أشهر على تبرئة المحكمة له ، وكان عمره زمن آنذاك في السابعة والسبعين وكان يقول لزائريه أو الذين يرغبون في زيارته ومشاهدته بمايلي

« فإن كل رسالة من رسائل النور تطالعونها تستفيدون من فوائد أفضل من مواجهتي بعشرة أضعاف ،و قد طلب أكثر من مرة من تلاميذ طلبة النور ألا يربطوا الرسائل بشخصه الضعيف كما كان يدعو تلاميذه إلى عدم التعلق به لا في حياته ولا بعد مماته ، وذلك له أضرار جسيمة على الدعوة ، وقد انتشرت رسائل النور انتشارا عظيما داخل تركيا الأمر الذي حدا بالسلطات إلى سجنه بمدينة " أفيون "مع جملة من تلاميذه وتمت محاكمتهم بالتهم السابقة نفسها. وقد أصدرت محكمة "أفيون "على بديع الزمان حكما لمدة عشرين شهرا وعلى طلبته بفترات مختلفة»² .

« وقد أُلْف في سجن أفيون رسالة الحجة الزهراء وهو الشعاع الخامس عشر»³ .

ولما خرج من سجنه بأفيون سنة 1949 ، وجد أن السلطات التركية قد أعدت له منزلا تحت الإقامة الجبرية في بيت مقابل لمركز الشرطة لمدة سبع سنوات ، أنجز خلالها قسما من رسائل النور ، حيث كتب : "الشعاع الثالث" الذي هو رسالة "المناجاة"، و "الشعاع

¹- إحسان قاسم الصالحي ، المرجع السابق ، ص 328.

²- أورخان محمد علي ، المرجع السابق ، ص 154.

³- بديع الزمان سعيد النورسي ، الشعاعات ، المصدر السابق ،ص606.

الرابع"، و "الشعاع الخامس" ، و "الشعاع السادس" ، و "الشعاع السابع" و "الشعاع الثامن" و "الشعاع التاسع" . ومن هنا تبدأ مرحلة أخرى لسعيد النورسي داخل إقامته الجبرية.

المبحث الثالث : مرحلة سعيد الثالث ورسائل النور

المطلب الأول : إنتشار رسائل النور

كان تأليف " رسائل النور" ونشرها شيئا متميزا وفريدا في تاريخ الدعوات الإسلامية المعاصرة ذلك لأن الأستاذ سعيد النورسي لم يكن يكتب كثيرا من رسائله بيده لكونه نصف أمي " من حيث القدرة الكتابية" وإنما كان يملي هذه الرسائل على بعض طلابه في حالات من الجيشان الروحي والوجداني وبعد ذلك تتداول النسخة الأصلية بين التلاميذ الذين يقومون بدورهم استنساخها باليد ثم ترجع هذه النسخ جميعها إليه لكي يقوم بتدقيقها واحدة وتصح أخطاء الاستنساخ إن وجدت ولم يكن لديه أية كتب أو مصادر يرجع إليها عند التأليف سوي القرآن الكريم وقد ساعده على ذلك ما وهبه الله من ذاكرة خارقة وقدرة عجيبة على لحفظ فكان يستقي عند تأليفه رسائله من مخزونات محفوظاته في مصادر العلوم الدينية التي كان قد قرأها في بداية حياته.

« استمر الأستاذ سعيد النورسي في تأليف رسائل النور حتى سنة 1950م فأصبحت في 130 رسالة جمعت تحت عنوان "كليات رسائل النور" وقد استطاع طلابه نشر هذه الرسائل بسرعة كبيرة ، فوصلت إلى كل مدينة وقرية من أنحاء تركيا حيث بلغ عدد النسخ المتداولة ستمائة ألف نسخة ، وقد جمعت هذه الرسائل فيما بعد في مؤلف واحد تحت عنوان " ملحق قسطنوني" ¹.

الأمر الذي سبب مصدر إزعاج للحكومة ، فحاولت التخلص منه بواسطة دس السم له في الطعام في أغسطس عام 1943م لكنه نجا من الهلاك.

فإنه راح يبث صيحات التوجيه والإرشاد بين صفوف الشباب، وبصورة خاصة بين المثقفين منهم من هذه الرسائل التي عرفت برسائل النور، وعرف أنصارها بجماعة النور.

و"رسائل النور" تتناول مختلف المشكلات الروحية والنفسية والعقلية التي تطوف بأذهان الجيل الحاضر، وهي تنطلق من محور القرآن وتفسيره، ولم يكن بديع الزمان يكتب

¹- بديع الزمان سعيد النورسي ، الملاحق ، المصدر السابق ، ص 97

هذه الرسائل إلا نادرا، فكان يملئ أفكاره في حالات وجدانية متأثرة، على حين يسجل تلاميذه من حوله ما يقول.

وكان "مصطفى كمال" إذ ذاك قد أسفر عن وجهه، فألقى كل ما كان له طابع إسلامي، وفي مقدمته الكتابة بالأحرف العربية، فلم يكن من السهل أن تنشر هذه الرسائل، فاتخذ أفراد جماعة النور لنشر هذه الرسائل طريقة عجيبة، وهي أن يأخذ كل فرد منهم على نفسه كتابة ما يمكنه من النسخ عن كل رسالة تظهر، فإذا وزع على القراء كان على كل من هؤلاء أيضا أن يقوم بنفس الوظيفة،

« لقد ظل أفراد جماعة النور قرابة عشرين عاما ينشرون رسائل النور بهذه الوسيلة، فقد كانت أيدي الشبان والفتيات تقوم بما تعجز عنه آلات الطباعة، وكثيرا ما تعرضت فتيات للسجن والتتكيل عندما يظهر للسلطات أنهم يسهرن الليالي الطويلة وهن ينسخن هذه الرسائل ثم يوزعنها في صناديق البريد أو في صفوف المدارس»¹.

« ولم يتيسر لها أن ترى طريقها إلى المطابع إلا بعد سنة 1954 عندما إستطاع الحزب الديمقراطي الفوز فالانتخابات عام 1950 ، والذي أيد فيه النورسي "عدنان مندريس" على غيره من حزب الشعب الجمهوري ودعا إلى إنتخاب "عدنان مندريس" بإعتباره حسنا ولكنه أحسن من حزب أتاتورك الجمهوري ، وهنا تمكن النورسي من نشر أعماله و رسائله بنفسه عن طريق الطباعة الحديثة حتى أكمل طباعة الرسائل جميعها»².

ومن ثمة توزيع هذه الرسائل إلى كبار الساسة وغيرهم ودعوتهم إلى إتباع هدي الإسلام.

المطلب لثاني :محاكمة تبرئة رسائل النور

قامت محكمة آفيون سنة 1948 م بتشكيل لجنة خبراء لدراسة محتويات رسائل النور، وإبداء الرأي حولها من الناحية القانونية، وبالرغم من أن هذا التدقيق دام فترة طويلة، فإن

¹- مه جبين أختار، الشيخ بديع الزمان النورسي وجهوده الإصلاحية، <http://www.darululoom-deoband.com> يوم 2016-12-5.

²-إحسان قاسم الصالحي ، المرجع السابق ، ص 466.

اللجنة انتهت سنة 1956 م إلى إصدار تقرير يفيد أن الرسائل لا تحوي أي عنصر مخالف للقانون، وإستنادا إلى هذا التقرير، بدأ النورسي بنشر رسائله في أنحاء تركيا، وهنا شعر النورسي أن مهمته قد أنجزت، فقال:

« هذا هو عيد رسائل النور كنت أنتظر مثل هذا اليوم، لقد انتهت مهمتي، إذن فسأرحل

قريبا¹ » .

لقد كانت تربة رسائل النور نتيجة للتغيرات في الساحة السياسية آنذاك، هذه التغيرات التي جعلت النورسي نفسه يشارك في انتخاب عام 1957 م، حيث أعطى صوته للحزب الديمقراطي، ودعا طلابه إلى تأييده، ليس لأن هذا الحزب كان ذا إتجاه إسلامي، وإنما لكونه أقل ضررا من " حزب الشعب ، بعد تولي "الحزب الديمقراطي" الحكم سنة (1950 م) أشاع جواً من الحرية ، حيث أعاد الأذان الشرعي بالعربية ، وسمح بتدريس الدين الإسلامي في المدارس بعد أن كان ممنوعا في عهد "حزب الشعب" ، وفتح مدارس الأئمة والخطباء ، فانحسرت موجة العداة للإسلام إلى حد ما .

المطلب الثالث : وفاة النورسي ومطاردته

الفرع الأول : أواخر أيام حياته

أقام النورسي في أواخر أيامه بمدينة "إسبارطة" ، وبالرغم من تقدمه في السن وسوء حالته الصحية، إلا أنه كان يقوم بزيارات لبعض المدن التي ينتشر فيها طلابه، مثل "بارلا" و "أميرداغ" و يتابع ما يجري في العالم الإسلامي، لكن كثرة تنقلاته بين المدن أزعج الأوساط المعادية له في السلطة، فشنت عليه صحفها حملة عنيفة؛ لإثارة الرأي العام ضده، والتهويل من دعوته. فما أن وصل الى "أنقرة" في 11 جانفي 1960 م، حتى أبلغته الحكومة أن يستقر في (أميرداغ) ،فتوجه إليها، وأصبح يتنقل بينها وبين (إسبارطة) فقط .

¹ - جمال الدين فالج الكيلاني وزياد حمد الصميدعي ، المرجع السابق ، ص 39.

« وفي شهر رمضان من عام 1960 م، مرض النورسي مرضا شديدا حتى فقد وعيه مرات عدة، إلا أنه في الثامن عشر من الشهر ذاته استدعى طلابه وودعهم واحدا واحدا، قائلا: استودعكم الله ... إني راحل»¹ .

ثم توجه إلى إسبارطة، حيث إشتد عليه المرض، وبالرغم من ذلك ألح على طلابه بالذهاب إلى (أورفة)، وعند وصوله بتاريخ 21 مارس 1960 م، أقام في الفندق يوما واحدا، ثم حاصرته الشرطة لأن الحكومة لم تصرح له بالتنقل خارج (أميرداغ) أو (اسبارطة)، وبعد إبلاغ المسؤول له بوجوب عودته إلى (إسبارطة) ردد النورسي بقوله :

«عجيب أمركم ... إني لم آت هنا لكي أغادرها إني قد أموت ... ألا ترون حالي؟»²

« و لشدة مرضه ظل محاصرا في فندق (أورفة) إلى يوم الأربعاء 26 رمضان 1379 هـ 23 مارس 1960 م حيث فارق الحياة ، وبعد انتشار خبر وفاته في جميع أنحاء تركيا، تقاطر على أورفة سيل من الناس للاشتراك في توديعه إلى مثواه الأخير بمقبرة أولو جامع " Ulu Cami "»³ .

الفرع الثاني: مطاردة النورسي بعد وفاته

«عقب وفاة النورسي بشهرين وقع إنقلاب عسكري في تركيا في 27/5/1960 أطاح بحكومة الحزب الديمقراطي التيسيق أعضاؤها إلى (محكمة الدستور) ، فقضت بإعدام رئيس الوزراء (عدنان مندريس) واثنين من وزرائه، وبالسجن للمسؤولين السابقين في الحزب المطاح به، لقد رأى العسكريون أن استمرار سياسة الحزب الديمقراطي سينسف مبادئ أتاتورك، وسيمكن للحركة الإسلامية التي اتسع نفوذها وتأثيرها ، فأبدوا عداا واضحا للتيارات الإسلامية لاسيما حركة "طلاب النور" ، ولعل ما يبرهن على هذا العداا قيامهم - بعد أربعة أشهر من الانقلاب - بنقل رفات النورسي من قبره في أورفة إلى جهة أخرى ظلت مجهولة إلى حد الآن، حيث أجبروا أخاه (عبد المجيد) على توقيع طلب - معد سلفا- بنقل

¹- إحسان قاسم الصالحي ، المرجع السابق، ص 129.

²- إحسان قاسم الصالحي ، نفس المرجع ، ص 130

³- محمد على أورخان ، النورسي رجل القدر ، ص 290.

جثمان بديع الزمان من (أورفة)، واقتيد إلى هناك تحت حراسة مشددة، وفي جوف الليل حفر قبره. ونقل جثمانه إلى مكان مجهول»¹.

لكن وفاة النورسي لم توقف دعوته؛ إذ ظل موجودا ومؤثرا بمؤلفاته ورسائله التي حملت أفكاره و استمرت في أداء وظيفته، ولا شك أنه كان صادقا حينما قال:

« إن رسائل النور تقوم بإيفاء وظيفتها أفضل مني عشر مرات ...، لذا فلم تبق هناك حاجة لوجودي»²

المطلب الرابع : آثار العلمية للنورسي

توفى النورسي تاركا تراثا علميا مهما يزيد على مائة وثلاثين رسالة، هي أساس فكره ودعوته، ألف أغلبها في المرحلة الثانية من حياته، وضم إليها أغلب ما ألفه في المرحلة الأولى، وسماها جميعا رسائل النور ويقول النورسي :

« إن سبب إطلاق اسم رسائل النور هو أن كلمة "النور" قد جابهتني في كل مكان طوال حياتي ،منها : قريتي إسمها نورس ، إسم والدتي المرحومة نورية ، إسم أستاذي في الطريقة النقشبندية سيد نور محمد ، وأحد أساتذتي في الطريقة القادرية نور الدين ، وأحد أساتذتي في القرآن نوري ، وأكثر من يلازمي من طلابي من يسمون باسم نور ،وأكثر ما يوضح كتبي وينورها هو التمثيلات النورية ، وأكثر ما حل مشكلاتي في الحقائق الإلهية هو اسم "النور" من الأسماء الحسنى . ولشدة شوقي نحو القرآن وإنحصار خدمتي فيه ، فإن إمامي الخاص هو سيدنا عثمان ذو النورين رضي الله عنه»³.

كما حقق كثيرا من الكتب والمقالات، منها ما طبع، ومنها لم ير النور لسبب أو لآخر، والملاحظ أن الرسائل تختلف اختلافاً كبيراً من حيث الحجم، فهناك رسائل هي بضع صفحات

فقط، وهناك كتاب كامل يُعد رسالة واحدة، وكتب باللغتين العربية والتركية .

¹- نجم الدين شاهين ، حياة بديع الزمان وجوانبها المجهولة ، ص 416-440. انظر ايضا : بديع الزمان سعيد النورسي ، الشعاعات ، المصدر السابق ، ص 490.

²- جمال الدين فالح الكيلاني وزياد حمد الصميدعي ، المرجع السابق ، ص 41.

³- بديع الزمان سعيد النورسي ، الملاحق في فقه دعوة النور ، المصدر السابق ، ص 70-71.

جمعت هذه الرسائل في ثمانية مجلدات ضخام، هي: الكلمات- المكتوبات- اللمعات- الشعاعات- إشارات الإعجاز في مغان الإيجاز- المثنوي العربي النوري- الملاحق- صيقل الإسلام، وقد ترجمت إلى اللغات العربية والإنكليزية، والألمانية، والأردية، والفارسية، والكردية، والفرنسية، والروسية وغيرها.

الفرع الأول: آثاره العلمية.

أولاً: مؤلفاته باللغة العربية

1- إشارات الإعجاز في مغان الإيجاز: ألفه وهو يخوض غمار الحرب العالمية الأولى في جبهات القتال. وهو تفسير للقرآن الكريم، ويعد تحفة رائعة على رغم إيجازه، طبع سنة 1918 م.

2- المثنوي العربي النوري: وهو استعراض للمعارف الإيمانية وضرورتها وفق المنهج القرآني والسنة النبوية، طبع سنة 1923 م.

3- قزل إيجاز على سلم المنطق: وهو حاشية على كتاب السلم المنورق للشيخ عبد الرحمن الخصري ويوجد الآن ضمن كتاب الصيقل الإسلامي.

4- تعليقات في علم المنطق: وهو تعليق على كتاب برهان الكلبوي في المنطق.

5- صيقل الإسلام: وهو مختصر المحاكمات البديعية

1- دواء اليأس (الخطبة الشامية): وهي توضح أسباب تخلف العالم الإسلامي وطرق علاجها.

ثانياً : مؤلفاته باللغة التركية: كليات رسائل النور

1- الكلمات : وتضم 33 كلمة في 650 صفحة.

2- المكتوبات: وتضم 33 مكتوبا في 450 صفحة.

3- اللمعات: وهو شرح للعقائد الإسلامية، ممتزجة بالتفسير وعلم الكلام، وتضم 33 لمعة في 430 صفحة.

4- الشعاعات: وتضم 15 شعاعا في 640 صفحة.

5- الملاحق في دعوة النور.

6- تعليقات على برهان الكلبي مترجم من العربية وهو كتاب تعليقات في علم المنطق نفسه.

7- السانحات.

8- الخطوات الست: وهي خطة تقضي حماية الأمة من خطر المحتلين الغزاة وكيفية التعامل معهم.

9- سيرة ذاتية : استعراض لحياته الطويلة والمليئة بالأحداث الكثيرة، وهي قراءة

حقيقية للزمن الذي عاش فيه النورسي، كانت متفرقة في ثنايا تأليفاته فأعدت وجمعت وحققت في كتاب سمي بهذا الاسم من طرف الدكتور إحسان قاسم الصالحي .

10- المناظرات.

11- محاكمات عقلية في التفسير والبلاغة والعقيدة

الفرع الثاني: طلبته.

رأيت من الواجب علي أن أذكر بأولئك الذين حملوا رسائل النور وأوصلوها لنا غضة طرية، و هؤلاء الذين تحملوا المشاق وركبوا الصعاب وأدخلوا السجون وأرعبوا أعداء النور و أحبوا النور و طردوا الظلام بحملهم مشاعل النور، و كانوا أوفياء للرجل الذي أضاء لهم ذلك الطريق فوقفوا معه وقدموا الغالي والنفيس من أجله ، من أجل خدمة القرآن، و خدمة دعوة الإسلام ، ولا يسعني أن أذكرهم جميعا ، لذلك سأذكر بعض الذين إلتفوا حوله وذكرهم في رسائله وفي مؤلفاته :

«السيد بكر أفندي : من أوائل طلاب النور ولد سنة 1898م في بارلا توفي

سنة 1954م هو الذي تولى طبع الكلمة العاشرة في استانبول»¹.

«الحافظ توفيق : الملقب بالشامي 1887م-1965م من أوائل طلاب النور وكتابها

لقب بالحافظ لحفظه القرآن الكريم وبالشامي لبقاءه في الشام بصحبة والده الذي كان ضابطا هناك مشهود له بالصلاح والتقوى والعلم لازم الاستاذ النورسي في بارلا وفي سجون اسكي شهر ودينزلي»¹.

¹ - بديع الزمان سعيد النورسي ، اللمعات ، ص 71-72

«السيد حقي : كان يخبأ رسائل النور عندما عين في القضاء خشية ان يصيبه وأستاذه النورسي أذى وكان من بين الاوائل الذين عندما فتح امام الطلاب ميدان الإستتساخ جديد للقرآن بخط جميل وبنمط جديد اعطي له حصته من الإستتساخ فأجاد القيام بها»² .

«الحافظ أحمد علي: وهو من أقدم طلابه والمستسخ الأول للرسائل ويمتاز بالخط الحسن, استشهد في. سجن دينزلي سنة 1944 م»³ .

« طاهري موطلو: والذي لقبه الأستاذ بالرائد وهو من العباد والملتزمين بأوامر أستاذه، توفي سنة 1977م»⁴ .

« خلوصي يحيى كيل: من السابقين الذين تتلمذوا على يد الأستاذ النورسي في بارالا، وكان ضابطا برتبة نقيب كان يبعث الى استاذة النورسي أسئلته وما يستفسر منه من أمور إيمانه ،جمعت هذه الأجوبة بتوجيه الأستاذ وسميت بالمكتوبات توفي سنة 1986م»⁵ .

« المعلم أحمد غالب: شاعر وخطاط جد وأجتهد في استتساخ المكتوبات والكلمات وهو من المخلصين القريبين، ولد سنة 1900متوفي سنة 1940م كان يستسخ الرسائل لنفسه مع الحضور الدائم للدروس حتى إستكتب لنفسه جميع الكلمات و المكتوبات ، كان يقصد وراء هذا الإستتساخ نشر رسائل النور في مدينته وإرشاد أصدقاءه»⁶ .

«عبد المجيد: هو أصغر إخوة الأستاذ النورسي، ترجم كثيرا من رسائله إلى العربية ترجم إشارات الإعجاز والمتنوي العربي الى اللغة التركية ، كان مدرسا ثم مفتيا للعلوم الإسلامية. توفي سنة 1968م»⁷ .

1- نفس المصدر ، ص 72.

2- نفس المصدر ص 71.

3- نفس المصدر، ص 75

4- بديع الزمان سعيد النورسي ، اللمعات ، نفس المصدر ، ص 376

5- بديع الزمان سعيد النورسي ، المكتوبات ، المصدر السابق، ص : 15

6- بديع الزمان سعيد النورسي، اللمعات، المصدر السابق ، ص 75

7- بديع الزمان سعيد النورسي المكتوبات، المصدر السابق، ص 15.

«عبد الرحمن عبد الله: ابن شقيق الأستاذ النورسي كتب تاريخ حياة الأستاذ منذ ولادته و حتى عام 1918 م ، توفي عام 1928م كما قام بنشر رسائل النور أثناء نفي النورسي في بارلا»¹.

«سيراني صنو خسرو: كان في مقدمة الذين إستنسخوا المئات من الرسائل و نشرها في أهلك الظروف، و قضى حياته مع أستاذه في سجون إسكي شهر ودينزلي وأفيون وهو الذي كتب مصحفا بتوجيه من أستاذه النورسي لإظهار الإعجاز في التوافقات اللطيفة لإسم الجلالة في صفحة واحدة ولد سنة 1899م بإسبارطة توفي عام 1977م بإستانبول»².

«السيد سليمان: و هو الذي خدم الأستاذ النورسي في منفاه في بارلا طوال ثماني سنوات، كان مثالا للصدق و الوفاء و الإخلاص، توفي عام 1965م»³.

«الحافظ أحمد : احد الذين استنسخوا رسائل النور لمدة ثلاث سنوات وهو شغوف بهذا العمل»⁴.

«الحافظ خالد : هو خالد عمر أفندي من أوائل طلاب النور وكتاب الرسائل من مواليد 1891م في بارلا توفي سنة 1946م بإستانبول إشتغل بالتعليم ثم تركه وأصبح إماما في أحد المساجد بارلا»⁵.

¹- نفس المصدر ، ص 15 ، أنظر ايضا ، اللمعات ، ص 373-374.

²- بديع الزمان سعيد النورسي ، اللمعات، المصدر السابق، ص 74

³- نفس المصدر ، ص 72 ،

⁴- بديع الزمان سعيد النورسي ، اللمعات ، ص 74.

⁵- نفس المصدر ، ص 76

خلاصة

إن ما يميز "سعيد النورسي" أنه عاش في ظروف خاصة وهي أواخر الدولة العثمانية ثم إعلان الجمهورية التركية، ودخول كثير من البلدان العربية والإسلامية تحت سيطرة الإستعمار الغربي ، وعاش أيضا مأساة الحرب العالمية الأولى بل شارك فيها و وقع في الأسر الروسي فأمضى نحو عام، منفيا وأسيرا في سبيريا، وعاش الحرب العالمية الثانية كذلك، وما ترتب عنها من نتائج أثرت بكثير على مستقبل العالم، وكان مشروعه محل اعتراض قوي من قبل دعاة العلمانية، في تركيا، أولئك الذين أمسكوا بزمام الحكم بعد سقوط الدولة العثمانية، ولهذا عاش معاناة حقيقة، فتوزعت حياته بين المحاكمات، والسجون، والمنافي، والإقامة الجبرية ولكنه بقي وفيا لمنهجه في العمل بالمحاجة الفكرية، والعمل السلمي وحفظ الأمن، والتعاون على القيم الإنسانية، وجمع النورسي خلاصة منهجه الإصلاحي في "رسائله"، التي كتبها على امتداد ثلاثين عاما، يساير بها الوقائع والأحداث، وهي مجموعة في "كليات رسائل النور"، وهكذا، نشأت مدرسة معاصرة في الفكر الإسلامي، لها معالم متميزة نالت إعجاب كثير من أهل الفكر في العالم العربي الإسلامي أولا، ثم في العالم كله، من المسلمين وغير المسلمين، وكثرت العناية بهذه المدرسة فأنجزت بحوث ودراسات حولها، من جهة التعريف بصاحبها، ومن جهة بيان معالمها المتميزة في الفكر الإسلامي من أجل اكتشاف مميزات هذه المدرسة وضع القواعد الناجعة للفكر الإسلامي، وإصلاح واقع الركود والخلل في الفكر الإسلامي المعاصر.

فمن خلال ما تقدم من سيرة لحياة " سعيد النورسي " وجهوده الإصلاحية سواء السياسية أو الدينية أو الإجتماعية ساهمت في إنتقاله من مرحلة إلى أخرى وهذا الإنتقال لم يكن سريعا ، "فسعيد النورسي" حاول خدمة الإسلام عن طريق الإنخراط في ميدان السياسة ومحاولة التأثير فيها ، غير أن "النورسي" أدرك في هذه المرحلة عقم الأسلوب السياسي بعد إنعدام الحرية وإتساع موجة العداة للدين بكل الأساليب فوجه جميع جهوده لتجديد أمر الدين وبناء العقيدة القادرة على البناء الإسلامي .

الفصل الثالث

التصوف وموقف النورسي منه

تمهيد

إن التصوف بإعتباره جزء أساسي من التراث الإسلامي ، فقد تبوأ مكانة في الفكر الإسلامي ، مما جعله متناول من قبل المؤرخين والعلماء منذ القدم ولعل أعلام كبار مثلوا هذه المكانة كأمثال الطوسي والكلابادي والقشيري ، بالإضافة إلى الفلاسفة أمثال ابن سينا والغزالي وابن خلدون ، بالإضافة إلى دراسات المستشرقين كأمثال ماسينيون وأنا ماري شيمل وغيرهما مما جعل هذا التصوف يختلف باختلاف الآراء وبالتالي تعددت المشارب .

حاول "النورسي " أن يكون موضوعيا في تناوله لمباحث التصوف ، وقد أولاه إهتماما يليق به ؛ لأنه يعده أساسا مهما من أسس إيصال الإنسان المسلم إلى الإستقامة والتقوى ، إلا أنه ينبه إلى الإنحرافات والسلبيات التي دخلت إليه نتيجة الممارسة الخاطئة والإبتعاد عن القرآن والسنة ومسلك الصحابة الكرام.

مستندا في ذلك إلى عدد من الأسس الفكرية منها : العودة إلى الإسلام بنقائه الأصيل ، والتوحيد ، وتأكيد وجود الله ، والإجتهد ، والجهاد ، ورفض الأسس الثقافية للحضارة الغربية ، ونبذ بعض المظاهر الغربية التي لا تتلاءم ومجتمعنا الإسلامي .

المبحث الأول : التصوف تعريفه ومعالمه الروحية وموقف النورسي منه المطلب الأول : تعريف التصوف

الفرع الأول : التعريف من حيث اللغة

« لغة : لم تعرف كلمة التصوف في لغتنا إشتقاقا واحدا يتفق عليه , اذ قيل أنها مشتقة من صفاء القلوب وقيل أنها مشتقة من الصفة أو صفة المسجد , مكان في مؤخرة مسجد الرسول "صلى الله عليه و سلم" كان يجلس فيه متعبدون زهاد , او من الصف وهو اشتقاق مشكوك فيه و هو الصف الاول في المسجد او من اللفظ اليوناني صوفوس "أي حكيم"¹
يقول القشيري في رسالته :

« ليس يشهد لهذا الإسم من حيث العربية قياس ولا إشتقاق »².

علي الهجويري يقول :

« إن اشتقاق هذا الاسم لا يصح من مقتضى اللغة في أي معنى ، لأن هذا الاسم أعظم من أن يكون له جنس ليشتق منه »³.

أما المستشرقين يرون أن كلمة صوفي مأخوذة :

« من "صوفيا" اليونانية بمعنى الحكمة وعندما فلسفت العرب عبادتهم حرفوا الكلمة وأطلقوها على رجال التعبد والفلسفة الروحية، أو مأخوذة من "ثيوصوفيا" بمعنى الإشراف أو محب الحكمة الإلهية »⁴.

¹ - الفرد بل، الفرق الإسلامي في الشمال الأفريقي، ترجمة: عبد الرحمان البدوي، دار الغرب الإسلامي للنشر ، بيروت، الطبعة الثالثة، 1987م ، ص 374.

² - عبد الكريم القشيري، - الرسالة القشيرية ج2، دار الكتب الحديثة للنشر والتوزيع، القاهرة، ص 550.

³ - علي الهجويري، كشف المحجوب ، ترجمة : أسعاد عبد الهادي قنديل ، دار النهضة العربية للنشر ، بيروت ، 1980م، ص 230.

⁴ - محمد عبد المنعم الخفاجي ، الأدب في التراث الصوفي ، دار غريب للطباعة للنشر، القاهرة، 1938م، ص 23-24.

الفرع الثاني : من حيث الإصطلاح

لم يكن هناك إتفاق كذلك على مصطلح التصوف وبالتالي نجد عدة تعريفات مختلفة حول مصطلح التصوف من بينها :

« هو إمتثال الأمر وإجتنب النهي في الظاهر والباطن من حيث يرضي لا من حيث

ترضى»¹.

يعرف أبو بكر الكتاني التصوف :

« كله خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد في الصفاء»²

تعريف أبو محمد الجريري التصوف :

« الدخول في كل خلق سني، والخروج عن كل خلق دني »³.

كما يقول ابن عجيبة أن التصوف هو:

« صدق التوبة إلى الله بما يرضاه ومن حيث يراه ولقد كادت كتب التصوف تجمع

على أنه صدق التوجه برا الله سبحانه و تعالى»⁴.

¹- أيمن حمدي ، قاموس المصطلحات الصوفية ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2000م، ص50
²- يوسف محمد طه زيدان ، الطريق الصوفي وفروع القادرية بمصر ، دار الجيل للنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1991م، ص 11.
³- عبد الحليم محمود ، قضية التصوف المدرسة الشاذلية ، دار المعارف للنشر ، القاهرة ، الطبعة الثالثة، بدون سنة نشر، ص 425.
⁴- يوسف هاشمي الرفاعي ، الصوفية والتصوف في ضوء الكتاب والسنة ، منشورات منتديات دار الإيمان ، الكويت ، الطبعة الأولى، 1999م ، ص 33.

المطلب الثاني : مراحل الحياة الصوفية ومعالمها

الفرع الأول : الحياة الصوفية عند المسلمين في المرحلة الأولى :

كانت معالم الحياة الصوفية عند المسلمين متمثلة في القرنين الأول والثاني الهجريين تميزت وتحددت بعدة معالم هي :

تميزت الحياة الصوفية أي الروحية في القرن الأول والثاني الهجريين بالزهد والتقشف والعبادة ، كما أن من مميزاته أنه الزهاد لم ينفصلوا عن الجماعة والحياة بل كان جمعا بين الحياة الدنيوية والآخروية معا وكان ذو نزعة فردية بعيد عن ما يعرف بالحركات والمذاهب والطوائف ، مستندا على القرآن والسنة فقط

وهذا ما أكده الدكتور أبو العلا عفيفي حيث لقبه بالزهد الساذج :

« كانت الحياة الروحية في هاته المرحلة قائمة على الزهد والتقشف والعبادة والتسك والمجاهدة ورياضة النفس بكبح جماح هذه النفس وتعويدها على القليل من متاع الحياة الدنيوية. كذلك لم يكن هذا الزهد في هذا العصر الإسلامي أي خلال القرنين الأول والثاني الهجريين حركة من الحركات الدينية ولا مذهباً من المذاهب ولا نظاماً جماعياً بل كان نزعة فردية رائدها الدين وحده القرآن الكريم وسنة الرسول عليه الصلاة والسلام بالزهد الساذج الذي كان مصدره القرآن والحديث مباشرة ¹ .

من خلال هذا نستنتج أن تعاليم الإسلام لا تدعوا إلى العزلة وإعتزال المجتمع ، فكل السير سواء عن الصحابة الكرام أو عن السيرة النبوية الشريفة تثبت فعلاً أنه لم يحدث عملياً من المسلمين الأوائل من إعتزل بعضهم جماعة المسلمين تطبيقاً لمذهب معين أو إتباعاً لفرقة أو مدرسة أو طائفة ، بل الأفكار الدينية والعبادات كانت كلها مأخوذة من كتاب الله وسنة الرسول عليه السلام. وبالتالي فإن العزلة قد تقضي على البناء الاخلاقي ومبادئه كالتعاطف وقول النبي عليه الصلاة والسلام « ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم

¹ - محمد شبلي شتيوي ، التصوف والصوفية في ضوء النصوص الدينية والبراهين العقلية ، دار السحاب للنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 2007م ، ص 55-56.

وتعاطفهم كمثل الجسد»¹، والتعاون لقوله تعالى ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾²، والوحدة ونبذ الأنانية لقول الرسول عليه الصلاة والسلام «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه»³، وبالتالي هذه النزعة الفردية تتعارض مع محبة المسلم لأخيه الخير فهاته الأخلاق السامية عززها الإسلام .

ومن جهة أخرى نرى أن نبينا عليه الصلاة والسلام نهى عن العزلة والغلو فيها عندما سمع أن بعض من صحابته يلزم نفسه بالعبادة وبالتشدد وعزلة وغلة نهاهم بقوله :

« لكني اصلي وأرقد ، أصوم وأفطر والذي اوجب على نفسه أن لا يتزوج ابدا "لكني أتزوج النساء" " فمن رغب عن سنتي فليس مني »⁴.

كذلك من بين المعالم الروحية للمسلمين الأوائل أن الهدف من الحياة الروحية حسب الباحث شتيوي تتمثل في :

« طهارة القلب والنفس ونقاء الروح وقلب مملؤ بالورع والخشية وحب الله، وفي نفس الوقت الذي تنظر فيه هذه النفس إلى الحياة الدنيوية ومتعتها ومغراياتها على أنها أمور فانية وأنه يجب على العبد ألا يأخذ منها إلا بالقدر الذي يعينه على العبادة ويوصله إلى الدار الآخرة بسلام ، بإعتبار أن الإنشغال والإهتمام الإستزادة من هذه المتع الدنيوية يشغل العبد عن حب الله وعن التقرب منه إذ أن هذه المتع الدنيوية تعتبر كمعوقات في طريق السائرين إلى الحضرة الإلهية»⁵.

كذلك مما يميز هاته الفترة عند المسلمين أنها لم يكن هناك مظهر من مظاهر العشق والمحبة وهو ما يعرف ب "الفناء" أو "وحدة الوجود" أو "الصحو والسكر" ، تلك الأفكار

¹- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، الصلاة ،ج1، من باب تشبيك الأصابع، ص 565.

²- القرآن الكريم ، سورة المائدة ، الآية 2.

³- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الإيمان ، ج 1 ، من باب الإيمان أن يحب لأخيه ، ص 57.

⁴- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، النكاح ، ج9، من باب الترغيب في النكاح ، ص 104.

⁵- محمد شلبي شتيوي ، المرجع السابق ، ص 59.

والتي ظهرت فيما بعد على يد بعض المسلمين الذين إتسموا بإسم الصوفية كالمقامات والأحوال لابد للمتصوف أن يسلكها وفي هذه النقطة يشير نيكلسون بقوله :

« إن متصوفة القرن الثاني ظلوا على مذهب أهل السنة ملتزمين قواعد الشرع مع تمسكهم بالفقر ومحاربة النفس والتوكل على الله في جميع أمورهم ، كما لم يكن لعباد وفساك هذه الفترة لغة رمزية أو تعبيرات أو إصطلاحات خاصة بهم أو يجمعهم إسم خاص يميزهم عن بقية المسلمين»¹ .

من المعالم أيضا وتعتبر من الميزات الهامة هن مما يعكس لنا أن الحياة الروحية كانت مجسدا واقعا زهدا وتقشفا ومجاهدة عمليا وليس تنظيريا ، إذ كان كما يقول الدكتور قاسم غني :

« إذا كان التصوف باديء ذي بدء طريقة عملية لا مذهباً نظرياً إن الحياة الروحية كانت تقوم على العمل فقط والسلوك العملي وتطبيقاً عملياً لنصوص الشرع الديني وموازنة عملية بين أمور الدنيوية وواجبات الحياة الآخروية فلم يكن في هذا الفترة مجالاً لنظريات فلسفية»² .

ويقدم لنا الدكتور "قاسم غني" بعض العوامل والأسباب التي في نظره كان لها دورا مهما في كون زهد المسلمين الأوائل وتقواهم وتنسكهم وتقشفهم كان أمرا فعليا فيه إعتدال وإتزان وموازنة بين ما هو دنيوي وما هو آخروي تمثلت فيمايلي :

« العامل الأول : إنشغال المسلمين في هذه الفترة بأمر معاشهم وحياتهم اليومية وواجباتهم الإجتماعية بالإضافة إلى محاولتهم إيجاد حلول مناسبة لأي مشكلة إجتماعية تقف أمامهم. وفي نفس الوقت محاولتهم إقامة مجتمع راق قائم على سمو الأخلاق. **العامل الثاني** : قيام الإسلام على مبدأ الترغيب والترهيب ، وإنما إلتزم الإسلام منهج الإعتدال بين الترغيب والترهيب حيث بشر الصالحين وأنذر العصاة بالعذاب في يوم الحساب. وقد دفعهم حب الجنة إلى التمسك بالزهد والفقر والعبادة والتنسك... هذا يدفع بالإنسان قهرا وقطعا إلى العزلة والتسليم الكامل لإرادة الله. **العامل الثالث** : أن العزلة والفقر كانا وسيلة من وسائل التي تدفع بالمسلم إلى التفكير في القرآن وتدبر آياته ومعانيه

¹ - نيكلسون رينولد إلين ، في التصوف الإسلامي وتاريخه ، ترجمة : أبو العلا عفيفي ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1947م ، ص 70.

² - قاسم غني ، تاريخ التصوف في الإسلام ، مؤسسة طهران للنشر والتوزيع ، إيران ، 1322 هـ ، ص 35.

بصورة أدق وأوفى وأفضل ، و يكون المسلم أكثر قربا من الله بواسطة العبادات والأذكار والإستغفار .
العامل الرابع : الحالة الإجتماعية التي سادت القرنين الأول والثاني الهجري في تعرض المجتمع إلى حروب داخلية ومظالم من بعض الحكام والأمراء ، كان لها دور كبير في إندفاع كثير من المسلمين إلى الزهد والتتسك والعبادات الكثيرة بلا إنقطاع عن الحياة الدنيوية بما فيها من متع وشهوات»¹.

ويؤكد الدكتور قاسم غني ويشير إلى أن هناك مسألة أخرى سببت هياج أفكار المسلمين في صدر الإسلام ، وكان لها الأثر في سوق أذهانهم إلى الزهد والتصوف وتعد من العوامل الإجتماعية الهامة وهي :

« الإضطرابات والطغيان والقتل والحروب الداخلية الموحشة ومظالم الأمراء وإنهماكهم في الأمور الدنيوية والمادية تلك التي بدأت بثورة الناس على عثمان وقتله المؤلم »².

الفرع الثاني :الحياة الصوفية عند المسلمين في المرحلة الثانية وأهم معالمها:

لاحظنا في المرحلة الأولى أن الحياة الروحية كانت قائمة على الأسلوب العملي والمنهج التطبيقي فقط سنرى في المرحلة الثانية من الحياة الروحية المتمثلة في القرن الثالث والرابع هجريين ، كيف تطورت عن ما سبق إذ ظهر مجال الدراسات الفلسفية بدأت تتغلغل في دراسة الحياة الروحية ودراسات علمية مختلفة حول النفس الإنسانية وكيفية تربيتها تربية روحية وأخلاقية عالية وراقية بالتالي ظهور الدراسات النظرية التي ظهرت من خلالها خصائص نفسية وأخلاقية وفلسفية لم يكن يعرف بها أحد من قبل، وأشار إلى هاته النقطة الباحث محمد مصطفى حلمي :

« التصوف لم يكن علما للأخلاق الدينية الإسلامية وإنما كان كذلك علما للنفس الإنسانية وللمنازع الميتافيزيقية التي تنزع إليها النفس وترمي من خلالها إلى التحقق بالفناء عن

¹- قاسم غني ، المرجع السابق ، ص 33 -34.

²- قاسم غني ، المرجع السابق ، ص 37.

وجودها والإتحاد بالذات الإلهية على نحو ما يظهرنا أبو زيد البسطامي والحلاج وأمثالهما من أصحاب الأذواق وأرباب الأحوال»¹.

من خلال هذا نستنتج أن الحياة الروحية عند المسلمين في مرحلتها الثانية كانت تتميز بالأسلوب العلمي والمنهج النظري الذي كان يتماشى جنباً إلى جنب مع الأسلوب العملي والمنهج التطبيقي ، بل أن المنهج النظري القائم على التفكير والتدبر في الأمور كان طاغياً على المنهج العلمي. وكان صوفية هذه المرحلة يرون أن المنهج النظري هو في حد ذاته الغاية العظمى والأسمى. لذلك من الناحية النظرية للتصوف نلاحظ أنها في هذه المرحلة أصبحت ذات أهمية كبرى وبالتالي تغلبها على الجانب العملي الذي ميز المرحلة الأولى.

ويشير الأستاذ "أحمد أمين" إلى أن طابع التفكير الفلسفي في المرحلة الثانية

« أصبح أكثر إنتشاراً و أكثر عمقا خاصة عند معروف الكرخي المتوفي عام بالرغم من أنه من مشاهير المرحلة الأولى في الحياة الروحية عند المسلمين غير أن تأثير تفكيره وفعاليتيه لم يكن لها التأثير إلا في القرنين الثالث والرابع هجري»².

ومما ميز هذه المرحلة الثانية ظهور أمكنة للتعبد غير المساجد ، وأن بعض الصوفية قد خصصوا أماكن معينة يجتمعون فيها للقيام بالعبادات والأذكار كتلاوة القرآن وذكر الله أو مدارس بعض الأفكار الصوفية الجديدة مثل فكرة **الفناء** التي ظهر بها أبو يزيد البسطامي المتوفي عام 261هـ ، وفكرة **وحدة الوجود** التي ظهر بها **الجنيدي** المتوفي عام 297هـ ،

ومن بين المظاهر التي إنتشرت وتعتبر سلبية هي وجود العداء بين الصوفية علماء الدين بجميع تخصصاتهم والفقهاء رفضوا فكرة الفناء في الله أو الحلول في الله أو الإتحاد في الله أو وحدة الوجود بإعتبار أن تلك النظريات كانت سببا في الحكم على بعض هؤلاء الصوفية بالكفر بسبب إبتداع هذه الفكرة وإشاعتها والترويج لها ، ولعل الحلاج مثال على ذلك حكم عليه بالقتل وتم تنفيذ القتل فيه بسبب هذه الفكرة التي رآها علماء الدين آنذاك نوعاً من

¹- محمد مصطفى حلمي ، الحياة الروحية في الإسلام ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، 1970م ، ص 100-101.

²- أحمد أمين ، ظهر الإسلام ج2 ، مكتبة النهضة العربية ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الخامسة ، 1977م ، ص 58.

أنواع الكفر والإلحاد لأنها منافية للتوحيد الخالص الذي جاء به رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام.

كذلك من معالم المرحلة الثانية التي أشار إليها المستشرق "نيكلسون" إلى أن :

« أن التصوف أصبح مذهباً منظماً أثناء الجزء الأخير من القرن الثالث هجري ، وصار للصوفية أسانذة وتلاميذ وقواعد للسلوك ، ولكنهم بذلوا ما في وسعهم من جهد التوفيق بين تصوفهم وبين القرآن والسنة اللذين إتخذوهما أساساً لجميع أقوالهم وأفعالهم»¹

وقد استنتج هذا وجود ظاهرة التأويل وإستعمال لغة الرمز والإشارات في تأويل آيات القرآن وتفسيرها ، وكذلك القول بالعلم الباطن. وقد اشتهر في هذه المرحلة بعض الصوفية التي كانت لهم نظريات صوفية جديدة كأبو عبد الله الحرث بن أسد المحاسبي من أقواله

« العلم يورث المخافة والزهد يورث الراحة والمعرفة تورث الإنابة »².

ومن أقواله المهمة في الجانب الصوفية والتصوف قوله :

« لا ينبغي العبد أن يطلب الورع بتضييع الواجب »³.

الفرع الثالث : المرحلة الثالثة من التطور الصوفي:

كانت تتميز بالتدهور خلال القرن السادس الهجري وكان العالم الإسلامي يتميز بالحروب وبالتالي إنتشار القتل وانتشار العداء والخصومات بين الفرق الإسلامية ليس من أجل معرفة الحقيقة، كما أن المؤلفات لا تكن كما كانت عليه من قبل كما تميزت هذه الفترة بظهور الشبهات وما يعرف بالبدع وظهور ما يعرف بالكرامة خاصة

¹- نيكلسون ، المرجع السابق، ص 27.

²- الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ج5، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، 1996 م ، ص 75.

³- الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني ، نفس المرجع ، ص 77.

« شيوع وانتشار الخرافات في أرجاء الوطن الإسلامي وإدعاء بما يعرف بالكرامات وخوارق العادات إلى جانب التصوف من بعض المتصوفة وضيق الأفق عند كثير من العامة وبالتالي إنحطاط الفكر في هذا الجانب من الحياة الفكرية والعلمية»¹.

بقي التصوف بعيدا عن الدين في هذه الفترة إذ أصبح تصوفا مصطبغا بالفلسفة أصبح له منحى جديد وبالتالي منهاجا جديدا، أي أصبح تصوفا فلسفيا إذ تغلبت هاته الدراسات الفلسفية وأخذت مكانة الظهور أكثر منه من الدراسات الروحية الدينية الخالصة التي كانت من قبل عامة وفي الفكر الصوفي على وجه الخصوص بحيث نلاحظ كيف أصبح التصوف فلسفيا

« إبتعد الفكر الصوفي الجديد عن الدين بعدا كبيرا وأصبح هذا الفكر الجديد قريبا من المذاهب الفلسفية وبالتالي من الأفكار المختلفة الواردة من مصادر وجهات مختلفة بما فيها المصادر الغربية والغريبة عن الإسلام التي بدورها تتضمن وتحتوي على ما يظهر تناقض أو تعارض مع الإسلام وبما أتى به. من أصول وحقيقة الإيمان ، لذلك يرى بعض المتخصصين في الدراسات الروحية أو الصوفية أن هذه الفترة هي تعتبر فترة تراجع»².

ومن بين المتصوفة الذين تميزوا بالصبغة فلسفية بصورة فلاسفة دينيين أولئك الذين مزجوا بين الفلسفة القائمة على الفكر والجدل والمناقشة وبين التصوف القائم على الذوق والإلهام والوجدان ، ولعل ما يمثل هذا الإتجاه والفكر الصوفي الجديد في هاته الفترة السهروردي صاحب حكمة الإشراق المقتول ، ومحي الدين بن عربي ، ابن سبعين

¹- محمود أبو الفيض المنوفي ، المرجع السابق ، ص 283.

²- محمود أبو الفيض المنوفي ، جمهرة أولياء وأعلام أهل التصوف ج1، مؤسسة الحلبي للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1967م ، ص 283.

« كان هدف هؤلاء الصوفية الفلاسفة ومن إتبع منهجهم إقامة تصوف على دعائم فلسفية فكانت لهم نظريات في الوجود والمعرفة تقترب كل القرب من النظريات الفلسفية الخالصة ، وإختلط التصوف بالفلسفة إختلاطا كبيرا لدرجة أنه في القرنين 6-7 هـ إكتمل التصوف الفلسفي»¹.

من خلال هذا نستنتج أنه هناك صورتين من التصوف أو نوعين والمتمثل في **التصوف الديني** أقرب إلى الدين من الفلسفة ، و**التصوف الفلسفي** وهذا الأخير أخذ يشق طريقه في الظهور والإنتشار ومحاولة إثباته منذ القرن السادس هجري ، أما التصوف الديني بدأ يشق طريقه نحو الإنحطاط والتراجع ومن أسباب هذا التراجع مايلي :

« **أولا** : طغيان العنصر الفلسفي على العنصر الديني في الدراسات الروحية أو الصوفية **ثانيا** : إختلط علم الذوق والوجدان والإلهام بالديانات المحرفة وما إرتبط بها من فلسفات دينية كاليهودية والنصرانية. **ثالثا** : إختلاط الدراسات الصوفية عند المسلمين بتلك الدراسات الفلسفية الشرقية التي في قواعدها ومنهجها وحتى موضوعاتها متناقضة مع الدين الإسلامي على سبيل المثال كالفلسفات الهندية والبوذية بالإضافة إلى الفلسفة اليونانية التي أعجب بها الكثير من مفكري العالم الإسلامي **رابعا** : إختلاط الدراسات الصوفية عند المسلمين بعلم الكلام القائم على الجدل والمغالطات والأفكار الفلسفية الواردة من هنا وهناك»²

نستنتج من خلال هذا أنه بعدما كان العنصر المهم في الدراسات الصوفية هو دراسة النفس وأحوالها ورسم طريق وصولها إلى الله بالإضافة إلى تعميق الدراسات الأخلاقية وتطبيقاتها بالإعتماد على المنهج الإسلامي والأخذ من المصادر القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وهما مصدرَي الإسلام ، بعد هذا نرى منهج فلسفي عقلي أخذ مكانة تلك الدراسات الصوفية. كذلك ظهور الإطلاع على الغيب في مجال التصوف من قبل المتصوفة حيث يؤكد **محمد مصطفى حلمي** هذا بقوله :

¹ - إبراهيم مدكور ، في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه ج 2 ، دار المعارف ، القاهرة، مصر ، الطبعة الثالثة ، 2003م، ص 69.

² - محمد حلمي مصطفى ، المرجع السابق ، ص 137.

« إِدعاء بعض المتصوفة بالإطلاع على الغيب ومعرفة بعض الغيبيات قبل وقوعها ، بل زعمهم كشف الحجب والإطلاع على المستور. وهذا راجع إلى أنهم أهل المجاهدات وأن الله قد أحبهم دون غيرهم فأعطاهم مقدرة على التصرف في هذه الغيبيات قبل وقوعها.... وظهر في كلام الصوفية القول بالقطب الذي يدل عندهم إما على الحقيقة المحمدية التي كانت قبل أن يكون الخلق و إما على الإنسان الكامل الذي تحقق من كمال العلم والعمل بحيث جعله أهلاً لأن يكون في أعلى مراتب الصوفية وهي مرتبة رأس العارفين»¹.

وهكذا أصبحت الأفكار الصوفية مطعمة بالأفكار الفلسفية والكلامية وكثيراً من الأبحاث المتعلقة بالفلسفة وعلم الكلام غزت الأفكار الصوفية ، بل أصبحت أساسية فيه حيث أكد مصطفى حلمي هذا بأن :

« قضايا صوفية أساسية تدور حولها الأبحاث والدراسات الصوفية من ذلك مسألة حقيقة الله والعالم والمعرفة ، على التكوين ، ومسألة ربط القديم بالحادث ومسألة الروح والبدن وعلاقتهما ببعضهما البعض»².

ويرى الدكتور "محمود أبو الفيض المنوفي" أن صبغ الدراسات الروحية بالأفكار الفلسفية في هذه المرحلة كان أمراً طبيعياً وضرورياً حيث رأى أنه :

« يبدو أن محاولة الربط بين حقائق الدين القائمة على الوحي الديني والنظريات الفلسفية القائمة على الشك والتعليل والترجيح كانت ضرورية لقوم دخولوا في الإسلام من ملل مختلفة وكانت عقلياتهم أو قل دراساتهم العقلية تختلف عن حقائق الدين الذي إعتقوه فلم يروا أبداً من محاولة التوفيق بين معتقدتهم الديني وخبرتهم الفلسفية الشنتية المعتمدة على منطق فيه الصواب والخطأ والقضية وعكسها في وقت واحد»³.

يمكن إستخلاص مما تقدم أنه كان هناك إتجاهين جراء هذا التراجع الذي لحق بالتصوف الديني والذي لا يتوافق مع أصول الحقائق الإيمانية متمثلاً في :

¹- نفس المرجع ، ص 138.

²- عبد الرحمن بدوي ، المرجع السابق ، ص 69.

³- محمود أبو الفيض المنوفي ، التصوف الإسلامي الخالص ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، 1969م ، ص 179.

« **الإتجاه الأول: الإتجاه العلمي** بمعنى التراجع في المؤلفات العلمية التي تبذع في

الفكر الصوفي وتبسطه للناس، ومقارنة بما قبلها كانت قليلة ، **الإتجاه الثاني** : وهو **الإتجاه العملي** ويقصد بهذا أن بعض الرجال التصوف أصبحوا بعيدين كل البعد عن منهج الحياة الروحية الحقّة سلوكا وتطبيقا ومالوا إلى المناقشات الفلسفية والمجادلات المنطقية»¹ .

ولعل من بين العوامل التي ساهمت في تراجع هذا الفكر إلا الإبتعاد عن منهجه القويم المرتبط بالدين والتوجه كما اسلفنا نحو التنظير وبالتالي ادماج الفلسفة فيه ولعل من بين الاسباب والعوامل التي ساهمت بشكل مباشر حسب **محمد مصطفى حلمي** هو :

« إن كثيرا منهم تشبع بشيء من عناصر الغرور وحب الظهور والتقرب إلى السلطة الحاكمة في ذلك الوقت ، مع محاولة بعض من الصوفية السيطرة على عقول العامة من الناس بتلك الكرامات وفوارق العادات التي قد تكون مزعومة ومدعاة كذبا وزورا من ضروب المخرقة وألوان الشعوذة ، حتى لقد خالف الكثير من المنتسبين إلى بعض الطرق الصوفية ما سار عليه السلف الصالح من سنن الزهد والعبادة وأصول المجاهدة والرياضة ، وإنحرفت عن غايتها التي ينبغي أن تسعى إليها»² .

ونستنتج من هذا أن الحياة الروحية إبتعدت عن المعنى الحقيقي الذي ينبغي أن تدل عليه وهب البناء الروحي والأخلاقي والسمو بالنفس إمتثالا وطاعة لله عز وجل بل أتجهت نحو إنتشار مفاهيم ومعاني جديدة ومصطلحات يصعب على العقل السليم للمسلم والمؤمن قبولها أو الرضا بها كالقول بالإتحاد بين الخالق والمخلوق ، بين المادي والمحسوس والغيبى الروحاني. أو القول بالحلول حيث تحل الذات البشرية في الذات الإلهية وتقنى فيها .

¹- محمد مصطفى حلمي ، المرجع السابق ، ص 164.

²- محمد مصطفى حلمي ، الحياة الروحية في الإسلام ، ص 164.

« ظهور ما يسمى "بوحددة الوجود" ، " وحدة الشهود" و " الوحدة المطلقة" ، تلك النظريات أو العقائد الصوفية الجديدة التي أجمت الخصومات السابقة وأوقدتها حربا شعواء من جديد بين التصوف والدين أو بين الصوفية وعلماء الدين الإسلامي من كافة التخصصات الدينية »¹.

ومما يمكن ملاحظته أن التصوف الذي إنتقل إلى القرن السادس هجري المرتبط بالدين أو وفي نفس الوقت ظهور التصوف المتشعب بالفلسفة أو ما سمي بالتصوف الفلسفي الذي نراه في حالة تقدم وإزدهار لدرجة أن كثيرا من الباحثين والدارسين قد رأوا أنه ما إن جاء القرن 7هـ حسب الدكتور قاسم غني

« بلغ هذا التصوف الفلسفي درجة النضوج والكمال مستدلين على بعض ظهور العمالة في هذا النهج الصوفي الجديد كأمثال السهروردي ، بن عربي، ابن السبعين»².

وعليه فإن التصوف في القرنين السادس والسابع هجريين قد تناول بعض الموضوعات التي يمكن أن تميزه في نظر كثير من الباحثين في مجال التصوف القرون السابقة ، لكن إن كانت هذه الموضوعات قد رفعت وعلت به فكرا وفلسفة إلا أنها من جهة أخرى نزلت به دينيا في قلوب كثير من المسلمين وبخاصة العلماء منهم أما موضوعات ما تميزت به هذه الفترة هي كمايلي :

« أن الصوفية عند المسلمين حاولوا رسم الطريق لوصول العبد إلى الصفاء والنقاء وعلو الروح وسموها حتى تصل إلى المكانة العالية إلى الحضرة الإلهية إما بطريق الحلول في الذات الإلهية أو الإتحاد بين الخالق والمخلوق أو عن طريق الفناء والإستغراق في ذات الله وذلك مرورا بالمجاهدات النفسية والرياضات البدنية التي تعني العبادة الشاقة فضلا عن الزهد والتتسك ومحاولة معرفة الذات الإلهية بتلك المناهج الصوفية من طرف الصوفيين»³.

¹ - محمد شلبي شتيوي ، المرجع السابق ، ص 151.

² - قاسم غني ، المرجع السابق ، ص 695.

³ - مصطفى حلمي ، المرجع السابق ، ص 139.

وقد صور الدكتور محمد مصطفى حلمي هذه الحالة بأن هذه المجاهدات والرياضات إذ أنه تكون هناك ثمرة لكل نوع من أنواع المجاهدة ومن مجمل هذه المجاهدات يكون للعبد السائر في هذا الطريق ثمرات متعددة .

« تلك الأحوال الصوفية التي عن طريقها ورسوخها في النفس تأتي المقامات حتى ينتهي الأمر بصاحب هذا الطريق إلى مقام التوحيد والعرفان الذي لا يصل إليه إلا أهل الذوق والعبادة»¹

وبالتالي نلاحظ كيف أن طريق المجاهدات يختلف إذ عنده بدأ بالأحوال ثم المقامات ، لكن هناك نظرية صوفية أخرى تبدأ بالمقامات وتنتهي بالأحوال على سبيل المثال كتاب اللمع فيما يخص المقامات والأحوال. ومن هنا نستنتج الاختلافات بين الصوفية حول ما يتعلق بالتصوف ، لم تكن محاولاتهم في هذين القرنين عند حد الإتحاد بالله أو الإستغراق في ذاته ولكن هناك طموح أكبر من هذا وهو محاولة إزالة الحجب التي تقف عقبة بين العبد وربّه حتى يتيسر لهذا العبد كشف الغيبات ، كل بحسب ما يكون عليه من ذوق ووجدان وما وصل إليه من أحوال ومقامات .

« كلما ارتقى هذا العبد في الأحوال والمقامات كلما تكشفت الحجب إلى أن لا يكون هناك حجب حينئذ يطلع هذا العبد على كثير من الغيبات كالصفات الربانية ، العرش والكرسي ، الملائكة ، الوحي والنبوة ، والروح ، وحقائق كل موجود غائب أو شاهد ، ترتيب الأكوان في صدورها عن موجدتها وتكونها»².

ومما يمكن ملاحظته وتعتبر من المعتقدات التي يؤمن بها الصوفية ويرون أنها تحققت مع هذا الشيخ الصوفي أو ذاك الشيخ الصوفي معتقد "الكرامات وخوارق العادات" ، فالصوفية يكثر من هذا المعتقد إلى مشايخهم إلى درجة المبالغة في هذه الكرامات من ناحية المشايخ الذين تقع على أيديهم هذه الكرامات ومن ناحية عدد هذه الكرامات على يد الشيخ الواحد. ويمكن تلمس هذه الكرامات عند كثير من صوفية القرنين 6-7 هجريين.

¹- نفس المرجع ، ص 139.

²- محمد شلبي شتيوي ، المرجع السابق ص 115.

« أن الشيخ الصوفي صاحب الكرامات وخوارق العادات يستطيع أن يتصرف في العالم وفي الكون كله تصرف الإله في مخلوقاته بأنواع الكرامات يظهرها الله على يد أصحاب الذوق والعرفان وأهل الأحوال والمقامات حتى أنه يستطيع أن يتصرف بهمته وفي نفسه في الموجودات السفلية بحيث تصير طوع إرادته على وجه لا يستطيع أن يدركه أو يعرفه أو يتصرف فيه غيره ممن لم يتحقق بمثل ما تحقق به هو من كشف حجاب الحس»¹.

المطلب الثالث: النورسي وموقفه من التصوف

قبل الولوج في دراستي المتمثلة في التصوف عند النورسي كنت أعتقد أنه شيخ طريقة لزاوية معينة ، وقد يظن و يعتقد كل من لم يطلع على سيرة حياة بديع الزمان سعيد النورسي وفكره أنه رجل صوفي ولا شك أن له أتباع ومريدين في تكية ، وهو بذلك يمثل شيخ لطريقة صوفية ، ولكن بعد الإطلاع والقراءة في سيرته من خلال كليات رسائل النور سرعان ما تكتشف أن هذا الحكم يحتاج إلى إعادة مراجعة ، خاصة بعدما نلاحظ في كذا من موضع وتكرارات عديدة أن " النورسي " ينفي نفيا تاما بأنه صوفيا وذلك من خلال قوله :

« أنا لست شيخ طريقة صوفية ، وإنما أنا عالم دين ... إن هذا الزمان ليس زمن

الطريقة»²

« إن هذا الزمان زمان حفظ الإيمان»³.

لكن على الرغم من النفي الصريح والمتكرر في عدة مواضع " لسعيد النورسي " إلا أننا نلمح من خلال مؤلفاته في أن يكون رجلا صوفيا. إلا أننا نلاحظ في رسائله تلك اللمسة الصوفية لشخصيته وهذا ما يؤكد مؤلفاته من خلال إستعمال إشارات ومصطلحات لا نكاد نراها إلا لدى أهل التصوف ، وكذلك من خلال كتابته للرسائل التي تعكس تلك المسحة الصوفية الممتزجة بين العقل والقلب، كما يشير أيضا بقوله :

¹ - محمد مصطفى حلمي ، المرجع السابق ، ص 139.

² - سعيد النورسي ، المکتوبات ، ص 79.

³ - سعيد النورسي ، الملاحق ، ص ص 263-309

« حيث أن مسلكنا حقيقة علمية وليست طريقة صوفية »¹.

والذي أراه أن هذه المسحة الصوفية قد شارك في تكوينها ثلاثة عوامل هي : البناء النفسي لبديع الزمان من قصول ونبوغ ومحاولة إستكشاف ، والمحيط العائلي ، والبيئة الإجتماعية التي كان الإنتساب فيها إلى طريقة صوفية هو الأمر المألوف فشخصيته قد جمعت بين ما يبدو أنه متناقض ، جمعت بين الحدة والإنفعال وبين الرقة والشفقة .

« كما تأثرت بدرجة كبيرة بالمحيط العائلي الذي كان مشحون على قدر كبير الزهد والورع ، وكان الأخ الأكبر منتسبا إلى إحدى الطرق الصوفية »²

ولهذه المؤثرات المذكورة ، سلك "النورسي" منذ بداية حياته مسلك الزهد والتقشف وظل كذلك إلى حين وفاته فالأسرة والمحيط الإجتماعي عزز وساهم بدور كبير في توجيهه الروحي منذ نشأته الأولى .

المبحث الثاني : النورسي ووحدة الوجود والمعرفة وطريق الوصول الى الله

المطلب الأول : ووحدة الوجود تاريخيا

منذ أن جاء الإسلام وحتى يومنا هذا وإلى قيام الساعة ، القرآن الكريم يقرر حقيقة واضحة وهي صريحة هي أن لهذا الكون إليها واحدا ليس كمثل شيء، خالق كل شيء ، يطلب من الإنس والجن بعبادته، وذلك ليس لهدف ولمنفعة تعود إليه حيث يبين ذلك من خلال آياته قوله تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ

يُطِيعُونِ (57) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿58﴾³ .

¹ - بديع الزمان سعيد النورسي ، اللمعات ، ص 246.

² - بديع الزمان سعيد النورسي ، الملاحق ، ص 133.

³ - القرآن الكريم ، سورة الذاريات ، الآية رقم 58-56.

وكل مؤمن ومسلم يصدق هذه الحقيقة مهما كان مذهبه ومهما كان إتجاهه ، لأن لو لم يصدق بهذه الحقيقة لا يكون مسلماً ولا يكون مؤمناً.

« يكون في هذا الكون وجودان مختلفان عن بعضهما البعض، وموجودان متمايزان في حقيقتهما وصفاتهما هما الله ووجوده والموجودات التي هي غير الله ووجودها. فأما عن الله ووجوده فعقيدة المسلم في هذا أنه هو الخالق والرازق ، الموجد للكون كله والمصرف لشؤونه»¹

لقوله تعالى :

﴿أَفَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾²

أما عن الموجودات ووجودها فهي مخلوقة وهي التي تتلقى وسائل وجودها وتصريف شؤونها من خالقها وموجدها، وليس لها من رازق سوى الله ولا ملجأ ولا مصرف لشؤونها الا الله.

إذن نستنتج أن الوجود وجودان هما : وجود خالق ومخلوق ، عابد ومعبود ، ، ومخلوقات تدين لهذا الخالق بوجودها وحياتها وتلجأ إليه في كل الأمور صغيرها وكبيرها ، وهذا هو ما بلغه رسول الله عليه الصلاة والسلام للناس أجمعين ، وآمن به المسلمون وصدق به المؤمنون وأيقنوا بهذه الإثنية وأنه لا يمكن أن يتساوى طرفا هذه الإثنية لأنها بين فاعل ومفعول ، بين من يحتاج إلى الغير ومن هو مستغن عن هذا الغير.

« وجد في تاريخ الفكر الإسلامي من لا يرى هذه الرؤية أو يراها ولكن يتأولها تأويلاً يخرجها عن مضمونها الإسلامي وعن حقيقتها الدينية التي حددها القرآن الكريم وسنة النبي عليه الصلاة والسلام وسيرة الصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان حيث ظهر هذا الفريق بنظرية في الوجود سماها " وحدة الوجود" إستكرها البعض»³

فما هي وحدة الوجود؟ وما مضمونها؟.

¹ - محمد شلبي شتيوي ، المرجع السابق ، ص 317.

² - القرآن الكريم ، سورة يس، الآية 83.

³ - محمد شلبي شتيوي ، المرجع السابق ، ص 318.

الفرع الأول :وحدة الوجود تاريخيا :

تكاد تجمع البحوث والدراسات الفكرية والتاريخية على أن القول بوحدة الوجود قد ظهر على يد "محي الدين بن عربي" 560- 638 هـ ، حيث إنتشر أمر هذه الوحدة على يد بعض الصوفية الذين كان منهم ابن الفارض وأبن السبعين والعفيف التلمساني وكثير من المتصوفة المتأخرين. غير أن نيكلسون يرى أنه كانت هناك نزعة إلى وحدة الوجود عند أبي يزيد البسطامي المتوفي 261هـ بقوله :

« فأبو يزيد هو الذي أدخل في التصوف الإسلامي فكرة وحدة الوجود التي كانت ذائعة ذيوعا عظيما في أنحاء فارس حتى زمن الساسانيين ، وهذه النزعة الفارسية الهندية هي من خصائص التفكير الشرقي»¹

كما يشير إلى ذلك أيضا بقوله :وإنك لتلمح نزعة أبي يزيد البسطامي إلى وحدة الوجود ماثلة في الأقوال

« خرجت من الحق حتى صاحوا مني في يا من أنا أنت ، إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني سبحاني ما أعظم شأني»².

بالتالي فإن القول بالحلول والإتحاد كانت فيهما نزعة إلى وحدة الوجود ، بل وحدة الوجود لا يمكن تحققها إلا إذا سبقتها مرحلة الحلول والإتحاد في ذات الله كما يقول بهذا الجنيد والحلاج لذلك وجب علي إعطاء فكرة واضحة فيما يخص الحلول والإتحاد.

« الحلول وهو إتحاد جسمين بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر، ومذهب الحلول القول بأن الله حال في كل شيء والحلولية فرقة من المتصوفة تعتقد مذهب الحلول»³.

¹- نيكلسون ، المرجع السابق، ص 23-24.

²- نيكلسون ، نفس المرجع، ص75.

³- المعجم الوسيط ، ج1، ص 194. أنظر أيضا : محمد شلبي شتيوي ، المرجع السابق ، ص 319.

فبالتالي لا يصح القول بأن إدعاء حلول الله في فلان في الدين الإسلامي ، لكن في النصارى فهو موجود وذلك بإدعائهم حلول اللاهوت "وهو الله عندهم" في الناسوت " وهو جسد عيسى ابن مريم عليه السلام" أو إدعاء بعض الغلاة من الشيعة أو غيرهم من أن الله حل في "علي بن أبي طالب". فمثل هذه الأقاويل هي إدعاءات كاذبة ومضللة ولا تصدر إلا عن إنسان فاقد لإيمانه ودينه، بحيث جاءت النصوص القرآنية الراضية لمثل هذا الحلول رفضا إجماليا وتفصياليا ومن ذلك قوله تعالى : " ليس كمثل شيء وهو السميع البصير"¹ وكذلك قوله :

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾².

ويظهر الحلول الذي قال به الصوفية فيما قيل عن الحلاج أيضا إنتهى به الحال إلى زعمه « أن من هذب في الطاعة نفسه وأشغل بالأعمال الصالحة قلبه وصبر على مفارقة الذات وملك نفسه في منع الشهوات إرتقى به إلى مقام المقربين ، ثم لا يزال ينتزل في درج المصافاة حتى يصفوا عن البشرية ، فإذا لم يبق فيه من البشرية نصيب حل فيه روح الله الذي كان منه عيسى بن مريم فيصير مطاعا فلا يريد شيئا إلا كان من كل ما ينفذ فيه أمر الله ، وأن جميع فعله حينئذ فعل الله وجميع أمره أمر الله»³ .

ويعلق مصطفى حلمي على هذا النص يدل بأن الحلاج قد إعتنق عقيدة حلول الله في الإنسان وإستحالة أي تحول الإرادة الإنسانية إلى إرادة إلهية بحيث يصبح كل ما يصدر عن الإنسان من فعل هو فعلا لله.

« أن العقل السليم والمرتزن يرفض الحلول في كل صورته وأشكاله فالقول بحلول الله في فلان يؤدي إلى وصف الله بصفات لا تليق بجلاله وكماله ، وجوب الله واجب وجوبا ذاتيا ، ، أما وجود عيسى أو علي ..الخ فوجود جائز بمعنى ليس بلزم ، فإذا أجزى حلول الله في الإنسان أي حلول

¹ - القرآن الكريم ، سورة الشورى ، الآية 11.

² - القرآن الكريم ، سورة الإخلاص.

³ - محمد مصطفى حلمي ، المرجع السابق ، ص 117.

الواجب في الجائز ترتب عليه نفي الوجود الواجب لله تعالى لأنه أصبح حالا فيما وجوده جائز وهذا لا يقول به مؤمن مهما كانت التفسيرات والتأويلات التي تقال في هذا الموقف»¹.

وهذا القول بالحلول قولاً يتنافى مع الإسلام وما جاء به ديننا الحنيف ولم يذكر في قرآننا الكريم ، كذلك يظهر في أقوال بعضهم فعلى سبيل المثال

« أقوال بعضهم شطحات وانحرافات تنطق بهذه المعاني الباطلة من ذلك قول أبي يزيد البسطامي : " سبحاني سبحاني " ، " سبحاني ما أعظم شأنني «² .

بالتالي نستنتج من خلال هذا أن الإنسان محتاج إلى الله وسيظل كذلك دائما وأبدا إذن من المستحيل حلول الله في الموجودات أو حلول الموجودات في الله والأنسان دائما يحتاج إلى الله مما يبين لنا انه عاجز أمام الله.

اما الإتجاه الثاني :هناك تعدد حول فكرة الأتحاد وما يعكس هذا تعدد التعاريف حوله عند الجرجاني على سبيل المثال لا الحصر حيث يقول عنه :

« أن تصير الذاتين واحدة ، شهود الوجود الحق الواحد المطلق الذي الكل موجود بالحق فيتحد به الكل من حيث كون كل شيء موجودا به ، معدوما بنفسه ، لا من حيث إن له وجودا خاصا إتحد به فإنه محال، إمتزاج الشئيين و إختلاطهما حتى يصيرا شيئا واحدا لإتصال نهايات الإتحد القول من غير روية أو فكر «³ .

أما عن الإتحد الصوفي المعروف وهو ما تم ذكره في الكتب الصوفية فيقوم على طريقتين أي وجود نوعين من الإتحد وهما : أتحاد صعودي والأخر نزولي

« الطريقة الأولى : هي إتحد العبد بالله بالإتحاد صعودي تتحد هذه الروح بالروح الإلهي وتصير هي الذات الإلهية ، الطريقة الثانية : إتحد العبد بالله إتحادا نزوليا بمعنى أن إرتقاء

¹- محمد مصطفى حلمي ، نفس المرجع ، ص 118.

² - Massignon Louis, **Recueil de Textes Inédits concernant L'histoire de la mystique en Pays d'Islam**, librairie orientaliste . Paris , 1929, P30.

³- محمد شلبي شتيوي ، المرجع السابق ، ص 325.

العبد في التنسك والصفاء الروحي والزهد يجعله مهيباً لأن تحل فيه روح الله وتتحد به كما حلت الروح الإلهي»¹

« أن أصحاب الحلول والإتحاد وضعوا الوسيلة التي يرون أن العبد إذا قام بها وصل إلى الإتحاد مع الذات الإلهية هذه الوسيلة هي : تنقية الطبيعة البشرية من كل ما هو حسي حتى يصير هذا العبد روحاً محضاً وحينئذ تمتزج الروح البشرية مع الروح الإلهية عن طريق حلول الروح الإلهية في الروح البشرية أو العكس»²

ولعل النموذج يمثله الجنيد اما الطريقة الثانية وما هو مجسد في المسيحية بتقولهم بإتحاد روح الله في عيسى بن مريم أي الحلول وبالتالي كل ما يصدر منه فهو من الله.

وما يمكن ملاحظته هو أن الاتحاد بنوعيه لا يتلاءم مع الدين الإسلامي إذ يتنافى مع الألوهية ، فلا حلول ولا إتحاد كما أن وحدة الوجود ووحدة الشهود هم من النظريات الجديدة في المنهج الصوفي الذي أحدث صراع بين الصوفية وعلماء الدين . واتهم ببعض روادها بالكفر والقتل كما فعل بالحلاج ، غير أن هناك فرق بين وحدة الشهود ووحدة الوجود حسب المنوفي ابو الفيض :

« وحدة الشهود الروحية المبرأة من المغالاة يكون صاحبها قائلاً بنتزیه الله في نفس الوقت الذي يشاهد فيه كل شيء في الله مع إعتبار أن الله فوق كل شيء مخالفاً لكل مخلوق ولا يقر بأن الكل هو الله ، كما هو الحال في وحدة الوجود. ويكون ذلك بالتجرد عن حول العبد وقدرته إلى حول الله وقدرته فيقوى بذلك وتتلاشى شخصية البشرية المدعاة في الذات الإلهية عن طريق عدم رؤية العبد لنفسه وإستمرار الشهود بغية الوصول والتعرف إلى حق اليقين»³

كما تناول **عبد الرحمن بدوي** فكرة الإتحاد في القرنين السادس والسابع الهجريين والدور الكبير الذي لعبه صوفية هذه المرحلة بظهور ما يعرف بالشطح الذي يسايره حلول واتحاد ووجود مبيناً حقيقتها ودوافعها وأساس بنيانها فقال :

¹- نفس المرجع ، ص 322.

²- محمود أبو الفيض المنوفي ، المرجع السابق ، ص 276.

³- محمود أبو الفيض المنوفي ، **جمهرة الأولياء وأعلام أهل التصوف ج1** ، ص 275.

« أهمية فكرة الإتحاد في تكيف عملية الشطح كبيرة خصوصا في تفسير

الشطحات التي تعبر عن تساوي الأديان كلها إلهية وغير إلهية وهذا ما قال به ابن عربي بالنسبة إلى الصوفي فالأديان عنده متساوية لأن الوجود واحد والوجود هو الله فكلها إذن من الله وبالنسبة إلى الله تنتقي كل تفرقة»¹

كما يرى أصحاب الحلول والإتحاد كالحلاج وأتباعه أنه ليس من السهل الوصول إلى هذا الإتحاد الروحي إذ أنه هناك بعض العقبات التي تعرقل السالك في مسيرته إلى هذا الإتحاد والتي يمكن إجتيازها ثم الوصول بعدها إلى الهدف الأسمى وتتمثل هذه العقبات فيما يلي:

« **العقبة الأولى:** الحجب وتعني أنه تظهر أمام العبد السائر إلى الله في

طريق الإتحاد أمور تحجبه عن هدفه كالرغبات الحسية التي تتوق إليها النفس كجمع المال أو النساء أو حب الدنيا... الخ **وسيلة تجاوزها:** هي الرياضة الروحية وكبح النفس عن رغباتها بالزهد والتقشف، وهذه الدرجة سماها الحلاج "درجة المرید". **العقبة الثانية:** الإبتلاء وتعني أن العبد وهو في مسيرته إلى هذا الإتحاد يمكن أن يبتلى ببعض الأمور كالإغراء بالمال أو بالنساء أو بإسناد بعض الوظائف المهمة إلى هذا العبد. **وسيلة تجاوزها:** لتخطي هذه العقبة يكون بالفناء عن الأوصاف البشرية كلها إلى أن تستهلك الناسوتية عن آخرها وقد سمي الحلاج هذه الدرجة "درجة المراد". **العقبة الثالثة:** الإنية ورفع الإنية وتعني تخلص العبد في مسيرة الإتحاد من الإنية أي من قوله أنا وأنت، لأنه إذا زالت هذه الإنية يكون قد تم الجمع بين الروح البشرية والروح الإلهية فيحصل الإتحاد الأبدي. الذي سماه الحلاج "عين الجمع" أو "رفع الإنية" وهذه الدرجة هي التي عناها الحلاج بقوله: ها أنا الأول و الآخر والظاهر والباطن لأنني أنا الحق وأنا الكل ووجودي غير محتاج لدليل لأنني في كل شيء مقيم»².

ويلاحظ في هذه العقبات ووسائل تجاوزها أنها متلازمة مع بعضها البعض ومرتبطة ومتدرجة إذا تخطاه العبد الواحدة بعد الآخر يكون قد وصل إلى الإتحاد التام.

ويعبر الحلاج عن هذه الحالة بقوله:

¹ - عبد الرحمن بدوي، **شطحات صوفية**، وكالة المطبوعات للنشر، الكويت، الطبعة الثانية، 1976م، ص 16.
² - محمود أبو الفيض المنوفي، **التصوف الإسلامي الخالص**، ص 184.

سرسنا لاهوته الثاقب

«سبحان من أظهر ناسوته

في صورة الأكل والشارب

ثم بدا لخلقه ظاهرا

كلحظة الحاجب بالحاجب»¹.

حتى لقد عاينه خلقه

إن علماء الدين على مختلف تخصصاتهم قد تصدوا لفكرة الحلول والإتحاد هذه ، بل إن الكثير من عامة المسلمين قد رفضوا هذه النظريات لأنها تتنافى مع حقائق الدين وأصوله . فمن خلال ما تتضمنه "وحدة الوجود" و ما تقدم عرضه نستنتج أن هذه النظرية لا تتفق مع الدين الإسلامي فهي متناقضة مع الدين وباطلة عقلا وتطبيقا . وهذا ما أكده النورسي ببطلان هذه النظرية بإعتبارها لا تقوم على أسس إيمانية وبالتالي لا تؤدي إلى المعرفة الحقيقية.

كما يشير الدكتور "مدكور إبراهيم"

« ويثبت عدم إتفاق هذه النظرية مع الإسلام ومن عوامل ذلك أنها تخلط السماوي

بالأرضي والإلهي بالإنساني أو تغفل الإنسان والعالم معا»².

ووحدة الوجود التي قال بها ابن عربي وأتباعه في هذه النظرية قائمة على حلول الناسوت في اللاهوت وفناؤه فيه حتى لا يكون للعبد وجود أو شهود ، كما أن الإسلام كفر النصارى لزعمهم أن سيدنا عيسى عليه السلام ابن مريم هو الله أو أن الله قد حل في عيسى حيث يقولون : "حل اللاهوت في الناسوت" . والنص القرآني يقول :

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾³.

¹- نيكلسون ، المرجع السابق ، ص 133.

²- إبراهيم مدكور ، المرجع السابق، ص 75.

³- القرآن الكريم ، سورة المائدة ، الآية 17.

كما أن الوحدة عند ابن عربي لم تتوقف على الوحدة في الوجود ، بل تعدت ذلك ،
للقول بإختراع فلسفي صوفي جديد هو القول :

«"بوحة الأديان" ، فإذا كان الوجود يرجع إلى الله ، فكذلك الأديان كلها راجعة إلى
الله أي أن مصدر الأديان كلها واحد وهو الله لذلك فالأديان كلها تشكل وحدة واحدة لا تتناقض بينها ولا
تضارب والمؤمن الحق والعارف الكامل هو من نظر إلى كل معبود على أنه مجلى للحق يعبد فيه»¹
كانت العبادة عند ابن عربي هي أن يقف العبد عند مجلى واحد يقصر عليه عبادته من دون
بقية المجالي ويتخذ من هذا المجلى معبودا يسميه إلهاء، وقد صاغ ابن عربي "وحدة الأديان"
هذه في بعض من الأبيات من الشعر منها:

« لقد صار قلبي قابلا كل صورة فرعى لغزلان ودير لرهبان

وبيت لأوثان وكعبة وطائف وألواح توراة ومصحف وقرآن

أدين بدين الحب أني توجهت ركائبه فالدين ديني وإيماني»².

بالإضافة الى هذا خطورة هذه النظرية "وحدة الوجود" على الجانب الأخلاقي الذي يعتبر
الجانب الي يتمظهر من خلاله الدين عند الإنسان الذي له تفاعل مع البيئة الإجتماعية التي
يعيش فيها إذ يعكس تفاعله مع الوسط البيئي ، فتأثير هذه النظرية على الجانب الأخلاقي
في إعتبارها أن أصحاب هذه الدعوى "وحدة الوجود" يعتقدون أنه ليس في العالم شر أبدا
، وأن كل ما هو موجود فيه هو خير ، مما يدهون نقول أو نتسائل حول هذا الإعتقاد بطرح
السؤال التالي الذي يتبادر في ذهننا وهو هل أن كل الموبقات والمعاصي تعتبر خير في
نظر هذه النظرية ؟ وهذا بدوره يؤدي بلا شك الى إنتشار السلوكات المحرمة شرعا والى
أنتشار وإستباحة المحرمات من وجهة نظرهم لإعتبارهم أن هذا خير ، وهذا يتنافى مع ما
شرع به الإسلام لتنظيم الحياة للمسلم وأستحضر الحديث الشريف من حديث أبي هريرة -
رضي الله عنه - عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال:

¹ - فمن يعبد النم فهذا مجلى للحق يعبد فيه ، ومن يعبد بقرة فهذه البقرة مجلى للحق يعبد فيه ، ومن يعبد الشيطان فهذا
مجلى للحق يعبد فيه ... وهكذا دواليك كل معبود هو مجلى للحق يعبد فيه.
² - محمد مصطفى حلمي ، الحياة الروحية في الاسلام ، ص 151.

"إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق". فالدين يحث على البناء الأخلاقي السليم للفرد و للمجتمع الإسلامي حتى لا تعم الفوضى والفساد والانحرافات وبالتالي تنظيم المجتمع ككل .

وقد تطرق وأشار ألى هاته النقطة "نيكلسون" أحد المستشرقين الى هذه الحقيقة وبين ما فيها من إنحراف فقال :

« قد لزم القول بوحدة الوجود ، أي القول بأن كل وجود وكا فكر وكل عمل إنما هو في الحقيقة لله، لوازم لم يتحرج الصوفيه من التسليم بها ، من ذلك أن العالم وكل ما فيه خير في ذاته بما في ذلك الشرك والمعاصي لأنها لا تعدوا أن تكون آثارا ومظاهرا لأفعال الله وأنها من هذه الناحية من صفات الكمال الإلهي ، فهم يتورعون عن القول بأن إبليس نفسه قد سبح الله بعصيانه لأن هذا العصيان كان خاضعا للمشيئة الإلهية ... ومن لوازم مذهبهم في وحدة الوجود ، أيضا قولهم بصحة جميع العقائد الدينية "وحدة الأديان" عند الحلاج وابن عربي وعمر بن الفارض وجلال الدين الرومي وعبد الكريم الجيلي ، أيا كانت فإن الحق كما يقول ابن عربي لا تحصره عقيدة أخرى»¹.

ويشير كذلك الاستاذ "محمد بن الطيب" في كتابه وحدة الوجود في التصوف الإسلامي إلى علاقة الفناء والإباحة حيث يقول :

« أن نظرية الفناء إقترن بما يكر صفوها ويذهب رونقها ويطفيء بريقها من تصورات غالية لا يقبلها المسلمون ، من ذلك القول بالإباحة وإسقاط التكاليف وتجاوز الأحكام الشرعية ، فقد أدعي القول بأن المحظور من المحرمات مباح لمن بلغ مقام الفناء ، وقيل بإطراح الشرائع بدعوى أن من وصل إلى المعبود سقط عنه الفرض ولم تلزمه عبادة وأولت الآية ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾² ، بأن من وصل إلى مقام اليقين سقطت عنه العبادة»³.

فبالتالي كما يقول الدكتور "محمود أبو الفيض المنوفي" في كتابه جمهرة الأولياء وأعلام أهل التصوف أن وحدة الوجود لا تتفق مع الإسلام

¹- نيكلسون ، المرجع السابق ، ص 121-122.

²- القرآن الكريم ، سورة الحجر ، الآية 99.

³- محمد بن الطيب ، وحدة الوجود في التصوف الإسلامي في ضوء وحدة التصوف وتاريخيته ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 2008م ، ص 42.

« فهي تقوم على فكرة فلسفية باطلة أو عقيدة دينية مضللة مستقاة من مذهب

هندي أو نصراني لكنها ليست من الإسلام في شيء»¹.

ويشير النورسي في جواب عن سؤال وجه له حول أن ابن عربي قال: "إن مخلوقية الروح عبارة عن إنكشافها" فيجيب بقوله:

« إعلم أن محي الدين بن عربي لا يخدع ولكن ينخدع فهو مهتد ولكن لا

يكون هاديا لغيره في كل ما كتبه ، فما رآه صدق وصواب ولكن ليس هو الحقيقة ، نعم إن الروح من حيث الماهية هي قانون أمري ولكن ألبست وجودا خارجيا فهي ناموس في الحياة وقانون ذو وجود خارجي إلى أن الشيخ محي الدين بن عربي قد نظر إلى الروح من حيث ماهيتها فحسب ، ويرى الأشياء خيالا حسب مشرب وحدة الوجود. ولما كان الشيخ قد إنتهج مسلكا مستقلا وكان صاحب مشرب مهم وله كشافيات ومشاهدات خارقة فإنه يلجأ بإضطراب تأويلات ضعيفة وتكلف وتمحل ليطبق بعض الآيات الكريمة حسب مشربه ومشهوداته ، مما يخدش صراحة الآية الكريمة ويجرحا فالشيخ ابن عربي له مقام خاص لذاته وهو من المقبولين إلا أنه بكشفياته التي لا ضوابط لها خرق الحدود وتجاوزها وخالف جمهور المحققين العلماء في كثير من المسائل»².

المطلب الثاني: موقف النورسي من وحدة الوجود وأضرارها على المجتمع المعاصر

الفرع الأول : أولا : موقفه من وحدة الوجود

ويشير النورسي في كتابه السيرة الذاتية وفي الكلمات إلى " وحدة الوجود " حيث يعتبر أن الطريق الذي إنتهجوه أدى بهم إلى إعدام الكائنات أو سجنها فيقول :

« حيث أن أهل وحدة الوجود توهموا الكائنات عدما ، فقالوا " لا موجود

إلا هو " لأجل الوصل إلى الإطمئنان والحضور القلبي وكذا " أهل الشهود" حيث سجنوا الكائنات في سجن النسيان فقالوا "لامشهود إلا هو " للوصول إلى الإطمئنان القلبي ، بينما القرآن الكريم يعفو الكائنات بكل وضوح عن الإعدام ويطلق سراحها من السجن ، فهذا الطريق على نهج القرآن ينظر إلى الكائنات

¹- محمود أبو الفيض المنوفي ، جمهرة الأولياء وأعلام أهل التصوف ، ، ص 292.

²- بديع الزمان سعيد النورسي ، المعاني ، ص 52-53.

أنها مسخرة لفاطرها الجليل وخادمة في سبيله ، وإنما مظاهر لتجليات الأسماء الحسنى كأنها مرايا تعكس تلك التجليات ، أي أنه يستخدمها بالمعنى الحرفي ويعزلها عن المعنى الأسمى من أن تكون خادمة ومسخرة بنفسها ، وعندها ينجوا المرء من الغفلة ويبلغ الحضور الدائمى على نهج القرآن الكريم ، فيجد إلى الحق سبحانه طريقا في كل شيء وأن هذا الطريق لا ينظر إلى الموجودات بالمعنى الأسمى ، أي لا ينظر إليها مسخرة لنفسها ولذاتها بل يعزلها من هذا ويقلدها وظيفة أنها مسخرة لله سبحانه وتعالى»¹ .

أما في كتابه "المتنوي العربي" فتطرق النورسي إلى وحدة الوجود كان عبارة عن جواب لسؤال وجه له تمحور حول : ما ترى في وحدة الوجود ؟ فكان رده وجوابه كالآتي :

« إنه إستغراق في التوحيد ، وتوحيد ذوقي لا ينحصر في نظر العقل والفكر ، إذ أن شدة الإستغراق في التوحيد بعد توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ، يفضي إلى وحدة القدرة أي لا مؤثر في الكون إلا الله ، ثم يؤدي هذا إلى وحدة الإدارة وهذا يسوق إلى " وحدة الشهود " ثم إلى " وحدة الوجود " ، ومن بعدها رؤية وجود واحد ثم إلى رؤية موجود واحد ... فشطحات علماء الصوفية التي هي من قبيا المتشابهات لا تقام دليلا على هذا المذهب ، فالذي لم تتخلص روحه من تأثير الأسباب ولم تتجرد من دائرتها إذا ما تكلم عن وحدة الوجود يتجاوز حده. والذين يتكلمون به إنما حصروا نظرهم في " واجب الوجود " حصرا بحيث تجرءوا عن الممكنات فأصبحوا لا يرون إلا وجودا واحدا بل موجودا واحدا... نعم إن رؤية النتيجة ضمن الدليل أي رؤية الصانع الجليل ضمن موجودات العالم شيء ذوقي ولا يمكن بلوغها إلا بإستغراق ذوقي ، فإدراك حقيقة جريان التجليات الإلهية في جداول الأكوان ، وسريان فيوضات الألوهية في ملكوتية الأشياء ، ورؤية تجلي الأسماء والصفات في مزايا الموجودات... أن إدراك هذه الحقائق أمر ذوقي ، إلا أن أصحاب مذهب وحدة الوجود لضيق الألفاظ عبر عن هذه الحقيقة بالألوهية السارية والحياة السارية في الموجودات ، وحينما حصر أهل الفكر والعقل هذه الحقائق الذوقية في مقاييس فكرية وعقلية جعلوها مصدر كثير من الأوهام والأفكار الباطلة»² .

¹ - بديع الزمان سعيد النورسي ، السيرة الذاتية ، ص 180. أنظر الكلمات أيضا ، ص ص 558-561.

² - بديع الزمان سعيد النورسي، المتنوي العربي النوري ، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي ، دار سوزلر للنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1995م ، ص 433.

ثانيا: فروقات مذهب "وحدة الوجود" بين الفلاسفة الماديين والأولياء حسب النورسي

يبين النورسي أن هناك عدة فروقات بين الفلاسفة الماديين ومن انتهج منهجهم وبين ما لدى الأولياء من مذهب وحدة الوجود وذكر هذه الفروقات حيث قال :

إن ما لدى الفلاسفة الماديين ومن وهنت عقيدتهم من المفكرين من مذهب وحدة الوجود وما لدى الأولياء بون ساشع وفروق كثيرة بل إنهما متضادان ونقيضان فهناك خمسة فروق

« إن علماء الصوفية قد حصروا نظرهم في "واجب الوجود" وإستغرقوا في التأمل فيه بكل قواهم حتى أنكروا وجود الكائنات ولم يعودوا يرون في الوجود إلا هو ، أما الآخرون الفلاسفة الماديون وضعفاء الإيمان فقد صرفوا كل تفكيرهم ونظرهم في المادة حتى إبتعدوا عن إدراك الألوهية ، بل أولوا المادة أهمية عظيمة حتى جعلتهم لا يرون من الوجود إلا المادة بل تبادوا في الضلالة بحيث مزجوا الألوهية في المادة بل إستغنوا عنها لشدة حصرهم النظر في الكائنات ، إن ما لدى الصوفية من وحدة وجود تتضمن وحدة شهود في حين ما لدى الفلاسفة يتضمن وحدة الموجود، أن مسلك الأولياء مسلك ذوقي بينما مسلك الآخرين مسلك عقلي، يحصر الأولياء نظرهم في الحق تعالى ثم ينظرون نظرا تبعا ثانويا إلى المخلوقات ، بينما الآخرون يحصرون نظرهم أولا بالذات في المخلوقات إن الأولياء عباد الله وحبوه ، بينما الفلاسفة يعبدون أنفسهم وهواهم فأين الثرى من الثريا وأين الضياء الساطع من الظلمة الدامسة»¹.

ثم يشير إلى أن مشرب وحدة الشهود هو الصحو والسكر أما وحدة الوجود الفناء والسكر

« أهل وحدة الشهود هو الصحو والتمييز والإنتباه بينما مشرب أهل وحدة

الوجود هو الفناء والسكر والمشرب الصافي هو مشرب الصحو والتمييز فيقول: " تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في ذاته فإنكم لن تقدروا »².

¹- بديع الزمان سعيد النورسي ، المثنوي العربي، ص 433

²- نفس المصدر ، ص 434..

الفراع الثاني : تشخيص أضرارها على المجتمع حسب النورسي

يتبين من خلال موقف النورسي حول مذهب "وحدة الوجود" وبطلانها وبالتالي فهي مصدر لكثير من الأوهام والأفكار الباطلة ، وقد شخص لنا "النورسي" الأضرار التي تنعكس على تلقين هذا المذهب في الوقت الحاضر ومدى أضراره البالغة حيث حصرها في ثلاث مضار مهمة حيق يقول في كتابه اللمعات في اللمهة الثامنة والعشرون يقول "النورسي" إن تلقين مسألة وحدة الوجود في الوقت الحاضر للناس يضرهم ضررا بالغا ، تتمثل في ثلاث مضار مهمة:

« إن مشرب وحدة الوجود مع أنه في حكم إنكار وجود الكائنات إزاء وجود الله سبحانه وتعالى ، إلا أنه كلما دخل بين العوام يمضي بهم إلى أن يصل في فكر الغافلين منهم ولاسيما المولوثين بالماديات إلى إنكار الألوهية إزاء الكون والماديات.2- إن مشرب وحدة الوجود يرد ردا شديدا ربوبية ما سوى الله تعالى ، حتى أنه ينكر ما سواه تعالى ويرفع الثنائية ، فلا يرى وجودا مستقلا للنفس الأمانة ولا لأي شيء كان ، ولكن في هذا الزمان الذي إستولت فيه مفاهيم الطبيعة وتفرعنت نفوس أمانة وبخاصة من له إستعداد ليتخذ نفسه معبوده من دون الله ، ونفخ الغرور و الأنانية أوداجه ، فضلا عن نسيان الخالق والآخرة إلى حد ما ، فتلقين هؤلاء بوحدة الوجود يطغي نفوسهم حتى لا يسعها شيء والعياذ بالله 3- أنه يورث أفكار وتصورات لا تليق بوجوب وجود الذات الجليلة ، المنزهة المبرأة المتعالية المقدسة عن التغير والتبدل والتجزؤ والتحيز ولا تلائم تنزهه وتقدهه سبحانه فيكون بذلك سببا لتلقينات باطلة ، ومن يتكلم عن وحدة الوجود عليه أن يعرج فكرا من الثرى إلى الثريا تاركا الكائنات وراءه ظهريا محققا بنظره إلى العرش الأعلى ، عادا الكائنات معدومة في حالة الإستغراق ، فيمكنه أن يرى بقوة الإيمان أن كل شيء من الواحد الأحد»¹.

¹ - بديع الزمان سعيد النورسي ، اللمعات ، ص 143-144.

المطلب الثالث : المعرفة وحقيقتها ومراتبها عند النورسي

الفرع الأول : معرفة الله وحقيقتها عند النورسي :

يعتبر النورسي أن معرفة الله المستنبطة بدلائل علم الكلام ليست هي المعرفة الكاملة ، ولا تورث الإطمئنان القلبي في حين أن تلك المعرفة متى ما كانت على نهج القرآن الكريم المعجز تصبح معرفة تامة وتكسب الإطمئنان الكامل في القلب. كما يشير إلى أن :

« أن معرفة الرازي التي إستاقها من علم الكلام كانت تبدو ناقصة وقاصرة في نظر ابن عربي ، فإن المعرفة عن طريق التصوف أيضا ناقصة ومبتورة بالنسبة نفسها أمام المعرفة التي إستاقها ورثة الأنبياء من القرآن الكريم ، ذلك لأن ابن عربي يقول : " لا موجود إلا هو " لأجل الحصول على الحضور القلبي الدائم أمام الله حتى وصل بع الأمر إلى إنكار وجود الكائنات .، أما الآخرون فلأجل الحصول على الحضور القلبي أيضا قالو : " لا مشهود إلا هو " وألقوا ستار النسيان المطلق على الكائنات»¹.

بينما المعرفة المستقاة من القرآن الكريم تمنح الحضور القلبي الدائم فضلا عن أنها لا تقضي على الكائنات بالعدم ولا تسجنها في سجن النسيان المطلق ، بل تنقذها من الإهمال والعبثية وتستخدمها في سبيل الله سبحانه وتعالى ، جاعلة من كل شيء مرآة تعكس المعرفة الإلهية وتفتح في كل شيء نافذة إلى المعرفة الإلهية. كما يرى أن من يستلهمون نهجهم من القرآن الكريم ذلك المنهج الأقوم والذين يسلكون نهج علماء الكلام

« فالإيمان لا يحصل عن طريق العلم وحده ، إذ هناك لطائف كثيرة في الإنسان لها حظها من الإيمان فكما أن الأكل إذا ما دخل المعدة ينقسم ويتوزع إلى مختلف العروق حسب كل عضو من الأعضاء ، كذلك المسائل الإيمانية الآتية عن طريق العلم إذا ما دخلت معدة العقل والفهم ، فإن كل لطيفة من لطائف الجسم كالروح والقلب والسر والنفس و أمثالها تأخذ منها وتمصها حسب

¹ - بديع الزمان سعيد النورسي ، المكتوبات ، ص 425.424 .

درجاتها ، فإن فقدت لطيفة من اللطائف غذائها المناسب فالمعرفة إذن ناقصة ومبتورة ، وتظل تلك اللطيفة محرومة منه»¹.

من خلال هذا يتبين لنا أن المعرفة عند النورسي كانت مستقاة من القرآن الكريم وهو المنهج القويم لهذه المعرفة والتي بدورها توصل إلى الحقائق الإيمانية لكن هاته المعرفة تمثلت فيمايلي :

الفرع الثاني : حقيقة معرفة الله وأداة هذه المعرفة

يعتبر "النورسي" أن أداة المعرفة لحقيقة معرفة الله تتمثل في الروح والقلب ، وأن هذه الأداة هي مستقاة من مرشده القرآن الكريم وبالتالي أستقائه هاته الأداة كان من استرشاده من القرآن الكريم الذي يعتبر المصدر لدى النورسي للوصول الى هاته الحقيقة وهي معرفة الله ، حيث أنه سلك إلى حقائقه عن طريق روحه وقلبه ولعل قوله يثبت ويبين ذلك

« إن الأستاذ الحقيقي إنما هو القرآن ليس إلا ، وإن توحيد القبلة إنما يكون باستأذية القرآن فقط ، فشرح بإرشاد من ذلك الأستاذ القدسي، بالسلوك بروحه وقلبه على أعرب وجه وإضطرتة نفسه الأمانة بشكوكها وشبهاتها الى المجاهدة المعنوية والعلمية »².

كما وضح أنه ما كتبه في المثنوي العربي لم يكن إلا تعبيراً عن ذوقه وشهوته حيث قال :

« فما كتبت إلا ما شاهدت .. بحيث لم يبق لنقيضه عندي إمكان وهمي .. فأشير بعضاً إلى حقيقة طويلة مع دليلها بقيد أو صفة إندمج دليل الحكم فيهما يعرف بالدقة وما صرحت ليحس بالمرام من إحتياج ولا يشتغل من لم يحتج فيحتاج»³.

لأن ذلك المؤلف المثنوي العربي حسب النورسي وهذا ما صرح به بقوله :

¹ - بديع الزمان سعيد النورسي ، المكتوبات ، ص426.

² - بديع الزمان سعيد النورسي ، المثنوي العربي النوري ، ص 30.

³ - نفس المصدر، ص 104.

« إن هذه الرسالة نوع تفسير شهودي لبعض الآيات القرآنية وما فيها من

المسائل»¹.

كما يتطرق إلى القلب بقوله :

« والقلب مرآة الأحد الصمد، لكن له شعور إحساس بما تجلى فيه، وعلاقة

مفتونية بما تمثل فيه، خلافا لسائر المرايا، كما بينه الإمام الرباني رضي الله عنه ، وبهذه الخاصية يستعد القلب لسعادات لا تعد»².

بينما يشير إلى أن من إعتد على العقل كان معرضا للأوهام والأفكار الباطلة

« وحينما حصر أهل الفكر والعقل هذه الحقائق الذوقية في مقاييس فكرية

عقلية جعلوها مصدر كثير من الأوهام و الأفكار الباطلة»³.

وبالتالي فهو يرى من خلال ما قال أن هذا غير مقبول أن يخوض العقل والفكر في الحقائق الصوفية الذوقية بمقاييسهما المجردة ، لأنها جعلته مصدر يبتعد عن الحقيقة وبالتالي فهي باطلة ومصدر الكثير من الأوهام.

ومن جهة أخرى يعتبر "النورسي" أن مجرد النظر في الكتب الفلسفية والمداومة عليها يورث العقل بعض الأسقام ، وبالتالي عند المطلعة يجب تصفية العقل من شوائبها حيث يقول :

« كان سعيد القديم قبل حوالي خمسين سنة لزيادة إشتغاله بالعلوم العقلية

والفلسفية يتحرى مسلكا ومدخلا للوصول إلى حقيقة الحقائق داخلا في عداد الجامعين بين الطريقة والحقيقة وكان لا يقنع ولا يكتفي بالحركة القلبية وحدها كأكثر أهل الطريقة ، بل جهد كل الجهد أولا لإنقاذ عقله وفكره من بعض الأسقام التي أورثتها إياها مداومة النظر في كتب الفلاسفة" وقوله: "قد

¹ - بديع الزمان سعيد النورسي ، المثنوي العربي النوري ، ص 34.

² - نفس المصدر ، ص 398.

³ - نفس المصدر ، ص 433.

شاهدت إزدياد العلم الفلسفي في إزدياد المرض، كما رأيت إزدياد المرض في إزدياد العلم العقلي، فالأمراض المعنوية توصل إلى علوم عقلية، كما أن العلوم العقلية تولد أمراضاً قلبية»¹.

ثم أراد بعد أن تخلص من هذه الأسقام أن يقتدي ببعض عظماء أهل الحقيقة المتوجهين إلى الحقيقة بالعقل والقلب، فرأى أن لكل من أولئك العظماء خاصية جاذبة خاصة به فحار في ترجيح بعضهم على بعض ويظهر بهذا جلياً تجانس مشربه مع مشرب الإمام الغزالي والإمام الرباني وجلال الدين الرومي هذا المسلك الذي يختلف عن ما قام به أهل الإستغراق في غض الأبصار بل كما فعله هؤلاء العلماء.

« من فتح أبصار القلب والروح والعقل فسار فيها أي في المقامات ورأى ما فيها بتلك الأبصار كلها، فحمداً لله على أن وفق في الجمع بين الطريقة والحقيقة بفيض القرآن وإرشاده حتى بين رسائل النور التي ألفها سعيد الجديد على أنها حقيقة»².

وما يمكن الوصل إليه واستنتاجه أن "النورسي" يبين أن أداة المعرفة لديه قائمة أصلاً على الروح والقلب، بينما نجد العقل فإنه يصلح أن يكون مبتدأ الطريق ثم لا بد له من الخضوع لسلطان الروح.

الفرع الثالث : مراتب المعرفة عند النورسي

إن المعرفة لا تقوم على نوع واحد فقد تتضمن عدة مراتب عند أهل الطريقة الصوفية وعند العلماء المتوجهين إلى الحقيقة، كون هذه المعرفة لها مراتب باعتبار أن أولى هذه المراتب الخاصة بمعرفة الله تعالى الذوقية والتي تتجلى وتتمثل في التوحيد الحضوري الشهودي.

ولعل النورسي لم يغفل على هذا الجانب باعتباره أن للتوحيد أهمية كبرى في المعرفة الإلهية حيث يخلص "النورسي" إلى وجود نوعين من التوحيد، ومنه فالتوحيد عنده هو توحيدان أي التوحيد نوعين :

¹- بديع الزمان سعيد النورسي، المثنوي العربي النوري، ص 29.
²- نفس المصدر، ص 31.

« أولهما توحيد عامي : يقول "لا شريك له ، ليس هذه الكائنات لغيره ، كما

يمكن تداخل الغفلات بل الضلالات في أفكار صاحبه ، ثانيهما : توحيد حقيقي يقول : "هو الله وحده له الملك، وله الكون، له كل شيء فيرى سكتة على كل شيء ويقرأ خاتمه على كل شيء ، فيثبته له إثباتا حضوريا، ولا يمكن تداخل الضلالة والأوهام في هذا التوحيد»¹

كما يقول في كتابه الكلمات :

« أن التوحيد الحقيقي هو الإيمان بيقين أقرب ما يكون إلى الشهود، بوحدايته

سبحانه، ويصدر كل شئ من يد قدرته، وبأنه لا شريك له في ألوهيته، ولا معين له في ربوبيته، ولا ند له في ملكه، إيمانا يهب لصاحبه الإطمئنان الدائم وسكينة القلب، لرؤيته آية قدرته وختم ربوبيته ونقش قلمه، على كل شئ. فيفتح شباك نافذ من كل شئ إلى نوره سبحانه»².

وفي هذا التوحيد تزول :

« ظلمات الجهات الستة، وتنتور الجهات الآفاقية والأنفسية الستة ، وتظهر

الأضواء الثلاثة ، المنعكسة من شمس معرفة سلطان الأزل»³.

يشير إلى ضوء المصباح وضوء الزجاجاة وضوء المشكاة، المذكورة في سورة النور الآية

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾⁴

« فإذا تحقق بهذا التوحيد الشهودي، وهو من المشارب الصوفية المهمة

إنحصر نظره في وجود "واجب الوجود" ورأى الموجودات كلها ظلالات باهتة وزيف ووهم لا تستحق إطلاق صفة الوجود عليها حيال واجب الوجود لذا فإن أهل هذا المشرب يذهبون إلى إعتبار الموجودات خيالا

¹ - سعيد النورسي ، المثنوي العربي النوري ، ص 40.

² - بديع الزمان سعيد النورسي ، الكلمات ، ص 365.

³ - بديع الزمان سعيد النورسي ، المثنوي العربي النوري ، ص 135.

⁴ - القرآن الكريم ، سورة النور ، الآية 35.

ووهما ، ويتصورونها عدما في مرتبة ترك ما سواه أي "ترك ما سوى الله تعالى " ، حتى أنهم يتطرفون ويذهبون إلى حد إعتبار الموجودات مرآيا خيالية لتجليات الأسماء الحسنى. إن أهم حقيقة يحتويها هذا المشرب هي أن الموجودات الممكنة "الممكنات والمخلوقات" تصغر وتتضاءل عند أصحابها من كبار الأولياء الذين وصلوا إلى مرتبة حق اليقين بقوة إيمانهم بحيث تنزل عندهم إلى درجة العدم والوهم أي أنهم ينكرون وجود الكون بجانب وجود الله الذي هو واجب الوجود «¹ .

هذا المشرب يصلح حسب "النورسي" للمتجردين من الحياة المادية وهم أهل الخواص

« لأخص الخواص عند حالات الإستغراق المطلق، وللمتجردين من الأسباب المادية ومن الذين قد قطعوا علاقتهم بما سوى الله من الممكنات والأشياء فإذا أفاق من عالم إستغراقه ونشوته، أثبت الأشياء المخلوقة بإثبات الأزل ، وليس بإعتبار وجوداتها الإستقلالية «² .

ويبين هذا من خلال قوله :

« ويسر أن في إسناد كل الأشياء إلى الواحد لا يكون الإيجاد من العدم المطلق بل يكون الإيجاد عين نقل الموجود العلمي إلى الوجود الخارجي «³ .

ويقول في اللمعة السادسة من المثنوي العربي النوري :

« ختم أقطار السموات والأرض بخاتم الواحدية، وضرب على مجموع العالم سكة الأحدية بصورة جلية واضحة «⁴ .

« هو الشمس الأزلي الذي هذه الكائنات ظلال أنواره وتجليات أسمائه وآثار أفعاله، بإتفاق أهل الشهود ، هو الحاكم الأزلي الذي نظم الكائنات بقوانين سننه ودرساتير قضائه وقدره

¹ - بديع الزمان سعيد النورسي المكتوبات ، ص 579.

² - نفس المصدر ، ص 580.

³ - بديع الزمان سعيد النورسي ، المثنوي العربي النوري ، ص 143.

⁴ - نفس المصدر ، ص 45.

ونواميس مشيئته وحكمته ، وجلوات عنايته ورحمته وتجليات أسمائه وصفاته ، وما القوانين والنواميس إلا أسماء لتجلي مجموع العلم والامر والإرادة على الأنواع»¹.

التوحيد الخالص حسب النورسي هو ما جاء في سورة الإخلاص بينما توحيد الصوفية بعيد كل البعد عن التوحيد الخالص حيث أن :

« توحيد الصوفيه الذي وصفه وحدة الوجود الموحدة لله توحيدا خالصا هي بعيدة كل البعد عن التوحيد الذي جاء في سورة الإخلاص ، لأن التوحيد الخالص عندهم يعني أن الوجود الحق لله وحده ، أما وجود الكون فليس بشيء ولا يعتبر وجودا وهو عند الصوفية وجود متلاش في وجود الله ، ولا شك أن هذا إنكار لواقع مقرر ومشاهد لا ينكره إلا معاند أو جاهل»².

بينما على سبيل المثال لا الحصر نجد أن الجنيد يضع التوحيد مرتبة وفق درجات كما أشار إليها الأستاذ **محمد بن الطيب** حيث يقول : وقد رتب الجنيد التوحيد درجات :

«الأولى : توحيد العوام ، وهو إقرار بالوحدانية ، وإنكار للأرباب والأنداد مع السكون إلى الرغبة والرغبة المتعلقين بما سوى الله و توحيد أهل الظاهر ، وهو الإقرار بالوحدانية وإنكار الأرباب والأنداد مع إقامة الأمر والإنتهاء على النهي في الظاهر والسكون إلى الرغبة والرغبة و توحيد الخواص وهو على وجهين الأول هو الإقرار بالوحدانية على الوجه السابق مع إقامة أوامر الشريعة في الظاهر والباطن وإزالة الرغبة والرغبة المتعلقين بما سوى الله، و الثاني هو وصل العبد إلى حال يكون فيها شبحا بين يدي الله سبحانه تجري عليه تصاريف تدبيره في مجاري أحكام قدرته في لجج بحار توحيده بالفناء عن نفسه وعن دعوى الخلق له وعن إستجابة له بحقائق وجوده ووحدانيته في حقيقة قربه بذهاب حسه وحركته لقيام الحق له سبحانه فيما أراد منه ، وهو أن يرجع العبد إلى أوله فيكون كما كان قبل أن يكون»³.

¹ - بديع الزمان سعيد النورسي ، المثنوي العربي النوري ، نفس المصدر ، ص 138.

² - محمد شلبي شتيوي ، المرجع السابق ، 335.

³ - محمد بن الطيب ، المرجع السابق ، ص 50. أنظر أيضا : القشيري ، المرجع السابق ص 299-300.

ويقول ابو العلا عفيفي أن التوحيد الذي يسعى إليه الجنيد هو الذي يصل إليه السالك في نهاية الطريق ، بعد أن يكون قد قطع جميع مراحل

« وهو توحيد ينبعث من قرار تجربة صوفية خالصة إنه توحيد هو الفناء بعينه

حيث تغيب شخصية الموحد في الوحدة الشاملة التي يغيب فيها الوعي بالتمايز بين "الأنا" و"الهو"¹

فلم يعد التوحيد عنده كلاما وإنما أصبح تجربة روحية معيشة وحالة وجدانية متحققة.

« فتوحيد الخاصة ليس كلاما منطوقا على اللسان وإعتقادا مستكنا في

الضمير وإنما هو تجربة تعاش وحال يذاق ».²

فقد سئل الجنيد عن التوحيد فقال :

« معنى تضمحل فيه الرسوم ، وتندرج العلوم ، ويكون الله كما لم يزل »³ ،

إنه العودة إلى ما قبل الخلق أي الأزل الذي لا بداية له والذي يعني أبعد نقطة في الماضي أو كما هو يقول في عبارة أخرى :

« الخروج من ضيق الرسوم الزمانية إلى سعة فناء السرمدية »⁴ ،

أو كما نقول في عبارتنا المعاصرة :

« هو الخروج من عالم الزمان والمكان والدخول في المطلق »⁵ .

1- أبو العلا عفيفي ، التصوف التورة الروحية في الإسلام ، المرجع السابق ، ص 173.

2- محمد بن الطيب ، المرجع السابق ، ص 51.

3- القشيري ، المرجع السابق ، ص 299.

4- السراج ، اللمع ، ص 49.

5- نهاد خياطة ، توحيد الصوفية ، مجلة الموقف الأدبي ، العدد 169-170 ، ماي- جوان- جويلية ، إتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 1985م ، ص 26.

وبالتالي الجنيد وما يقوله عن التوحيد الصوفي ليس بمعنى الفناء في الله ولا في قوله إنه معنى ينكشف للنفس عن طريق صلتها بالله في تجربة روحية غامرة وإنما هو في رجوعه بالتوحيد الصوفي إلى جبلة النفس الإنسانية التي يتجلى في صفحتها معنى التوحيد بعد أن تصقلها الرياضيات والمجاهدات وتتخلص من شوائب البدن وكدوراته ونظريته تأسست وإستندت على الآية القرآنية المعروفة ب آية الميثاق

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾¹.
فهو يرى أن النفوس البشرية لها وجود سابق على وجودها المتصل بالأبدان ،

« أنها كانت في هذا الوجود صافية طاهرة مقدسة على إتصال مباشر بالله لا يحجبها عنه حجاب ، إذ الحجب كلها وليدة الإتصال بعالم المادة والإشتغال بشهوات البدن ، وقد عبر عن تلك الحجب بكلمتي " الرغبة والرغبة" المتصلتين بما سوى الله وفي هذا المقام القديم أقرت النفوس الإنسانية بوحدانية الله عندما خاطبها بقوله : "أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ" فأجابت بلسان الحال "بلى" فأقرت بالتوحيد الإلهي لأنها لم ترى سوى الله في الوجود فاعلا مريدا قادرا ولم تكن لها صفات عينية ، لأن الصفات العينية تظهر في النفوس عند تلبسها بالأجسام وقد كانت هناك لا جسام لها»².

كان لهذه الآية موقع خاص في إهتمامات المتصوفة فعلى هذه الآية

« بنى الجنيد نظريته الجديدة في التوحيد لم يسبق إليها أحد تشهد بعمق تجربته الصوفية وصفائها»³.

كما بين النورسي حقيقة الأزلية والتعلق بها وملاحظة المخلوقات الضالالية وذلك من خلال ما أسماه التذلي والترقي ولا يتم هذا إلا من خلال أسلوبه ما أسماه السير الأنفسي والسير الآفاقي للوصول إلى الحقائق وذلك من خلال قوله :

¹- القرآن الكريم ، سورة الأعراف ، الآية ، 172.

²- محمد بن الطيب ، المرجع السابق ، ص 51.

³- أبو العلا عفيفي ، المرجع السابق ، ص 173-174.

« يتدحرج رأسي في آن واحد من الأوج إلى الحضيض، ومن الحضيض إلى الأوج ، سلكت طريقا غير مسلوک، في برزخ بين العقل والقلب، ودار عقلي من دهشة السقوط والصعود»¹

حيث يبين في ترقيه بقوله :

« مكمّلية هذه الآثار المشهودة في هذه الكائنات بلا قصور ولا فطور، تشهد بالمشاهدة الحدسية على مكمّلية أفعال مستترة خلفها... ومكمّلية هذه الأفعال التي هي كالمشهوده ، تشهد بالبداهة على كمال أسماء ذلك الفاعل؛ وكمال تلك الأسماء، يشهد بالضرورة على كمال الصفات؛ إذ الأسماء ناشئة من نسب الصفات، وكمال الصفات يكشف باليقين عن كمال الشؤون الذاتية التي هي مبادئ الصفات القدسية، وكمال الشؤون يشهد بحق اليقين على كمال الذات بما يليق بجناحه سبحانه بل مجموع ما في الكائنات من الكمال والجمال إنما هو ظل ضعيف مفاض بالنسبة إلى كماله عز كماله ، وإلى جماله جل جماله»².

قد بين أن الترقى والتدلي وذلك من خلال تقسيمه السير إلى نوعين هما السير الأنفسي والسير الآفاقي وهما مشربان ونهجان في الطريقة

« فالسير الأنفسي يبدأ من النفس ويصرف صاحب هذا السير نظره عن الخارج ويحدق في القلب مخترقا أنانيته. ثم ينفذ منها ويفتح في القلب ومن القلب سبيلا إلى الحقيقة.. ومن هناك ينفذ إلى الآفاق الكونية فيجدها منورة بنور قلبه، فيصل سريعا إلى أن الحقيقة التي شاهدها في دائرة النفس يراها بمقياس أكبر في الآفاق، وأغلب طرق المجاهدة الخفية يسير وفق هذه السبيل، وأهم أسس هذا السلوك هو كسر شوكة الأنانية وتحطيمها، وترك الهوى وإماتة النفس»³.

أما النهج الثاني فيما يخص السير الآفاقي :

¹ - بديع الزمان سعيد النورسي ، المثنوي العربي النوري ، ص 35.

² - بديع الزمان سعيد النورسي ، المثنوي العربي النوري ، ص 52.

³ - بديع الزمان سعيد النورسي ، المكتوبات ، ص 575.

« فيبدأ من الآفاق ويشاهد صاحب هذا النهج تجليات أسماء الله الحسنی وصفاته الجلیلة في مظاهر تلك الدائرة الآفاقية الكونية الواسعة، ثم ينفذ إلى دائرة النفس فيرى أنوار تلك التجليات بمقاييس مصغرة في آفاق كونه القلبي، فيفتح في هذا القلب أقرب طريق إليه تعالى، ويشاهد أن القلب حقا مرآة الصمد فيصل إلى مقصوده ومنتهى أمله ¹ .

ويبين " النورسي " في وجه آخر من وجوه التدلي والترقي قوله :

« إعلم أن محبة ما سواه تعالى على وجهين : وجه ينزل من علو؛ أي يحب الله فحبه يحب من يحبه الله، فهذه المحبة لا تنقص من محبة الله بل تزيدها. والوجه الثاني: يعرج من سفلى؛ أي يحب الوسائل فيتدرج في محبتها ليتوسل إلى محبة الله، فهذه المحبة تنفرق ، وقد تصادف وسيلة قوية فتقطع عليها الطريق فتهلكها، وإن وصلت وصلت بنقصان ² .

الفرع الرابع : حقيقة معرفة النبي محمد رسول الله عليه الصلاة والسلام :

هو المرآة الصفائية للأسماء الحسنی، فالمعرفة المحمدية وحقيقتها حسب النورسي حيث :

« لا يمكن حسن لا نهاية له، بلا طلب ذي الحسن، ومحبه لمشاهدة محاسن جماله ولطائف حسنه في مرآة. وبلا إرادته لإشهاد أنظار المستحسنين عليه وإراسته لهم بواسطة عبدٍ حبيب يتحب إليه ورسولٍ يحبه إلى الناس، أي هو بعبوديته مرآة لشهود ذي الجمال، جمال ربوبيته ، وبرسالته مدار إشهاده ³ ،

كما يشير بقوله في موضع آخر :

« فمحمد رسول الله كما يتضمن من الإيمان خمسة أركانه ، كذلك هو مظهر ومرآة لصفة الربوبية فهذا السر صار قرينا موازيا ل لا إله إلا الله في ميزان الإيمان ، ولأن النبوة مظهر لصفة الربوبية تكون جامعة وكلية ، والولاية خاصة وجزئية ⁴ .

¹ - نفس المصدر ، ص 575.

² - بديع الزمان سعيد النورسي ، المثنوي العربي النوري ، ص 162.

³ - نفس المصدر ، ص 87.

⁴ - نفس المصدر ، ص 123.

كما يشير النورسي إلى أنه عندما لا نسترشد بالنبي عليه الصلاة والسلام ونستضيء به
وبنوره بقوله :

« إذا لم نستضيء بنوره نرى في الكائنات مأتما عموميا، ونرى موجوداتها
كالأجانب والأعداء لا يعرف بعضها بعضا، ونرى جامداتها جنائز دهاشة، ونرى حيوانتها وأناسيها أيتاما
باكين بضربات الزوال والفرق... ونرى الإنسان قد صار بعجزه المزعج وفقره المعجز وعقله الناقل
لأحزان الماضي ومخاوف المستقبل على رأس الإنسان أدنى وأخسر من جميع الحيوانات. فهذه هي
ماهية الكائنات عند من لم يدخل في دائرة نوره فانظر الآن بنوره، وبمرصاد دينه، وفي دائرة شريعته، إلى
الكائنات كيف تراها؟ انظر قد تبدل شكل العالم، فتحول بيت المأتم العمومي مسجد الذكر والفكر ومجلس
الجدبة والشكر... وتحول الأعداء الأجانب من الموجودات أحبابا وإخوانا... وتحول ذو الحياة منها،
الأيتام الباكون المشتكون، ذاكرين في تسبيحاتهم شاكرين لترخيصاتهم عن وظائفهم »¹.

الفرع الخامس : حقيقة معرفة الكائنات

يرى "النورسي" أن العارفين وحدهم يشهدون حسن الكائنات؛ لأنها مرآيا أسماء الأزل،
بينما يقول النورسي في هذا الشأن ويقول:

« أكثر الغافلين لا يدرك حسن الحادثات ولا يعرف حكمتها فيشتكي بلاحق

ويعترض جهلا»².

« وكذا إن ما يتلمع على وجه الكائنات من الحسن العرضي والتحسين
المشيرين إلى وجوب وجود من له الحسن الذاتي والإحسان، وما يرى في الجمال الحزين في خد
الكائنات المنعكس المرمر إلى وجوب وجود ذي الجمال المجرد ، ما يرى في قلبها من العشق الصادق
المنادي على المحبوب الحقيقي، وما يحس به في صدرها من الإنجذاب والجذبة الملوحين بالحقيقة

¹- بديع الزمان سعيد النورسي ، المثنوي العربي النوري نفس المصدر ، ص 85.

²- نفس المصدر ، ص 40

الجاذبة التي تتجذب إليها الأسرار، وما يسمع من كل الكملين من شهادتهم بمشاهدتهم كون كل الأكون ضلال أنوار ذات واحد»¹.

الفرع السادس : حقيقة معرفة الإنسان

إن معرفة الإنسان في نظر "النورسي" تعتبر آخر المعارف في منازل التدلي فهو يتميز بوجهين الأول وجه له قيمة للخالق والثاني ليس له قيمة لزوال الخلق وفناءه فهو يرى:

« أن الإنسان في تكوينه مزود بوجهين، وجه ناظر إلى الحق سبحانه له قيمة عالية غالية يقول أنك صنعة لطيفة وأثر نظيف نزيه لمن فطر السموات والارض ، ووجه ناظر إلى الخلق لا قيمة له لفنائه وزواله يقول : أنك مجموع عناصر ترافقت باتفاقية عمياء وعن قريب تتفرق بفراق اليم مفارقة صماء»².

كما يرى أن الإنسان يعتبر كثمرة في شجرة الكون حيث يقول في خطابه :

« أن الإنسان الذي هو أمل المصنوعات وأبدعها وأجمل المخلوقات وأجمعها ، وهو المظهر الجامع والمدار البارح لتلك المحبة والرغبة ، ولكونه أجمع وأبدع المصنوعات فهو الثمرة الشعورية لشجرة خلقه ، أي هو لها كثمرة ذات شعور ..فهو ما بين أجزاء الكائنات جزء أجمع وأبعد من جميع الأجزاء ، فلكونه أجمع و أبعد وذا شعور ، فله نظر عام وشعور كلي ، فلكون نظره عاما يرى مجموع شجرة الخلقه ، ولكون شعوره كلياً يعرف مقاصد الصانع ، فهو المخاطب الخاص للصانع»³.

« انظر إلى الإنسان في هذه الكائنات حتى تشاهد بالعيان دائرتين متقابلتين، ولوحتين متناظرتين: فأما إحدى الدائرتين ، فدائرة ربوبية محتشمة منتظمة في غاية الإحتشام والإنتظام، وأما أحد اللوحيين فلوح صنعة مصنع مرصع في غاية الإتقان والاتزان .وأما الدائرة الأخرى فهي دائرة

¹- نفس المصدر ، ص 117-118.

²- نفس المصدر ، ص 392.

³- نفس المصدر ، ص 66-67.

عبودية منورة مزهرة في غاية الإنقياد والإستقامة. وأما اللوح الآخر، فهو لوح تفكر وإستحسان في غاية
الوسعة، وصحيفة تشكر وإيمان في غاية الجمع»¹

ويقول أيضا في موضع آخر :

« فالبشر ثمر لهذه الكائنات فهو المقصود الأظهر لخالق الموجودات ...
فالإنسان الأصغر في هذه الكائنات هو المدار الأظهر للنشر والمحشر في هذه الموجودات والتخريب
والتبديل والتحويل والتجديد لهذه الكائنات»².

الفرع السابع: مانع المعرفة عند النورسي :

إن في نظر النورسي أن المعرفة يكون لها مانع يحول للوصول إلى الحقائق وقد حصر هذا
المانع في ما حدده بوجود النفس حيث قال :

« إن وجود النفس عمى في عيناها، بل عين عميها، ولو بقي من الوجود
مقدار جناح الذباب يصير حجابا يمنع رؤيتها شمس الحقيقة، فقد شاهدت أن النفس بسبب الوجود ترى
على صخرة صغيرة في قلعة عظيمة مرصوفة، من البراهين القاطعة ضعفا ورخاوة فتتكر وجود القلعة
بتمامها فقس من هنا درجة جهلها ناشئ من رؤيتها لوجودها»³.

المبحث الثالث : النورسي والطريق الصوفي

المطلب الأول : طريق الوصول إلى الله عند النورسي

إن طريق السلوك لله في الطرق الصوفية كثيرة ومتعددة وما تتضمنه من مسالك طويلة
التي تعتمد على الإجتهدات الذاتية التي قد تكون غير منضبطة بالكتاب والسنة. ونظرا

¹- سعيد النورسي ، المثنوي العربي النوري ، ص 67.

²- نفس المصدر ، ص 146.

³- بديع الزمان سعيد النورسي ، المثنوي العربي ، ص 170.

لكون النورسي يخاطب وسطا مشحونا بأجواء التصوف ، فإنه يقدم طريقا ومسلكا سليما وآمنا للسلوك إلى الله .

يشير النورسي إلى أنه هناك طرائق كثيرة وسبل عديدة للوصول إلى الله سبحانه وتعالى ، ومورد جميع الطرق الحقّة ومنهل السبل الصائبة إنما هو القرآن الكريم ، إلا أن بعض الطرق أقرب من بعض وأسلم وأعم. ومن خلال تأمله في القرآن الكريم أنه إستفاد من فيض القرآن الكريم يقدم طريقا قصيرا وآمنا للسلوك إلى الله وهو بمثابة سبيلا سويا تمثل هذا الطريق في طريق : العجز و الفقر و الشفقة و التفكير ويشير إلى أن :

« العجز كالعشق طريق موصل إلى الله ، بل أقرب و أسلم إذ يوصل إلى المحبوبة بطريق العبودية، والفقر مثله يوصل إلى اسم "الرحمن" وكذلك الشفقة كالعشق موصل إلى الله ، إلا أنفذ منه في السير وواسع منه مدى ، إذ هو يوصل بإسم الله "الرحيم" والتفكر أيضا كالعشق إلا أنه أغنى منه وأسطع نورا وأرحب سبيلا إذ هو يوصل السالك إلى إسم الله الحكيم»¹.

ويشير النورسي في كتابه اللمعات إلى أن :

« التفكير هو سبب في إحراز الإخلاص الذي يكسب المرء حضورا وسكينة بالإيمان الحقيقي وباللمعات الواردة عن التفكير الإيماني في المخلوقات وهذا التأمل يسوق صاحبه إلى معرفة الخالق سبحانه ، فتتسكب الطمأنينة والسكينة في القلب ، حقا أن تلمع هذا النوع من التأمل في فكر الإنسان يجعله يفكر دائما في حضور الخالق الرحيم سبحانه ورؤيته له ، أي أنه حاضر وناظرا إليه دائما فلا يلتفت عندئذ إلى غيره ولا يستمد من سواه حيث أن النظر والإلتفات إلى ما سواه يخل بأدب الحضور وسكينة القلب وبهذا ينجوا الإنسان من الرياء ويتخلص منه ، فيظفر بالإخلاص بإذن الله ، كما يشير إلى أن في هذا التأمل والتفكر درجات كثيرة ومراتب عدة ، فحظ كل شخص بما يكسبه وريحه ما يستفيد منه حسب قابليته وقدراته»².

¹- بديع الزمان سعيد النورسي ، المكتوبات ص 594.

²- بديع الزمان سعيد النورسي ، اللمعات ، ص 247.

وهذا المسلك أو الطريق الذي قدمه النورسي يختلف عما سلكه أهل السلوك في طريق الخفاء ذات الخطوات العشر كاللطف العشر، وفي طرق الجهر ذات الخطوات السبع حسب النفوس السبعة على سبيل المثال لا الحصر .

فهذا الطريق عبارة عن أربع خطوات فحسب ويقول النورسي فيما يخص هذا الطريق :

« هذا الطريق هو حقيقة شرعية أكثر مما هو طريقة صوفية »¹.

ويشير النورسي إلى أن قصده بالعجز والفقير والتقصير إنما هو إظهار ذلك كله أمام الله تعالى وليس أمام الناس .

« أما فيما يخص أوراد هذا الطريق القصير وأذكاره ، فهي محصورة في : اتباع السنة النبوية والعمل بالفرائض ، لاسيما إقامة الصلاة باعتدال الأركان ، والعمل بالأذكار عقبها وترك الكبائر »².

وفيما يخص منبع هذه الخطوات كان من القرآن الكريم من خلال الآيات التي إستند عليها في ذلك كالاتي :

1- قوله تعالى : ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ ﴾³ الذي يشير إلى الخطوة الأولى ، وهي تزكية النفس وطهارتها بعدم تزكيتها .

2- وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ﴾⁴ . والذي يشير إلى الخطوة الثانية وهي : تزكية النفس بنسيان النفس في الحظوظ والأجرة ، والتفكير فيها عند الخدمات والموت .

¹ - بديع الزمان سعيد النورسي ، المكتوبات ، ص 594.

² - بديع الزمان سعيد النورسي ، المكتوبات ، ص 594.

³ - القرآن الكريم ، سورة النجم ، الآية 32.

⁴ - القرآن الكريم ، سورة الحشر ، الآية 19.

3- وقوله تعالى : ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾¹

ويشير إلى الخطوة الثالثة ، وهي : تزكية النفس بأن تعلم أن كمالها في عدم كمالها ، وقدرتها في عجزها أمام الله وغناها في فقرها إليه .

4- وقوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾² ، ويشير إلى الخطوة الرابعة ، وهي

أن تزكية النفس في معرفة أن عدمها في وجودها ووجودها في عدمها وإيضاح هذه الخطوات الأربع بإيجاز شديد هو حسب النورسي :

أولا : ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ ، تشير الآية الكريمة حسب النورسي إلى أن عدم تزكية النفس

، ذلك لأن الإنسان حسب جبلته وبمقتضى فطرته محبا لنفسه بالذات ، بل لا يجب إلا ذاته في المقدمة ، ويضحى بكل شيء من أجل نفسه ، ويمدح نفسه مدحا لا يليق إلا بالمعبود وحده ، وينزهه شخصه ويبريء ساحة نفسه بل لا يقبل التقصير لنفسه أصلا ويدافع عنها دفاعا قويا بما يشبه العبادة حتى كأنه يصرف ما أودعه الله فيه من أجهزة لحمده وتقديسه إلى نفسه فيصيبه وصف الآية الكريمة ﴿ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾³ أي: جعل شهوته هي الموجهة لحركاته وسكناته، والإنسان يتحرك بباعثين ولهدفين، الباعث مصلحته، أو الباعث طاعة ربه، ولهدفين، إما إرضاء الله أو إرواء شهواته،

فسلوك الإنسان له باعثن، وله هدفان حسب ما يراه النورسي كالاتي :

« مصالحه، الهدف إرواء شهواته و طاعة ربه، الهدف السعادة في الدنيا

والآخرة، إنسان يتخذ هواه شهوته، شهوة النساء، كيف يتخذها إلها من دون الله، فيقيم علاقة مع امرأة خارج نطاق الزوجية، خارج نطاق المنهج الإلهي، إذا هذه الشهوة عبدا من دون الله، أي رواها بخلاف منهج الله. حبه المال طبيعي، لك أن تكسبه من طريق مشروع، أما حينما لا يعينك إلا أن تأخذ المال من أي سبيل، فقد إتخذت المال إلها من دون الله، فهو الذي يحرك سلوكك ؛ تحلف وأنت كاذب، تبيع دينك

1- القرآن الكريم، سورة النساء ، الآية 79.

2- القرآن الكريم ، سورة القصص ، الآية 88.

3- القرآن الكريم ، سورة الفرقان ، الآية 43.

وأهلك وذمتك وأمانتك، الهدف أن تقبض المال فقط، إذا حينما يتخذ الهوى إليها ليس معنى ذلك أن الهوى إليه، لكنه عومل معاملة الإله»¹.

فيعجب بنفسه ويعتد بها ، فلا بد إذن من تزكيتها فتزكيتها في هذه الخطوة وتطهيرها هي بعدم تزكيتها.

ثانيا : ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ ويشير النورسي مما تتضمنه هذه الآية وتحتويه ، إذ يرى أن الإنسان ينسى نفسه ويغفل عنها ، فإذا ما فكر في الموت صرفه إلى غيره ، وإذا ما رأى الفناء والزوال دفعه إلى الآخرين وكأنه لا يعنيه بشيء ، إذ مقتضى النفس الأمانة أنها تذكر ذاتها في مقام أخذ الأجرة والحظوظ وتلتزم بها بشدة ، بينما تتناسى ذاتها في مقام الخدمة والعمل والتكليف ، فتزكيتها وتطهيرها في هذه الخطوة هي العمل بعكس هذه الحالة أي عدم النسيان في عين النسيان ، أي نسيان النفس في الحظوظ و الأجرة والتفكر فيها عند الخدمات والموت.

ثالثا : ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ ، يرى النورسي أن ما تقتضيه النفس دائما أنها تنسب الخير إلى ذاتها ، مما يسوقها إلى الفخر والعجب ، فعلى المرء في هذه الخطوة أن لا يرى من نفسه إلا القصور والنقص والعجز والفقير ، وأن يرى كل محاسنه وكمالاته إحسانا من فاطره الجليل ويتقبلها نعماً منه ، فيشكر عندئذ بدل الفخر ويحمد بدل المدح والمباهاة ، فتزكية النفس في هذه المرتبة في سر الآية الكريمة ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾². وهي أن تعلم بأن كمالها في عدم كمالها وقدرتها في عجزها وغناها في فقرها ، أي كمال النفس في معرفة عدم كمالها وقدرتها في عجزها أمام الله ، وغناها في فقرها إليه.

¹ - تفسير الآية لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي أنظر الموقع : <http://www.nabulsi.com> يوم 12-25-

2016

² - القرآن الكريم ، سورة الشمس ، الآية 9.

رابعاً : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ ذلك بأن النفس حسب النورسي تتوهم نفسها حرة مستقلة بذاتها ، لذا تدعي نوعاً من الربوبية وتضمّر عصياناً حياً معبودها الحق. فبادراك الحقيقة الآتية ينجو الإنسان من ذلك وهي كل شيء بحد ذاته وبمعناه الأسمى زائل ومفقود حادث معدوم ، إلا أنه في معناه الحرفي وبجهة قيامه بدور المرآة العاكسة لأسماء الصانع الجليل وباعتبار مهامه ووظائفه :

« شاهد ومشهود واجد وموجود فتزكيتها في هذه الخطوة هي معرفة أن عدمها في وجودها ووجودها في عدمها ، أي أنها رأت ذاتها وأعطت لوجودها وجوداً ، فإنها تغرق في ظلمات عدم يسع الكائنات كلها يفنى إذا غفلت عن موجودها الحقيقي وهو الله ، مغتررة بوجودها الشخصي فإنها تجد نفسها وحيدة غريقة في ظلمات الفراق. وبالعدم غير المتناهية كأنها البراعة في ضيائها الفردي الباهت في ظلمات الليل البهيم، ولكن عندما تترك الأنانية والغرور ترى نفسها حقاً لا شيء بالذات وإنما هي مرآة تعكس تجليات موجدتها الحقيقي ، فتظفر بوجود غير متناه وتربح وجود جميع المخلوقات ، من يجد الله فقد وجد كل شيء ، فما الموجودات جميعها إلا تجليات أسمائه الحسنى جل جلاله»¹.

إن هذا الطريق الذي يتكون من أربع خطوات حسب النورسي وهي العجز والفقر والشفقة والتفكير هذا الطريق الذي يبحث في علم الحقيقة ، حقيقة الشريعة ، حكمة القرآن الكريم ، فيقول النورسي : " إلا أننا نشير هنا إشارة قصيرة إلى بضع نقاط وهي :

« أن هذا الطريق هو أقصر وأقرب من غيره لأنه عبارة عن أربع خطوات ، فالعجز إذا ما تمكن من النفس يسلمهما مباشرة إلى القدير ذي الجلال ، بينما إذا تمكن العشق من النفس في طريق العشق الذي هو أنفذ الطرق الموصلة إلى الله ، فإنها تتشبث بالمعشوق المجازي ، وعندما تبلغ زواله تبلغ المحبوب الحقيقي»².

ثم إن هذا الطريق أسلم من غيره ، لأن ليس للنفس فيه شطحات أو إدعاءات فوق طاقتها ، إذ المرء لا يجد في نفسه غير العجز والفقر والتقصير كي يتجاوز حده. إن هذا الطريق عام وجادة كبرى لأنه لا يضطر إلى إعدام الكائنات ولا إلى سجنها فيقول :

¹ - بديع الزمان سعيد النورسي ، المكتوبات ، ص 496.

² - بديع الزمان سعيد النورسي ، السيرة الذاتية ، ص 180.

« أن أهل وحدة الوجود توهموا الكائنات عدما ، فقالوا "لا موجود إلا هو " لأجل الوصول إلى الإطمئنان والحضور القلبي وكذا " أهل الشهود" حيث سجنوا الكائنات في سجن النسيان فقالوا "لامشهود إلا هو " للوصول إلى الإطمئنان القلبي ، بينما القرآن الكريم يعفوا الكائنات بكل وضوح عن الإعدام ويطلق سراحها من السجن ، فهذا الطريق على نهج القرآن ينظر إلى الكائنات أنها مسخرة لفاطرها الجليل وخادمة في سبيله ، وإنما مظاهر لتجليات الأسماء الحسنى كأنها مرآيا تعكس تلك التجليات .. وعندها ينجوا المرء من الغفلة ويبلغ الحضور الدائمى على نهج القرآن الكريم ، فيجد إلى الحق سبحانه طريقا في كل شيء. أن هذا الطريق لا ينظر إلى الموجودات بالمعنى الأسمى ، أي لا ينظر إليها مسخرة لنفسها ولذاتها بل يعزلها من هذا ويقلدها وظيفة أنها مسخرة لله سبحانه وتعالى»¹ .

تلك هي الخطوات التي ترسمها الآيات الكريمة لطريق النورسي ، فهي طريق مضبوطة بضابطي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة التي هي ترجمان للقرآن الكريم .

المطلب الثاني : النورسي والجمع بين العقل والقلب ومزجهما

لقد سلك "النورسي" في مسلكه ، وهذا ما يتضح من خلال مؤلفاته رسائل النور وهي شخصه المعنوي مسلكا خاصا به جعله يتميز عن غيره من المصلحين والمجددين ، إذ تميز مسلكه هذا بالمزج بين العقل والقلب وما يبين هذا المسلك مزج بين ما يقوم على البرهان العقلي والإستدلال العقلي وبين ما يتحقق بالتجربة الوجدانية " الذاتية" والذوق ، وما يمكن الإشارة إليه ليس من السهل تحقيق هذا النهج في المزج خاصة عندما يتعلق الأمر في الجانب العقدي وأيضا في مجال الدفاع عن العقيدة من أجل ترسيخ أركانها.

كما حاول "النورسي" بأسلوبه هذا التجديدي من خلال تناوله وصياغة المسائل والقضايا الإيمانية عن طريق البرهنة على صدقها وأحقيتها بهذا الأسلوب والذي يشتمل على فكر العقل ومشاعر القلب ، ولعله بهذا المسلك ومن خلال هذا الأسلوب وفي محاولته هذه قد حقق نجاحا واضحا وما يثبت ذلك النجاح قوة تأثير هذه المؤلفات " رسائل النور" على قارئها ، حيث أنها إستطاعت أن تجمع حولها العديد من الطلبة بل الآلاف والمئات

¹ - بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، ص 597. أنظر أيضا : الكلمات ، ص ص 558-561.

من الطلبة والذين تحملوا مصاعب ومشاق الحياة ، من سجون ومنافي وتغريب وذلك رغبة في إستنساخ هذه الرسائل من أجل نشرها والدفاع عنها وهذا ما يتضح من خلال مؤلفات رسائل النور.

ويصرح "النورسي" عن تجربته الوجدانية والتي كانت بدايتها خلال أسره في الروس خلال الحرب العالمية الأولى ، والتي إتضحت معالمها أثناء نفيه في "بارلا" وذلك من خلال قوله :

« لقد إمتزج قلبي بعقلي منذ ثلاثة عشر عاما ضمن إنتهاج مسلك التفكير الذي يأمر به القرآن المعجز البيان كقوله تعالى : ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ ، ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾¹ ﴿لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَّتَفَكَّرُونَ﴾² ، وأمثالها من الآيات التي تحث على التفكير مثلما يحث عليه حثا عظيما الحديث الشريف كقوله " تفكر ساعة خير من عبادة سنة"³.

« ولقد تواردت في غضون هذه السنوات الثلاثين على عقلي وقلبي ضمن إنتهاج مسلك التفكير أنوار عظيمة وحقائق متسلسلة طويلة ، فوضعت بضع كلمات من قبيل الإشارات لا لدلالة على تلك الأنوار بل للإشارة على وجودها ولتسهيل التفكير فيها والمحافظة على إنتظامها⁴ .

وما يمكن الإشارة إليه أن هذا الجمع بين العقل النورسي وقلبه لم يكن متوازنا أو متساويا ، حيث لم يكن بنسب متساوية وذلك يتبين من خلال مؤلفاته ، في كثير من الأحيان نلاحظ تغلب الجانب الوجداني أو الذاتي وبالتالي نراه يبتعد عن المقاييس العقلية والضوابط المنطقية وهذا ما يعترف به في اللمعة الثالث إذ يقول قبيل تفسيره لقوله تعالى:

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾⁵

¹- القرآن الكريم ، سورة الروم ، الآية 8.

²- القرآن الكريم ، سورة الروم ، الآية 21.

³- بديع الزمان سعيد النورسي ، المكتوبات ، ص 590.

⁴- بديع الزمان سعيد النورسي ، اللمعات ، ص 456.

⁵- القرآن الكريم ، سورة القصص ، الآية 88.

« لقد مزج هذه اللعة شئ من الأذواق والمشاعر ، فأرجو عدم تقييمها بموازين علم المنطق ؛ لأن ما تحبش به المشاعر لا يراعي كثيرا قواعد العقل ، ولا يعير سمعا إلى موازين الفكر»¹.

« إن رسائل النور ليست كبقية مصنفات العلماء تسير على وفق خطى العقل وأدلته ونظراته ، ولا تتحرك كما هو الشأن لدى الأولياء المتصوفين بمجرد أذواق القلب وكشوفاته وإنما تتحرك بخطى إتحاد العقل والقلب معا وإمتزاجهما ، وتعاون الروح واللطائف الأخرى ، فتخلق إلى أوج العلا وتصل إلى مراق لا يصل إليها نظر الفلسفة المهاجمة فضلا عن إقدامها وخطواتها ، فتبين أنوار الحقائق الإيمانية وتوصلها إلى عيونها المطموسة»²

كما أننا نجد النورسي يتجنب في حالات معينة التطرق إلى مناقشة القضايا العلمية للسبب السابق ذاته ، ففي رده على أسئلة أحد طلابه يقدم أسباب إمتناعه عن الإجابة عن أحد الأسئلة ، موضحا بقوله :

« أنني لا أنشغل إلا بالسوانح القلبية ، فهناك حالات طارئة في الوقت الحاضر تحول - مع الأسف - دون إشتغالي بالمسائل العلمية ، لذلك لا أستطيع الإجابة عن سؤالكم بجواب شاف ، وإن وفق الله وفتح علينا سوانح قلبية أضطر إلى الإشتغال بها»³.

ويشير الدكتور "حسن عبد الرحمن بكير" إن غلبة الجانب الوجداني على شخصية النورسي لها ما يبررها ، فقد كان يخوض صراعين مستمرين وعلى درجة كبيرة من القوة

« صراع مع النفس ، وصراع مع الماديين الذين أنكروا الإيمان . وإذا كان الصراع في ميدان العقيدة ، فإننا نستوعب أسباب قوته وضروته ؛ إذ - مهما كان الإنسان موضوعيا

¹ - بديع الزمان سعيد النورسي ، اللغات ، ص 21.

² - بديع الزمان سعيد النورسي ، الملاحق في فقه العوة إلى النور، ص 105.

³ - بديع الزمان سعيد النورسي ، اللغات ، ص 137.

وملتزما بمناهج البحث العلمية المتعارف عليها - لا يستطيع أن يتجرد من ذاتيته وهو يتناول قضايا العقيدة ، ولاسيما إذا كانت هذه العقيدة تتعرض لهجوم عنيف»¹.

إن رسائل النور تنتقل لنا تصويرا واضحا لهذين الصراعيين ، إذ يقول "النورسي" :

« أن هذه ثلاثون سنة لي مجادلة مع طاغوتين ، وهما : " أنا" في الإنسان ، و"الطبيعة" في العالم . . أما هذا ، فرأيته مرآة ظلليا حرفيا ، لكن نظر الإنسان إليه نظرا إسميا قصديا بالأصالة ، فنفر عن عليه وتمرد ، وأما هذه فرأيتها صنعة إلهية ، وصبغة رحمانية . لكن نظر البشر إليها بنظر الغفلة ، فتحولت لهم "طبيعة" فتألّفت عند مادبيهم ، فأنشأت كفران النعم المنجر إلى الكفر»²

وعندما يتوجه "النورسي" باللوم والتعنيف إلى نفسه الجموح ، فهو يخاطب من خلالها كل نفس بشرية مغرورة عسوية على الاقتناع إلا بالدليل القاطع ، فالدرس الذي أقتع مؤلفه - كما يوضح النورسي - بقوله :

« إن رسائل النور تحاول إقناع نفس مؤلفها ثم تخاطب الآخرين ، لذا فالدرس الذي أقتع نفس المؤلف الأمانة بالسوء إقناعا كافيا وتمكن من إزالو وساوسها وشبهاتها إزالة تامة ، لهو درس قوي وخالص أيضا بحيث يتمكن وحده أن يصد تيار الضلالة الحاضرة التي اتخذت شخصية معنوية رهيبية - بتشكيلاتها الجماعية المنظمة - ، بل أن يجابهها ويتغلب عليها»³

إذن "فالنورسي" لا يمكث حبيس نفسه وذاتيته ، وإنما يحاول أن يتجاوزها لمخاطبة كل نفس بشرية لكونها ذات خصائص ومكونات واحدة ، مستعينا في ذلك بطول التأمل في الآيات القرآنية والآيات الكونية ، لاستخراج النكت الإعجازية التي تزيل كل ريب أو تردد .

¹ - د- حسن عبد الرحمن بكير ، بديع الزمان سعيد النورسي وأثره في الفكر والدعوة ، بدون دار وسنة نشر ، ص 98-97.

² - بديع الزمان سعيد النورسي ، المثنوي العربي النوري ، ص 221.

³ - بديع الزمان سعيد النورسي ، الملاحق في فقه الدعوة إلى النور ، ص 105.

المطلب الثالث : النورسي وتمييزه بين مسلك الطريقة ومسلكه

يعتبر النورسي أن مسلكه الذي ينتهجه يختلف عن مسلك الطرق الصوفية التي تعتبر متجذرة في مجتمعه ، إلا أن ظروف عصره في نظره جعلت هذا التصوف عاجزا أمام التيارات المعادية للإسلام وبالتالي عجز هاته الطرق الصوفية في دفع التيارات المعادية للإسلام ، بإعتباره أن التصوف هو قائم على التجربة الذاتية في إدراك الحقائق ولا يعتمد على البراهين المنطقية والحجج والأدلة العقلية والعلمية التي هي بمثابة صفة العصر يقول النورسي :

« إن مهمة رسائل النور وطلابها هي الحفاظ على مسلك أستاذهم حجة الإسلام "الإمام الغزالي" والذود عنه ما وسعهم ، وإنقاذه من هجمات أهل الضلالة . وهو أستاذي الوحيد الذي يربطني بالإمام علي رضي الله عنه . ولكن في زمانهم لم يكن هجوم الزندقة الرهيبة يزعزع أركان الإسلام ؛ لذا فالأسلحة التي إستعملها أولئك العلماء المحققون الأجلاء والمجتهدون العظام حسب عصورهم في المناظرات والمناقشات العلمية والدينية لا يحصل عليها بسرعة ولا تقهر أعداء هذا الزمان قهرا تاما . إلا أن رسائل النور باستلهاها القرآن المبين قد وجدت أسلحة يمكن الحصول عليها بسرعة وهي قوية نافذة ، وفي الوقت نفسه تمزق العدو»¹.

وبالتالي يقدم موازنة ومقارنة بين مسلكه والذي يمثل مسلك رسائل النور كشخصه المعنوي وبين مسلك الطريقة الصوفية حيث يبين عجزها وقصورها ، كما يبين :

« أن مسلك رسائل النور لا تطلب مقاصد دنيوية بالعبادة الفكرية ، إذ لا تكون وسيلة قطعا لكسب مصالح دنيوية ولا تستغل ترسا لدفع أضرارها ، لكونها عبادة فكرية ذات شأن وأهمية ، فلا تطلب تلك المقاصد دنيوية بالذات ، إذ لو طلبت يفسد الإخلاص ويتغير شكل تلك العبادة الجليلة»².

¹ - نفس المصدر ، ص 192.

² - بديع الزمان سعيد النورسي ، الملاحق في فقه الدعوة إلى النور ، ص 219.

كما يبين أيضا بقوله :

« إن رسائل النور وعدم تتبعها أي قصد كان سوى خدمة الإيمان .. ومن عدم إنفتاحها إلى الكشف والكرامات الشخصية التي يوليها بعض أهل الطرق أهمية .. ومن كونها تحصر وظيفتها في نشر أنوار الإيمان وإنقاذ إيمان المؤمنين»¹ .

بل إنه يؤكد على أن طلاب النور هدفهم خدمة الإيمان بدل التطلع للقبطية :

« أن طلاب رسائل النور الحقيقيين يرون خدمة الإيمان فوق كل شيء ، فحتى لو منحوا مرتبة القبطية يفضلون عليها خدمة الإيمان حفاظا على الإخلاص»² .

وعلى هذا الأساس فإن مسلك رسائل النور هو مسلك بعيد كل البعد عما يطلب في الطرق الصوفية من أدواق وكرامات مؤقتة ويبين النورسي أن هذا راجع لعدة إعتبارات وحكم كثيرة من بينها :

« أولا :الإخلاص: حيث أن أهل الطرق الصوفية يتطلعون إلى الكشف والكرامات لقطف ثمرات الآخرة في الدنيا ، إذ أن هذه الأدواق والكرامات المؤقتة في الدنيا تصبح مقصودة لذاتها لدى من لم يتمكنوا من ضبط أنفسهم وترويضها ، فيفسد بذلك الإخلاص ، ثانيا : إن مسلك رسائل النور لا يركز الأهمية على الشخص ، حيث يكتفي الجميع بما نالته رسائل النور من الكرامات العلمية في نشر الحقائق الإيمانية»³

حيث يقول النورسي كذلك في هذا الصدد وحول ما يخص الشهرة وطلب نيل المقامات والتي عرفت سابقا بين المتصوفيين وبالتالي خلق تلك المنافسات بينهم ما هي إلا شكل من أشكال الرياء كما أنها تكرر وتعزز الأنانية مايلي :

¹- نفس المصدر ، ص 219.

²- نفس المصدر ، ص 218.

³- بديع الزمان سعيد النورسي ، الملاحق في فقه الدعوة إلى النور ، ص 194.

« إن حرص الإنسان على الشهرة وحب الجاه وطلب نيل المقامات والتفوق على الأقران وأمثالها من الأحاسيس والمشاعر ، وكذا التظاهر بمظهر حسن رفيع وتقمص أشخاص عظام لا يليق به وجلب أنظار الناس وإعجابهم نحوه بما هو فوق حده وما شابهها من أنواع التصنع والتكلف في الأعمال .. كلها تسوق إلى الرياء ، ولكن لما كان طلاب رسائل النور قد حولوا "أنا " إلى "نحن" أي تركوا الأنانية بإسم تلك الشخصية ، أي يقولون نحن بدل أنا أي إذابة الشخصية الفردية في حوض الشخصية المعنوية لإخوانه »¹

في حين قد يختلف أهل الطريقة من أصحاب الكرامات والمتلذذين من الكشفيات ، وقد يوجد شئ من الحسد والمنافسة فيما بينهم ، ولاسيما في هذا العصر الذي عمت فيه الأنانية.

« **ثالثا** : لا يسأل طلاب النور الأذواق والكشفيات في الدنيا ، لأنها فانية ، أما اللذة الحقيقية فهي في الآخرة الباقية **رابعا** : إن الكرامات والكشفيات هي لبث الثقة في نفوس العوام من أهل الطريقة ، وبما أن الرسائل تمنح إيمانا تحقيقيا، فإنها لاتدع حاجة إلى تحري مثل هذه الكرامات »²

خامسا : ويؤكد بديع الزمان أن مسلكه مخالف لمسلك الصوفية وما صاحبها من بدع وشبهات كالفناء والوجود والاتحاد والشطحات كما أسلفنا الذكر بقوله :

« فهناك إصطلاحات تدور بين المتصوفة أمثال : الفناء في الشيخ ، الفناء في الرسول، ولكن "الفناء في الإخوان" دستور جميل يناسب مسلكنا تماما .. أي أن ينسى كل أخ حسياته النفسانية ، ويعيش فكرا مع مزايا إخوانه وفضائلهم ، حيث إن أساس مسلكنا ومنهجنا هو "الأخوة" في الله»³

وأما فيما يخص علاقة النورسي بطلبته إختلفت عن ثنائية الشيخ والمريد الكلاسيكية إذ أنها

1- نفس المصدر، ص 194.

2- نفس المصدر ، ص 218.

3- بديع الزمان سعيد النورسي ، للمعات ، ص 245

« الأخوة الحقيقية ، وليست علاقة الأب مع الإبن ، ولا علاقة الشيخ مع المريـد ، وإن كان لابد ، فمجرد العلاقة بالأستاذ. ومادام مسلكنـا هو الخليلية فمشرينا إذا الخلة والخلق تقتضي صديق صدوقا ، ورفيقا مضحيا ،وأخا شهـما غيورا ..وأس الأساس لهذه الخلة " الإخلاص التام»¹.

فحسب النورسي الدنيا مثلما يبين ليس دار التمتع بالحياة الدنيوية فقط بل الإلتزام حسب الشرع وذلك من خلال التمتع بما يوافق الشرع ومنه العمل للدار الآخرة في نفس الوقت

« هي دار حركة وعمل وسعي وليست دار جزاء وثواب لذا فلا تطلب فيها اللذائذ والأذواق ، ولا تقصد فيها الكرامات ، وإنما ينبغي فيها الإلتزام بالشرعية ، لأن الحقيقة والطريقة ونتائجهما وما يؤولان إليه فهي الأوامر الشرعية المحكمة فهما دائما و أبدا يظلان بحكم الخادم للشرعية ووسيلة إليها ومقدمة لها»².

وما إهتمام النورسي إلا بقضايا عصره وواقعه المعاش ، ولما كان التصوف والطريقة والسير والسلوك والولاية من بين هذه القضايا التي كان لها رواج في بيئته وفي محيطه ومجتمعه قد تناولها وعالجها ولكن وفق منظور الشرعية وفي ضوء ما يخدم الإسلام والمجتمع عامة.

ويخلص بذلك إلى عدم صحة ما يتصوره قسم من المتصوفة من أن الشرعية قشر ظاهري ، لكن النورسي يدافع عن الطريقة ، مبينا أنه لا ينبغي أن تدان بسبب سيئات مذاهب ومشارب أطلقت على نفسها زورا إسم الطريقة وهي خارج دائرة التقوى ، بل خارج دائرة الإسلام فلو صرفنا النظر عن النتائج السامية التي توصل إليها الطريقة سواء الدينية أو الآخروية أو الروحية ونظرنا فقط إلى نتيجة واحدة منها ضمن نطاق العالم الإسلامي يرى أن:

¹ - بديع الزمان سعيد النورسي ، الملاحق في فقه الدعوة إلى النور ، ص 194.

² - بديع الزمان سعيد النورسي ، المكتوبات ، ص 583.

« الطريقة هي في مقدمة الوسائل الإيمانية التي توسع من دائرة الأخوة الإسلامية بين المسلمين وتبسط لواء رابطتها المقدسة في أرجاء العالم الإسلامي»¹.

ودفاعه عنها من جراء إدراكه للدور الذي قامت به في تاريخ الدولة العثمانية وتصديها للحركات التغريبية والهجمات الأوربية التي أرادت الإطاحة بالإسلام إذ يقول:

« كانت الطرق ومازالت كذلك إحدى القلاع الثلاث التي تتحطم على جدرانها الصلدة هجمات النصارى... فيجب ألا ننسى فضل أهل الطرق في المحافظة على مركز الخلافة الإسلامية إستانبول طوال 550 سنة برغم هجمات عالم الكفر وصليبية أوروبا فالقوة الإيمانية والمحبة الروحانية والأشواق المتفجرة من المعرفة الإلهية لأولئك الذين يرددون الله الله في الزوايا والتكايا المتممة لرسالة الجوامع والمساجد... حيث كانت تتبعث أنوار التوحيد في 500 مكان لتشكل بمجموعها أعظم نقطة إرتكاز للمؤمنين في ذلك المركز الإسلامي»².

ويؤكد النورسي أن الإلتزام في الطريق هو دليل على بلوغ الولاية الكبرى حيث يقول:

« الآداب الشرعية التي هي ثمرة الوحي أسمى وأعلى من آداب الطريقة التي هي ثمرة الإلهام ؛ لذا فإن أهم أساس للطريقة هو اتباع السنة النبوية المطهرة»³ ،

بل يضيف في موضع آخر قوله :

« إن اتباع السنة النبوية المطهرة هو طريق الولاية الكبرى، وهو طريق ورثة النبوة من الصحابة الكرام والسلف الصالح»⁴.

ومن خلال هذا فالنورسي يحذر من إنفصال الطريقة عن الشريعة ؛ لأن ذلك يعني تمزيق المنهج الشمولي لفهم الإسلام الكامل ، خاصة في عصره الذي هو عصر إنقاذ الإيمان ،

¹- نفس المصدر ، ص 574.

²- بديع الزمان سعيد النورسي ، المكتوبات ، ص 584-585.

³- نفس المصدر ، ص 584.

⁴- إحسان قاسم الصالحي ، بديع الزمان النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره ، المرجع السابق ، ص 95.

ولهذا نجده ينبه أرباب التصوف على المخاطر التي تحيط بمسلكهم حيث يقول في التلويح الرابع من المكتوب التاسع والعشرين :

« إن سلوك طريق الولاية مع سهولته هو ذو مصاعب ، ومع قصره فهو طويل جدا ، ومع نفاسته وعلوه فهو محفوف بالمخاطر ، ومع سعته فهو ضيق جدا ، فلأجل هذه الأسرار الدقيقة قد يغرق السالكون في هذه السبيل ، وقد يتعثرون ويتأذون ، بل قد ينكصون على أعقابهم ويضلون الآخرين»¹.

وبقوله أيضا :

« ينبغي ألا تتحول الطريقة والحقيقة من كونهما وسيلتين إلى غايتين بحد ذاتهما تستحوذان على قلب السالك وفكره ووجدانه فإن أصبحتا الطريقة والحقيقة مقصودتين بالذات فإن الاعمال الشرعية المحكمة وآداب السنة النبوية الشريفة تتحسر حتى تأخذ الدرجة الثانية من الإهتمام لدى السالك وتصبح صورة شكلية بإنشغال القلب بالتوجه إلى آداب الطريقة ورسومها ، أي أن المرء عندئذ يفكر بحلقة الذكر أكثر من تفكيره بالصلاة وينجذب إلى أوراده أكثر من إنجذابه إلى الفرائض ويلزم نفسه تجنب مخالفة آداب الطريقة أكثر من إلتزامه بتجنب الكبائر ، والحال ان أداء فريضة واحدة إلتزاما بالأوامر الشرعية لا يمكن ان يوازيها أوراد الطريقة أو تحل محلها. فأداب الطريقة وأوراد التصوف وما يحصل السالك منهما من أذواق ينبغي أن تكون مدخلا لأذواق أسمى وأعلى يحصل عليها السالك من أداء الفرائض والسنن ، أي ما يأخذ المرء من التكية من أذواق لا بد أن تكون إستهلالا لأذواق الصلاة التي يؤديها في الجامع ، بقيامه بأركانه وأدائها على الوجه المطلوب ، وإلا فالذي تشغله أذواقه في التكية عن صلاته في الجامع ، فيؤديها بسرعة بصورة شكلية لا حرارة فيها ولا روح إنما يبتعد عن الحقيقة»².

¹ - بديع الزمان سعيد النورسي المكتوبات ،المصدر السابق ، ص 575.

² - بديع الزمان سعيد النورسي ، المكتوبات ، ص 585.

المبحث الرابع : الطريقة وفوائدها ومزالق سالكي التصوف حسب النورسي

المطلب الأول : الطريقة وفوائدها عند النورسي :

يشير النورسي في المکتوب التاسع والعشرون في كتابه المکتوبات أن للطريقة عدة فوائد حيث يطلق على هذه الأخيرة إسم الثمرات ويبين لنا من خلال التلويح التاسع في المکتوب السالف الذكر أنها مجملا في تسع ثمرات وهي من الثمار الوفيرة للطريقة وفوائدها

« هي ظهور الحقائق الإيمانية وإنكشافها ووضوحها إلى درجة عين اليقين بواسطة الطريقة الصحيحة المستقيمة، 2- تحقيق الوجود الحقيقي للإنسان بإنسياق لطائفه جميعا إلى ما خلقت لأجله وذلك بأن تكون الطريقة واسطة لتحريك قلب الإنسان الذي يعبر مركزا لجسمه ولولبا لحركته وتوجيهه إلى الله ، فيندفع بهذا كثيرا من اللطائف الإنسانية إلى الحركة والظهور فتتحقق حقيقة الإنسان. 3- التخلص من وحشة الإنفراد والوحدة في السير والسلوك والشعور بالأنس المعنوي في الحياة الدنيا والبرزخ بالالتحاق بإحدى سلاسل الطريقة عند سيرها وتوجهها وسفرها نحو الحياة البرزخية ونحو الحياة الآخروية ، وعقد أواصر الصداقة والمحبة بتلك القافلة النورانية في طريق أبد الآباد ، فتندفع الأوهام و الشبه عن النفس بإستناد المرید إلى إجماعهم وإتفاقهم بإعتبار كل أستاذ مرشد حجة قوية وسندا لا يضعف في دفع الأضاليل والأوهام التي ترد إلى الذهن»¹.

«4- هي خلاص الإنسان من الوحشة الهائلة التي تكتنفه من حياته الدنيا والإنسلاص من الغربة الأليمة التي يحسها إزاء الكون ، وذلك بما تقوم به الطريقة الصائبة الصافية من تقجير ينابيع محبة الله ومعرفته في الإيمان وبأن سعادة الدارين واللذة لا يشوبها ألو الأناس الذي لا تخالطه وحشة والسعادة الحقيقية لا توجد إلا في حقائق الإيمان والإسلام التي تسعى الطريقة للوصول إليها ، وبأن الإيمان يحمل بذرة شجرة طوبى فالجنة فبالتربية الموجودة في الطريقة تنمو تلك البذرة وتكبر»².

¹- بديع الزمان سعيد النورسي ، المکتوبات ، ص 591.

²- نفس المصدر ، ص 591.

كما يشير النورسي إلى أن نيل مقامات التوكل لا يكون طريقا إلا لبلوغ السعادة والمعرفة الحقيقية والشعور بالحقائق اللطيفة في العبادات ولا يكون ذلك إلا من خلال دوام الذكر وبالتالي يعمل على تربية النفس والروح وتزكيتهما بدوام الذكر والتفكير والطاعة والتسليم وبالتالي نجاته من الرياء والشرك

« 5- نيل مقام التوكل ودرجة الرضى ومرتبة التسليم ، هذه المقامات هي السبيل إلى تذوق السعادة الحقيقية والتسلية الخالصة واللذة التي لا يشوبها حزن والأنس الذي لا تقربه وحشة 6- الشعور بالحقائق اللطيفة في التكاليف الشرعية وتقديرها بوساطة القلب المنتبه بدوام ذكر الله ، كما يعينه على ذلك المنهج التربوي للطريقة وبذلك تكون الطاعة والعبادة مثل إشتياق وحب ولا مثار تعب وتكليف.»¹

« 7- هي نجاة الإنسان من الشرك الخفي وراء الرياء والتصنع وأمثالها من الرذائل وذلك بالإخلاص الذي هو أهم شرط لدى سالك الطريقة وأهم نتيجة لها ، وكذا التخلص من أخطار النفس الآمرة بالسوء ومن أدران الأنانية بتزكية النفس التي هي السلوك العملي في الطريقة 8 - هي جعل الإنسان عاداته اليومية بحكم العبادات وأعماله الدنيوية بمثابة أعمال آخروية والإحسان في إستغلال رأس مال عمره من الحياة بدقائقها وجعلها بذورا تتفتح عن زهرات الحياة الآخروية وسنابلها. وذلك بدوام الذكرالقلبي والتأمل العقلي مع الحضور القلبي الدائم والإطمئنان بدوام شحذ الإرادة والنية الصافية والعزيمة الصادقة التي تلقنها الطريقة.»²

ويعتبر النورسي أن الإنسان الكامل إنما هو من كان بدوام عمل الطاعة لله في السلوك والسير من خلال تجلي الإخلاص التام حتى يصل إلى الإنسان المؤمن المسلم والصادق

« 9- هي العمل للوصول إلى مرتبة الإنسان الكامل وذلك بالتوجه القلبي إلى الله طوال سيره وسلوكه ، وأثناء معاناته الروحية التي تسمو بحياته المعنوية ، أي الوصول إلى مرتبة المؤمن الحق المسلم الصادق ، أي نيل حقيقة الإيمان والإسلام لا صورتيهما ، ثم أن يكون الإنسان عبدا خالصا

¹ - بديع الزمان سعيد النورسي ، المكتوبات ، ص 592.
² - نفس المصدر ص 592

لرب العالمين وموضع خطابه الجليل وممثلا عن الكائنات من جهة ووليا لله وخليلا له ، حتى كأنه مرآة عاكسة لتجلياته سبحانه وفي أحسن تقويم حقا فيقيم الحجة على أفضلية بني آدم على الملائكة»¹.

ومن خلال هذا يشير كذلك أنه بهذا يطير بجناحي الإيمان والعمل بالشرعية إلى المقامات العليا والتطلع من هذه الدنيا إلى السعادة الأبدية بل الدخول فيها وهو ما يطمح اليه المتصوفة .

المطلب الثاني: تصنيف النورسي لأهل الطريقة الذين هم خارج الشرع

إن تعدد الطرق الصوفية وتنوعها وانتشارها ، وبما تتضمنه من مسالك وصعوبات التي تعثر بها لا بد أن يجعلها تتفاوت في الطرق وتتمايز عن بعضها البعض باختلاف المسالك والمناهج والوصول الى معرفة الحقيقة ، ولولا هذا لما وجد هذا التنوع والتعدد في الطرق الصوفية ولا تتميز طريقة صوفية عن أخرى إلا بتعدد منهاجها التي تنتهجها ، بالرغم من هذا إلا أنه لا يعني بالضرورة أن كل هاته الطرق المتعددة قد تتبع في مسلكها ما يتفق مع الشرع أي قد تكون على درجة واحدة من المعرفة الحقيقة أو الوصول إلى الولاية والعرفان عن طريق الإعتماد المستند على الشرع ، فقد تكون هناك طرق تصنف ضمن الطرق التي لا تتفق مع الدين الإسلامي والتاريخ الصوفي يشهد على هذا كونها خارجة عما تتصف به تلك الطرق التي تنتهج النهج السليم والشرع لبلوغ الحقائق بطرق شرعية لا تتنافى مع الإسلام في مسلكها .

ولعل النورسي قد أشار من خلال مؤلفاته إلى هاته الطرق التي يعتبرها خارجة عن دائرة الشرع ، كون هذه الطرق قسما منها إما قد غلب عليه الحال والإستغراق والجدب والسكر ، أو يكون مغلوبا لسيطرة لطائف لا تنقاد للتكاليف الشرعية ولا تعير بالإرادة فتخرج بذلك عن دائرة الشرع ، كون أن أهل الجدب والسكر والإستغراق ليسوا مسؤولين عن مخالفاتهم لما في الإنسان من لطائف لا ترضخ للتكاليف الشرعية ، فعندما تتحكم فيه تلك اللطيفة لا يبقى مسؤولا أمام التكاليف الشرعية ، ومادام في الإنسان لطائف أخرى لا

¹ - نفس المصدر 293.

ترسخ لإرادة الإنسان كعدم رضوخها للتكاليف بل لا تنقاد لتدبير العقل ولا تدعن لأوامر القلب والعقل فلا بد من تلك اللطيفة عندما تستحوذ على شخص ما فإنه لا يسقط من مرتبة الولاية بمخالفة الشرع وإنما يعدوا معذورا في تلك الأثناء فقط بشرط أن لا يصدر عنه شيء ينافي حقائق الشرع وقواعد الإيمان إنكارا أو تزيفا أو إستخفافا وينبغي أن يصدق بأحقية الشرع وأن لم يكن يؤدي حقه حق الأداء وإلا غلبت عليه الحال وصدر منه التكذيب والإنكار لتلك الحقائق المحكمة .

من هنا فأهل الطريقة حسب النورسي والذي إعتبرهما خارجين عن دائرة ونطاق الشرع هما قسمان : قسم يغلب عليه الحال والإستغراق وقسم الأنواق والإلهام

« القسم الأول : قسم منهم إما يكون غلب عليه الحال والإستغراق والجذب والسكر ، أو يكون مغلوبا لسيطرة لطائف لا تنقاد للتكاليف ولا تعير بالا للإرادة فيخرج عن الشرع ، لكن هذا الخروج لا ينشأ من عدم الرضى بالشرع أو من رفض الأحكام الشرعية بل يترك تلك الأحكام إضطرابا دون إرادة منه ، فهناك بعض الأولياء وهم أولياء كبارا قضوا وقتهم فترة بينهم متلبسين بهذه الحال ، بل من هذا النوع من حكم عليهم أولياء محققون ، إنهم ليسوا خارجين عن دائرة الشرع وحدها بل منهم من هو خارج عن دائرة الإسلام .الا بشرط ألا يكذبوا بجميع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من أحكام مع أنهم لا يؤدون حقا إما لعدم تفكرهم بها أو لعدم إستطاعتهم التوجه إليها أو لعدم تمكنهم من معرفتها أو عدم فهمها ولكن إذا عرفها أحد منهم ورفضها فقد هلك»¹

« القسم الثاني : فهم المنجذبون لنشوة الأنواق البراقة للطريقة والحقيقة فلا يبالون بالحقائق الشرعية التي هي أرقى من مستوى مذاقهم ، ويعتبرها أحدهم غير ذات مذاق لعجزه عن بلوغها ، فيؤديها صورة شكلية وهذا يبلغ به الأمر تدريجيا إلى أن يظن الشريعة مجرد قشر ظاهري وأن ما وجده من الحقيقة هو الأساس والغاية والقصد فيقول : حسبي ما وجدته فيقوم بأفعال مخالفة لما يأمر به الشرع»².

¹- بديع الزمان سعيد النورسي ، المكتوبات ، ص 586.

²- نفس المصدر ، ص 586.

وبالتالي فأهل الطريقة الخارجين عن السنة المطهرة ومخالفتهم أيضا حسب النورسي لها جهتين ويصنفها كالآتي :

« الأولى : أن يجذب الولي لحاله ونهجه كإنجذاب الزمخشري¹ لمذهبه ، غير مهتم إلى حد ما بآداب الشرع التي لم يبلغ أذواقها بعد و الثانية : أن يظر الولي إلى آداب الشريعة أنها غير ذات أهمية أصلا بالنسبة لداياتر الطريقة وقواعدها ، لكونه قد عجز عن أن يستوعب تلك الأذواق الواسعة ، فمقامه القصير لا يستطيع أن يبلغ تلك الآداب الرفيعة»².

من خلال هذا نرى مدى إدراك النورسي ما تتضمنه الطرق الصوفية من إنحرافات قد تخالف الشريعة وبالتالي تخرجها عن دائرة الإسلام كله ، لهذا كان حريصا في مسلكه أن يكون في طريقه ومسلكه للوصول إلى المعرفة الحقيقية هي المعرفة الشرعية كما يسميها والتي تتفق مع ما نص عليه القرآن والسنة النبوية الشريفة حتى لا يغرق فيما غرقت فيه بعض الطرق الصوفية وبالتالي إبتعادها عن الحقيقة الشرعية. فالمعرفة الحقيقية الشرعية هي تلك الحقيقة المضبوطة بالوحي القرآني والذي يعتبر أسمى من تلك الإلهامات والأذواق الصوفية ، وعلى سنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم التي تعتبر تجسيد الجانب المعاملاتي في التعامل مع الحقائق الشرعية.

« لذلك فإتباع السنة المطهرة هو طريق الولاية الكبرى ، وهو طريق ورثة النبوة من الصحابة والسلف الصالح وأمع طريق موصلة إلى مرتبة الولاية من بين جميع الطرق بل أقومها وأغناها»³.

¹- الزمخشري : هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري جار الله ولد بزمخشر 467هـ - توفي 538 هـ ، من أصحاب المعتزلة شديد التعصب لمذهبه لا يكفره أهل التحقيق من أهل السنة ولا يدرجونه في صفوف الضالين رغم إعتراضاته القاسية عليهم، إمام عصره في اللغة والتفسير له " الكشاف عن حقائق التنزيل " " الفائق في غريب الحديث " و " المفصل " في النحو وأساس البلاغة وغيرها.

²- بديع الزمان سعيد النورسي ، المكتوبات ، ص 587-588.

³- نفس المصدر ، ص 581.

المطلب الثالث : مزلق سالكو التصوف عند النورسي

يشير "سعيد النورسي" من خلال تلويحاته حول التصوف إلى أن هناك مزلق يقع فيها سالكو هذا الطريق ، وذلك لعدم إتباعهم في هذا المسلك الطريق النبوي على الوجه الصحيح مما يدخلهم في مزلق وورطات كما سماها ويشير إلى هذه المزلق ويعددتها في ثمانية مزلق وورطات وهذا حسب قوله في التلويح الثامن من كتابه المكتوبات حيث يقول في التلويح الثامن مايلي :

إن الورطة التي يقع فيها سالكون من الطرق الصوفية مما لا يتبعون السنة النبوية على الوجه الصحيح ، حددها النورسي وحصرها في ثمانية مزلق وورطات هي كالآتي:

« أولا : إعتقادهم بأرجحية الولاية على النبوة ، فحين أن مدى سمو النبوة على الولاية وخفوت ضوء الأخيرة أمام نور النبوة الساطع .ثانيا : تفضيل قسم من المفرطين الأولياء على الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ، بل رؤيتهم في مرتبة الأنبياء، ويرى النورسي أن الأولياء لا يمكن أن يبلغوا مرتبة الأنبياء أصلا فضلا عن أن يتفوقوا عليهم ولا يمكنهم أن يبلغوا قطعا مرتبة الأنبياء.ثالثا : ترجيح بعض المتعصبين والمنطرفين جدا للطريقة لأوراد طريقتهم وآدابهم على أذكار السنة النبوية الشريفة ، فيسقطون بذلك الى منزلق مخالفة السنة النبوية وتركها في الوقت الذي يظنون متشبتين بأوراد طريقتهم أي أنهم يسلكون سلوك غير المبالي بآداب السنة النبوية الشريفة ، فيههون في الورطة ويشيرويستند النورسي في هذه النقطة الى كبارمحققي الطرق الصوفية كأمثال الغزالي والإمام الرباني بقولهم: " إن إتباع سنة واحدة من السنن النبوية يكون مقبولا عند الله أعظم من مائة من الآداب والنوافل الخاصة ، إذ كما أن فرضا واحدا يرجح ألفا من السنن ، فإن سنة واحدة من السنن ترجح ألفا من آداب التصوف «¹ .

كما يعتبر أن الإلهام هو عند المتصوفة من بعثه بمثابة وحيا الذي يعتبر أسمى من ذلك فهو يعتبره أمرا سلبييا وومن المزلق الخطيرة في الطريق الصوفي إذ يعبر النورسي بقوله

¹ - بديع الزمان سعيد النورسي ، المكتوبات ، ص 588.

« رابعا : إن بعض من المتطرفين من أهل التصوف يظنون خطأ أن "الإلهام"

هو بمرتبة "الوحي"، كما يعتبرون أن الإلهام نوعا من أنواع الوحي فيسقطون في هذا المزلق الخطير ... أن الوحي هو سام وعال وساطع وضاء وكلي شامل بينما الإلهام بالنسبة إليه جزئي خافت. خامسا : أن بعض من المتصوفين مما لم يدركوا تماما سر الطريقة في كونها وسيلة وليست غاية بحد ذاتها ، قد ينجذبون ويتوجهون إلى ما يفاض عليهم من الكرامات والأذواق والأنوار ، تلك التي توهب ولا تسأل إذ يمنحها الله سبحانه وتعالى لتقوية الضعفاء وتشجيعا للمتكاسلين ، وتخفيفا من المشقة والسأم ، الذي يعترضهم من شدة الإجهاد في العبادة ، فينجرون إلى تفضيل تلك الكرامات والأذواق والأنوار على فروض الدين والخدمة تحت لوائه وقراءة الأذكار والأوراد فسيسقطون في هذا المزلق»¹ .

وبالتالي يشير "النورسي إلى أن الدار الدنيا هي دار عمل للأخرة وليس للإستمتاع بها فقط

« أن هذه الدنيا هي دار خدمة وعمل وليس دار ثواب ومكافأة ، فالذين

يرغبون في قطف ثمار أعمالهم في هذه الحياة الفانية ، إنما يستبدلون المكافأة الدنيوية الفانية بثمار الآخرة الأبدية ، فضلا عن هذا أن هذا يدل على بقايا تعلق بالدنيا ورغبة في الإستمتاع بها ، ويكون هذا سببا في خفوت شوقهم وتطلعهم إلى الحياة البرزخية ، بل يريدون هذه الحياة ، إذ يجدون فيها نوعا من ثمار الآخرة»² .

«6- المزلق الذي يقع فيه قسم من سالكي الطرق الصوفية من غير أهل

الحقيقة ، عندما يلتبس عليهم الأمر فيتوهمون بأن ظلال مقامات الولاية ونماذجها المصغرة كأنها هي المقام الحقيقي والكلي والأصلي، ويشبه النورسي هذا بقوله في الكلمة الرابعة والعشرون من الكلمات " أن الشمس وإن تعددت صورها بتعدد المرايا التي تتعكس عليها فهذه الصور تملك ضياء الشمس وحرارتها ولكن ليس الضياء الأصلي نفسه ، ولا هي الحرارة نفسها فهي باهتة الأنوار بالنسبة للشمس الحقيقية ، كذلك فإن مقام النبوة ولمقام كبار الأولياء شيئا من الظلال التي يمكن لأهل الطرق أن يستظلوا بها ، لكنهم يظنون أثناء دخولهم فيها أنهم أعظم درجة من كبار الأولياء ، بل حتى من الأنبياء»³ .

¹ - بديع الزمان سعيد النورسي ، المكتوبات ، ص 589.

² - نفس المصدر ، ص 589.

³ - نفس المصدر ، ص 589-590.

كما يعتبر النورسي أن الشطحات والاذواق هي من بين المزالق الصوفية وذلك لأنه يرى أن هاته الشطحات والأذواق تدعوا إلى التفاخر وجذب المريدين بدل الشكر والحمد وبالتالي الدعاء الذي يعتبر عبادة لله والإستغناء عن الناس

«7- وهي المزلق الذي يقع فيه قسم من أهل الأذواق والأشواق من أصحاب الطرق عندما ينصرفون إلى الفخر والإدعاء وإشاعة الشطحات وطلب توجه الناس ونيل المرجعيات الدينية ، ويفضلون في هذه العجالات على الشكر والتضرع والحمد والإستغناء عن الناس ، بينما عبودية محمد صلى الله عليه وسلم هي أسمى مرتبة في العبودية ، تلك العبودية التي نستطيع وصفها بالمحبوبية أو عبودية المحبة،فأساس العبودية وسرها هو التضرع والحمد والدعاء والخشوع والعجز والفقر والإستغناء عن الناس وبهذا فقط يمكن الوصول إلى كمال تلك الحقيقة ، حقيقة العبودية»¹ .

ويذكر النورسي في هذه النقطة أنه لا يجب على المسلم السابق أن يتبع هؤلاء والإقتداء بهم لأنهم نموذج للفخر والطلب وهو ما جاء عكس ديننا الذي يناهز بالتضرع والشكر وبالتالي لا يصح الإقتداء بهم

« إن عددا من الأولياء الكبار إضطروا دون إختيار منهم لغلبة الحال وبشكل موقف فقط إلى الخروج إلى ساحة الفخر والطلب والشطحات ، لذا فلا يجوز إتباعهم إختيارا في حالهم هذه فهم مهتدون ولكنهم هنا في هذه النقطة بالذات ليسوا قدوة في الهداية ، لذا لا يمكن السير وراءهم والإقتداء بهم»² .

« وهي الورطة التي يتورط فيها قسم من المتعجلين والقاصدين المنافع الذاتية من أهل الطرق والذين يرغبون في تناول ثمرات الولاية في الدنيا بدلا من قطفها في الآخرة. وعندما يدل سلوكهم على هذه الرغبة وتتكشف نيتهم من خلال هذا السلوك يكونون فعلا قد أسقطوا في هذه الورطة ،

¹ - بديع الزمان سعيد النورسي ، المكتوبات ، ص 590.

² - نفس المصدر ، ص 590.

ويشير بهذا "النورسي" إلى الإستناد بآيات قرآنية كآية آل عمران الآية 185: "وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور"¹.

ومن خلال هذا نستنتج أن النورسي كان يرفض من كان كان يطلب الثمرات في هذا الطريق من كرامات، بل في حالة أعطيت له دون أن يطلب هذا أن يحمد الله ويشكره وهذا ما يعكس أن الطريق الصوفي عند النورسي هو خالي مما هو موجود في السابق لبلوغ كرامات معينة في مقابل هذا السير والرياضة الروحية وإنما اعظم الكرامات عنده إنما هي دوام الإلتزام بالشرع والسنة الشريفة كما أسلفنا سابقا .

ويشير "النورسي" إلى أنه يمكن تخطي هذه المزالق بقوله :

« ولإنقاذ أنفسهم من جميع هذه المزالق المذكورة سابقا ، عليهم أن يضعوا

أصول الإيمان وأسس الشرع نصب أعينهم ويتخذوها مرشدا دائما لهم ، وأن يخالفوا أذواقهم ومشهوداتهم وينهموها عند تعارضها مع تلك الأسس»².

وبهذا نستنتج أنه لا يمكن تخطي هاته المزالق والشبهات التي صاحبت الفكر والمنهج الصوفي إلا من خلال الإستناد على المرجعية الدينية الصحيحة ألا وهي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة الخالية من تلك النظريات والعقائد التي شوهدت جوهر التصوف وهو الأخلاق .

¹- نفس المصدر ، ص 591.

²- بديع الزمان سعيد النورسي ، المكتوبات ، ص 590.

خلاصة

لقد أراد النورسي أن يخاطب أكبر عدد من الناس ليبرز لهم حقائق الإيمان جلية ، ويحثهم بالتالي على إتباعها والتمسك بها والدفاع عنها في خضم الصراع مع التيارات الغربية المعادية للإسلام ولعله حقق في ذلك شيئا كثيرا وإن لم يكن كل ما أرادته وطمح إليه

وقد تبين أن النورسي لم يسع إلى إنشاء طريقة صوفية معينة وإن كان زاهدا وورعا دائم الذكر والعبادة. وإنما كان هدفه أبعد من ذلك وهو إعادة إحياء التصوف ومعالمة التي تميزت بها الحياة الروحية لدى المسلمين خلال المرحلة الأولى التي جاء بها وهي العمل به كمنهج تطبيقي وسلوكي بعيد كل البعد عن مجال التنظير فيه .

الفصل الرابع

الأبعاد ثنائية الشيخ والمريد وموقع الكرامات عند النورسي

تمهيد

إن النورسي يعتبر من دعاة الوسطية والإعتدال وإتباعه المنهج الصوفي ليبين تلك الحقائق الإيمانية والدعوة إلى التمسك بها في خضم الصراع القائم مع تيارات التغريب التي تعادي الإسلام ، وبالتالي إتبع المنهج الصوفي لترشيد عمله الذي كان بمثابة الدعوة ومن جانب آخر لما يتناسب مع إنسان العصر لتحقيق توازن روحي ومادي في آن واحد ، ولأن معرفة المنهج الصوفي الذي إتبعه النورسي خلال جهوده الإصلاحية من خلال توجيه خطابه المؤسس على منهج القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، ولإرتباط المنهج بالوسائل كان لا بد لنا من دراسة ومعرفة الوسائل التي إعتدها في منهجه وفي مساره الإصلاحي حتى نتلمس مدى تأثيرها على الآخرين بإعتبارها الحاملة لخطاباته للتأثير فيهم وتوجيههم التوجيه السليم ، كما أن لهذه الوسائل الإسهام الكبير في عملية التأثير على الآخر وبأنها تميزت بالتنوع والتعدد بحسب تعدد فئات المجتمع فلم يختص خطابه بفئة معينة بل كان شموليا وبذلك كان هناك تكامل بين تعدد الوسائل وفئات هذا المجتمع وهذا ما يعكس شمولية هذا المنهج في إيصال خطابه وفكره ، وبالرغم من تعدد فئات المجتمع و الوسائل إلا أنها كانت تتفق مع غايات وأهداف الفكر الإصلاحي الذي يعتبره النورسي بمثابة الدعوة كما سندرج في هذا الفصل علاقة التصوف بالكرامة وهي الجانب الأنثربولوجي حتى نعطي صبغة أنثربولوجية لبحثنا وبالتالي علاقة هذا التصوف بما يعرف بالكرامة في الفكر الصوفي وعرض بعض نماذج الكرامات عند النورسي ومن جهة أخرى ربط هذه الكرامة ببعض الأنماط الثقافية الأخرى تمارس داخل المجتمعات ذات الصبغة الصوفية كالإستدراج والرؤية كل هاته الأنماط الثقافية تعكس الجانب الأنثربولوجي وهو الجانب الذي يكشف عن المستور وعما هو غير مكشوف عنه داخل هاته المجتمعات بالرغم من تجسيدها وممارستها داخل النسيج الإجتماعي.

المبحث الأول : منهج ووسائل الخطاب عند النورسي

المطلب الأول : منهج الوسطية عند النورسي

إن الوسطية والإعتدال تحقق السعادة ، بحيث لا غلو ولا جفاء ، ولا إفراط ولا تفريط لقوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا ، إن الوسطية منهج رباني يمنع العبد من الظلم و الحيف إلى أحد الطرفين ، وإن من مميزات الإسلام أنه دين وسط ، فالوسطية إحدى الخصائص العامة للإسلام ظهر في سياق التطرف ومواجهة العنف الذي أصبح نهجا للعديد من الحركات الإسلامية

لذا فالوسطية منهج فكري يقوم على الإعتدال في كل أمور الحياة ، وهي إجتناّب كل مظاهر الغلو سواء في الفكر أو السلوك أو الممارسة .

« فالدين الاسلامي هو وسط بين اليهودية والنصرانية ، اليهودية التي حملت العلم وألغت العمل ، والنصرانية التي غالت في العبادة وأطرحت الدليل ، فجاء الإسلام بالعمل والعلم والروح والجسد والعقل والنقل »¹

كما أن الوسطية في الحياة الإنسانية تعتبر كمنهج يبعث السعادة ، فالوسطية في العبادات على سبيل المثال في الجانب الديني أنك لا تغالي فتنهك جسدك وتقضي على نشاطك ومداومتك ، ولا تجف فتطرح النوافل وتخدش الفرائض وتركن إلى التسويف ، وفي الجانب الإقتصادي إنفاقك ، فلا تتلف أموالك وتهلك دخلك ، وفي الجانب الإجتماعي وسط في خلقك بين الجد المفرط والين المتداعي بين العزلة المتوحشة وبين الخلطة الزائدة ، إن الوسطية تعتبر منهج الإعتدال في أخذ الأمور والحكم على الأشياء ومعاملة الآخرين فلا زيادة يطفوا بها كيل القيم ولا نقص يضمحل به أصل الخير ، لأن الزيادة ترف وسرف والنقص جفاء وحفاء.

¹- عائض القرني ، لا تحزن ، دار البرهان للنشر والطباعة والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، الطبعة التاسعة عشر ، 2006م ، ص 344.

فمن عرف حقيقة هذا الدين ، علم أنه جاء لتنظيم حياة الفرد أو العبد في قليلها وكثيرها صغيرها وجليلها وكل شيء عند بحسبان ، فمن الشرائع السماوية الدعوة إلى التنظيم والتنسيق والترتيب حيث قال بعض أهل العلم القرآن الكريم مبارك في تلاوته والعمل به .

وباعتبار أن النورسي كان مشربه من القرآن الكريم والسنة المطهرة الشريفة إلى أنه إستلهم منهج الوسطية والإعتدال ، بل كان من دعاة الوسطية والإعتدال في جميع مناحي الحياة الدينية نلاحظ في طريقته أنه إقتصر على العبادات المفروضة والأذكار بعد الصلاة كالإستغفار والإبتعاد عن الكبائر والموبقات السبع . وهذا ما يدل على أن من مظاهر الوسطية في الإسلام مايلي :

أولا : في العقيدة تتجلى في توحيد الله وإفراده بالعبودية، وتنزيهه عن الشرك .

ثانيا : في التشريع تتجلى في إباحة الطيبات وتحريم الخبائث، التوازن بين مطالب الروح والجسد والعمل للدنيا والآخرة .

ثالثا : في العبادات تكليف العباد بما يطيقونه – الترويح عن النفس وتجديد نشاطها بما أحل الله.

وإذا قارنا الوسطية بالخلو والتقصير نجد الأضرار التالية :

في شأن الخلو فإنه يسبب في إرهاق النفس وغالبا ما يفضي إلى الملل .في شأن التقصير فإنه يعطل النفس البشرية وقدراتها الطبيعية، ويفضي إلى عدم نشاطها ويفضي بها إلى الكسل والخمول

بينما نلاحظ أن من أثر الإلتزام بالوسطية والإعتدال إنما هو حدوث التوازن في الإنسان بين المادة والروح بحيث لا يطغى جانب على آخر المحافظة على حقوق الغير وهذا ما حث عليه النورسي من خلال خطابه بين تحقيق التوازن الروحي والتوازن المادي عن طريق تربية روحية بترسيخ حقائق الإيمان في القلوب والحث على التضامن والأخوة والمحبة والأخلاق الفاضلة بين الأفراد لبناء مجتمع قويم وسليم من الإنحراف ويحقق التوازن

الروحي والمادي الذي يشمل مناحي الحياة وذلك بأن يتحلوا بالإعتدال والوسطية في كل شيء سواء في الأكل أو الشرب أو الملابس أو العمل أو الإنفاق... الخ ولعل رسالة الإقتصاد هي النموذج الأمثل الذي يوضح معنى الإعتدال في المفهوم النورسي وقد أشرنا إليها في الأبعاد النورسي الإقتصادية ، ولهذا كان النورسي يعتبر أن الوسطية هي أنفع طريق في حياة الإنسان بكل جوانبها ومجالاتها المتعددة .

« فإن الوسطية والإستقامة هي أنفع طريق وأيسرها وأقصرها من بين جميع

الطرق المسلوكة في حياة الإنسان الشخصية والإجتماعية »¹

وما يبين أنه إنتهج الوسطية هو موازنته بين العلوم الحديثة والعلوم الدينية ومخاطبة العقل والقلب والروح وبعده عن الإفراط والتفريط إلا دليل على إنتهاجه مسلك الوسطية والإعتدال الذي يمثل تيار الفكر الإسلامي المعتدل ، فالوسطية بالمعنى النورسي هي منهج فكري أخلاقي وسلوكي . ولا يكون التوسط والإعتدال إلا بالإستقامة على أمر الله تعالى وطاعته من خلال الإلتزام بطاعة الله ظاهرا وباطنا، والبعد عن معصية الله ظاهرا وباطنا، دون ميل لا إلى إفراط ولا إلى تفريط ، لا إلى غلو ولا إلى تقصير، وبهذا فإن النورسي يرى أن الوسطية تمثل توازن عجيب بين الدين والدنيا ، فهو لا يطلب الحياة الدنيا على حساب الآخرة ولا الآخرة على حساب الدنيا. وهذا ما يعكس أن الوسطية التي نصت عليها الشريعة الإسلامية أنها تتسم بالمرونة، وقابلية تشريعته للتجديد، والتمشي مع مقتضيات العصر والحاجات والمسائل المستجدة في كل عصر.

المطلب الثاني : وسائل منهج الخطاب عند النورسي

إن محاولة بديع الزمان سعيد النورسي في عملية التجديد والإصلاح والنهوض بالأمة الإسلامية خاصة في المجتمع التركي من حيث الإيمان بالله وإعادة إحياء وتقوية الصلة به ، كانت تتجسد في رسائل النور التي نعتبرها في حد ذاتها وسيلة لنشر الدعوة الإسلامية التي لم تقتصر على طلاب النور وإنما تعدت إلى كل خادم القرآن الكريم في كل أنحاء

¹- بديع الزمان سعيد النورسي ، الشعاعات ، ص 650.

العالم الإسلامي ، ففي مضامينها تحوي رسائل إرشادية وواعظة تأسست على الأسس الإسلامية الصحيحة منبعها المصدر المقدس لدى العالم الإسلامي ألا وهو القرآن الكريم والسنة الشريفة المطهرة كترجمان وتفسير لما جاء في القرآن الكريم . كانت محاولاته بمثابة إرهابات قام بها في ظل ظروف صعبة تم فيها إستئصال الدين من المجتمع أي الواقع الإجتماعي التركي إن صح التعبير، بغية إنقاذ إيمان الناس وبالتالي إعادة إحياء معاني القرآن الكريم ومقاصده ذات الأبعاد الثلاثية المتمثلة في النفس والعقل والروح فهي منها غني جدا من منبع قرآني صاف ، وقد وصف بديع الزمان رسائله في هذا الصدد بقوله :

« إن رسائل النور لا تعمر تخريبات جزئية ولا ترمم بيتا صغيرا مهتما بل تعمر أيضا تخريبات عامة كلية وترمم قلعة عظيمة صخورها كالجبال تحتضن الإسلام وتحيط به ، وهي لا تسعى لإصلاح قلب خاص ووجدان معين بل تسعى أيضا وببديها إعجاز القرآن لمداواة القلب العام المجروح وضمان أفكار العامة المكلومة بالوسائل المفسدة التي هيئت له وركمت منذ ألف سنة ، وتنشط لمداواة الوجدان العام الذي توجه نحو الفساد نتيجة تحطم الأسس الإسلامية وتياراته وشعائره التي هي المستند العظيم للجميع و لاسيما عوام المؤمنين ، نعم إنها تسعى لمداواة تلك الجروح الواسعة الغائرة بأدوية إعجاز القرآن والإيمان»¹.

وبما أن الدعوة لا تقتصر على وسيلة واحدة وإنما تختلف ، وبإدراك النورسي لهاته النقطة فيما يخص إختلاف الوسائل لكن أن تبقى محافظة على نفس الأسس والغايات المحددة بالرغم من تعددها إلا أن مضمونها واحد تساهم في الكشف عن الحقيقة بوضوح. ونلاحظ أن "بديع الزمان سعيد النورسي" قد إعتد على العديد من الوسائل المختلفة لنشر أفكاره الإصلاحية والتجديدية لبلوغ غاياته من الدعوة ، ومن الملاحظ أنها تنوعت وذلك حسب الظروف الزمانية والمكانية التي كان يعايشها حتى في أزمامته وظروفه الصعبة ولكن لم تكن هاته الظروف تشكل عائقا أمام نشر أفكاره الإصلاحية وإنما بلغ به الأمر أن حول هاته الظروف والأزمات في حد ذاتها إلى وسائل لتبليغ

¹ - بديع الزمان سعيد النورسي ، الملاحق ، ص 118.

رسالته ونرى هنا اللمسة التجديدية حتى في الوسائل منها على سبيل التوضيح كيف جعل السجن الذي يعتبر كظرف قاهر وصعب على أي فرد تواجد به وحوله إلى وسيلة ومنبرا من منابر دعوته ومجهوداته الإصلاحية وأطلق عليها إسم المدرسة اليوسفية نسبة وتشبيها لسيدنا يوسف عليه السلام حينما كانت دعوته إلى الله داخل السجن وكيف أن هاته الدعوة كانت سببا لإرتقائه الروحي والذنيوي حتى أصبح عزيز مصر، بالإضافة إلى هذا نراه من خلال سيرته الذاتية كيف حول تلك المرافعات القضائية ضده في المحاكم كيف حول هاته المرافعات إلى دفاعات قوية بالحجج والبراهين المنطقية الإقناعية وبشجاعة أمام دعاة العلمانية .

فمن خلال متابعة سيرته الذاتية تبين لنا إنه إعتد وإستعان بعدة وسائل مختلفة تجاوبت مع الواقع والبيئة من أجل تحقيق أهداف دعوته كما نلاحظ تكامل هذه الوسائل فيما بينها وثنائها فقد تمثلت هذه الوسائل فيمالي :

المطلب الثالث : المناظرات العلمية والمحاورات:

إستعان بديع الزمان سعيد النورسي بالمناظرة والمحاورة ، حيث كانت بدايته مع ذلك مع علماء عصره وقد أشرنا إلى هاته النقطة في الفصل الأول الخاص بسيرته ، حيث كان يقوم بمناظرات علمية كما كان يناقشهم ويحاورهم ويجادلهم ويشير كذلك إلى تقصيراتهم باعتبار أن الدولة العثمانية آنذاك كانت تعيش ظروف صعبة وكان بحاجة ماسة إلى أهل العلم والدعوة ، ونلاحظ من خلال سيرته والتأمل فيها أن هاته المناظرة كانت لها عدة مناحي فلم تشمل المناظرات والحوارات العلمية فقط وانما شملت عدة حوارات ومناظرات في مواضيع عديدة منها الآتي :

الفرع الأول : حوار مع النفس : أطلق "بديع الزمان سعيد النورسي" عليها هذا الإسم بعد محاوراته مع نفسه يقول النورسي في حوار ه مع نفسه :

«يا نفسي الجزعة ! لقد إقتنعت قناعة تامة - بمئات من تجاربك- إن

المصائب الظاهرية ونتائجها تتشقق عن ثمرات عناية إلهية في منتهى اللذة. لما تنص عليه الآية

الكريمة ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾، تلقن درس حقيقة يقينية. تذكرني دائما هذا الدرس القرآني. ثم إن الناموس الإلهي الذي يدير عجلة الكون، ذلك القانون القدري الواسع العظيم لا يبذل لأجلك. إتخذي هذا الدستور السامي دليلا. "من آمن بالقدر أمن من الكدر". لا تلهي وراء لذائذ مؤقتة نافهة كالطفل الغرير. فكري دوما أن الأذواق الفانية تورث فيك حسرات وآلاما معنوية ، بينما الآلام والمشقات تورث لذائذ معنوية وأثوية أخروية. فإن لم تكوني بلهاء يمكنك أن تتحرري عن الأذواق الموقته للشكر وحده ، وما أعطيت اللذات إلا للشكر¹.

وفي محاوره أخرى يقول النورسي في موضع آخر :

« فيا نفسي المفتونة بتلك الأذواق ، ألا تزيل هذه الحالات تلك الأذواق كلها .يا نفسي ! ويا دواعي الحس الشقية العمياء ، المبتلاة بالأذواق ! لو إستمتعت بألوف أصناف المتع وتذوقت ألوف أنواع الأذواق الدنيوية فهي إلى زوال في هذا الوضع. بل يتحول ذلك الذوق ألما بعينه..»²

وفي حوار آخر أيضا يقول :

« يا نفسي لقد تجولت - أنت والروح والقلب - في هذه السنة ولمرة واحدة في أرجاء الماضي جولات حقيقية وخيالية لمشاهدة من تشتاقون إليه من المدن التي أمضيت فيها حياتي سابقا الممتعة.. فلم تشاهدي في أوطاني المحبوبة تلك إلا واحدا أو إثنين من الأحبة. أما الباقون فلقد إرتحلوا إلى عالم البرزخ، فلقد تبدلت لوحات تلك الحياة التي كانت تطفح باللذة والمتعة إلى لوحات أليمة تقطر الحزن والأسى»³.

ونستشهد بمحاوره وذلك بعد رجوعه من الأسر وإقامته عند ابن اخيه "عبد الرحمن" في قصر على قمة "جاملجة" في إستانبول وكانت هذه الفترة من حياته حياة مثالية من

¹ - بديع الزمان سعيد النورسي ، الملاحق ، ص 290.

² - نفس المصدر ، ص 293.

³ - بديع الزمان سعيد النورسي ، الملاحق ، ص 294.

الناحية الدنيوية ،بينما جرت محاوره مع نفسه أثناء نظره في المرآة وإمعان النظر في تلك الشعيرات البيضاء من رأسه إذ به يحدث نفسه قائلاً:

« ولكن النفس والشيطان، شنا هجوما عنيفا على العقل والقلب، وذلك بما أخذاه من تعليمات وتلقيه من دروس من أهل الضلالة والفلسفة، فبدأت المناظرة النفسية في هذا الهجوم حتى اختتمت- والله الحمد والمنة - بانتصار القلب وفوزه...قالت نفسي مستفسرة باسم العلوم المادية الفلسفية إن الأشياء الموجودة في الكون بطبيعتها تتدخل في الموجودات ، فكل شيء متوجه إلى سبب وصادر منه فالثمرة تؤخذ من الشجرة والحبوب تطلب من التراب فماذا يعني التضرع من الله وطلب أصغر شيء وجزئية منه سبحانه؟ انكشف حالا سر التوحيد بنور القرآن الكريم بالصورة الآية أجاب قلبي لنفسي المتفلسفة : إن أصغر شيء وأكثر جزئية إنما هو كأكبر شيء وأعظمه فهو يصدر من قدرة خالق الكائنات مباشرة ويأتي من خزينته سبحانه فليس هناك صورة قط ، وما الاسباب إلا ستائر»¹.

الفرع الثاني : حوار مع جميع فئات المجتمع : لم ينحصر حوار مع طلبته فقط أي طلاب النور وإنما تعدى حوار ليحاو جميع فئات المجتمع من نساء وشيوخ وأطفال وشباب ، وقد أدرجنا بعض من حواراته حسب كل فئة في المبحث الخاص بفئات الدعوة النورسي وذلك لتجنب تكرار نفس المعلومات.

الفرع الثالث : المناظرة الخارجية أي مع الأوروبيين والمتشككين يقول بديع الزمان :

« اعلم! يامن يشتغل بالمناظرة مع الملحددين والمتشككين والمقلدين للزنادقة الأوروبيين! إنك على خطر عظيم إن كانت نفسك غير مزكاة، لأجل إلتحاق نفسك سرا وتدرجا من حيث لا تشعر بخصمائك.. على أن المناظرة بالإنصاف المسمى بالتركي " بي طرفانة محاكمة" أشد خطرا على ذي النفس الأمانة »².

¹ - بديع الزمان سعيد النورسي ، اللغات ، ص 368.

² - بديع الزمان سعيد النورسي ، المثنوي العربي ، ص 213.

نستنتج من خلال ما قاله أن محاورة المجتمع الخارجي هي ضرورة حتمية لا تستطيع أن تتخلى عنها أي حضارة مهما بلغت وإرتقت من التقدم والسمو وتحت هذا المنطلق حدد النورسي شرطا مهما للمشتغلين بالمناظرة الخارجية ألا وهو تزكية النفس أولا وبالتالي يمكن أن يتحدى الفلاسفة الغربيين وكذلك علمائها وحكمائها.

الفرع الرابع : محاورته مع الكون : تمثل هذا على سبيل المثال في محاورته للشمس بقوله :

« إيه يا شمس! يا من تربعت على عرش جمال العالم! يا لطيفة السماء وزهراءها! يا من أضيفت على الأرض بهجة ونورا، ومنحت الأزهار ابتسامة وسرورا، فلقد منحت الدفء والنور معا لبيتي ومشتلي الصغير كما وهبت للعالم أجمع الدفء والنور»¹.

كما يشير في قول آخر الى محاورة الإنسان الكائنات وذلك من خلال قوله أثناء محاورتها قائلاً:

« ارفع رأسك يا أخي، وألق نظرة في الكائنات ،وحاورها... نعم! ان صوت الاشياء، صدى وجودها، يقول: انا موجود. وهكذا تتطرق الكائنات كلها معا وتقول: أيها الإنسان الغافل لا تحسبنا جامدات! فالطيور تتطرق، في تذوق نعمة، أو نزول رحمة فتزقزق بأصوات عذبة، بأفواه دقيقة ترحابا بنزول الرحمة المهداة. حقا النعمة تنزل عليها، والشكر يديمها، وهي تقول رمز: أيتها الكائنات! يا إخوتي! ما أطيب حالنا! ألا نرى بالشفقة والرأفة.. نحن راضون عما نحن عليه من أحوال.. وهكذا تبث اناشيدها بمناقيرها الدقيقة، حتى تحول الكائنات كلها الى موسيقى رفيعة»²

المطلب الرابع : المرافعات القضائية والسجن كوسائل لدى النورسي في خطابه

الفرع الأول : مرافعاته القضائية كوسيلة للخطاب النورسي

¹- بديع الزمان سعيد النورسي ،الكلمات ، ص 146.

²- نفس المصدر ، ص 890.

تمثلت في الدفاعات التي قدمها "النورسي" أثناء محاكمته المتكررة إما وحده أو مع طلابه مع العلم غياب وجود محامي مكلف بالدفاع عنه ، بالتالي " فالنورسي " كان يحزر مرافعاته بنفسه ليدافع عن نفسه وعن طلابه ولعل أول مرافعاته كانت في عهد السلطان "عبد الحميد الثاني" إبان فترة الإتحاديين وكان سبب محاكمته هو المطالبة بإصلاح التعليم عن طريق إنشاء جامعة شرقي الأناضول بإسم "مدرسة الزهراء" تم رميه في مستشفى المجانبيين وبعدها سيق إلى المحكمة العسكرية العرفية بتهمة مطالبته بعودة الشريعة الإسلامية ، وتجنباً لتكرار نفس المعلومات لقد أدرجت مرافعاته هذه في الفصل الثاني من سيرة "بديع الزمان سعيد النورسي" في محاورته مع رئيس المحكمة.

وهذا لا يعني أنه لا توجد مرافعات ضد التهم المنسوبة إليه بل سأذكر ما عرضه أمام محكمة دينزلي اسكي شهر المرافعة الثانية في محاكم دينزلي حيث وجه قوله إلى سيد رئيس المحكمة حيث تم إتخاذ ثلاثة أسس في قرار المحكمة : يقول المادة الأولى : في الجمعية

« إنني أشهد جميع طلاب النور الموجودين هنا وجميع من تحدثوا وتقابلوا معي وجميع من قرأوا أو استنسخوا رسائل النور، وتستطيعون أن تسألوا أنتم منهم بأنني لم أقل لأي أحد :أننا سنشكل جمعية سياسية أو طريقة نقشبندية، بل كنت أقول دائما :أننا نحاول إنقاذ إيماننا، ولم يجر بيننا حديث خارج عموم أهل الإيمان وخارج الجماعة الإسلامية المقدسة التي يربو عدد أفرادها على ثلاثمائة مليون مسلم، ولم نجد لأنفسنا مكانا خارج ما أطلق القرآن الكريم عليه إسم " حزب الله" الذي يجمع تحت ظل اخوة الإيمان جميع أهل الإيمان . ولأننا حصرنا جهدنا في خدمة القرآن فلاشك أننا من " حزب القرآن " ومن " حزب الله " فإن كان قرار الإتهام يشير إلى هذا فإننا نقر بذلك بكل خلجة من خلجات أرواحنا وبكل فخر وإعتزاز .أما ان كان يشير إلى معان أخرى فإننا لا نعلم عنها شيئا»¹.

« إن قرار الإتهام يعترف إستنادا إلى تقرير وشهادة شرطة قسطنطيني بأن "رسالة الحجاب" و "رسالة الهجمات الست وذيلها" وجدت داخل صناديق مغلقة ومسمرة وتحت أكوام

¹ - بديع الزمان سعيد النورسي ، الشعاعات ، ص 334

الحطب والفحم .أي لم تكن معدة للنشر أبدا . وقد مرت من تدقيق ونقد محكمة "اسكي شهر" وأدت إلى إصدار عقوبة خفيفة لي .ولكن الإدعاء العام الذي أخذ بعض الجمل من هذه الرسائل وأعطى لها مفهوما ومعاني غير صحيحة، يريد أن يرجع بنا تسع سنوات إلى الوراء وأن يحملنا مسؤولية جديدة حول ما سبق وإن عوقبنا من أجلها»¹

المادة الثالثة : وردت في قرار الإتهام وفي مواضع عدة عبارات أمثال يمكن أن يخل بأمن الدولة، أي تم وضع الإحتمالات والإمكانات محل الوقائع الثابتة وأنا أقول :

« إن من الممكن ومن المحتمل أن يقوم كل شخص باقتراف جريمة القتل، فهل يمكن إدانة كل شخص وتجريمه على أساس الإحتمال»².

كما دافع أيضا أمام محكمة "إسكي شهر" ومحكمة التمييز وآخرها كان في محكمة "الجزء الكبرى"، مما استدعى مثوله أمام هذه المحاكم للرد على كل الإدعاءات الموجهة إليه وبالتالي قدم "النورسي" مرفعاته ردا على هاته التهم المنسوبة إليه وبدلا من أن تكون وسيلة تدينه إلا أنه حول تلك المرافعات إلى جدال قائم بينه وبين القضاة والمدعي العام إلى منبر إعلامي يخدم دعوته ويشير ويؤكد هذا بقوله:

« لقد كنت أمل أن يهيء لي موضع لأبين فيه أفكاري وها قد أصبحت هذه المحكمة العرفية خير مكان لأبث منها أفكاري»³.

وللإطلاع أكثر على مرفعات "النورسي" أنظر صيقل الإسلام من الصفحة رقم 437 إلى غاية 474. المعنونة ب المحكمة العسكرية العرفية ديوان حرب عرفي أو شهادة مدرستي المصيبة التي طبعت سنة 1908م ، كذلك أنظر في مؤلفة السيرة الذاتية من الصفحة 446 إلى غاية 454 تحت عنوان دفاع الأستاذ النورسي.

¹- نفس المصدر ، ص 335.

²- بديع الزمان سعيد النورسي ، الشعاعات ، ص 335.

³- بديع الزمان سعيد النورسي ، صيقل الإسلام ، ص 440. أنظر أيضا : السيرة الذاتية ، ص 108.

الفرع الثاني : السجن كمدرسة يوسفية

إن الملاحظ في حياة بديع الزمان سعيد النورسي أنها كانت مقدره بالإبتلاءات والمحن والشدائد ، فمن خلال التأمل في سيرته أن معظم حياته تتأرجح بين السجن والنفي ، وبالرغم من هذا إلا أنها لم تشكل عائقا أمامه بل الجدير بالذكر أنه إستغل فترة الأسر داخل السجن في التأمل والتفكير والعبادة ، ولعل فترة الأسر التي دامت أكثر من سنتين من المراحل التي أثرت تأثيرا عميقا . وقد أطلق النورسي على هاته السجون التي كانت من أقداره على أنها "مدارس يوسفية " ، حيث جعل السجن الذي يعتبر كظرف قاهر وصعب على أي فرد تواجد به وحوله إلى وسيلة ومنبرا من منابر دعوته ومجهوداته الإصلاحية وأطلق عليها اسم المدرسة اليوسفية نسبة وتشبيها لسيدنا يوسف عليه السلام حينما كانت دعوته إلى الله داخل المسجن وكيف أن هاته الدعوة كانت سببا لإرتقائه الروحي والديني حتى أصبح عزيز مصر وإعتبره كمدرسة تربوية إرشادية توجيهية يلقي من خلالها دروس حول الصبر والثبات أمام المحن والإبتلاءات التي هي ضرورة حتمية للإنسان في الحياة الدنيوية في سبيل غاية سامية وبالتالي نشير إلى نقطة مهمة وأساسية وهي إعتبار وإستغلال "النورسي" السجن كوسيلة للتغيير والإصلاح بدل اليأس والقنوط وبالتالي نلاحظ جهوده الإصلاحية والتغييرية وكيف إستطاع تحويل هذه السجون إلى منابر للدعوة وإنقاذ الإيمان ومعرفة الحقائق الإيمانية وكيف حول هذه المعتقلات والسجون إلى - مدرسة يوسفية - على حد تعبيره وإستثمرها في إلقاء الدروس والمواعظ والإرشاد وهو يماثل دور الأستاذ الجامعي الذي يلقي الدروس على الطلبة ، حيث يعتبر أن المسجونيين يعدون بمثابة الطلبة فهم يحتاجون إلى الإرشاد والتوجيه وهم كذلك معنيين بالدخول إلى حظيرة إنقاذ إيمانهم كغيرهم من شرائح المجتمع التركي وكافة المسلمين جمعاء ومن هذا المنطلق ركز النورسي على جعل هؤلاء المسجونيين أفرادا نافعين للبلاد والعباد وينقذوا مستقبلهم وآخرتهم ، كما يعتبر أن هذه المدرسة يتوب فيها العاصون والظالمون ونستشهد بوصفه لهذه المدرسة بقوله في مؤلفه اللمعات بقوله :

« سجن دينزلي مثال واضح ونموذج جيد لهذا الكلام ، فما إن دخل طلاب النور ورسالة "الثمره" التي كتبت للمسجونين حتى تاب أكثر من مائتي سجين وتحلوا بالطاعة والصلاح وذلك في غضون ثلاثة أشهر أو تزي، حتى أن قاتلا لأكثر من ثلاثة أشخاص كان يتحاشى أن يقتل (بقة الفراش) ، فلم يعد عضوا لا يضر بل أصبح نافعا رحيما للبلاد»¹.

كما صرح بعض الشباب في السجن قبل أن يستلموا قرار المحكمة بقولهم :

« إذا لبث طلاب النور في السجن فسنحكم على أنفسنا وندينها لنظل معهم ونتتلمذ على أيديهم ونصلح أنفسنا بإرشاداتهم لنكون أمثالهم»².

ويعتبر "النورسي" أنه يجب قضاء العمر مهما كانت أحواله في الإشتغال على الآخرة

« إلى أن مضي العمر بالعناء والسجن يجب الرضا به لأن العمر لا يتوقف ، وأن زوال اللذة يورث الألم فلكون زوال الألم يورث لذة معنوية وأن مثل هذا العمر يعد نوعا من العبادة، لذل يظل باقيا من جهة فيجعل صاحبه يفوز بعمر خالد بثمرات خالدة ومن جهة أخرى يكون كفارة للذنوب السابقة وتزكية الأخطاء التي سببت السجن فمن زاوية النظر هذه على المسجونين الذين يؤدون الفرائض أن يشكروا الله تعالى ضمن الصبر»³.

ونلاحظ أن النورسي وجهوده الإصلاحية قد وجدت إستجابة سريعة داخل السجن وتجاوبها مع المساجين وندعم إستنتاجنا هذا بقوله :

« .. حتى أنه في سجن دينزلي قرأ الكثيرون سواء من المسؤولين أو غيرهم - دون علمنا - رسالة "الآية الكبرى" المطبوعة بسرية تامة فإزدادوا إيمانا وأصبحوا سببا لجعل مصيبتنا كأن لم تكن»⁴

¹ - بديع الزمان سعيد النورسي ، اللغات ، ص 400

² - بديع الزمان سعيد النورسي ، اللغات ، ص 401.

³ - نفس المصدر ، ص 402.

⁴ - نفس المصدر ، ص 404.

ويقول في نفس السياق أن السجن مدرسة يوسفية تشبها لسيدنا يوسف عليه السلام ودعوته في السجن وكيف غيرت مساره الديني والدنيوي بترقي روعي ودنيوي حيث أصبح وزير مصر

« أغائنتي العناية الربانية فحولت ذلك السجن الرهيب إلى مدرسة نورية فحقا إن السجن - مدرسة يوسفية - وبدأت رسائل النور في الإنتشار والتوسع حيث بدأ أبطال "مدرسة الزهراء" بكتابة تلك الرسائل بأقلامهم الأمامية حتى أن بطل النور إستنسخ أكثر من عشرين نسخة من رسالتي "الثمره" و "الدفاع" خلال مدة لم تتجاوز أربعة أشهر مع ضراوة الظروف المحيطة ، فكانت تلك النسخ سببا للفتوحات في السجن وخارجه وحول ضررنا في تلك المصيبة إلى منافع وبدل ضجرنا وحزننا إلى أفراح مبدية مرة أخرى سرا من أسرار»¹ الآية الكريمة «وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ»²

ويشير "النورسي" إلى أن السجن كان بمثابة خلوة مشابهة لخلوات الزهاد في المغارات والكهوف بالنسبة إلى طلاب النور وإستثمروها في إستنساخ رسائله حيث يقول :

« إن أعداءنا إنضموا إلى الرأي القائل لضرورة إخراجنا من السجن خوفا من سعة إنتشار الرسائل بين المساجين وسرعة إستجابتهم لها ليحولوا بيننا وبين السجناء. وقد حول تلاميذ النور تلك الخلوة المزعجة إلى ما يشبه كهف أصحاب الكهف ، أولئك الفتية المؤمنون ، أو ما يشبه مغارات المنزوين من الزهاد وسعوا بكل إطمئنان وسكينة في كتابة الرسائل ونشرها ... كل ذلك أثبتت العناية الإلهية كانت تمدنا وتغيثنا»³ .

ويعصف النورسي حاله بقوله :

« كنت أكرر وأقول في العشرين من عمري : سأنزوي في آخريات حياتي في مغارة مبتعدا عن الحياة الإجتماعية كما كان ينزوي الزهاد في الجبال، وكذا قررت عندما كنت أسيرا في شمال شرقي روسيا في الحرب العالمية الأولى أن أقضي بقية أيام عمري في الكهوف والمغارات ، منسلا

¹- بديع الزمان سعيد النورسي ، اللمعات ، ص 404.

²- القرآن الكريم ، سورة البقرة ، الآية 216.

³- بديع الزمان سعيد النورسي ، اللمعات ، ص 406.

من الحياة الإجتماعية والسياسية كفاني تدخلا ، فتجلت العناية الربانية وعدالة القدر - رحمة بشيخوختي - وحولتا تلك المغارات التي كنت أتصورها إلى ما هو خير وأفضل منها وبما يفوق كثيرا رغبتني وقراري ، حولتاها إلى سجون إنزواء وإنفراد ومنحتنا لي " مدارس يوسفية" بدلا عن تلك المغارات في الجبال والمنزوين وأهل الرياضة الروحية...حيث أن في تلك المغارات فوائد آخروية زيادة عما فيها من أداء مهمة الجهاد لأجل القرآن والحقائق الإيمانية...حيث البقاء في ردهات السجن أفضل»¹ .

من خلال ما تقدم نخلص إلى أن النورسي إستثمر السجن كوسيلة في منهجه الدعوي الإصلاحية وإعتبره كمنبر من منابر الدعوة ، أحسن إستغلاله لتمير فكره وتصورة من خلال الإرشاد والموعظة والتوجيه وبإلقاء الدروس الإيمانية ودروس والتربية الروحية ، كما أن طلابه إتخذوا من السجن وسيلة للدعوة ونشر رسائل النور التي إنتفع بها مئات الناس.

المطلب الخامس : المسجد والتأليف العلمي والكتابة من وسائل الخطاب عند النورسي.

الفرع الأول المسجد : بإعتباره مركزا أساسيا للمجتمع الإسلامي لا يتميز مجتمع الإسلام إلا به ، لما له من أدوار وأهمية على المجتمع الإسلامي، ولعل أول دور وأول رسالة للمسجد إقامة الصلوات ، وهي الركن الثاني من أركان الإسلام ، ومن هنا تأتي عظمة المساجد حيث أنها إختصت بقيام الركن الثاني الأعظم والأكثر أهمية بعد التوحيد وهو الركن الذي يتكرر في اليوم واللييلة خمس مرات ليجدد صلته بربه في كل حين وقت الصلاة والذي يعتبر تغذية روحية وفكرية ، فأول ما قام به نبينا خلال الهجرة إلى المدينة المنورة هو بناء مسجد جعله مكانا ومقرا للعبادة والتعليم وتهذيب الأخلاق وأصبح مركزا للإشعاع طوال العهود الإسلامية، كما نشير إلى أن دور المسجد في الدعوة والتعليم ، نلاحظ اليوم في العصر الحالي الأعداد الهائلة التي تتخرج من الجامعات والمعاهد من طلبة العلم والدعاة، لكن لو رجعنا بذكرتنا واطلعنا على تاريخ أمتنا الإسلامية وتصفحنا سير أولئك العلماء الذين لا يزال علمهم وميراثهم العلمي والدعوي يذكر إلى يومنا لوجدنا

¹ - نفس المصدر ، ص 407.

أن تخرجهم كان عن طريق المساجد والجوامع ولعل جامع الأزهر بمصر وجامع الزيتونة بتونس وجامع والجامع الأموي بدمشق كلها كانت محاضن للدعاة والصالحين ، إلى جانب الدور الإجتماعي إذ كان ملتقى الأفراد خلال الصلوات الخمس مما يوثق أواصر الأخوة والمحبة بالإضافة إلى التشاور والتفقد والتزاور والتكافل والتعاون ... الخ.

خلافا لسائر الأركان التي قد تكون في العام أو قد تكون في العمر كما في الحج وكذلك المنافع التي تتحقق من خلال الصلاة في المساجد من تذكير بكتاب الله - عز وجل - كما أشرنا سابقا للمنافع التي تحققها الصلاة في المساجد مما يدفع إلى التعليم للإنتظام والنظام في حياة الأمة، وإحياء لمشاعر الوحدة بين أبناء الأمة، وغير ذلك من المنافع.

لقد كان النورسي من السباقين لإستغلال المسجد في المجال الدعوي كوسيلة فعالة بالإضافة إلى ما تتركه الصلاة من آثار روحية في نفوس الناس . حيث سافر النورسي إلى الشام عام 1911م وقدم خطبة في الجامع الأموي وذلك باللغة العربية تلبية لإستدعائهم إليه ملبيا طلبهم ، إذ أطلق عليها فيما بعد "الخطبة الشامية" مخاطبا علماء الشام من خلال خطابه الذي شخّص فيه العالم الإسلامي وما يعانیه من أمراض روحية ومنه طريقة معالجة هذه الأمراض والتخلص منها لمواكبة العصر حيث لخص هذه الأمراض بمايلي :

أولا : اليأس وشفاهه الأمل حيث يقول :

« وإذا كان اليأس المدمر للروح البشرية يؤدي إلى القلق، الاضطراب، القنوط، الكسل، الشعور بالعجز، والانحطاط، فإن الأمل في المنظور النوري يبعث الحياة في الناس، ويدفع المؤمن بالعروج إلى الكمالات التي التي أودعها الله في قابليتهم واستعداداتهم، لأنهم هم الذين خلقوا في أحسن تقويم»¹.

ثانيا : الكذب ودواؤه الصدق يقول :

¹- توماس ميشيل: النظرة القرآنية للإنسان من خلال رسائل النور، ترجمة: رضا عامر، بحث القي في المؤتمر العالمي الخامس لبديع الزمان سعيد النورسي، شركة نسل للطبع و النشر و التوزيع، 2003 م، ص 407

« موت الصدق في الحياة الاجتماعية و السياسية، فما نلاحظه في الوقت الحاضر أن المسافة بين الصدق والكذب لا تتجاوز الأصعب، فكلاهما يباعان في سوق واحدة، إذ لم يحدث قط في أي وقت مضى أن إتسعت الشقة بين الصدق والكذب، إتساعه الذي حدث في عصر السعادة النبوية، فقد إنجلي الصدق ببهائه الحقيقي وبكمال الإحتشام والهيبة ،واعتلى محمد-صلى الله عليه وسلم-الصادق الأمين أعلى عليين الصادقين، وأوقع إنقلابا عظيما في العالم، فأظهر بعد الصدق عن الكذب بعد ما بين المشرق والمغرب»¹.

ثالثا : العداوة ودواؤها المحبة يقول النورسي :

« إن غرور الانسان وحبه لنفسه قد يقودانه أحيانا إلى عداة إخوانه المؤمنين ظلما ومن دون شعور منه، فيظن المرء نفسه محقا .. أجل إن أسباب المحبة هي الإيمان والإسلام والإنسانية وأمثالها من السلاسل النورانية المتينة والحصون المعنوية المنيعه، وإن أجدر شيء بالمحبة هي المحبة نفسها، وإن المحبة و الأخوة من طباع الإسلام وروابطه»².

رابعا : التشتت ودواؤها الإتحاد يقول :

« إن تكاسلكم وعدم مبالاتكم وتقاسعكم عن العمل لتحقيق الإتحاد الإسلامي والوحدة الحقيقية للأمة الإسلامية إنما هو ضرر بالغ وظلم فاضح»³.

خامسا : الإستبداد ودواؤه الشورى :

« إن رفع الإستبداد ، إنما يكون بالشورى والحرية الشرعية النابعة ممن الشهامة الإسلامية والشفقة الإيمانية ، تلك الحرية الشرعية التي تنتزىن بالآداب الشرعية وتنبت سيئات المدنية الغربية»¹

¹- بديع الزمان سعيد النورسي ، صيقل الإسلام ، ص 143.

²- بديع الزمان سعيد النورسي ، صيقل الإسلام ، ص 509،510.

³- نفس المصدر ، ص 511.

سادسا : الأناية والإنشغال بالمصالح الشخصية أي حصر الهمة في المنفعة الشخصية ودواؤها الإجتماعية ومراعاة بني جنسه

« من كانت همته نفسه فليس من الإنسان لأنه مدني بالطبع فهو مضطر لأن يراعي أبناء جنسه فإن حياته الشخصية يمكن أن تستمر بحياته الإجتماعية .. لعدم تمكنه من العيش بمفرده وهو مضطر إلى أن يعطي ثنا معنويا لدفع إحتياجاته ، لذا فهو مدني بالطبع فالذي يحصر نظره في منافع الشخصية وحدها إنما ينسلخ من الإنسانية ويصبح حيوانا مفترسا»².

هكذا إستغل النورسي المسجد أحسن إستغلال ، وأنه وسيلة لنشر دعوته لإعتباره مركز العبادة وبالتالي كمجال وكفضاء أكثر إستعدادا لربط الصلة بالله وتجديد الإيمان به ، وبالتالي كمركز إشعاع لبث التربية الروحية والفكرية وبناء الجانب الروحي وتهذيب الأخلاق لما له من تأثير على نفوس المسلمين .

الفرع الثاني : التأليف العلمي والكتابة

يعتبر التأليف العلمي إرثا فكريا وعلميا كبيرا وذو أهمية كبيرة بإعتباره أثارا يبقى ليستفيد منه أجيال متتالية، حيث أن التأليف هو عملية إيصال الجهد و النتاج الفكري من مرسل إلى مستقبل حسب مفهوم نظريات الإتصال ، ويعتبر الباب الرئيسي لنشر العلم والمعرفة ومصدرا أساسيا للحضارة الإنسانية كما يعد البنية الأساسية لتأسيس وتطوير العلم والتعليم بجميع أطواره ومجالاته المتعددة.

وعليه فرسائل النور هي مجموعة ضخمة من الرسائل التي ألفها، كما أن تأليفها عندما كان في السجن أو المنفى من عام 1926م حتى عام 1950م، وشملت تفسيرات قيمة لآيات القرآن وتوجيهات دعوية لإرشاد المسلمين باللغة التركية، وزاد عددها عن مائة وثلاثين رسالة وجمعت في كتاب تحت عنوان كليات رسائل النور من 9 مجلدات، ولم تطبع في

¹- نفس المصدر ، ص 514.

²- نفس المصدر ، ص 513، 514.

المطابع حتى عام 1954. وكانت هذه الرسائل تكتب وتنتشر بصورة سرية في وقته، حيث لاقت محاربة شديدة من قبل نظام الحكم العلماني السائد في تركيا في ذلك الوقت.

إن إكتسى التأليف والكتابة مكانة خاصة في حياة "النورسي" إن صح التعبير، إذ نلاحظ أنه كان من بين الوسائل التي لازمت حياته منذ بداية فترة شبابه إلى غاية آخر فترات حياته ، ولعل "رسائل النور" تمثل نموذجا متميزا في مجال الدعوة الإسلامية المعاصرة أو الحديثة وإعتبرها وسيلة فعالة وهامة في التأثير على المجتمع وهي الوسيلة الأكثر تأثيرا في خدمة دعوته بإعتبارها تمثل شخصه المعنوي وليس شخصه المادي الفاني وهي تختلف عن غيرها من المؤلفات، كما يمكننا إعتبار هاته الرسائل الضخمة بحد ذاتها دعوة مؤثرة على المجتمع وذلك لما سعت إليه في إعادة إحياء معاني القرآن الكريم من تذكير المسلمين بحقائق الإيمان التي جاء بها ديننا الحنيف. كما كانت سببا في هداية ودخول البعض إلى الإسلام مما يبين الدور الهام والفعال التي قامت به هاته الرسائل في الحركة الإصلاحية الإجتماعية والدينية ومنه تطور للنهضة الإسلامية. ويؤكد النورسي هذا بقوله :

« إن مما يثبت رسائل النور معجزة معنوية للقرآن الكريم في هذا العصر هو عدم إنهزام مسلك النور - رسائل النور - كسائر المسالك والطرق الصوفية ، بل إنتصاره وإدخاله الكثيرين من أهل العناد إلى حظيرة الإسلام»¹ .

إذ أنها كذلك على حد تعبير "النورسي" بمثابة معجزة معنوية :

« إن رسائل النور ليست طريقة صوفية بل حقيقة ،وهي نور مفاض من الآيات القرآنية و لم تستق من علوم الشرق ولا من فنون الغرب، بل هي معجزة معنوية للقرآن الكريم خاص لهذا الزمان»² .

ويقول في موضع آخر :

¹ - بديع الزمان سعيد النورسي ، الملاحق ، ص 260.
² - نفس المصدر ، ، ص 202.

« أما رسائل النور فلكونها معجزة معنوية للقرآن الكريم فهي تنتقد أسس الإيمان وأركانه ، لا بالاستفادة من الإيمان الراسخ الموجود ، وإنما بإثبات الإيمان وتحقيقه وحفظه في القلوب وإنفاذه من الشبهات والأوهام بدلائل كثيرة وبراهين ساطعة حتى حكم كلا من ينعم النظر فيها بأنها أصبحت ضرورية في هذا العصر كضرورة الخبز والدواء »¹.

وهذا لا ينفى أن الرسائل ذات بعد روحي فقط وإنما تعدت إلى المجالات الاجتماعية وحتى السياسية نتيجة لتطور النهضة الإسلامية وتأثيرها على الجانب السياسي ، وهذا ما تجسد في حزب "العدالة والتنمية" الذي تأسس سنة 2002م بقيادة رجب طيب أردوغان ورفيقه "عبد الله غول" في الإنتخابات الرئاسية 2007. وطور حزبه مستلهما خطته ونهجه من أجل التغيير الاجتماعي على أسس التي قامت عليها رسائل النور منها إعادة الإعتبار للغة العربية وتدریس القرآن في المدارس والحجاب التسامح... الخ ، فبرز هذا الحزب كتيار إسلامي معتدل وقرر عدم إستعادة تجربة السياسة الإسلامية الصدامية ،. أقرّ قانون يسمح بفتح معاهد إمام خطيب أمام من أنهى المرحلة الابتدائية، أي للطلاب من سن 11 إلى 15 سنة. وفي المدارس العادية،

« أدخلت مادة تعليمية حول حياة النبي محمد عليه الصلاة والسلام . معاهد "إمام خطيب" الحكومية تشبه المدارس العادية ولكنها تخصص 8 ساعات لتدریس القرآن أسبوعيا، و15 ساعة للغة العربية. أنشئت عام 1951م، كذلك، وقعت وزارة التربية بروتوكولا، مع مؤسسة "وقف الخيرات"، يهدف إلى تلزيمها إقامة دورات مجانية لتدریس القرآن واللغة العثمانية القديمة، كل هذه الخطوات أقرّت سنة 2012 التي اختتمت برفع السلطات التركية حظر ارتداء الحجاب في مدارس التعليم الديني وفي المدارس العادية خلال حصص التعليم الديني. هذا القرار يدخل حيز التنفيذ في السنة الدراسية القادمة»².

¹- نفس المصدر ، ص 105.

²- حسن عباس ، العدالة والتنمية الـ"أفتار" الخامس للإسلام التركي 24.05.2016 أنظر الموقع الإلكتروني : <http://raseef22.com/politics> يوم 2017-02-25

وعليه هكذا بدأت مسيرة مختلفة عنوانها نجاح الإسلام التركي ليعرب عن نيته تنشئة جيل من المتدينين والمحافظين. كما أن النورسي قد لخص مجموعة من الفوائد الأخروية والدينية التي يمكن إستخلاصها من رسائل النور مستلهما ذلك من خلال الحديثين الشريفين للرسول عليه الصلاة والسلام لقوله: " من تمسك عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد" و " يوزن مداد العلماء بدماء الشهداء" كما أكد كذلك طلابها عن تجربة وتصديقهم إياها، المكاسب المحققة عند الإشتغال بالرسائل .

سنقدم هذه الفوائد والمكاسب في الجدول التالي لأنواع العبادات وما يقابلها من فوائد ونتائج حسب "النورسي"¹ .

أنواع العبادات حسب النورسي	الفوائد الدنيوية حسب النورسي
1- أنها جهاد معنوي تجاه أهل الضلالة ذلك الجهاد الأهم.	1- البركة في الرزق
2- إنها خدمة لأستاذه ومعاونة له على نشر الحقيقة.	2- الإنشراح والسرور في القلب
3- إنها خدمة للمسلمين كافة من حيث الإيمان.	3- اليسر في المعيشة
4- إنها تحصيل للعلم والكتابة.	4- التوفيق في الأعمال
5- إنها عبادة فكرية التي قد تكون ساعة بمثابة سنة من العبادة.	5- المشاركة في الدعوات الخاصة لجميع طلاب النور بنيله فضيلة طالب العلم.

¹- بديع الزمان سعيد النورسي ، الملاحق ، ص 288.

أما النتيجتان المهمتان للعمل في رسائل النور للعمل بالقلم والتلمذ عليها تمثلت
حسب النورسي فيمايلي :

« حسن الخاتمة ، بل نيل حياة الشهداء فيعالم البرزخ إن وفق إلى ذلك وأوتي
حظا عظيما الإشتراك بالمكاسب المعنوية لجميع طلاب النور ، بمقتضى الإشتراك المعنوي ضمن دائرة
رسائل النور ونيل حظهم من حسناتهم جميعا»¹

فرسائل النور كمؤلف يمكن إعتبارها موسوعة إيمانية ضخمة تحت على التفكير والتدبر
لتركها آثارا روحية تنعكس على الفرد ، بحيث تجعل الإنسان مجردا من الأحاسيس
الدنيوية ، فبالمعنى الصوفي إدراك بالذهن دون الحواس فيما يخص الإيمان والمعرفة
الإيمانية وبالتالي توجيهه إلى عبادة خالقة عبادة دائمة وخالصة. مما تجعل الإنسان يسمو
عن الأخلاق الرذيلة التي تنبع من نفسه الأمانة بالسوء. وهذه الأخيرة هي ما يشتغل عليها
الكثير من الصوفيين عند إتباع الطرق الصوفية من أجل تركيتها أو ما يعرف ويصطلح
عليه بالتربية الروحية.

كما يقول النورسي :

« لذا ما ينبغي قراءة رسائل النور كسائر العلوم والكتب ، لأن فيها من علوم
الإيمان الحقيقي لا يشبه العلوم والمعارف الأخرى ، فهي نور وقوة ممددة لكثير من اللطائف الإنسانية
فضلا عن العقل»².

المبحث الثاني : غايات وأهداف النورسي من خلال خطابه :

إن التطبيق الذي يمثل الميدان الواقعي المستمد من الإسلام منهاجا له ، صيغت به هذه
الأحوال صور حية ، مادام هناك إلتزام بدين الله الحق الإسلام وهو الذي يصيغ الحياة
الإسلامية الفاضلة وبه تقوم الحضارة الإنسانية المستقبلية. إن هذا التفوق والإمتياز والتفرد
والإنجاز في الحضارة الإسلامية ، وهو لا يرد إلى أفراد وجماعات بذاتهم أو بيئة معينة أو

¹- بديع الزمان سعيد النورسي ، الملاحق ، ص 288.

²- بديع الزمان سعيد النورسي ، الملاحق ، ص 262.

ظرف طاريء ، بل إلى سبب آخر جليل متميز ومعجز تتفتح دائرته زمانا ومكانا وتتسع مواقعها ، إنسانا وميدانا ويتوفر بتوفره مجتمع متحضرا فردا وجماعة ودولة ، توفرا يتجاوز المكان والزمان وبه يتواجد في كل الظروف والأحوال به توفرا في الماضي ولولاه ما كان وبه يتوفر المستقبل وبدونه أبدا لا يكون ، لذلك فالبناء الحضاري مرتبط بالدين .

« البناء الحضاري الشامخ للإنسان وحياته المتحضرة كان بهذا الدين وحده بكل ما فيه من عقيدة وعبادة وشعائر وشرائع، إنه الإسلام الذي أوحاه الله تعالى قرآنا مبينا - نصا ومعنى- وسنة بكل صورها إلى خاتم النبيين محمد عليه الصلاة والسلام ليبلغه إلى الناس كافة ويقوم في حياته عليه الصلاة والسلام ذلك المجتمع الواقعي المثالي وهو معجزة في تعاليمه وقيامه وشريعته الربانية ومنهجه الإلهي في توجيهاته و إرشاداته في أوامره ونواهيه في حدوده وقيوده بل وشامل فيه بتناسق رائع وعمق أصيل متوازن في عمقه وشموله و إنسانيته وعالميته»¹.

فالحياة الإسلامية وحضارتها الإنسانية قد أطرتها وصاغتها نصوص الشريعة ، وبنت الإنسان عليها ليعبر عنها في تصرفاته وجوانب حياته السلوكية والفكرية. فالمسلم يتغذى و يحيا بالقرآن الكريم و سنه رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام ، أسلوبا مطلوبيا لإلتزاما وإحتراما إرتواءا و إقتداءا في كل أفعاله وأحواله وتعامله وتناوله طريقة يتبعها ومنطلقا يحركه يقيم به حياته.

لا شك في أن النورسي إهتم بهذا الجانب و لم يغفل عنه في منهجه الدعوي أو حركته الدعوية ، و التي لم تتأتى من العدم بل من خلال وعيه بطبيعة أولا المرجعية الدينية الإسلامية و بالتالي خصوصياتها و مميزاتها ، و ثانيا من جهة أخرى وعيه بطبيعة الواقع الانساني و الواقع المعاش الذي تجسد في مجتمعه بصفة خاصة ، حيث كانت أهدافه ذات أبعاد متعددة وفي نفس الوقت ذات أهمية كبيرة بالنسبة للفرد بصفة خاصة وبالتالي تأثيرها على المجتمع بصفة عامة .

¹- عبد الرحمن على الحجر ، أضواء على الحضارة والتراث ، شركة الشهاب للنشر والتوزيع ، الجزائر ، بدون طبعة ، بدون سنة نشر ، ص 17.

لعل الملاحظ في كل عمل دعوي أو لكل عمل إصلاحي وضع أهداف وغايات أو مقاصد يسعى الى تحقيقها من أجل وضع حلول وتقديمها من أجل مجابهات تلك التصدعات والأزمات و المشاكل التي يعاني منها الفرد و التي بدورها تنعكس على المجتمع.

إن السعي لتحقيق الأهداف و الغايات ليس بالأمر الهين الذي يصل إليه كل عمل دعوي أو عمل إصلاحي تغييري ، ولعل الوصول اليها لا يكون إلا من وخلال وضع مناهج وخطط للوصول اليها ، وهي في حد ذاتها غايات منشودة في جل الاعمال الدعوية وبالتالي تلك الحركات الإسلامية الإصلاحية (التغييرية) من أجل النهوض بالأمة من أزماتها والوصول بها إلى مستويات عالية وراقية على مستويات جميع المجالات والأصعدة سواء كانت دينية (روحية عقدية) ، سياسية ، إجتماعية ، ثقافية ، إقتصادية ، أخلاقية ... الخ .

يتبن لنا أن المنهج النورسي يظهر بدون شك ثابتا من حيث الأهداف في جميع المراحل التي عايشها ، وهي عبارة عن أهداف إستراتيجية يمكن أن نستنتجها ونلخصها في نقطتين أساسيتين كالآتي :

الدفاع عن القرآن الكريم وتعاليمه الدينية وبالتالي دفع تلك الشبهات التي تمس العقيدة و الدعوة إلى تبني الإسلام شريعة شاملة كاملة وتوحيد الشعوب الإسلامية في إطار سياسي بحيث يضمن لها مكانة بين شعوب العالم .

غير أن تحقيق هذه الأهداف الإستراتيجية بعيدة المدى التي رسمها من خلال دعوته لا تأتي دفعة واحدة وإنما وفق أهداف مرحلية تتحدد وفقها تلك الأهداف الإستراتيجية.

سوف نعرض تلك الأهداف وفقا لأهميتها كالتالي :

المطلب الأول : أبعاد الخطاب ذات البعد الديني " الجانب العقدي "

الفرع الاول : العمل على ترسيخ العقيدة في القلوب

إن المنظور النورسي رأى أن أكبر خطر يهدد المسلمين في هذا العصر هو فساد القلوب نتيجة العلوم والفلسفة الضالة ، حيث يقول في هذا الصدد :

« إن أعظم خطر على المسلمين في هذا الزمان هو فساد القلوب وتزعزع الإيمان بضلال قادم من الفلسفة و العلوم وأن العلاج الوحيد لإصلاح القلب وإنقاذ الإيمان إنما هو النور وأراءة النور... فصولجان السياسة إذا لا يصلح القلب في مثل هذا الوقت حيث ينزل الكفر إلى أعماق القلب ويتستر هناك وينقلب نفاقاً»¹.

من خلال هذا يتبين لنا أن النورسي كان صائباً وحكيماً في إدراكه لهذا الخطر و وضع يده على الداء وتشخيصه له بتلك الإنعكاسات التي أصابت بنية الفرد المسلم الإيمانية خاصة ، كنتيجة حتمية فيما يخص الغزو الفلسفي الغربي في مجتمع أصبح ينادي و ينتهج منهجا علمانيا كآسلوب للحياة ، وهذا ما ميزته تلك الفترة التي عايشها النورسي في الدولة العثمانية . كما إعتبرها فترة مؤامرة على الإسلام كعقيدة وكشريعة ، حيث جندت كل الوسائل وسخرت من أجل القضاء وقطع صلة المسلم بالإسلام ودينه وبالتالي ما يترتب عليه من قطع صلته بربه فكانت الدائرة الإيمانية مهددة بالإنحراف و التشويه. بل بإقتلاعها من المجتمع .

ومن خلال هذا المنطلق وجه النورسي كل جهوده الدعوية من أجل إنقاذ هذا الإيمان ، حيث وجه تركيزه في مسيرته الإحيائية على أولويات إنقاذ الإيمان الذي بدوره يعمل على إحياء الشعائر الإسلامية وبالتالي إقامة الشريعة الإسلامية لتنفيذ أحكام القرآن ، بإعتبار أن هذه الأولويات لا يوافق تطبيقها طبيعة المجتمعات في التغيير كان عليه أن يبدأ بإنقاذ الإيمان ، يقول النورسي في هذا الصدد :

« نعم إنه ينبغي لهذا لعصر من مجدد له شأنه ، ليقوم بتجديد الدين والإيمان وتجديد الحياة الإجتماعية والشريعة وتجديد الحقوق العامة والسياسة الإسلامية ولكن أهم تلك الوظائف هو التجديد في مجال المحافظة على الحقائق الإيمانية فهي أجل وأعظم تلك الوظائف الثلاث ، لذا تبقى دوائر الشريعة والحياة الإجتماعية والسياسية في الدرجة الثانية والثالثة والرابعة بالنسبة لدائرة الإيمان»².

¹ - بديع الزمان سعيد النورسي ، اللغات، ص158.

² - بديع الزمان سعيد النورسي ، الملاحق ، ص 196.

ويرى النورسي إن أعظم إحسان أعده في هذا الزمان وأجل وظيفة هو إنقاذ الإنسان لإيمانه والسعي لإمداد إيمان الآخرين بالقوة ، وكان يعتبر أن إنقاذ الإيمان يتلخص في وظيفتين تتمثل فيمايلي:

الوظيفة الاولى : إنقاذ الايمان وذلك عن طريق دحض الفلسفة المادية والفكر المادي لإنتشارها وإستيلائها على الأذهان ، ونلاحظ من خلال مسيرته وما ألفه من تجربته الروحية كيف أن النورسي عمل على إبطال هذا المفهوم المادي للطبيعة في مقابل ذلك دعوته إلى تقوية الإيمان في النفوس وبالتالي دفع الضلالات والشبهات التي يثيرها أعداء الإيمان، ويقول في هذا الصدد متحدثا عن وظيفة إنقاذ الإيمان:

« إنقاذ الإيمان ، وذلك بالقيام بدحض الفلسفة والفكر المادي قبل كل شيء ، لإنتشار أفكار الماديين والطبيعيين إنتشار الطاعون في البشرية واستيلاء العلوم والفلسفة المادية على الأذهان»¹

ويتعمق أكثر قائلا :

« إن حفظ أهل الإيمان من شرور الضلالة ، يقتضي إجراء تحقيقات علمية واسعة وأبحاث متواصلة دائبة ، التي تتطلب التجرد من هموم الدنيا ومشاغها تجردا كاملا ، ولا يسمح الوقت والأحوال لقيام "السيد المهدي" بمهمته هذه بالذات، لأن أعباء الحكم في الخلافة الإسلامية لاتدع وقتا للإشغال بتلك الأمور، فلا بد أن تنهض -بتلك المهمة- قبله طائفة في جهة ما .وسيجعل "السيد المهدي" ما دونه هؤلاء من أثر منهاجا معدا له ، فيكون قد أدى تلك المهمة على أتم وجه»².

إن القوة التي تستند إليها هذه الوظيفة وجيشها المعنوي ، ما هم إلا طلاب يتصفون إتصافا تاما بالإخلاص والوفاء والترابط فهما كانوا قلة فهم يعدون بقوة الجيش وأهميته .

أما الوظيفة الثانية :

¹- بديع الزمان سعيد النورسي ، الملاحق ، ص 314.

²- نفس المصدر ، ص 314.

إحياء الشعائر الإسلامية بإسم الخلافة المحمدية من خلال إرساء عقيدة التوحيد وتخليصها من الشوائب وأولها التوحيد ليحمي الإيمان بالله الواحد ثم النبوة والحشر والعدل فهذه المقاصد الأربعة هي عناصر القرآن الأساسية، إذ يقول :

« إحياء الشعائر الإسلامية بإسم الخلافة المحمدية وإنقاذ البشرية من المهالك المادية والمعنوية والغضب الإلهي مستندا إلى وحدة العالم الإسلامي ويسعى "السيد المهدي" لإقامة الشريعة الإسلامية وتنفيذ أحكام القرآن بعد أن لحق العطب بتطبيق كثير من أحكام القرآن ، وبعد أن عطلت القوانين الشرعية بعض التعطيل ، من جراء الانقلابات التي حصلت بمرور الزمن، فيحظى لأداء مهمته الجسيمة هذه بالتأييد المعنوي من جميع المؤمنين وبمؤازرة الوحدة الإسلامية وبالتحاق جميع العلماء والأولياء به ولاسيما ملايين الأبطال المضحين من آل البيت الذين يوجدون بكثرة وبقوة في كل عصر من العصور ، فيشدون جميعهم أزره ويسندون ظهره في سبيل قيامه بهذه الوظيفة العظيمة»¹.

« و إعتبره أعظم إحسان في هذا الزمان، بل جعله خيرا من ألوف الأذواق، فكان مفهومه للإيمان بسيطا لا يحتاج إلى جهد لفهمه، عميق في دلالاته، بعيد في رؤيته، ضارب في أعماق الوجدان»².

كما أن التصوف هو الإحسان الوارد في حديث جبريل على حد تعبير أبي بكر جابر الجزائري حيث يقول:

« أن التصوف إذا يقابل الإيمان والإسلام وأ نه غير محدث وإنما المحدث فيه إسمه ، وأن أخلاق السادة الصوفية هي أخلاق القرآن والسنة وأخلاق الرسول والسلف الصالح ، ولهذا يجب التمسك بالكتاب والسنة عقيدة وعبادة وخلقا ومعاملة»³.

¹- بديع الزمان سعيد النورسي ، الملاحق ،المصر السابق ، ص 315.
²- شفيح الماحي، البعد الإيماني في فكر النورسي ، مجلة الشريعة الإسلامية، العدد 39 ، 1420هـ ، ص 129 (بتصرف).

³- أبير بكر جابر الجزائري ، من رسائل الدعوة وجاءوا يركضون مهلا يا دعاة الضلالة ، مدرسة الجامعة الإسلامية و الواعظ بالمسجد النبوي الشريف ، 1406هـ ، ص 152.

من خلال ما سبق يمكن لنا أن نستخلص أن النورسي وتركيزه على إنقاذ الإيمان كوظيفة عظمى كان مشابها تماما مع واقع السنة النبوية الشريفة وذلك من خلال إرساء دعائم الإسلام وترسيخها منذ البداية الأولى بمكة ، حيث أن الرسول عليه الصلاة والسلام كرس حياته من أجل ترسيخ الإيمان والعقيدة من أجل بناء الإنسان المسلم الذي يتقبل بإيمانه بإقامة الشعائر وتنفيذ أحكام ما جاء به القرآن ، ولم تكن له عليه الصلاة والسلام بدايات بالزوايا التشريعية والاجتماعية والسياسية... الخ إلا بعد أن ثبت أسس ودعائم الإيمان في قلوب المؤمنين و إستقراره بالمدينة المنورة حيث المجتمع الإسلامي الجديد.

ومن هنا كانت رسالات الانبياء قاطبة لإيقاظ العقول والقلوب إلى عقيدة التوحيد والعمل على ترسيخها في النفس باعتبارها الفطرة التي فطر الله بها الناس لقوله تعالى:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ

النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾¹.

وبهذا نلاحظ كيف أدرك النورسي أن ترسيخ الإيمان في القلوب لا يكون إلا عن طريق تربية النفس على الإيمان وبالتالي ضرورة بناء ذلك الجانب الروحي على دعائم الإيمان و أركانه في حياة الإنسان على العموم والداعية على وجه الخصوص بمنهج تجديدي مبني على الدلائل العلمية العقلية الى جانب هذا الوجدانية وبهذا يكون مبتعدا عن منهج كل من الفلاسفة وعلماء الكلام المؤسس على البراهين العقلية ومنهج المتصوفة المؤسس على البراهين العاطفية أو الوجدانية .

وقد بين النورسي الأبعاد المتعددة لوظيفة الإيمان خاصة تلك المتعلقة بالجانب الروحي حيث أكد أن لكل ركن من أركان الايمان ثمرات لا حد لها ، فيقول في هذا الصدد : " نبين من آلاف محاسن الإيمان خمسة محاسن فقط في خمسة نقاط :

النقطة الأولى : أن الإنسان يسمو بنور الإيمان في أعلى عليين؛ لأن الإيمان إنتساب، و يبرهن النورسي هذا بقوله :

¹ - القرآن الكريم ، سورة الروم ، الآية 30.

« فالإيمان إنما هو انتساب، لذا يكتسب الإنسان بالإيمان قيمة سامية من حيث تجلي الصنعة الإلهية فيه، وظهور آيات نقوش الأسماء الربانية على صفحة وجوده، أما الكفر فيقطع تلك النسبة وذلك الانتساب، وتغشي ظلمته الصنعة الربانية وتطمس على معالمها؛ فتنقص قيمة الإنسان حيث تنحصر في مادته فحسب، وقيمة المادة لا يعتد بها، فهي في حكم المعدوم؛ لكونها فانية وزائلة، وحياتها حياة حيوانية مؤقتة»¹.

أولاً : أن الإيمان ينور الكائنات أيضاً، و ينقذ الزمان الماضي و المستقبل من الظلمات.
وثانياً : أن الإيمان نور و قوة و يبين النورسي ذلك :

« فالإنسان الذي يظفر بالايمن الحقيقي يستطيع أن يتحدى الكائنات ويتخلص من ضيق الحوادث، مستندا إلى قوة إيمانه فيبحر متفرجا على سفينة الحياة في خضم أمواج الأحداث العاتية بكمال الأمان والسلام قائلاً: توكلت على الله ويسلم أعباءه الثقيلة أمانة إلى يد القدرة للقدير المطلق، ويقطع بذلك سبل الدنيا مطمئن البال في سهولة وراحة حتى يصل إلى البرزخ ويستريح، ومن ثم يستطيع ان يرتفع طائرا إلى الجنة للدخول إلى السعادة الأبدية ، فالإيمان إذن يقتضي التوحيد، والتوحيد يقود إلى التسليم، والتسليم يحقق التوكل، والتوكل يسهل الطريق إلى سعادة الدا رين»².

النقطة الرابعة : أن الإيمان يجعل الإنسان إنسانا، و بقوله :

« إن الايمان يجعل الانسان إنسانا حقا، بل يجعله سلطانا لذا كانت وظيفته الأساس: بينما الكفر يجعل الانسان حيوانا مفترسا في غاية العجز، ويضيف كذلك بأن أن التفاوت بين مجئ الحيوان والانسان إلى هذه الدنيا يدل على أن اكتمال الإنسانية وارتقاءها إلى الإنسانية الحقة إنما هو بالايمن وحده... إذن الوظيفة الأساس للحيوان ليست التكمل و الإكتمال بالتعلم، ولا الترقى بكسب العلم والمعرفة، ولا الاستعانة والدعاء باظهار العجز، وإنما وظيفته الأصلية العبودية الفعلية، أما الانسان فعلى العكس من ذلك تماما، فهو عندما يقدم إلى الدنيا يقدمها وهو محتاج إلى تعلم كل شئ وإدراكه، اذ هو جاهل بقوانين الحياة كافة جهلا مطبقا، حتى إنه قد لا يستوعب شرائط حياته خلال عشرين سنة بل قد يبقى محتاجا إلى التعلم والتفهم مدى عمره فضلا عن أنه يبعث إلى الحياة وهو في غاية الضعف

¹ - بديع الزمان سعيد النورسي ، الكلمات،المصدر السابق ، ص 388.

² - بديع الزمان سعيد النورسي ، الكلمات، ص 393.

والعجز حتى إنه لا يتمكن من القيام منتصباً إلا بعد سنتين من عمره، و لا يكاد يميز النفع من الضر إلا بعد خمس عشرة سنة، ولا يمكنه أن يحقق لنفسه منافع حياته ومصالحها ولا دفع الضرر عنها إلا بالتعاون والإنخراط في الحياة الإجتماعية البشرية»¹.

ومن خلال هذا نستنتج أن النورسي يرى الإنسان في هذا العالم لأجل أن يتكامل بالمعرفة والدعاء؛ لأن كل شئ فيه موجه إلى العلم ومتعلق بالمعرفة حسب الماهية والإستعداد فأساس كل العلوم الحقيقية ومعدنها ونورها وروحها هو معرفة الله تعالى ، كما أن أس هذا الأساس الإيمان بالله جل جلاله .

النقطة الخامسة : أن الإيمان يقتضي الدعاء ، ونشير هنا إلى أنه لدى أي باحث أو دارس أن يلاحظ أن هذه النقطة لها إرتباطاً وثيقاً بالنقطة الرابعة ، بحيث أن العلاقة بين الدعاء والإيمان هي علاقة متلازمة ومستمرة لا إنقطاع فيها لأن الدعاء من مقتضيات الإيمان وهو بمثابة وسيلة ربط الإنسان بخالقه وذلك عن طريق التوجه إليه عند الحاجات وإظهار عجزه وفقره أمامه، وهذا يجسد ذلك الشعور النفسي الذي يشعره ويعيشه المؤمن ويكسبه نوع من الإرتياح ويشعره من الطمأنينة ينجم عنها وتتمخض عنها تلك اللذة الروحية.

وبيين النورسي ذلك بقوله :

« إن الإيمان يقتضي الدعاء ويتخذه وسيلة قاطعة ووساطة بين المؤمن وربه، إن الفطرة الانسانية تتلهف اليه بشدة وشوق، فان الله سبحانه وتعالى ايضا يدعو الإنسان الى الأمر نفسه بقوله تعالى »²

﴿قُلْ مَا يَغْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾³ .

وكذلك قوله وتعالى

¹- نفس المصدر ، ص 395.

²- بديع الزمان سعيد النورسي ، الكلمات ، ص 396.

³- القرآن الكريم ، سورة الفرقان ، الآية 77.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾¹.

وكذلك في نظر النورسي أن الدعاء هو ضرب من العبودية، وثمار العبادة وفوائدها أخروية ، أما المقاصد الدنيوية فهي أوقات ذلك النوع من الدعاء والعبادة، وليست غاياتها. كما يوضح هذا من خلال صورة تمثيلية لصلاة الإستسقاء هي :

« بمثابة نوع من العبادة وانقطاع المطر هو وقت تلك العبادة ، فليست تلك العبادة وذلك الدعاء لأجل نزول المطر، فلو أدت تلك العبادة لأجل هذه النية وحدها إذن لكانت غير حرة بالقبول، حيث لم تكن خالصة لوجه الله تعالى.. بمعنى أي أن الله سبحانه يدعو عباده إلى نوع من العبادة لمناسبة. فذلك وقت إنباس المطر هو وقت صلاة الإستسقاء، وتهافت البلايا وتسلط الشرور والأشياء المضرة ، حيث يدرك الإنسان حينئذ عجزه وفقره فيلوذ بالدعاء والتضرع الى باب القدير المطلق، وإذا لم يدفع الله سبحانه تلك البلايا والمصائب والشرور مع الدعاء الملح، فلا يجب القول إن الدعاء لم يستجب، بل يقال: إن وقت الدعاء لم ينقض بعد ، وإذا ما رفع سبحانه بفضلته وكرمه تلك البلايا وكشف الغمة فبذلك قد إنتهى وقت الدعاء إذن وإنقضى إذا فالدعاء سر من أسرار العبودية. والعبودية يجب أن تكون خالصة لوجه الله، بأن يتوجه الانسان الى ربه بالدعاء مظهرا عجزه، مع عدم التدخل في إجراءات ربوبيته، أو الاعتراض عليها، و تسليم الأمر والتدبير كله اليه وحده، مع الإعتماد على حكمته من دون إتهام لرحمته ولا القنوط منها»².

فمن خلال ما تقدم نستطيع أن نخلص إلى أن هذه المحاسن تغذى العقل وتزكي القلب وتملأ النفس بالفضائل وتزكيتها . كما أن المتأمل فيما شخصه النورسي لهذه المحاسن يرى أنه أمام منهج يقوده إلى طريق قويم وسليم وإلى مدى حرص النورسي على سلامة صدور وقلوب المؤمنين، إذا أخذنا في الإعتبار أن أهم ما يبرز إرتفاع قيمة و إرتقاء الإنسان إنما هو بفضل إيمانه بربه. لا يمكن للإنسان الوصول إلى كمال الإيمان إلا إذا كان بحسن ظنه متيقنا أن الله وحده هو مصدر العطاء لهذا الوجود. كما أن الدعاء ما هو إلا تعبير

¹- القرآن الكريم ، سورة غافر ، الآية 60.

²- بديع الزمان سعيد النورسي ، الكلمات ، ص 397-398.

صريح عن إيمان المسلم وإقراره بأن الله خالق كل شيء ، عن طريق تجسيد ذلك من خلال الدعاء كتعبد يتعبد به من أجل التقرب إلى الله عز وجل جلاله.

كما نخلص عند التأمل في هذه المحاسن مدى فاعليتها في الحياة لدى الإنسان بصفة عامة والمسلم على وجه الخصوص، والتي شخصها لنا النورسي من أجل تفعيلها في الحياة اليومية للإنسان بتعدد مجالاتها الدينية، السياسية، الإجتماعية ، الإقتصادية ، الثقافية ... إلخ.

الفرع الثاني : العمل على ترسيخ الحقائق الإيمانية

إن وظيفة ترسيخ الحقائق الإيمانية في ظل عصر سادته تصدعات وأزمات مست دعائم الإيمان الأساسية وحقائقها لمن المهام الصعبة التي يمكن لأي عمل دعوي أو إصلاحي تغييره القيام بها، ولعل الفئة المؤهلة في هذه الوظيفة لا بد أن تكون مسؤولة ومهمة كل داعية للإصلاح والتغيير.

ومن هذه الزوايا لا بد لنا أن نقول أن مهمة كل داعية ومسؤوليته يجب أن تتركز في الدعوة إلى الإيمان بالحقائق الكبرى ، والعمل على ترسيخها في صدور المؤمنين بل أن تتجاوز ذلك بتفعيلها في حياتهم اليومية. وتلك الحقائق هي التي دعا بها القرآن الكريم المتمثلة في المقاصد الأربعة وهي عناصر القرآن الأساسية " التوحيد – النبوة – الحشر – العدالة ، وهي من الحقائق الكبرى التي تناولها النورسي تناولاً يؤدي به إلى معرفة الله تعالى والإيمان إيمانا راسخا، ولكون الإنسان له جانب روحي خص بهذه الحقائق وخاطبه لأنه المقصود يوجه النورسي خطابا بقوله :

« إذا كنت تروم الحصول على علم الحقيقة، والحكمة الحقّة، فاطفر بمعرفة

الله، إذ حقائق الموجودات كلها، إنما هي أشعة اسم الله الحق ، و مظاهر أسمائه الحسنی، وتجليات صفاته الجلیلة »¹.

¹ - بديع الزمان سعيد النورسي ، الكلمات، ص 555.

كما يقر النورسي بحد ذاته أن هذه المهمة لو إجتمعت عليها جميع أقطاب الإيمان لبذلوا ما في وسعهم لتقوية وترسيخ الحقائق الإيمانية والعقائد الإسلامية لأنهما منبع السعادة الأبدية إذ لا يمكن دخول الجنة بغير إيمان ويقول في هذا الصدد :

« إنني أخال أن لو كان الشيخ عبد القادر الكيلاني والشاه النقشبند، و الإمام الرياني وأمثالهم من أقطاب الإيمان- رضوان الله عليهم أجمعين- في عصرنا هذا، لبذلوا كل ما في وسعهم لتقوية الحقائق الإيمانية والعقائد الإسلامية؛ ذلك لأنهما منشأ السعادة الأبدية، وأن أي تقصير فيهما يعني الشقاء الأبدي، إذ لا يمكن دخول الجنة من دون إيمان، بينما يدخلها الكثيرون جدا دون تصوف ، فالإنسان لا يمكن أن يعيش بدون خبز بينما يمكنه العيش بدون فاكهة ، فالتصوف فاكهة والحقائق الإسلامية خبز»¹.

ومن زاوية أخرى نرى كيف أن النورسي عمل على تقديم نموذج الداعية الملتزم بالأخلاق الإسلامية وبالتالي أخلقة العمل الدعوي الإصلاحى التغييرى الذى يسعى فى النهاية إلى الخدمة الإيمانية مرضاة لله وعشقا لمعرفة تلك الحقائق الإيمانية بحيث يؤكد هذا بقوله التالى :

« إن أعظم إحسان فى هذا الزمان وأجل وظيفة؛ هو إنقاذ الإنسان لإيمانه والسعى لإمداد إيمان الآخرين بالقوة، فاحذر يا أخى من الأناية والغرور وتجنب من كل ما يؤدي إليهما، بل ينبغي لأهل الحقيقة فى هذا الزمان نكران الذات، ونبذ الغرور والأناية، وهذا هو الأزم لهم لأن أعظم خطر يتأتى فى هذا العصر، إنما يتأتى من الأناية والسمعة، فعلى كل فرد من أفراد أهل الحق والحقيقة أن ينظر إلى تقصيرات نفسه ويتهمها دائما ويتحلى بالتواضع التام»².

لقد كان المنهج القرآنى كبدية إنطلاق النورسى فى ترسيخ الحقائق الإيمانية. مخاطبا العقول والقلوب فوصل ذلك الى العقول والقلوب، مما ساقنا إلى الرجوع لتاريخ سيد المرسلين محمد عليه الصلاة والسلام الذى تربي على نهجه وكان مدرسة أدرك ما تحتاج إليه الأمة ألا وهو الإيمان والسعى الى امداد الآخرين بقوة الإيمان، ولهذا كان أسلوب

¹ - بديع الزمان سعيد النورسى ، المكتوبات ، ص 27.

² - بديع الزمان سعيد النورسى ، السيرة الذاتية ، ص 328.

النورسي وفي عرضه وتناوله للحقائق الإيمانية أسلوب ترسيخ وتأكيد وإرساء وليس أسلوب إنفعال وعاطفة فقد خاطب العقل والقلب معا ، وقد وصل ذلك وتحقق وهنا يبيكن سر إدراكه لهذا وتميزه عن غيره مما سبقوه.

مما جعلنا ندرك إهتمام النورسي بترسيخ الحقائق الإيمانية في القلوب مشابها لنموذج نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام الذي قامت دعوته على التوحيد بإعتباره الأساس الذي سعى إليه أنبياء الله ، لقوله تعالى :

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾¹ .

و ترسيخ الإيمان بين الناس لذلك قضية التوحيد وترسيخ الإيمان كان من ضمن أولوية الأولويان في الفكر النورسي والهدف الإستراتيجي الذي رسمه في خطته الإصلاحية لتجديد الإيمان .

الفرع الثالث : العقيدة الإسلامية والدفاع عنها

سعى النورسي منذ صباه عن الدفاع عن العقيدة الإسلامية في وجه و مجابهة تلك الهجمات المعادية للإسلام وعلى شريعتها الإسلامية والتي جعلت الرجعية والتطرف والجمود كسمات لصيقة بها ، حفزت النورسي للدفاع عنها حيث يقول :

« إن أساس مسلكي منذ أيام صباي - ولا فخر - إزالة الشبهات التي تلوث حقائق الإسلام سواء بالإفراط أم بالتفريط، وصقل تلك الحقائق الأمامية، والشاهد على هذا تاريخ حياتي في كثير من حوادثه»².

فالاسلام في فكره هو اسلام شمولي متكامل حيث يؤكد هذا بقوله التالي :

« إن الشريعة الإسلامية المؤسسة على البرهان، ملخصة من علوم وفنون تضمنت العقد الحياتية في جميع العلوم الأساسية، منها: فن تهذيب الروح، علم رياضة القلب، علم تربية

¹ - القرآن الكريم ، سورة الأنبياء ، الآية 25.

² - بديع الزمان سعيد النورسي ، صيقل الإسلام ، ص 64.

الوجدان، فن تدبير الجسد، علم إدارة المتزل، فن سياسة المدنية، علم أنظمة العالم، فن الحقوق، علم المعاملات، وفن الآداب الاجتماعية" ويقول: "إن الإسلام سيعتلي عرش الحقائق والمعارف فلا يكشفها ولا يفتحها إلا الإسلام"¹.

وفيما يخص دفاع النورسي على هاته العقيدة من خلال رسائله يتبين لنا أنه كان على مستويين تمثلا في المستوى الداخلي والمستوى الخارجي لكن دفاعه هذا كان بأسلوب دعوي تجديدي أكسبه تلك الميزة.

فعلى المستوى الداخلي لا يخفى لنا وكما أشرنا سابقا إلى وجود صراعات داخلية كما فصلنا فيها في الفصل الأول إبان فترة قيام الجمهورية التركية ، تلك الصراعات الداخلية مع التيارات الإسلامية وبين الحركات اللادينية السياسية التي فرضها الطغاة بأسلوب القوة والنار على المجتمع التركي ، مما جعلته لا يتخذ موقفا بنفس أسلوبهم الطاغي أو سياسيا أمام تلك الجماعات السياسية بفرض قوتهم وانما كان بعكس ذلك حيث إنتهج أسلوب مغاير تمثل في دعوتهم أيضا لأنهم يدخلون ضمن زمرة دائرة الإسلام رغم إنحرافاتهم السياسية ومن جهة أخرى دعوته شملت كذلك المتصوفين المنحرفين الذين قادوا الأجيال إلى الركون والسكون تحت مظلة السير إلى الله تعالى بدون عودة وبالتالي عدم النهي عن المنكر والأمر بالمعروف. كما بين النورسي أن :

« أن العصر ليس عصر تصوف حتى في قمة صفائه لأن التصوف تجربة ذاتية وليست دعوة اجتماعية، ولا تستطيع أن تقود حملة الصراع الحضاري الإسلامي مع عوامل النكوص والانحراف، ومع هجمة اللادينية المادية الحديثة والزندقة الآتية من الغرب الكافر »².

ويقول أيضا :

¹ - نفس المصدر ، ص 23.
² - محسن عبد الحميد، جهود بديع الزمان في تجديد الفكر الإسلامي، المؤتمر الدولي الخامس للنورسي، الرباط، 1999م، ص8

« لقد كنت أقول أن هذا الزمان ليس زمان الطريقة فالبدع تحول دون ذلك، مفكرا في حقائق الإيمان وحدها، ولكن الزمان أظهر أنه يلزم لكل صاحب طريقة بل الإلزام له أن يدخل دائرة رسائل النور التي هي أوسع الطرق وتضم خلاصة الطرق الإثنتي عشر المهمة ضمن دائرة السنة النبوية الشريفة إن أخطر شيء في هذا الزمان هو الإلحاد والزندقة والفوضى والإرهاب، وليس اتجاه هذه المخاطر إلا الإعتصام بحقائق القرآن الكريم... ولا يمكن إسكاتهما بالقوى السياسية والمادية ، فليس إلا الحقائق القرآنية التي تستطيع أن تدفع تلك المصيبة»¹.

ومن هنا نلمس موقف النورسي حول التصوف في رفضه لنظريات وحدة الوجود ، ووحدة الشهود ، والحلول وفكرة تقديس الشيوخ ، فحين يؤكد على التصوف المقيد بالسنة النبوية الشريفة أي التصوف السني الذي تميز به الرسول عليه الصلاة والسلام والسلف الصالح من أتباعه.

إن دفاع النورسي على العقيدة على المستوى الداخلي كان جهادا معنويا تمثل في الدعوة والعلم والإرشاد لإعادة المسلمين إلى حظيرة الاسلام. وكيف إستطاع بفضل هذه السياسية أن ينجح في تكوين جيل مؤمن يسعى إلى نشر حقائق الإسلام وينشر تلك الرسائل النورية التي غزت العقول والقلوب .

أما على المستوى الخارجي فدفاعه يترجمه قوله :

« إن الصراع بين العالم الإسلامي و العلم الغربي اليوم، ليس صراع القوة والسيوف؛ لأن الإفلاس الغربي الفكري سيولد فراغا هائلا في الغرب، ومن هنا فإن جهاد المسلمين للعالم الغربي يجب أن يكون جهاد فكر وشرح لحقيقة الإسلام لهم، والدليل على ذلك؛ أن طلائع دخول الغرب للإسلام قد ظهرت، لكون الصراع في هذا الزمان ليس صراع قوة، وإنما هو صراع ثقافي وفكري، أي أن المسلمين عليهم أن يواجهوا الغرب بسيف القرآن، إذا أرادوا هداية شعوبه إلى نور الإسلام " ، ويضيف: "أما

¹- بديع الزمان سعيد النورسي ، الملاحق في فقه الدعوة الى النور ، ص 344.

الجهاد الخارجي فنحيله إلى السيوف الأمامية للبراهين القاطعة للشريعة الغراء؛ لأن الغلبة على المدنيين إنما هي بالإقناع وليس بالإكراه، كما هو شأن الجهلاء الذين لا يفقهون شيئاً»¹.

كما لخص الباحث سعيد إبراهيم منطلق النورسي في الدفاع عن العقيدة وداعيا إليه في نفس الوقت من خلال النقاط التالية :

« أولاً : يثبت الإيمان عن طريق نتائج العلم الذي يفهمه الغربيون ،ثانيا : ويرد على الاعتراضات الفكرية ضد الدين والتي خرجت أساسا من الغرب، ثالثا : ينقد مساوئ الحياة الغربية ومناوئتها للدين، رابعا : يضع نظما فكرية في المجالات التي يفهمها الغربيون»².

المطلب الثاني : أهداف ذات أبعاد نفسية وروحية

إن أخلقة العمل الدعوي لدى النورسي كانت من بين المميزات التي إتسم بها خلال مسيرته والتعامل مع أعداء الإسلام ، وهذا ما تشهده كلياته وسيرته الحياتية من حسن المعاملة. ولم يتأتى هذا من العدم وإنما بفضل إدراكه الواسع لأخلاقيات ما جاء به الإسلام. ولعل النفس من بين الأمور التي ركز النورسي عليها لأنها محور أي عملية تغيير وإصلاح ، ونستشهد بالآية الكريمة التي تدل على هذا لقوله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾³.

إن إدراك النورسي وتفقهه في الأخلاق الإسلامية ، ودراساته المتعمقة في النفس البشرية وخبرته بها كانت من بين محاوره الأساسية ، فقد أدرك النورسي ما تتضمنه هاته الآية الكريمة التي هي نور يضيء طريق من أراد الخروج من الضلام الدامس ، وأن هاته الآية تحمل في طياتها مفتاح التغيير وكيف هي منهجية هذا التغيير ، وبالتالي الكشف عن حقيقة

¹ - بديع الزمان سعيد النورسي ، الملاحق في فقه الدعوة الى النور ، ص 362.

² - سعيد إبراهيم ، الدعوة و الإرشاد في الغرب، المؤتمر العالمي الثالث لبديع الزمان سعيد النورسي، إسطنبول ، تركيا ، 1995م ، ص185.

³ - القرآن الكريم ، سورة الرعد ، الآية 11.

إلهية ، هذه الحقيقة تنطبق على الأفراد والجماعات، وتتنطبق على الأمم والشعوب. الحقيقة الأولى: التغيير يبدأ من الداخل ، فلقد تدبر النورسي في أحوال الناس وتصرفاتهم والوقوف على المشكلات النفسية والأخلاقية والروحية التي تعترى النفس البشرية والتي دورها تنعكس بالسلب على إيمانهم ودينهم وإستقامتهم ، متخذاً منها قرآناً متميزاً ، ووقف وقفات طويلة وعميقة مع هاته النفس البشرية وبما اودع الله فيها من صفات وخصائص ، وذلك من أجل تغيير كيان الإنسان باعتباره محور التغيير ووسيلة التغيير .

وقد بين النورسي هذا التغيير حيث أن التغيير الذي ينتظره الله منا ينبغي أن يكون من داخل النفس، هذه الحقيقة الأولى والحقيقة الثانية أن لإنسان قادر على التغيير ، الإنسان إن لم يملك إمكانية التغيير فلا معنى إطلاقاً لإرسال النبيين، ولا معنى لإنزال الكتب، وكان عملاً عابثاً، تعالى الله عن ذلك . لو أن الإنسان لا يغير، لماذا بعث الله الأنبياء والمرسلين، ولماذا أنزل الكتب؟ لماذا هيأ العلماء الصادقين؟ لأن الإنسان يملك أن يغير كان إنزال الكتب، وكان بعث الأنبياء.

وقد خص النورسي في وقفة خاصة تلك الأمراض التي تصيب القلوب تحول دون الوصول إلى الأنوار . ولهذا ينبغي عملية تشخيص هذا الأمراض وإستكشافها متى وجدت ومعرفة عللها .

ومن بين الأمراض التي عالجها تلك التي تصيب النفس والتي أصبت متفشية في عصرنا الحالي نتيحة توجهات وإهتمام الناس للحياة الدنيوية المادية من بينها الحسد ، الغيبة ، والغرور، كما أشار إلى عدة أمراض أخرى نفسية كالغرور الفكري والوسوسة وسوء الظن والتكبر وغيرها لكن سأقتصر على ذكر الغيبة والحسد والغرور نظراً لما هو منعكس في عصرنا وواقعنا الحالي المعاش . كأهم الأمراض النفسية التي أصبحت متفشية وميزة هذا العصر، ومن زاوية أخرى لما لها من تأثير على البناء الداخلي للفرد (البنية الداخلية النفسية والروحية) هذا من جهة ومن جهة أخرى على البنية الخارجية للمجتمع المتمثلة في العلاقات الإجتماعية بين أفراد المجتمع .

اولا : الحسد كمرض يفتك بالأمة الإسلامية حسب النورسي

معنى الحسد لغةً:

« الحسد مصدره حسده يحسده ويحسده، حسدا وحسودا وحسادة، وحسده: تمنى أن تتحول إليه نعمته وفضيلته، أو يسلبهما، وحسده الشيء وعليه»¹.

معنى الحسد اصطلاحاً:

يقول الجرجاني:

« الحسد تمنى زوال نعمة المحسود إلى الحاسد»².

ويعتبر الحسد من بين الأخلاق المذمومة وهو داء خفي ومرض من أمراض القلوب ، يقول النورسي في المکتوب الثاني والعشرون عن الحسد :

« إن ما يسببه الحسد والعناد من نفاق وشقاق في أوساط المؤمنين وما يوغر في صدورهم من حقد وغل وعداء ، مرفوض أصلاً ، ترفضه الحقيقة والحكمة ويرفضه الإسلام الذي يمثل روح الإنسانية الكبرى ... فضلاً على أن العداء ظلم شنيع يفسد حياة البشر الشخصية والاجتماعية والمعنوية ، بل هو سم زعاف لحياة البشرية قاطبة»³.

ثانياً : علاج الحسد من المنظور النورسي :

قدم النورسي عدة توجيهات حكيمة من أجل التصدي لهذا المرض الخطير الذي يصيب البشرية والتي يعمل على هدم العلاقات الاجتماعية بين الأفراد ونشر الشقاق والعداء فيما بينهم في عدة نقاط أساسية لمعالجة هذا الداء الخفي كمايلي :

أن يلاحظ الحاسد عاقبة ما يحسده ويتأمل فيها ليدرك أن ما ناله محسوده من أعراض دنيوية من - مال وقوة ومنصب - إنما هو من أعراض زائلة فانية فائدتها قليلة ، مشقتها عظيمة. أما إذا كان الحسد من دوافع أخروية ، فلا حسد أصلاً ولو تحرك عرق الحسد

¹- الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ص 277.

²- الجرجاني ، التعريفات ، بدون دار نشر ، 2010م ، ص 37.

³- بديع الزمان سعيد النورسي ، المکتوبات ، ص 339.

حتى في هذه الأمور ، فالحاسد إما أنه مرء يحبط حسناته الآخروية في الدنيا أو أنه يسئ الظن بمحسوده فيظلمه ، ثم إن الحاسد في حسده يسخط على قدر الله لأنه يحزن من مجيء فضل من الله ورحمته الواسعة على محسوده ويرتاح من نزول المصائب عليه أي كأنه ينتقد القدر الإلهي ويعترض على رحمته الواسعة. يرى النورسي أنه يحب الرضا بالقدر والقضاء

« أن تستقبل حظ القدر هذا بالرضى والتسليم و أن الشيطان والنفس الأمانة بالسوء لهما حظهما ، فإذا ما أخرجت هاتين الحصتين لا يبقى أمامك سوى الإشفاق على أخيك بدلا من عداته، لأنك تراه مغلوبا على أمره أمام نفسه وشيطانه، فتنتظر منه بعد ذلك الندم على فعلته وتأمل عودته إلى صوابه ، عليك أن تلاحظ في هذا الأمر تقصيرات نفسك تلك التي لا تراها أولا ترغب أن تراها ، فأعزل هذه الحصاة من الحصتين السابقتين ترى الباقي حصاة ضئيلة جزئية ، فإذا استقبلتها بهمة عالية وشهامة رفيعة أي بالغفو والصفح تنجو من ارتكاب ظلم وتتخلص من إيذاء أحد»¹.

هكذا بسط لنا النورسي ما يسببه العداة جراء الحسد من أضرار لحياة الإنسان الشخصية وتفاعله ومعاملاته مع الآخر ومع البيئة المحيطة . ويستشهد النورسي بقول الشيرازي* :

« نيل الراحة والسلامة في كلا العالمين توضحه كلمتان : معاشرة الأصدقاء بالمروءة و الإنصاف ، ومعاملة الأعداء بالصفح والصفاء»².

ويشير النورسي إلى نقطة أساسية بقوله :

¹- بديع الزمان سعيد النورسي ، المكتوبات ، ص 344.345.
* - حافظ الشيرازي : شمس الدين محمد حافظ الشيرازي (نحو 725 - 792 هـ) الملقب ب«خواجه حافظ الشيرازي» والشهير بلسان الغيب من أشهر الشعراء الإيرانيين ونجم ساطع في سماء العلم والادب في إيران. يعتبر أشهر شعراء الفرس الغنائيين غير منازع. مولده ووفاته بشيراز. لقب ب «حافظ» لحفظه القرآن الكريم بقراءته الأربع عشرة. وكان من الشيعة الإثني عشرية. له أشعار بالفارسية والعربية وترجمت آثاره إلى كثير من اللغات العالمية.

²- بديع الزمان سعيد النورسي ، المكتوبات ، ص 345.

« الجمعية التي فيها التساند آلة خلقت لتحريك السكنات ، والجماعة التي فيها التحاسد آلة خلقت لتسكين الحركات»¹ .

« الحسد الناشيء من المنافع المادية هذا الحسد يفسد الإخلاص تدريجيا ، بل يشوه نتائج العمل بل يفوت تلك المنافع المادية أيضا »² .

كما يشير النورسي إلى أن الحسد موجود في المسالك والطرق الصوفية تنجم عنها منافسة مهلكة تطلعا الى علو الهمة والحرص على الثواب حيث يقول :

« مما يدل على أن في المسالك التي فيها مقام الأبوة والإرشاد و الأستاذية نتائج خطيرة مهلكة تنجم من المنافسة والحسد حرصا على الثواب وتطلعا إلى علو الهمة ، أقول إن الدليل على ذلك وجود تلك الإختلافات و المشاحنات الدائرة في ثنايا المزايا الجليلة والمنافع العظيمة التي يتمتع بها أهل الطرق الصوفية ، والتي أدت بهم إلى نتائج وخيمة جعلت قواهم السامية الهائلة لا تثبت أمام أعاصير البدع»³ .

الفرع الثاني : الغيبة في المنظور النورسي جريمة

أن مفهوم الغيبة عند النورسي هي :

« ذكر أخاك بما يكره ، فإن كان فيه ما تقول فقد إغتبته ، وإن لم يكن فيه فقد بهته أي إجتزحت إثما عظيما»⁴ .

ويعتبر النورسي أن الغيبة من الأمراض الخبيثة التي تفتت في عصرنا الحالي بين أفراد المجتمع الواحد نتيجة للحسد والأنانية والغرور وغيرها من الأمراض نتيجة اللهث وراء الماديات وبالتالي الخواء الروحي والوجداني والبعد عن ما جاء به ديننا من التحلي

1 - نفس المصدر ، ص 608.

2- بديع الزمان سعيد النورسي ، اللغات ، ص 247.

3- بديع الزمان سعيد النورسي ، اللغات ، ص 251.

4- بديع الزمان سعيد النورسي ، المكتوبات، المصدر السابق ، ص 358.

بأخلاق فاضلة كالتساند والأخوة والمحبة والتسامح والوحدة الإسلامية والإحترام التي كان يدعوا إليها من أجل النهوض بأمة فتكت بها العلمانية.

إن تدبر النورسي لهذه الآية الكريمة :

﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾¹

وما تحتويه من خطاب ديني موجه إلى المغتربين التي تبين مدى شناعة الغيبة في نظر القرآن وكيف أنها تزجر عن جريمة الغيبة بإجاز بالغ وبإجاز شديد في ست مراتب يذكرها النورسي كالترتيب الآتي :

« **النقطة الأولى** : ففي الكلمة الأولى تخاطب الآية الكريمة : أليس لكم

عقل ، وهو محل السؤال والجواب ليعي هذا الأمر القبيح. **النقطة الثانية** : ففي الكلمة الثانية تخاطب

الآية : هل فسد قلبكم ، وهو محل الحب والبغض حتى أصبح يحب إكراه الأشياء واشدها تتفير. **النقطة**

الثالثة : تخاطب الآية : ماذا جرى لحياتكم الإجتماعية ، والتي تستمد حيويتها من حيوية الجماعة ،

وما بال مدينتكم وحضارتكم حتى أصبحت ترضى بما يسم حياتكم ويعكر صفوكم. **النقطة الرابعة** :

تخاطب الآية الكريمة بماذا أصاب إنسانيتكم حتى أصبحتم تفترون صديقكم الحميم. **النقطة الخامسة**

: تخاطب الآية أليس بكم رافة ببني جنسكم اليس لكم صلة رحم تربطكم معهم حتى أصبحتم تفتكون

بما هو اخوكم من عدة جهات وتتهشون شخصه المعنوي المظلوم نهشا قاسيا ، ايملك عقلا من يعضو

عضوا بجسمه ؟ أوليس بمجنون؟. **النقطة السادسة** : تخاطب الآية بأين وجدانكم ؟ أفسدت فطرتكم

حتى أصبحتم تجترحون أبغض الأشياء وأفسدها بدل الإحترام والتوقير»².

إن هذه الأوجه الستة للغيبة قد تناولها وشخصها المنظور النورسي مجزما ومؤكدا

على أن الغيبة مذمومة عقلا وقلبا و إنسانية ووجدانا وفطرة وملة ، وهي بالنسبة له سلاح

دنيء يستعمله المتخاصمون والحساد المعاندون ، لأن صاحب النفس العزيزة تأبى عليه

نفسه أن يستعمل سلاحا حقيرا كهذا ، فهمي مرض العصر الذي يفتك بأمة الإسلام أينما

¹ - القرآن الكريم ، سورة الحجرات ، الآية 12.

² - بديع الزمان سعيد النورسي ، المكتوبات ، ص 357. 358.

وجدت مستندا في ذلك على البرهان بمنهج قرآني وبيبان القرآن الذي لا بيان بعده ولا حاجة إلى بيان آخر .

ومن زاوية أخرى يشير النورسي بإعتبار أن الغيبة هو أمر محرم ، غير أنها في أحوال أخرى جائزة وتجاوز للمصلحة الخاصة الخالصة لله دون أن يداخلها غرض شخصي وحظ النفس ، وله ما يبرر ذلك في النقاط التالية:

« أولا : المظلوم يجوز له أن يصف من ظلمه إلى حاكم ليعينه على إزالة ظلم أو منكر وقع عليه. ثانيا : الإستفتاء ، بمعنى اذا ما استشارك أحد يريد أن يشترك مع أحد في العمل ، وأردت نصيحة خالصا لله دون غرض شخصي يجوز لك أن تقول له "لا تصلح لك معاملته ، سوف تخسر وتتضرر". ثالثا : التعريف من دون أن يكون القصد فيه التنقيص ، كأن تقول ذلك فاسق أو ذلك الأعرج. رابعا : أن كان فاسقا مجاهرا بفسقة ، لا يتورع من الفساد ولربما كان يفتخر بسيئاته ويتلذذ من ظلم الآخرين اللهم اغفر لنا ولمن إغتبناه " ثم يطلب من الذي إغتباه عفوهم منها والإبراء منها متى ما إلتقاه»¹ .

فهذه الحالات التي إعتبرها النورسي جائزة كون أنها لا تدخل فيها غرض شخصي أو النفس الأمارة بالسوء بل تجوز لأجل الوصول الى الحق وحده ، ومن إغتاب برغبة منه فإنها تحبب الأعمال الصالحة فمن إرتكبها أو إستمع إليها ، فعليه أن يدعوا

وخالصة القول إن مثل هذه الأمراض وتفشيها كقيلة بأن تفكك مجتمع قائم على الإحترام والحب والمودة لأنها أمراض تصيب النفوس بالدرجة الأولى التي تنعكس على تفاعلات الفرد مع أفراد مجتمع التي تقوم بهدم تلك القيم والأخلاق الفاضلة التي لطالما ديننا الإسلامي يحث عليها كنموذج لتقويم السلوك وإحداث توازن الكيان الإنساني الداخلي والخارجي في آن واحد من أجل التقدم والتعايش في سلم وأمان وتعاون وتساند إجتماعي فيما بين أعضاء المجتمع الواحد، كتساند أعضاء الجسم إذا إختل عضو إختل توازن النظام

¹ - بديع الزمان سعيد النورسي ، المكتوبات ، ص 358.

الكلي للجسم ، فالفرد يتأثر ويؤثر في مجتمعة فحياة الفرد في حد ذاتها عملية تفاعل مستمر ، ومنه نستخلص أن الشريعة الإسلامية هي عقيدة إنسانية لأنها ترفض الإنغلاق.

المطلب الثالث : الأبعاد الإجتماعية ، الأخلاقية والسياسية في الخطاب النورسي

الإنسان يصدر في كل تصرفاته و أفعاله عن التصورات التي يحملها وعن العقيدة التي يعتنقها ، فيصعب أن نجد إنسانا ليس له تصور معين عن الكون والإنسان والحياة ، فلا بد أن تنسجم تصرفاته في الحياة وفق تصوره ذلك. إن سلوك الإنسان في الحياة هو في الحقيقة إنعكاس لمفاهيمه و أفكاره وليس العكس كما تزعم الفلسفة المادية التي تعتبر الفكرة وليدة المادة والسلوك وأن المادة هي صانعتها يقول أنجلز في هذا :

« إن العالم المادي الذي تدركه حواسنا ، والذي ننتمي نحن أنفسنا إليه ، هو الواقع الوحيد ، إن إدراكنا وفكرنا مهما ظهرا رفيعين ساميين ، ليسا سوى نتاج عضو مادي جسدي هو الدماغ .. إن المادة ليست من نتاج العقل ، بل إن العقل نفسه ليس سوى نتاج المادة الأعلى»¹.

لذلك كان اعتماد الإسلام الأول في عملية تحويل المجتمع من مجتمع جاهلي إلى مجتمع إسلامي يقوم على إحلال مفاهيمه عقيدية عن الكون والإنسان والحياة وعلى إنكفاء جذوة التفكير والنظر لدى الإنسان حتى يتمكن من فهم هذه العقيدة وإعتناقها بعمق وأصالة. فالقرآن الكريم يحفل بآيات تبين أسلوب المنهج الإسلامي في صياغة الأفراد والجماعات وفي بناء وتكوين الشعوب والمجتمعات ، إنه الأسلوب الذي يبدأ بصياغة الفكر وينتهي إلى صياغة الواقع في كل شؤونه وأحواله. ويشير محمد قطب إلى نقطة في غاية الأهمية وهي قضية الأخلاق كواقع ومحور أساسي في الحياة حيث يقول :

¹- فتحي يكن ، الإسلام والجنس ، دار الشهاب ، باتنة ، الجزائر ، 1972م ، ص 7.

« إن الأخلاق ليست شيئاً منفصلاً عن الواقع، ليست نظريات تدرس في الأبراج العاجية مستقلة بذاتها، وليس لها قوانين خاصة غير قوانين الحياة الواقعية! ولا يمكن أن يوجد فساد خلقى مع إستقامة فى حياة الناس الواقعة، إنما هما شىء واحد الفساد فى الأخلاق معناه فساد فى واقع الحياة. والفساد فى واقع الحياة معناه فساد فى الأخلاق.. لأنهما قانون واحد مستمد من الوجود البشرى المتكامل، والفطرة البشرية الشاملة»¹.

فالمنهج الإسلامى تفرد عن سائر المناهج الوضعية فى قدرته على تنظيم الحياة الإنسانية تنظيمًا دقيقًا يحفظ لها إنسانيتها ويقيها غوائل الإنحراف والتطرف والشذوذ، فالإسلام لم ينظر إلى الإنسان نظرة مادية مجردة لا تتعدى هيكله الجسدى ومتطلباته الغريزية شأن المذاهب المادية، بل نظر إليه نظرة شاملة ينظر إليه جسماً وعقلاً وروحاً من خلال تكوينه الفطرى، ثم هو ينظم حياته ويعالجه على أساس هذه النظرة.

« ولم يكن الإسلام "أبيقوريا" فى إطلاق الغرائز والشهوات من غير تنظيم ولا تكيف، ولم يكن كذلك "رواقياً" فى فرض المثاليات وإعدام المتطلبات الحسية فى الإنسان»².

إن الإسلام كمنهج حياة لم يغفل أو يهمل حتى دقائق وتفصيلات السلوك البشرى الخاص والعام لتكون متوافقة ومنسجمة مع القواعد الإعتقادية والأخلاقية التى جاء لتحقيقها وتعميقها.

ومن ملامح التكامل فى المنهج الإسلامى معالجته الجذرية لقضايا الفرد والمجتمع سواء بالتربية أو بالترهيب والترغيب أو بالعقوبة، فمن مظاهر التخريب فى المجتمعات تهدم الأخلاق والصفات الإنسانية وبروز النزعات البهيمية كالأنانية والنفعية والتمرد واللامبالاة... إلخ والتقلت من المسؤوليات وبالتالي الخروج عن كل التقاليد والقيم والقوانين، إن

¹ - محمد قطب، جاهلية القرن العشرين. أنظر الموقع: <https://bayan13.wordpress.com> يوم 15-

2016-09م

* - أبيقوريا : نسبة إلى الفلسفة التى وضعها أبيقور عام 343 ق م، والتى تعتبر اللذة أساس الأخلاق وأنها وحدها غاية الإنسان وهى وحدها الخير.

** - رواقياً : نسبة إلى الفلسفة التى وضعها زينو القيرصى عام 342 ق م التى تعتبر الشهوة شراً محضاً يجب إبادتها.

² - فتحي يكن، المرجع السابق، ص 23.

ملايين الشباب من الشبان والفتيات يعيشون اليوم عالة على مجتمعاتهم وأممهم لا يتحملون أدنى مسؤولية ، يعيشون على السرقة والقتل والمخدرات والجنس ويعيشون أشباحا أو شبه أشباح وحيوانات وأكثر من حيوانات .

« فالمنهج الإسلامي يحيط إحاطة كاملة بطبائع الأفراد والمجتمعات وبطبائع تركيب الأفراد - ذكورا وإناثا- وتركيب المجتمعات ، فهو بهذا التصور المتكامل لطبيعة كل شيء يضع الإنسان قواعد السلوك الإجتماعية ضوابطه ومقوماته وذلك لصيانة الحياة الإجتماعية»¹.

إن النورسي من خلال دعوته كان يتوخى بمنهجة الدعوي تحقيق المقصد و البعد الإجتماعي والأخلاقي والسياسي كالصدق والحب والأخوة الشفقة الرحمة العدل والمساواة الإحسان والوحدة الامن والإستقرار ... إلخ من المقاصد وهي أهداف ذات بعد إجتماعي وأخلاقي وسياسي ، بالرغم من أنه تعرض إلى عزلة الحياة الإجتماعية ليس برغبة منع وإنما لأسباب فرضتها عليه ظروف السجن والنفي المتواصل طيلة حياته . إلا أنه سعى إلى تحقيقها من خلال رسائل النور، إستطاع أن يشخص في المجتمع الإسلامي تلك المفاصد الأخلاقية بتحليله لطبيعة الأوضاع الإجتماعية والسياسية التي أدت إلى تأخر المجتمع الإسلامي ودراستها حتى يقومها ومن بين هذه المفاصد ذكر مايلي :

« أولا : حياة اليأس الذي يجد فينا أسبابه وبعثه .ثانيا : إنعدام الصدق في الحياة الإجتماعية والسياسية.ثالثا : حب العداوة رابعا : الجهل بالروابط النورانية التي تربط المؤمنين ببعضهم البعض.خامسا : سريان الإستبداد ، مثل سريان الأمراض المعدية .سادسا : حصر الهمة في المنفعة الشخصية ،سابعاً : التعصب المقيت في غير محله ، سواء لدى عالم جاهل أو جاهل عالم ثامنا : تقليد مساويء المدنية الأوروبية تقليداً ببعائياً»² .

¹ - نفس المرجع ، ص 75.

² - بديع الزمان سعيد النورسي ، صيقل الإسلام ، ص 471 .

إن النورسي لم يقدّم بتشخيص هذا - الأمراض الفتاكة - على حد تعبيره بل كما عودنا من خلال رسائله في البحث عن العلاج وتقديمه لمعالجة هذه الأمراض بإعتمادي على صيدلية القرآن الكريم الذي هو بمثابة كلية الطب في حياتنا الإجتماعية حيث قال :

« ولمعالجة هذه الأمراض الفتاكة ، أبين ما إقتبسته من فيض صيدلية القرآن الحكيم الذي هو بمثابة كلية الطب في حياتنا الإجتماعية ، إذ لا أعرف أسلوباً للمعالجة سواها" ، حيث أن أول وصفة للعلاج هي " الأمل " بقوله : " قد أزعج بزوغ أمارات الفجر الصادق ، دنا شروق شمس سعادة عالم الإسلام الدنيوية وبخاصة سعادة العثمانيين ، ولاسيما سعادة العرب الذين يتوقف تقدم العالم الإسلامي ورفقه على تيقظهم وانتباههم ، فإنني أعلن بقوة وجزم ، بحيث أسمع الدنيا كلها وأنف اليأس والقنوط راغم ، إن المستقبل سيكون للإسلام وللإسلام وحده ، وإن الحكم لن يكون إلا لحقائق القرآن والإيمان»¹ .

كما يجعل دور وأهمية الصدق في الحياة الإجتماعية والسياسة علاجاً وبالمحبة تقوى الروابط الإجتماعية وتقوي الصلة بين أفراد المجتمع ، وإعتبار الشورى التي حث عليها الإسلام لأنها تحقق سعادة المسلمين في حياتهم الإجتماعية والسياسية ، حيث غدا على مر عصور التاريخ مدار رقي البشرية وأساس علومها في مقابل الإستبداد الظالم المجحف ، حيث قال :

« إن فك أنواع القيود التي كبلت ثلاثمائة بل أربعمئة مليون مسلم ، ورفع أنواع الاستبداد عنهم ، إنما يكون بالشورى والحرية الشرعية النابعة من الشهامة الإسلامية والشفقة الإيمانية ، تلك الحرية الشرعية التي تتزين بالآداب الشرعية وتنبذ سيئات المدنية الغربية ، إن الحرية الشرعية النابعة من الإيمان إنما تأمر بأساسين ، أولاً : ان لا يذل المسلم ولا يتذلل .. من كان عبداً لله لا يكون عبداً للعباد . ثانياً : أن لا يجعل بعضكم أرباباً من دون الله ، إذ من لا يعرف الله حق معرفته يتوهم نوعاً من الروبوبة لكي شيء في كل حسب نسبته فيسلطه على نفسه»² .

¹ - نفس المصدر ، ص 492 .

² - بديع الزمان سعيد النورسي ، صيقل الإسلام ، ص 514 .

وبهذه الصفات العلاجية التي قدمها النورسي يتحقق التعايش الإجتماعي ويسود السلم بين أعضاء المجتمع والتضامن ويتحقق الإتحاد الإسلامي وبالتالي وحدة الأمة الإسلامية كافة ، و من هذا المبدأ عمل النورسي على ترسيخ أسس الوحدة الإسلامية . لتقف العلاج الناجع لمعضلة الخلاف المذهبي وكذلك الفكري بين المسلمين حيث قال :

« فليزكم نبذ المسائل الجزئية التي تثير النزاع ، لأنكم أهل التوحيد ، بينكم

مئات الروابط المقدسة الداعية إلى الأخوة والإتحاد»¹.

أما من الجانب السياسي نلاحظ أن النورسي قد تأثر بمنهج من سبقه من رواد الإصلاح ونادوا به ، فقد سار على خطى كل من جمال الدين الأفغاني الذي بدوره إلى توحيد صفوف المسلمين بإسم الجامعة الإسلامية إبان عهد السلطنة الحميدية أي في عهد السلطان "عبد الحميد الثاني" ، وكأهم قضية أراد النورسي أن يحققها من وراء ذلك هي الحث على التعاون المشترك بين شعوب العالم الإسلامي بدل التوجه نحو الغرب، يقول في هذا الصدد :

« إن ما يعطيه أرباب السياسة الحاليون في هذه البلاد من رشاوى إلى الغرب

والى الأجانب ومن تنازلات سياسية ومعنوية، عليهم أن يعطوا عشرة أمثالها، بل ينبغي لهم أن يدفعوها لأجل إقرار أخوة أربعمائة مليوناً من المسلمين والتي ستتشكل على صورة جمهوريات إسلامية متحدة، وذلك لأجل سلامة هذه البلاد والحفاظ على كيان هذه الأمة ، وسوف يكون ذلك هدية ضرورية وأتاوة لا ضرر فيها»².

فبالنسبة للنورسي أن الرشوة الواجبة الجائزة والنافعة جدا بل الضرورية المقبولة هي إتخاذ الدساتير المقدسة منهجا للعمل، تلك الدساتير التي هي أساس التعاون الإسلامي وهي هدايا سماوية من القرآن الكريم توثق الرابطة بين المسلمين ، بل هي قانونهم المقدس الأساس وهي :

¹- بديع الزمان سعيد النورسي ، اللغات ، ص 38.

²- بديع الزمان سعيد النورسي ، الملاحق ، ص 475.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾¹

« أن أمراضا كثيرة دخلت على المسلمين، صار الإلتناء لا إلى مجموع المؤمنين، بل إلى جماعة خاصة، أو إلى فئة خاصة، فهذا الإلتناء إلى مجموعة صغيرة يفتت مجموع المسلمين ويجعلهم يفشلون، لذا ينبغي أن يكون الإلتناء لا إلى حلقة أو طائفة أو جماعة أو فئة أو طريقة بل إلى مجموع المؤمنين، فالأصل أنهم إخوة، فإن ظهر بينهم نزاع أو شقاق أو خصومة، أو حسد، أو تجاوز فمهمة كل مؤمن الأولى أن يصلح بين أخوته المؤمنين»².

لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾³.

المطلب الرابع : البعد الإقتصادي من خلال "رسالة الإقتصاد" نموذجا.

إن حياة النورسي التي قدمها لخدمة إنقاذ الإيمان، ونشر الإسلام، مؤكدا بهذا ما يجب أن يتصف ويتحلى به الإنسان المسلم المؤمن من الناحية السلوكية، وحاول في الوقت نفسه التنبيه إلى العناصر اللازمة لصياغة المجتمع حسب الأسس الإسلامية.

ولعل الجانب الإقتصادي من بين تلك العناصر اللازمة إلى جانب عناصر الإجتماعية والأخلاقية والسياسية والعقدية... الخ ، فقد قام أيضا بتحليل دقيق لمواضيع الإقتصاد كأهم عنصر في حياة الإنسان بالإستناد في ذلك على القرآن الكريم والسنة النبوية و أسند إستنتاجاته وأفكاره إلى هذه الأسس، وقد تناول هذا الجانب الإقتصادي وفق منظوره "بالإقتصاد الإسلامي" الذي ذكره في "رسالة الإقتصاد"، وبهذا تعتبر الأفكار التي قدمها النورسي حول مواضيع شملت الجانب الإقتصادي كمنهج سلوك المستهلك في الإسلام، وقد تطرق النورسي في رسائله الأخرى إلى مختلف المواضيع المتعلقة بالإقتصاد الإسلامي، وقدم فيها تفسيرات و إيضاحات مؤسسة ومؤصل لها بالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة.

¹-القرآن الكريم ، سورة الحجرات ، الآية 10.

²- محمد راتب النابلسي ، أنظر الموقع : <http://www.nabulsi.com> يوم 2017-02-23

³- القرآن الكريم ، سورة الأنفال ، الآية 46.

ولعل في وقتنا الحالي وفي عصرنا هذا، يشكل هذا الموضوع في أساسه مسألة أساسية من مسائل الإنسانية .

تتمحور "رسالة الإقتصاد" التي ذكرها في اللمعة التاسعة عشرة في مؤلفه "اللمعات" أساسا على حكمة الإقتصاد وحكمة حرمة الإسراف ضمن سلوك المستهلك ، وإيضاح تأثيراته الإيجابية والسلبية، قوله تعالى:

﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾¹

تسعى الضوابط التي جاء بها الإسلام لتنظيم سلوك المستهلك مستندا إلى قواعد القرآن الكريم والسنة المطهرة، فتقدم الأنموذج الأمثل للإنسان المسلم. وقد أورد النورسي هذه الضوابط في رسالة الإقتصاد بعبارات موجزة مركزة، متناولا الموضوع وموضحا إياه وفق المسلك الآتي:

« الإنسان موظف بالشكر، إبان إستخدامه وإستهلاكه النعم التي وهبها إياه خالقه الكريم. وعلى الإنسان الشاكر أن يستخدم ما وهبه خالقه من النعم حسب حاجته وبقدر إحتياجه ويقدرها حق قدرها، مفكرا ببني جنسه من الناس، مرتبا الإستفادة والإفادة من النعم بحسب حاجة الإنسانية إليها، فالنعم ليست من رتبة واحدة، لهذا يحسن التوقف عند أقسام ما يحتاجه الإنسان من سلع»².

ولو قسمنا الإقتصاد الذي يفيد - كما ذكر في رسالة الإقتصاد -

«إنما هو توقيير مريح إزاء النعم»³.

التي هي من لطفه سبحانه إيانا، إلى عناصره نرى أنه يحوى على ست عناصر مهمة:

¹- سورة الأعراف ، الآية 31.

²- صباح الدين زعيم ، الرؤية الحضارية من خلال رسالة الإقتصاد ، مجلة نور للدراسات الحضارية والفكرية ، العدد 5 ، استانبول ، 2007م ص

³- بديع الزمان سعيد النورسي ، اللمعات ، ص 212.

« الإقتصاد شكر معنوي، توفير للرحمة الإلهية الكامنة في النعم والإحسان ، سبب حاسم للبركة والاستكثار ، مدار صحة الجسد كالحمية بحيث أن مراعاة الإقتصاد في تسديد الحاجة إلى الغذاء لها تأثير صحي من حيث الطب والمداواة إلى جانب فوائده المعنوية والتجارية. ذلك أن الغذاء المتناول بالقدر اللازم المعقول يساعد على تكامل الجسم. بينما يكون أثره سلبيا على الجسم إذا تناوله بشكل زائد. فالإكثار من الغذاء يجبر الجسم ويتعبه، فالرعاية للإقتصاد والإقتصاد هو سبيل إلى العزة بالابتعاد عن ذل الاستجداء المعنوي»¹

كما عبر عنها النورسي :

« نعم إن من لا يقتصد مدعو للسقوط في مهاوي الذلة، ومعرض للإنزلاق إلى الإستجداء والهوان معنى»² .

كما بين النورسي أن الإسراف والحرص عليه ينتج ما يضر بالإنسان في حياته و في عيشه ، حيث يعتبر أن الإسراف ينتج الحرص، والحرص يولد ثلاث نتائج:
أولا : عدم القناعة أي الطمع يخبت وهج التطلع إلى العمل ويقذف بالإنسان إلى التقاعس والكسل وحسب تعبير النورسي:

« وعدم القناعة هذا يثنى الشوق عن السعي وعن العمل، بما يبث في نفس الحريص من الشكوى بدلا من الشكر، قاذفا به إلى أحضان الكسل، فيترك المال الزهيد النابع من الكسب الحلال ويبادر بالبحث عما لا مشقة ولا تكليف فيه من مال غير مشروع، فيهدر في هذه السبيل عزته بل كرامته " لذا حرم الإسلام لعب اليانصيب والقمار وغيرها، ومنع طرق الولوج إلى الربح بدون تعب وسعي بالخداع وإغفال الآخرين والصعود إلى القمة رأسا دون تعب»³ .

¹ - نفس المصدر ، ص 213

² - نفس المصدر ، ص 215.

³ - صباح الدين زعيم ، المرجع السابق ، ص 227.

ثانيا : الخيبة والخسران

« إن الرزق الحلال يأتي حسب العجز والإفتقار لا بالافتقار والاختيار، بل هو يتناسب تناسباً عكسياً مع الافتقار والاختيار، ذلك أن أرزاق الأطفال تتضاءل وتبتعد ويصعب الوصول إليها كلما ازدادوا اختياراً وإرادة واقتداراً، نعم، إن القناعة كنز لا يعشى الهنيء الرغيد ومبعث الراحة في الحياة، بينما الحرص معدن الخسران والسفالة كما يتبين ذلك من الحديث الشريف: «القناعة كنز لا يفنى»¹.

ثالثاً : إتلافه الإخلاص وإفساده العمل الأخروي.

أن الإسراف ينتج عدم القناعة يولد الطمع، أما الإقتصاد فإنه يثمر القناعة، والقناعة تنتج العزة، إستناداً إلى الحديث الشريف: «عز من قنع وذل من طمع». وهكذا نخلص إلى أن القناعة المستفيضة من الإقتصاد تفتح باب الشكر وتوصد باب الشكوى، فيظل الإنسان في شكر وحمد مدى حياته.

« وبالقناعة لا يتلفت إلى توجه الناس إليه لاستغنائه عنهم، فينفتح أمامه باب الإخلاص وينغلق باب الرياء»²

على حد التعبير النورسي .

ومن الثمرات الروحية التي ينالها الإنسان من جراء الإقتصاد بمفهوم النورسي الإسلامي تتلخص في قوله :

« يذيق لذة نعمه لأفقر الناس، كما يذيقها أغناهم، فالفقير يستشعر اللذة ويتذوقها كالسلطان...، نعم إن اللذة التي ينالها فقير من كسرة خبز أسود يابس بسبب الجوع والاقتصاد، تفوق ما يناله السلطان أو الثري من أكله الحلوى الفاخرة بالملل وعدم الشهية النابعين من الإسراف»³.

¹- بديع الزمان سعيد النورسي ، اللمعات ، ص 221.

²- بديع الزمان سعيد النورسي ، اللمعات ، ص222.

³- نفس المصدر، ص 217.

وبهذا التحليل الدقيق والموضوعي المستند على القرآن الكريم والسنة النبوية ، نرى كيف قدم النورسي لنا مخططا يتميز بالتوازن الإقتصادي المبني على الأسس المتينة سماه " إقتصاد الفئاعة" ، بإعتبار أن الإقتصاد من بين العوامل الأساسية التي تعمل على بناء المجتمع وتنظيم العلاقات الإجتماعية بين الأفراد ، كما أنه يجب ترشيد هذا الإقتصاد وتنظيمه سواء على مستوى الفرد أو على مستوى الدولة لأنه محور الحياة الإجتماعية ومدارها وبه يتقدم المجتمع أو يتدنى من ولا يكون التقدم إلا من خلال ترشيده ترشيدا حكيما .

المبحث الثالث : الفئات التي خاطبتها الدعوة النورسية

إن شمولية النورسي في معالجته لقضايا الإيمان كان من أهم مرتكزات جهوده الإصلاحية والدفاع عنها ضد الحركات التغريبية المعادية للإسلام ، ولعل محاكاته لمنهج القرآن الكريم أسلوبا ومنهجا للوصول إلى هدفه المحدد والثابت الا وهو "إنقاذ الإيمان" وترسيخه في قلوب المسلمين ، نلمس كذلك من خلال إستقراء مؤلفاته العشرة من خلال خطاباته التي لم يخص بها فئة دون أخرى أو مجتمع دون آخر ، بل تعدى ذلك بمنهجه الشمولي إذ أن خطابه موجها لجميع الناس وكل فئات المجتمع .

وطالما أن منهج النورسي مستلهما من القرآن الكريم بحيث أن من خصائص القرآن الكريم تلك الميزة الشمولية التي خصت خطاباته لكافة الإنسان دون تخصيص فئة معينة، فلم يقتصر القرآن الكريم في خطابه العقدي والتشريعي على فئة معينة وإنما كان خطابه موجها لكافة الناس بإعتبار أن رسالة الإسلام هي رسالة عامة للجنس البشري أينما وجد زمانا في أي عصر ومكانا في أي بلد.

بالتالي فخطابات النورسي الدعوية إلى الإيمان وترسيخه كانت موجهة لكافة الناس دون تمييز ، ومن جهة أخرى لم يكن يقصد بخطاباته تلك أو كتاباته لمرحلة مستقطعة من عصره لم يكتب لمرحلة معينة ولا لقوم معينين ، ولكن خطابه تجاوز هذا ليخاطب جميع فئات المجتمع فخاطب بدوره فئة : الأطفال ،الشباب ،النساء الشيوخ ، وحتى فئة

الجنود والمتقنين وغير المتقنين والسجناء والمرضى ، كما خاطب غير المسلمين المعادين لهذا الدين الإسلامي ، بخطاب تميز بأسلوب بديع تعدى حدودية الزمان والمكان من أجل إعادة إيقاظ الوعي الإيماني في القلوب وإعادة بناء ذلك الجانب الروحي المتأصل والمستند على أسس الإسلامية ، وإثبات الحقائق الإيمانية بالدعوة كسلاح معنوي ضد سلاح التيارات التغريبية المادية وكسر سيفها بنور سيف القرآن. بإعتباره الركيزة الأساسية التي تصل وتربط الإنسان بخالقه.

أن من مميزات الخطاب القرآني تنوعه في الخطاب بحسب تنوع المخاطبين، كما يتنوع الدواء حسب الداء فكل داء دواء في مجال الطب ومن قبيل هذا التشبيه لتقريب الصورة الذهنية أكثر فالداعي كالطبيب يشخص حال المريض ويراعيها، ولكون النورسي أنه مراعيًا لهذه الخاصية والميزة راعي خطابه هذه الميزة بتوجيه دعوته إلى كافة فئات المجتمع.

يقول النورسي في مؤلفة الكلمات خطابه كل طبقة من طبقات الناس مستمداً ذلك من القرآن بحيث أنه خاطب كل فئات المجتمع دون إستثناء

« إن القرآن الحكيم يخاطب كل طبقة من طبقات البشر في كل عصر من العصور، وكأنه متوجه توجهاً خاصاً الى تلك الطبقة بالذات. اذ لما كان القرآن يدعو جميع بني آدم بطوائفهم كافة الى الايمان الذي هو اسمى العلوم وادقها، والى معرفة الله التي هي اوسع العلوم وأنورها، والى الاحكام الاسلامية التي هي اهم المعارف وأكثرها تنوعاً، فمن الألزم اذًا ان يكون الدرس الذي يلقيه على تلك الطوائف من الناس، درسًا يوائم فهم كلٍ منه ا. والحال أن الدرس واحد، وليس مختلفًا، فلا بد اذًا من وجود طبقات من الفهم في الدرس نفسه، فكل طائفة من الناس - حسب درجا تأخذ حظها من الدرس من مشهد من مشاهد القرآن.»¹

¹ - بديع الزمان سعيد النورسي ، الكلمات ، ص 522.

المطلب الأول : خطاب النورسي لفئة الأطفال

الأطفال جيل الأمة الصاعد، و بإعتبار أن الطفولة من أهم مراحل حياة الإنسان، ففي هذه المرحلة تنمو القدرات وتتفتح المواهب حيث قابلية الطفل المرتفعة لكل أنواع التوجيه والتشكيل. وطفل اليوم هو رجل المستقبل، و ثروة الأمة ولبنة أساسية في بناء مجتمع الغد، ومستقبل أي مجتمع يتوقف إلى حد كبير على مدى إهتمامه بالأطفال ورعايتهم وتهيئة الإمكانيات التي تتيح لهم نموا سليما.

لذلك فإن المجتمعات التي لا تعير إهتماما بالطفل لا من ناحية التربية ولا من ناحية التعليم وتدعه عرضة أمام الثقافات الأجنبية والغريبة الوافدة من كل صوب وحبوب في ظل التطور الحضاري والتكنولوجي الذي نعيشه اليوم ، فهي محكوم عليها وحتميتها التدهور والالانقراض المعنوي لأن الأطفال اليوم هم شباب الغد وقوة الأمة لقيادتها. لذا لا بد لنا أن نولي إهتماما بالغاً بهاته الفئة.

من خلال هذا المنطلق ، وبناءا على هذا راعى النورسي في منهجه وفي خطاباته الدعوية حيزا ذو أهمية كبيرة لفئة الأطفال كفئة الشيوخ وأولاهم إهتماما كبيرا لإعتبارهم مقدمة رسائل النور وهم جيل النورية مستقبلا حيث قال :

« إن الأطفال الأبرياء هم في مقدمة الذين سيكونون طلابا حقيقيين لرسائل النور، وذلك وفق ما تقتضيه فطرتهم وتتطلبه الأوضاع الراهنة، لأن الطفل الذي لم يتلق في صغره درسا إيمانيا قويا يصعب عليه بعد ذلك أن يقر في روجه أركان الإيمان والإسلام، بل يكون ذلك عسيرا عليه، شأنه شأن تقبل غير المسلم الإسلام، بل يستغرب من الإسلام أكثر منه، ولاسيما إن لم ير والديه على دين وتقوى، وربى ذهنه بالعلوم الدنيوية وحدها»¹.

ومن الملاحظ أنه كانت هناك علاقة حميمية بينه وبين الأطفال وهذا الارتباط الروحي والتعلق القلبي إنما يعود إلى ما وصفه بقوله :

¹- بديع الزمان سعيد النورسي ، الملاحق في فقه الدعوة إلى النور ، ص 245.

« أما توجههم إلي وإهتمامهم بي ،فهو أن أرواحهم الصافية البريئة تشعر بأن رسائل النور أنتت لإسعافهم وإمدادهم، وحيث أنني ترجمان تلك الأنوار، فيبدون هذه المحبة والعلاقة الحميمة بغير إختيار منهم»¹

ويبين إلى نقطة اساسية ومهمة هو أن كما أن الأطفال زمرة رسائل النور حيث أن :

« إن أسعد الأطفال هم أولاء الذين دخلوا ضمن دائرة رسائل النور، فيكونون أبناء بررة للوالدين وخداما أمناء لهم، يقومون بين يديهم بالاحترام والتوقير اللاتقين بهما، ويسجلون بأعمالهم الصالحة حسنات في سجل حسنات والديهم بعد وفاتهم...، وفي الآخرة يكونون لهما شفعاء، كل حسب درجته»².

ومن الثابت وبمشاهدات الذين خبروه عن قرب وإطلعوا على حياته أنه كان يمثل نموذجا مثاليا في التواضع والإستقامة منذ صباه وحتى إلى شبابه إلى آخر يوم من عمره. تلك الأخلاق السامية رغم موسوعيته وشهرته إلا أنه كان يتواضع ويتجنب ذلك الإستعلاء على الآخرين والتميز بينهم، بل جعل المحبة والتواضع والمعاملة الحسنة عنوا معاملاته مع فئات المجتمع وعامة الناس والرأفة والمحبة خاصة على الأطفال لوعيه أن هذه الفئة شديدة الحساسية خاصة لو افتقدو والديهم ومفارقتهم فإنهم ينكسرون ويصابون بجروح في نفوسهم وأرواحهم يصعب أن تلتئم وذلك لضعف إدراكهم لحقيقة الواقع. ويوضح ذلك بقوله :

« إن الأطفال الذين يمثلون نصف البشرية، لا يمكنهم أن يتحملوا تلك الحالات التي تبدو مؤلمة ومفجعة أمامهم من حالات الموت والوفاة... فيحاور الطفل المؤمن بالجنة نفسه : أن أخي الصغير أو صديقي الحبيب الذي توفي، اصبح الآن طيرا من طيور الجنة، ... وإلا فلولا هذا الإيمان بالجنة لهدم الموت الذي يصيب أطفالا أمثاله - وكذلك الكبار - تلك القوة المعنوية لهؤلاء الذين لا حيلة لهم ولا قوة، ولحطم نفسياتهم، ودمر حياتهم ونغصها فتبكي عندئذ جميع جوارحهم ولطائفهم من

¹ - بديع الزمان سعيد النورسي ، السيرة الذاتية ، ص 514.

² - بديع الزمان سعيد النورسي ، الملاحق في فقه الدعوة إلى النور ، ص 246.

روح وقلب وعقل مع بكاء عيونهم. فإما أن تموت أحاسيسهم وتغلظ مشاعرهم أو يصبحوا كالحیوانات الضالة التعسة»¹.

إنطلق النورسي في دعوته لهذه الفئة من الرأفة والشفقة لما تمثله هاته الفئة من عجز وفقر لا نهایه له وهي من أسس التزكية النفسية او التربية الروحية التي إنتهجها للوصول الى المعرفة الإيمانية وإثبات الحقائق الإيمانية ومعرفة الله ، وبالتالي دفاعه عن هؤلاء الأطفال من هذا المنطلق.

المطلب الثاني : فئة الشباب من خلال حوارهم مع الشباب

يتبوأ الشباب مكانة عظيمة، خصهم بها الدين الإسلامي على غيرهم؛ فهم يخوضون المعارك، ويواكبون العلم والمعرفة بكامل النشاط، لما لهم من الأثر في تحويل الخطأ للصواب، لما يحملونه من قوة ونشاط وحيوية في هذه المرحلة أكثر من غيرها، حيث يتميزون بالعباء، وبذل الجهود، فهم من ينشرون الهدى والخير، لقوله تعالى في محكم تنزيله: "إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاَهُمْ هُدًى" من سورة الكهف ، كما كانوا الأكثر ملازمة للرسول صلى الله عليه وسلم، فهم الأكثر تأثيراً دون غيرهم، وهم الأكثر قابلية للتغيير والتجديد؛ على العكس من كبار السن لا يتخلون بسهولة عن بعض الأعمال أو معتقدات التي يحملونها، ولا يقبلون التغيير عليها، لذلك عني الإسلام بهم عناية كبيرة، لاستغلال الطاقات الموجودة وعدم هدرها، ووضح لنا الرسول صل الله عليه وسلم المكانة العالية التي جهزها الله سبحانه للشباب،

« جعلهم من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وفقاً

للطاعة والنتشئة المبنية على حسن الخلق لله سبحانه وتعالى، فهم حملة للرسالة، لقوله صل الله عليه وسلم في الحديث عن السبعة الذين يظلهم الله في ظله، " سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في طاعة الله»².

¹ - بديع الزمان سعيد النورسي ، الكلمات ، ص 99.

² - <http://mawdoo3.com> يوم 2017-02-30.

فيعرف النورسي فترة الشباب بأنها فترة الحرص على الدنيا وهيجان الغريزية حيث قال :

« فترة الفتوة والشباب هي فترة تهيج النوازع النفسانية ووقت غليان الحرارة

الغريزية وأوان فوران الحرص على الدنيا فهي لا تلائم وظائف النبوة التي هي مقدسة»¹

ويشير النورسي من زاوية أخرى أن الحكمة من إرسال الرسول عليه الصلاة والسلام كان في سن الأربعين وهو سن الكمال وهو نمو الكمالات العقلية ونضوجها وتكامل الإستعدادات القلبية وزمن ذلك الكمال هو سن الأربعين ، و يصف النورسي الشباب بقوله :

« وكذا الشباب الذين يمثلون ثلث البشرية قد لا يصغون لصوت عقولهم الجريئة

، فرغباتهم وهواهم في ثورة وجيشان وهم مغلوبون على أمر حواسهم ونوازعهم ، فإذا فقد هؤلاء الشباب " الإيمان بالآخرة" ولم يتذكروا عذاب جهنم .فإن أموال الناس وأعراضهم وراحة الضعفاء وكرامة الشيوخ تصبح مهددة بالخطر. إذ قد يدمر أحدهم سعادة بيت آمن هنيء لأجل لذة طارئة ، ومن ثم يذوق وبال أمره عذابا لسنين عديدة في مثل هذه السجون فيتحول إلى ما يشبه الحيوان الكاسر، ولكن إذا أمدّه "الإيمان بالآخرة" وأغاثة فسرعان ما يسترجع صوابه ويسترشد بعقله»² .

« إن الشباب والمراهقين الذين يمثلون محور الحياة الاجتماعية لا يهدئ فورة

مشاعرهم، ولا يمنعهم من تجاوز الحدود إلى الظلم والتخريب، ولا يمنع طيش أنفسهم ونزواتهم، ولا يؤمن السير الأفضل في علاقاتهم الاجتماعية إلا الخوف من نار جهنم. فلولا هذا الخوف من عذاب جهنم لقلب هؤلاء المراهقون الطائشون الثملون بأهوائهم الدنيا إلى جحيم تتأجج على الضعفاء والعجائز، حيث " لحكم للغالب" ولحولوا الحياة الإنسانية السامية إلى حياة حيوانية سافلة»³ .

نستخلص أن النورسي إهتم بفئة الشباب وحث على تربية الشباب تربية دينية لضمان مستقبل الأمة فهو يتوقف بالدرجة الأولى على هاته الفئة التي العمود الفقري بالنسبة للمجتمع إتجاه التيارات التغريبية المعادية للإسلام ، فالتاريخ الإسلامي يشهد بأن راية الإسلام إنتصرت بفضل شباب . فتقدم أي أمة أو تأخرها مرهون بالشباب بسلوكهم

¹- بديع الزمان سعيد النورسي المكتوبات ، ص 363.

²- بديع الزمان سعيد النورسي ، الشعاعات ، ص 281.

³- بديع الزمان سعيد النورسي ، الكلمات ، ص 100.

وبتربيتهم . ولذلك جعل النورسي منهجه الدعوي دقيقا تربويا مستندا على أسس القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، كان بدوره يهدف إلى تربية هاته الفئة أي فئة الشباب تربية إسلامية قائمة على أسس سليمة وصحيحة تصد تلك التيارات الغربية التي تسعى إلى تسميم عقول وأخلاق الشباب بالدرجة الأولى لوعيتها بأن الأمة تضعف بشبابها لو إنحرفوا عن دينهم عن طريق تسويق الأخلاق الإنحطاط والرذيلة أمام الشباب من خلال تسهيل سبل الشهوات وجعلها في متناوله دون صعاب ويثبت النورسي هذا بقوله :

« هناك منظمات سرية تسعى لإضلال الشباب وإفسادهم بتذليل سبل الشهوات أمامهم، وسوقهم إلى السفاهة والغواية لإفساد المجتمع الإسلامي، والإضرار بالدين الإسلامي »

قدم النورسي من خلال رسالة إلى الشباب في "مرشد الشباب" وفي حوار مع الشباب الذين طلبوا منه إرشادات قوية وتنبيهات تقيهم من شرور متطلبات الحياة ومن فتوة الشباب ومن الأهواء المحيطة بهم فكانت إرشاداته التربوية السليمة القائمة على أسس الإسلام كالتالي :

« الإلتزام والبقاء ضمن الحدود الشرعية. والتربية الإسلامية وذلك بطاعة الله من خلال صرف العمر في عفة النفس وفي صون الشرف ، أداء الشكر لله على نعمة الشباب والفتوة ، وسيكون وسيلة للفوز بشباب خالد ودائم في الجنة الخالدة وإن كنتم تريدون الإستمتاع بالحياة وتتلذذوا بها فأحيوا حياتكم بالإيمان وزينوها بأداء الفرائض وحافظوا عليها بإجتنب المعاصي»¹.

أن ما يمكن إستخلاصه من هذه الإرشادات هو حث النورسي بمنهج دعوي تربوي الشباب على صرف عهد شبابهم بالطاعة والإيمان والشكر لله على هاته النعمة والإستقامة والطهر وإلى إتباع ما أمره الله به من عبادة. وهنا تظهر أهمية التربية التي حث عليها القرآن الكريم هو دفع الشاب الى إقامة الفرائض وتغذية جانبه الروحي التي تعصمه بدورها من الشهوات والنزوات الغريزية التي قد تكلفه شبابيه وشيخوخته والميل إلى المعاصي والطيش

¹- بديع الزمان سعيد النورسي ، الملاحق في فقه الدعوة إلى النور ، ص 174-175.

نتيجة الخواء الروحي .لتصبح الإضطرابات النفسية والآلام والندم والحسرات ثمرات تلك الشهوات والنوازع النفسانية وتنغص عليه حياته الدنيوية والآخروية. حيث قال:

« قد ينجرف الشاب إلى السفاهة بطيش الشباب ونزواته وبالسفاهة المستشرية في هذا الزمان . نعم قد لا يستطيع هذا الشاب أن يحافظ على ما كان عليه في مرضه من الإلتزام بالأوامر الإلهية فيما إذا وجد العطا فيه»¹.

وللفوز بشباب أبدي يدوم حتى فترة الشيخوخة وما بعد الموت إنما يكون بصلاح فترة الشباب التي هي فترة زائلة وفترة غرور وفترة سكر وغفلة وما يثير الإهتمام في القاريء للنورسي هو أنه لم يستثنى شبابه من هذا الحالات بل يقر إلى أنه كان مقصرا ومغتترا وغافلا حيث قال عن شبابه:

« ولي عندي حالة روحية فضلا عن سكرة الشباب وغفلته ، عمقت في ذلك النوم ، حتى تصورت معها أن الدنيا دائمة باقية ورأيت نفسي في حالة عجيبة من الإلتصاق بالدنيا كأنني لا أموت ، حيث شاهدت أن الشباب الذي كنت أعتز به كثيرا ، بل كنت مفتونا بأذواقه يقول لي الوداع وأن الحياة الدنيا التي كنت أرتبط بحبها بدأت بالإنطفاء، إن الشباب الذي هو مدار الأذواق واللذائذ ذاهب نحو الزوال ، تارك مكانه للشيخوخة التي هي منشأ الأحزان وأن الحياة الساطعة لفي إرتحال وبتهيأ الموت المظلم المخيف ظاهرا ليحل محلها»².

ويحذر النورسي من الغفلة عند الشباب والإهتمام بالمنزلة والمكانة الإجتماعية وأذواقها ومقامها الرفيع التي هي مثل لأرباب الشهرة وستار السمعة والصيت لأنها لا تصاحب إلى حد باب القبر .لذا يجب إستثمار هذه الفتوة والشباب في صالح الأعمال وبالعبادات لأنها بذلك تريح فتوة أبدية خالدة حيث يبحث على :

« أن فتوة الشباب ونضارته إذا ما حلت في المؤمن المطمئن الحصيف ذي القلب الساكن الوقور ، وإذا ما صورفت طاقة الشباب وقوته إلى العبادة والأعمال الصالحة والتجارة

¹ - بديع الزمان سعيد النورسي ، اللمعات ، ص 19.

² - بديع الزمان سعيد النورسي ، اللمعات ، ، ص 355،356.

الآخروية ، فإنها تصلح أعظم قوة للخير وتغدوا أفضل وسيلة للتجارة وأجمل وساطة للحسنة بل أذها. نعم إن عهد الشباب نفيس وثمرين جدا وهو نعمة إلهية ونشوة لذيدة لمن عرف واجبه الإسلامي ولمن لم يسيء استعماله ، ولكن السباب إذا لم تصحبه الإستقامة ولم ترافقه العفة والتقوى فدونه المهالك الوسيلة إذ يصدع طيشه ونزواته سعادة صاحبه الأبدية وحياته الآخروية وربما يحطم حياته الدنيا فيجرعه الآلام عصا طوال فترة الهرم والشيخوخة لما اخذه من بضع سنين من أدواق ولذائد»¹

وخلاصة القول أن الشباب إذا صان نفسه بتربية دينية بالتربية القرآن الكريم التي حث وجاء بها ديننا الحنيف من عفة وطهر وإستقامة على الصراط السوي ، يكون سبيلا إلى الأعمال الصالحة والخير، وصرف عهد شبابه في عبادة الله كان بمثابة إستثمارا يهديه ويربحة فتوة وشبابا أبديا خالدا بدلا من الذي يدوم خمسة عشر سنة ، ويعود عليه بفوائد جملة إلى حياته وإلى مستقبله وإلى بلاده وإلى أمته وإلى أحبته وأقاربه .

المطلب الثالث : فئة النساء من خلال "رسالة الحجاب"

لقد ذكرت سابقا ما حدثنا به التاريخ ، من أن المرأة كانت على جانب كبير من الإضطهاد والذل والمهانة عند جميع الأمم والشعوب ، وخلاصة القول أنها كانت عند العرب في الجاهلية سلعة تباع وتشتري ، ليس لها أي إعتراض على حياة الذل وعند الفرس ينظر إليها نظرة كلها إحتقار وإزدراء.

« ظلت المرأة تتخبط في الظلام حتى ظهر الاسلام .فالاسلام هو الخطة الوحيدة المستقيمة ، والطريق الناجح والإسلام بجميع نظمه وقوانينه هو الحل الوحيد ، الذي رسم للمرأة طريقا محدودا ، وانهجها منهاجا صحيحا، وخط لها دربا واضحا ، وأبان لها دورها في الحياة ومدى مسؤولياتها في المجتمع ، واطهر قيمتها ومنزلتها مع الآخرين ، وسن لها في القوانين حقوقا وواجبات ، وأعطاهما ما لم يعطه من قبله ولا من بعده أحد من الامم والشعوب»².

¹- نفس المصدر ، ص 357،358.

²- مريم نور الدين فضل الله ، المرأة في ظل الاسلام ، دار الزهراء للنشر والطباعة ، بيروت ، لبنان ، بدون سنة نشر ، ص 30،31..

لقد فرض الإسلام الحجاب على المرأة ، ليقبها الفتنة والإغراء ، وتصون نفسها وشرفها وتتحرز من كيد الكائدين. وقد نص القرآن الكريم على حجاب المرأة وسترها ، لكن دعاء السفور وأثرهم السيء على الأخلاق من أناس فاسدين يزرعون بذور الفساد في النفوس البريئة. وها هم اليوم يتقولون

« إن الإسلام ضرب الحجاب على المرأة لتكون رهينة البيت ، وضمن نطاق الجدران لا تصلح إلا للخدمة ، إذ لا يمكنها وهي محجبة الانسجام مع الأجيال المتطورة والمدنية الحديثة... الذين يرونها من أهم أسباب الحضارة والمدنية ، التي تمكن المرأة من أن تماشي التطور في عصرنا الحاضر هل التطور هو أن تخرج المرأة الى الملاهي والمراقص ودور الخلاعة على شكل مناف للغيرة والحمية ، لا حياء يردعها ، ولا حجاب يسترها ولكن أين هي المرأة المسلمة الآن من الإسلام ؟ وقد استعبدتها شياطين الانس والجان ... وهذه المدنية الزائفة التي أعمتها وأعمت بصيرتها وأوحت لها»¹.

« هكذا طلب الإسلام من المرأة والرجل . التعاون من أجل إنشاء الحياة السعيدة المطمئنة الهادئة . والمرأة ان استطاعت تصفية نفسها وتنقية ذاتها وتطهير قلبها كانت هادئة مطمئنة تؤثر تأثيرا مباشرا بجيلها الصاعد ... باطفالها وأولادها وتبعث فيهم النفس الصالحة»².

إن رسالة الحجاب التي خصصها النورسي للنساء، لاقى من خلالها صنوف العذاب والبلاء، فقد جرت به إلى السجن والمحاكم مدة ستة أشهر؛ بدعوى تشكيل جمعية سرية أو طريقة صوفية، وفي هذه الرسالة يعرض النورسي للخطاب القرآني الخاص، حيث يتوجه الله سبحانه وتعالى إلى المرأة مشيرا إلى أحد أهم خصائص إنسانيتها.

لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾³

يقول النورسي في مقدمة اللمعة الرابعة والعشرون بعنوان "رسالة الحجاب" مبتدأ بالآية الكريمة التي تأمر بالحجاب،

¹-مریم نور الدین فضل الله ، نفس المرجع ، ص 66.

²- نفس المرجع ، ص 47.

³- القرآن الكريم ، سورة الأحزاب أ الآية 59.

« بينما تذهب المدنية الزائفة إلى خلاف هذا الحكم الرباني، فلا ترى الحجاب أمرا

فطريا للنساء، بل تعده أسرا وقيدا لهن»¹.

ويبين النورسي أربعة حكم من هذه الآلية وهي ما تتوافق مع فطرة النساء سأعرضها
كالتالي: **الحكمة الأولى :**

« إن ما يقرب من سبعة أعشار النساء إما متقدمات في العمر، أو دميات لا
يرغبن في إظهار شبيهن أو دمامتهن، أو أنهن يحملن غير شديدة في ذواتهن يخشين أن تفضل عليهن
ذوات الحسن والجمال، أو أنهن يتوجسن خيفة من التجاوز عليهن وتعرضهن للتهم... فهؤلاء النساء
يرغبن فطرة في الحجاب حذرا من التعرض والتجاوز عليهن، وتجنبنا من أن يكن موضع تهمة في نظر
أزواجهن، بل نجد أن المسنات أحرص على الحجاب من غيرهن. وربما لايتجاوز الإثنتين أو الثلاث من
كل عشر من النساء هن شابات وحسناوات لايتضايقن من إبداء مفاتهن! ، وحتى لو فرضنا أن حسناء
جميلة ترغب في أن يراها إثنان أو ثلاثة من غير المحارم فهي حتما تستنقل وتنزعج من نظرات سبعة أو
ثمانية منهم، بل تنفر منها، فالمرأة لكونها رقيقة الطبع، سريعة التأثر تنفر حتما - ما لم تفسد أخلاقها
وتتبدل - من نظرات خبيثة تصوب إليها والتي لها تأثير مادي كالسم حتى إننا نسمع أن كثيرا من نساء
أوربا وهي موطن التكشف والتبرج، يشكين إلى الشرطة من ملاحقة النظرات اليهن قائلات: إن هؤلاء
السفلة يزجوننا في سجن نظراتهم»².

من خلال هذا نلاحظ أن النورسي رأى أن المدنية الحديثة ساهمت في السفور ونزع
الحجاب وستر المرأة ونادت بتحررها التي تناقض فطرتها.

« أن المدنية البعيدة عن الإسلام هاته المدنية الغربية رفعت الحجاب الذي هو

فطرة للنساء ورودت وفسحت المجال لما يعرف بالتبرج والسفالة الذي يتناقض مع الفطرة الإنسانية التي

¹ - بديع الزمان سعيد النورسي ، اللمعات ، ص 299.

² - بديع الزمان سعيد النورسي ، اللمعات ، ص 300.

جاء بها القرآن الكريم وهي الحجاب وعدم التكشف لصون المرأة المسلمة من الذل والمهانة والسفالة والرذيلة وهي معدن الشفقة والرأفة. ولما كان أساس من أسس رسائل النور هو "الشفقة" وإن النساء هن رائدات الشفقة وبطلات الحنان فقد أصبح أكثر إرتباط برسائل النور فطرة فهذه العلاقة الفطرية نحس بها في كثير من الأماكن إذ أنها تعبر عن إخلاص حقيقي وفداء دون عوض أو مقابل»¹.

ونلاحظ مما أشار إليه النورسي إلى أهمية العلاقة الزوجية تلك المتمثلة في تدين الزوجة وبالتالي هي أصل الحب الأسري والتماسك الأسري وسعادتها وبالتالي تحقيق توازنها

« إن سعادة العائلة في الحياة واستمرارها إنما هي بالثقة المتبادلة بين الزوجين، والإحترام اللائق والود الصادق بينهما، إلا أن التبرج والتكشف يخل بتلك الثقة ويفسد ذلك الاحترام والمحبة المتبادلة، حيث تلاقي تسعة من عشرة متبرجات أمامهن رجالا يفوقون أزواجهن جما لا، بينما لا ترى غير واحدة منهن من هو أقل جمالا من زوجها ولا تحبب نفسها إليه، والأمر كذلك في الرجال، فلا يرى ا لا واحد من كل عشرين منهم من هي أقل جمالا من زوجته، بينما الباقون يرون أمامهم من يفقن زوجاتهم حسنا وجمالا، فهذه الحالة قد تؤدي الى انبعاث إحساس دنيء وشعور سافل قبيح في النفس، فضلا عما تسببه من زوال ذلك الحب الخالص وفقدان ذلك الاحترام، ، حيث أن ملامح المحارم تشعر بصلة القرابة...ولربما يهيج لدى بعض المحارم السافلين هوى النظرة الحيوانية! فمثل هذه النظرة سقوط مربع للإنسانية تقشع من بشاعتها الجلود»².

الحكمة الرابعة:

« إن رفع الحجاب، وإفساح المجال أمام التبرج والتكشف يحد من الزواج، بليقل من التكاثر كثيرا، لأن الشاب مهما بلغ فسوقه وتحلله، فإنه يرغب في أن تكون صاحبتة في الحياة مصونة عفيفة، ولا يريد لها أن تكون مبتذلة متكشفة مثله، لذا تجده يفضل العزوبة على الزواج، وربما ينساق إلى الفساد»³.

1- نفس المصدر ، ص 307.

2- بديع الزمان سعيد النورسي ، اللمعات ، ص 302-303.

3- نفس المصدر ، ص 303-304.

«ما دمنا لا نعني بإعداد المرأة وتعليمها وتهذيبها وتهيأتها لإخراج الجيل الصالح، القوي بأخلاقه، السليم في عقله وجسمه، فإنه لا رجاء في نهوضه. وسنبقى نعيش في فوضى، ونسير بشق مائل نتعثر في خطانا، ونستهدف للتداعي والسقوط»¹.

ونستنتج أنه مما لا ريب فيه أن الإسلام رفع شأن المرأة وحسن حالها فبالعلم المتوج بالدين، والثقافة المحاطة بالأدب والتهذيب تتمكن المرأة من إدارة مملكتها الصغيرة، وتنشئة أولادها على الاخلاق الفاضلة وتخدم قومها وبلادها حين تخرج إلى عالم الوجود شعباً حياً يعيش الحياة المثلى. ولا ننسى أن المرأة التي تهز السرير بيمينها تهز العالم بأسره بيسارها إذ أن تربية الناشئة مهمة جليلة، في غاية الصعوبة. فالوليد الصغير ابن المدرسة الأولى وهي الأم كما قيل:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الاعراق

ويقول النورسي :

« إن أول أستاذ الإنسان وأكثر من يؤثر فيه تعليماً إنما هو والدته »²

إن هاته الحكم التي أوردها النورسي إنما تغني عن كل ما يقال في هذا الموضوع بالإضافة إلى رسالة الحجاب، فقد وقف النورسي مطولا عندها بالإضافة إلى الدعوة كذلك، فكان بمثابة موجها، مرشدا، مربيا، ناصحا، ومعلما. فأصبح رائدات في دعوة النور، وساهمن بمشاركتهن في إستنساخ رسائل النور ونشرها.

« فرسائل النور تكن لهن غذاء معنويا، لأن إحدى أسس هذه الرسائل الشفقة

التي هي من مظاهر إسم الله الرحيم وهي الخميرة والجوهر الخاص المغروز في فطرة النساء وميزتهن الأصيلة»¹.

¹- مريم نور الدين فضل الله، المرجع السابق، ص 52.

²- بديع الزمان سعيد النورسي، اللغات، ص 308.

المطلب الرابع: فئة الشيوخ ضمن "رسالة الشيوخ"

إن إهتمامنا بالمسنين نابع من حقيقة ديننا، وتراثنا ومن واقع أسلوب حياتنا وإن المكان الأنسب والبيئة الأفضل لرعاية المسنين يتمثلان في الأسرة إعتباراً لقيمة تواجد كبار السن في الأسرة سواء بالنسبة للمسنين أنفسهم أو بالنسبة لأعضاء أسرهم، وكذلك لما ينطوي عليه هذا التوجه من معان مستمدة من تراثنا الحضاري والروحي من الإحسان بالوالدين والبر بهم، وإحساساً منهم بالوفاء والتراحم والتعاطف بهم وإعتباراً أيضاً لقيمة كبار السن فالأسرة

« إن وجود كبار السن في الأسر كأساس لمناخ نفسي وجداني إيجابي وتدريب لأعضاء الأسرة آباء وأحفاداً على السمو الوجداني وترقية المشاعر الإنسانية النبيلة، من خلال تفاعل أعضاء الأسرة »².

إن الشيخوخة هي نهاية مطاف الإنسان في مرحلة تطوره على هذه الأرض تمهيدا لرحلته الأبدية إلى العالم الأبدى لقوله تعالى:

﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾³

ولما كان الإسلام حريصاً على صون كرامة الإنسان، فقد أولى عناية خاصة بتوقير الكبار وإحترامهم والعطف عليهم والإحسان إليهم والرفقة بهم وخاصة الوالدين، فقد حث الإسلام الإنسان على بر والديه والإحسان إليهما في كل مراحل العمر وإلى أهمية وضرورة رعايتهم خاصة عند الكبر، حيث يصبحون أكثر حاجة للرعاية والعناية والشعور بالطمأنينة والأمن بعد تأدية الرسالة تجاه أبنائهم .

¹ - بديع الزمان سعيد النورسي ، الملاحق في فقه الدعوة إلى النور ، ص 246.

² - <https://www.al-forqan.net/articles/3610> يوم 2017-03-17.

³ - القرآن الكريم ، سورة الروم ، الآية 54.

فالنورسي ورؤيته لهاته المرحلة تعتبر طوراً لا بد من المرور به ولعل سمات العجز والضعف هي من خصائص عهد المشيب وهو عهد العجز والضعف ووقت ظهورهما إنما في مرحلة الشيخوخة. قدم النورسي رسالة ضمن كلياته مخاطباً فيها فئة الشيوخ كأهم عنصر موجود في المجتمع الإسلامي أسماها "برسالة الشيوخ"

والسبب الدافع لهاته الرسالة نابع من المعاناة والآلام المعنوية من يأس وخوف التي كان يعانيها النورسي في شيخوخته ، لكن القرآن الكريم لم يغفل عن هاته الآلام ليعطي لها علاجاً فعالاً ضد اليأس والخوف من الموت وما بعد الموت. يقول النورسي:

« الشيوخ الذين يمثلون ثلث الأمة، فهؤلاء يقتربون من القبر، ويدنون من الموت، ويبتعدون عن الدنيا، ويجاورون الآخرة! وإذ ينتظر هؤلاء الشيوخ الضعفاء الإحترام والتوقير من أهل النخوة والغيرة، إذا بهم يخاطبون إنكم تساقون إلى إعدام أبدي، بما ينفث في روعهم أن باب القبر الذي يتصورونه رحمة، ما هو إلا فم ثعبان يبتلعهم، ويهمس في آذانهم المعنوية، إنكم ماضون إلى هناك، وكأن هذا الكلام طعنات معنوية تنزل عليهم، فتذبحهم ذبحة معنوية، فإن كانت هذه غيرة قومية وحمية مليية، فإنني أستعيز بالله مائة ألف مرة من هذه الحمية والنخوة القومية»¹

ويتوجه النورسي في خطابه للشيوخ بقوله:

« أجل، أيها الشيوخ وأيتها العجائز الموقرون، ويا من تشعرون كلكم بالشيخوخة مثلي!. إننا راحلون ولا مناص من ذلك...،ولن يُسمح لنا بالمكوث هنا بمخادعة النفس وإغماض العين، فنحن مساقون إلى المصير المحتوم، ولكن عالم البرزخ ليس هو كما يتراءى لنا بظلمات الأوهام الناشئة من الغفلة، وبما قد يصوره أهل الضلالة، فليس هو بعالم الفراق، ولا بعالم مظلم، بل هو مجمع الأحباب، وعالم اللقاء مع الأحبة والأخلاء، وفي طليعتهم حبيب رب العالمين وشفيعنا عنده يوم القيامة - عليه أفضل الصلاة والسلام»²

وفي الرؤية النورسية نراه قد أعطى أهمية لهاته الفئة كغيرها من فئات المجتمع بحيث قال:

¹ - بديع الزمان سعيد النورسي ، المكتوبات ، 544.

² - بديع الزمان سعيد النورسي ، للمعات 344.

« أن الشيوخ بأمس الحاجة الى دروس يقينية وراسخة في إثبات وجوده تعالى وإثبات وحدانيته حيث يقرأون ما تكتبه الصحف من هجوم الروس على الإيمان بهجمات الإلحاد الرهيبة وإنكار الخالق العظيم»¹.

ومما يعانیه الشيب هو الثقل الذي يحسونه فيمن يبلغون عندهم الكبر، فيضطربون ويقلقون، فيحذر سعيد النورسي بأيتين من القرآن الكريم بقوله:

« أيها الإنسان المبلى بهموم العيش! اعلم أن عمود بركة بيتك ووسيلة الرحمة فيه، ودفع المصيبة عنه، إنما هو ذلك الشيخ، أو ذلك الأعمى من أقبائك الذي تستثقله، لا تقل أبدا إن معيشتي ضنك، لا أستطيع المداراة فيها!...؛ ذلك لأنه لولم تكن البركة المقبلة من وجوه أولئك، لكان ضنك معيشتك أكثر قطعا»²

وفي الشيوخ كسب أهم من البركة، وهو إحسان الله تعالى بدفع البلايا والمصائب، كما يوضح سعيد النورسي:

« الضيف سبب البركة، فقس درجة البركة والرحمة في الإنسان وهو أكرم المخلوقات، وفي أهل الإيمان وهم أكمل البشر، وفي العجزة والشيوخ وهم أجدر أهل الإيمان بالحرمة والرحمة، وفي الأقرباء وهم الأولى والأليق بالشفقة والخدمة والمحبة بين الشيوخ، ثم في الوالدين من بين الأقربين، وهم أصدقهم حبا وأوفاهم ودا، إذا حلوا في بيت، وقس مبلغ الوسيلة في دفع البلايا والمصائب بسر " لولا الشيوخ الركع لصب عليكم البلاء صبا" ³.

ومنه نخلص إلى أن خطابات النورسي تحمل في طياتها علاجا فعالا لما يعانیه الشيوخ من يأس وحرز وخوف مستمدا من صيدلية القرآن وهي "الإيمان بالآخرة" كدرس معنوي روعي لجعل تلك المرحلة مرحلة تنبض بالشباب بدل الحزن والخوف من الموت وما بعده

¹- بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ص 628.

²- بديع الزمان سعيد النورسي، اللمعات، ص 336.

³- نفس المصدر، ص 362.

لهذا كانت خطاباته تحمل إرشادات معنوية روحية وتمد السلوان والأمل في نفوس الشيوخ
يقول :

« كذا الشيوخ الذين يمثلون ربع البشرية ، فإنهم لا يرون السلوان حيال إنطفاء
حياتهم قريبا ودخولهم تحت التراب...وقد أوصدت الدنيا الجميلة أبوابها في وجوههم إلا ب"الإيمان
بالآخرة". إذ لولا هذا الإيمان لتجرع أولئك الآباء المحترمون الرحماء وتلك الأمهات الفدائيات الشقيقات
الويل تلو الويل ولباتوا في حالة نفسية تعسة جدا وفي قلق قلبي عنيف ولأصبحت الدنيا تضيق عليهم ...
بينما الإيمان بالآخرة يهتف بهم قائلا: لا تغتموا أيها الشيوخ ولا تبالوا كثيرا ، فإن لكم شبابا خالدا وهو
أمامكم ويأتي حتما...وستلقون أولادكم وأقاربكم الذين فقتتموهم وجميع حسناتكم محفوظة وتأخذون ثوابها،
وهكذا يمنح الإيمان بالآخرة سلوانا وإنشراحا لهم بحيث لو حمل أحدهم أقال مائة شيخوخة لتحملها حكمة
إبتلائنا صابرا في إنتظار ما سيعقبها من حياة آخوية سعيدة»¹

وملخص القول نعتبر أن مرحلة الشيخوخة تحمل في كنفها مجموعة من الأنواق الروحية
والمعنوية الناتجة عن الإيمان بالآخرة نحمد الله ونشكره على هاته النعمة ومما يمكن
إستخلاصة من خطابات النورسي ذات التأثير الروحي والمعنوي في نفوس الشيخ هو
مايلي:

أولا : ما دام الإسلام يأمر بتوقير الشيوخ والرحمة بهم والفضرة الإنسانية تقضي إلى
الإحترام والرحمة إتجاه الشيوخ.

ثانيا : القرآن الكريم يدعوا الأولاد إلى الإحترام والرفقة بالوالدين في خمسة مراتب
وبأسلوب في غاية الإعجاز لقوله تعالى : "وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ
إِحْسَانًا ۗ إِنَّمَا يُبَلِّغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا
قَوْلًا كَرِيمًا وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا "2.

¹ - بديع الزمان سعيد النورسي ، الشعاعات ، ص 280.

² - القرآن الكريم ، سورة الإسراء ، الآية 23،24.

ثالثا : إن توقير وإحترام وإبداء العطف والرحمة عمل صالح وحسنة للمؤمن ، ففي هذه الحسنة تكمن لذة ومتعة وجدانية.

رابعا: أن عمود البركة لأي بيت وسندها إنما هو أولئك الشيوخ الذين يأهلونه وأن الذي يحفظ ذلك البيت من البلايا والمصائب إنما هم أولئك الشيوخ الركع الذي يعمرونه ويثبت هذا الحقيقة قوله عليه الصلاة والسلام "لولا الشيوخ الركع لصب عليكم البلاء صبا"

« القناعة التامة أن مثلما رزق الصغار مثلما يأتي بناء على عجزهم وترسله الرحمة الإلهية بشكل خارق فيتفجر ينابيع الأثداء وتسيلها لهم سيلا ، فإن رزق الشيوخ المؤمنين الذين إكتسبو العصمة يرسل إليهم من قبل الرحمة على صورة بركة»¹.

« أن الشيخوخة من الأسباب الداعية لجعل الحياة صعبة ومرهقة ، تبين مدى كون الموت نعمة تفوق نعمة الحياة فحسب النورسي فلو تصورت أجدادك مع ما هم عليه من أحوال مؤلمة قابعون أمامك حاليا مع والديك الذين بلغا أرذل العمر ، لفهمت مدى كون الحياة نقمة والموت نعمة بل يمكن إدراك الرحمة في الموت ومدى الصعوبة في إدامة الحياة أيضا بالتأمل»².

« الشيخوخة فيها أذواق معنوية جديرة من الذوق المادي الناشيء من نزوة الشباب حيث نأخذ أذواقا روحية نابغة من الرحمة الصادرة عن العناية الإلهية ومن الإحترام النابع من فطرة الإنسانية»³.

« إن رعاية الشيوخ والإعتناء بهم فضلا عن كونه مدارا لثواب عظيم وبخاصة الوالدين والظفر بدعائهم وإسعاد قلوبهم والقيام بخدمتهم بوفاء وإخلاص يقود صاحبه إلى سعادة الدنيا والآخرة. فليست رعاية الشيوخ والعجائز والأبرياء من المقربين وحدهم بل إذا صادف المؤمن شيئا مريضا

¹- بديع الزمان سعيد النورسي ، اللغات ، ص 362.

²- بديع الزمان سعيد النورسي ، المكتوبات ، ص 9.

³- بديع الزمان سعيد النورسي ، اللغات ، ص 363.

ذا حاجة جديرا بالإحترام فعليه القيام بخدمتهبهمة وإخلاص ما دامت هناك أخوة إيمانية حقيقية وهذا مما يقتضيه الإسلام»¹.

يذكر النورسي أيضا بأن في رعاية الشيوخ والوالدين خاصة ثوابا جزيلا، وكسبا لدعواتهم، وسعادة في الدنيا والآخرة وعدم الشكوى والضجر من الشيخوخة بل يجب الحمد والشكر لهذه النعمة ويضيف قائلا:

« أجل يا إخواني الشيوخ ويا أخواتي العجائز... فما علينا إذا لا عدم الشكوى من الشيخوخة، وعدم التضجر منها؛ ذلك لأن الشيخوخة المشربة بالإيمان والعبادة، الموصلة إلى سن الكمال، ماهي إلا علامة انتهاء واجبات الحياة ووظائفها، وإشارة ارتحال إلى عالم الرحمة للخلود إلى الراحة، فلا بد إذا من الرضا بها أشد الرضا»².

من خلال هذه الرسالة التي تمد الامل في نفوس الشيوخ وكزاد معنوي وروحي يجب إعتبارها تجارة يجب إغتنامها. فعلينا أن نود الشيخوخة وأن نحبها لا أن نعرض عليها.

المطلب الخامس : فئة المرضى والمبتلين والمسجونين

لم يغفل النورسي عن هاته الفئة وما أسماه بفئة المبتلين بالمرض والمصائب والبلايا من مرضى وسجناء وفقراء، وإلى مدى حاجتهم إلة تقديم السلوان والعزاء ، فقد أعطى اهتماما خاصا بهم في مؤلفة اللمعات الخمسة والعشرون

« هي رسالة تتضمن خمسة وعشرون دواء وهي تعتبر وصفات معنوية

ومرهما نافعا لأهل البلايا والمصائب والمرضى الذين هم عشر أقسام البشرية»³.

¹- نفس المصدر ، ص 338.

²- بديع الزمان سعيد النورسي ، اللمعات ، 347.

³- نفس المصدر ، ص 317.

وقد وضح النورسي أهمية إحتاجهم للسلوان والعزاء كإحتياجهم للخبز والدواء، لما يجدون فيه نور من الرجاء والإيمان وبيان نعمة الصحة والمرض ومدى منافعها الدنيوية والأخروية فيقول النورسي عن هاتاه الفئة :

« فالذين تأذت حياتهم الدنيوية بالمرض والذين يظنون الموت إعداما أبديا بما أحاطت بهم من غفلة وضلالة فهؤلاء بحاجة إلى رسائل النور لما يجدون فيها من السلوان والعزاء ونور الرجاء حتى يفضل لديهم المرض والشيخوخة على الصحة والشباب»¹.

ويضيف أيضا عن المرضى :

« أسقم الناس وأشدهم مرضا ولكن إذا تمكن هؤلاء من تناول العلاج الإيماني من صيدلية القرآن المقدسة وأخذوا جرعات من مضادات السموم فيها ، فإنهم يضمدون جراحاتهم البشرية ويداوون مرضهم فضلا عن أنهم يكونون السبب في مداواة جراح البشرية كلها»².

كما يبين النورسي أن بالإيمان والعبادات يمكن التغلب على الأمراض فالإيمان يكسر شوكة المرض ويقوي المريض ولا يجعله في غفلة فهو علاج قدسي لكل داء ذو تأثير فعال حيث يقول :

« أيها الإخوان المرضى إن كنتم تشعرون بحاجة إلى علاج إذا كنتم تشعرون بحاجة إلى علاج قدسي نافع جدا، وإلى دواء لكل داء يحوي لذة حقيقية، فمدوا إيمانكم بالقوة واصقلوه، أي تناولوا بالتوبة والإستغفار والصلاة والعبادة العلاج القدسي المتمثل في الإيمان، إن علاج الإيمان يتبين تأثيره بأداء الفرائض ومراعاة تنفيذها ما إستطاع الإنسان إليها سبيلا وإن الغفلة والسفاهة وهوى النفس واللهو غير المشروع يبطل مفعول ذلك العلاج وتأثيره»³.

ولتجاوز المرض يقدم النورسي كعادته وصفات معنوية تبعث الأمل فيقول :

¹- بديع الزمان سعيد النورسي ، الملاحق في فقه الدعوة إلى النور ، ص 246.

²- بديع الزمان سعيد النورسي ، الملاحق في فقه الدعوة إلى النور ، ص 46.

³- بديع الزمان سعيد النورسي ، اللغات ، ص 338.

« تضرع أنت كذلك يا أخ وأدع الحكيم الجليل أن يرزقك صحة روحية تخلص تفكيرك وتزكيه لأجله سبحانه... لكي تنتور وتتحول تلك المعارف العلمية التي لا طائل وراءها إلى معارف إلهية نفسية عالية»¹.

« فالإيمان دواء مقدس لكل داء ودواء الرضا بالقضاء النابع من الإيمان بالقدر مما يدفع الى الشكر ضمن الصبر»².

سوف نختصر الوصفات العلاجية التي قدمها النورسي وإعتبرها دواء لكل داء لطبيعة أنها تحتوي على خمسة وعشرون دواء مع التفسير النورسي لها بالتالي سيتم إختصارها ومعرفة جوهر هذا العلاج الإيماني الروحي هي كالتالي :

يقول النورسي هي وصفات معنوية ومرهما نافعا من صيدلية القرآن المقدسة

« الدواء الأول : الصبر واستثمار راس مال العمر بدل الغفلة فهو يكسب رأس مال أرباحا طائلة»³

« الدواء الثاني : الشكر لأن المرض يعتبر بحكم ساعات من العبادة ، ذلك أن العبادة قسمان : العبادة الإيجابية المتجسدة في الصلاة والدعاء وأمثالها العبادة السلبية التي يتضرع فيها المصاب ملتجأ إلى خالقه الرحيم بعجزه وضعفه ، فينال بذلك التضرع عبادة معنوية خالصة متجردة من كل أنواع الرياء الدواء الثالث : عدم الشكوى من المرض إذ يقوم بداء المرشد ناصح أمين وموقظ»⁴ .

« الدواء الرابع : تنزوي خلف حجاب المرض معاني محببة وعميقة تظهر حكمة وشعاعات الرحمة التي تتجلى في قسم وأحكام أسائه الحسنى بالآلام وإنكشاف المصائب ، فكما أنك تتعرف على اسمه "الرزاق" بتجرعك مرارة الجوع، تتعرف على اسمه "الشافي" بمرضك»⁵ .

¹ - بديع الزمان سعيد النورسي ، الملاحق في فقه الدعوة إلى النور ، ص 46.

² - نفس المصدر ، ص 108.

³ - بديع الزمان سعيد النورسي ، اللغات ، ص 316.

⁴ - نفس المصدر ، ص 316.

⁵ - نفس المصدر ، ص 318.

« الدواء الخامس: المرض نوع من الإحسان الإلهي والهدية الرحمانية لقسم من الناس ، المريض أكثر تفكرا في الآخرة وتذكرا لها.الدواء السادس : التفكير في معنى العبادة المعنوية التي يتضمنها مرضك وبالثواب الآخروي الذي تخفيه لك واسع لتتال ذلك الذوق الخالص الزكي»¹.

بالإضافة إلى الاحساس بلذة نعمة الإلهية في الصحة والامراض كفارات للذنوب التي هي أمراض دائمة في الحياة الأبدية وفي الحياة الدنيا أمراض معنوية في القلب والوجدان والروح ، والموت رحمة والبعد عن القلق والوسوسة والمرض سببا للدعاء الخالص، الإحترام والمحبة بدل الإستغناء عن الناس الذي يجرد الإنسان من الرحمة ويسوق إلى الوحشة.

ومن اللذات المعنوية التي يكسبها المرض حسب النورسي من فوائد جمة أهمها
إعتبار أن :

« أولا :أن المرض يغدوا كنزا عظيما لبعض الناس وهدية إلهية ثمينة لهم ثانيا : أن المرض يورث ثوابا مستمرا للمريض وللذين يرعونه الله فهو يمثل وسيلة لقبول الدعاء »²

« ثالثا : المؤمن بسر الإيمان والإستسلام والتوكل يستفيد من داء العضال كالشلل بأقصر وقت إستفادة المجاهدين من أهل الولاية بالرياضة في المعتكفات فيتضاءل عندئذ الداء ويسها حمله»³.

« رابعا : إن رعاية المرضى تجلب لأهل الإيمان ثوابا عظيما وأن زيارتهم والسؤال عن صحتهم وراحتهم بشرط عدم تنغيصهم لهب من السنة الشريفة وهي كفارة الذنوب خاصة إذا كان الوالد أو الوالدة فإن خدمتها هي عبادة مهمة وهي مثوبة كبرى»⁴

¹- نفس المصدر ، ص 321.

²- بديع الزمان سعيد النورسي ، اللمعات ، ص 326.

³- نفس المصدر ، ص 336.

⁴- نفس المصدر ، ص 330.

وخلاصة القول نستنتج من خلال ما قدمه النورسي عن العلاجات المعنوية لكل داء من صيدلية القرآن المقدسة ما عساي ان أختم في هذا الجانب بإستحضار قول الرسول عليه الصلاة والسلام: " أشد الناس إبتلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمتل فالأمتل" وعند ذكر المرض فأول ما يستحضر عند المسلم وفي مقدمتهم هو سيدنا أيوب عليه السلام وما أصابه من مرض وصبره وشكره ثم الأنبياء عليهم السلام ثم الأولياء ثم الصالحون قد تلقوا جميعا أمراضا إعتبروها عبادة خالصة وهدية رحمانية فأدو الشكر من خلال الصبر وكانوا يرونها نوعا من العمليات الجراحية تمنح لهم من لدن الرحمن الرحيم.

أما خطابه في عزائه للفقراء والسجناء قوله :

«.. إكتشفنا حكمة إبتلائنا بالسجن ، ويغدوا السجن مدرسة نتلقى فيها الدروس النافعة... ونجد فيه مع إخوتنا في المصيبة والبلاء العزاء والسلوان" أما إذا صرفنا ساعة واحدة في أداء الصلوات الخمس فكل ساعة من ساعات الإبتلاء وأوقات المحن تتحول إلى يوم من العبادة ، فكأن الساعات الفانية قد إكتسبت - ببركة هذه الساعة- صفة الخلود ، وأصبحت في حكم ساعات أبدية خالدة ، فتزاح عن القلب سحب اليأس ويتبدد عن الروح ظلام القنوط وتصبح هذه الساعة من العبادة كفارة لبعض ما أرتكب من أخطاء وذنوب ربما كانت السبب في دخول السجن»¹.

ويقول عزائه للمسجونين أيضا :

« إ ن المرضى والمظلومين وأمثالنا من ذوي المصائب والفقراء والمساجين الذين حوكموا بعقوبات مشددة، كل هؤلاء يمثلون الجزء الأهم من البشرية، فإن لم يعنهم "الإيمان بالآخرة" وأن لم يتسلوا به، فإن الموت الذي يجدونه أمامهم دائما بما عندهم من مرض ... وإن اليأس الأليم النابع مما أصاب أموالهم وأولادهم من الضياع في الكوارث، وإن الضيق الشديد الناشئ من آلام السجن وعذابه لسنوات عدة نتيجة لذة طارئة، لاتستغرق دقائق أو ساعات... ولكن ما أن يمدهم الإيمان بالآخرة بالعزاء

¹- بديع الزمان سعيد النورسي ، الشعاعات ، ص 242.

والسلوان، إلا وينشرحون فوراً ويتنفسون الصعداء؛ لما يزيل عنهم من الضيق واليأس والقلق والإضطراب إزالة كلية أو جزئية، كل حسب درجات إيمانه»¹.

ويرى النورسي أن السجن يعتبر درساً نستطيع أن نحوله من محنة وإبتلاء إلى عبادة والنجاة من سجن الأبدى الذي يتمثل في جهنم إلى الدخول في الجنة والفوز بنعيمها وهو رجاء كل مسلم على وجه الأرض للفوز بها يقول النورسي :

« إن السبيل اليسيرة للنجاة من سجن الأبدى "جهنم" ، إنما هي إعتامنا فرصة بقائنا في السجن الدنيوي .فما علينا إذا إلا الإستغفار والتوبة عما إقترفناه من ذنوب سابقة مع أداء للفرائض ، كي نحول كل ساعة من ساعات هذا السجن بحكم يوم من العبادة ، فهي إذا أفضل فرصة لنا للنجاة من السجن الأبدى ولدخولنا الجنة»² .

من خلال ما تقدم نخلص القول بأن النورسي جعل القرآن الكريم صيدلية لكل داء، وما دام أهم درس يلقننا إياه القرآن الكريم هو الإيمان بالآخرة فبدون شك أن ذلك الإيمان هو نور باهر يبعث روح الأمل في النفوس بدل اليأس والقنوط والغفلة والسفاهة ورجاء شديد وعزاء وسلون عظيم لما يصيبنا من إبتلاءات في خضم الحياة الدنيوية. لأن الإنسان مستحيل أن تخلوا حياته من المحن والإبتلاءات. كما ينفذ حياته الدنيوية والآخروية.

نستخلص مما سبق أن منهج النورسي وخطابه الدعوي تميز بالشمولية في خطابه التي لم تقتصر على فئة معينة أو خاصة وإنما تعدت ذلم لتشمل أكبر نطاق ممكن ، بل كانت تخاطي جميع فئات وعناصر المجتمع ، بالإضافة إلى هذا تميز خطابه باللامحدودية المكان والزمان ، ونلاحظ في هذه النقطة لما هو موجود في القرآن الكريم بإعتبار المنهج القرآني شاملاً الذي يخاطب جميع الفئات عبر الأزمنة والأمكنة الذي يدعو إلى الإيمان ، فبالتالي نرى أن الإيمان هو أسمى العلوم وأدقها وإلى المعرفة الإلهية التي هي أوسع العلوم وأنورها.

¹- نفس المصدر ، ص 281.

²- بديع الزمان سعيد النورسي ، الشعاعات ، ص 290.

المبحث الرابع : ثنائية الشيخ والمريد وموقع الكرامات عند النورسي

المطلب الأول : ثنائية الشيخ والمريد في المنظور النورسي

يحتل الشيخ مكانة ومرتبة في الحقل الصوفي بمرتبة الزعيم وهو أشبه بمرتبة الزعيم السياسي أو أكثر إن صح التعبير. كما يمثل الأبوة المطلقة في علاقاته مع مريديه وهي كذلك شبيهة بالعلاقة التي يمارسها الزعيم في علاقاته برعاياه ، إن أنها بمثابة مركز جذب وإستقطاب يعمل على تنظيم حركة الإنتماء، كما أن الشيخ يستغل هاته السلطة الروحية ويستثمرها في توسيعها على المريد ، لكن مفهوم الثنائية بين الشيخ والمريد من وجهة نظر النورسي تختلف عما عهدناه في المفهوم التقليدي في المجال الصوفي المتمثل في تلك العلاقة الرأسية أو الأفقية بين الشيخ والمريد الشيخ الأمر والناهي والمريد المنصاع لأوامر شيخه دون نقاش . لكن النورسي قد أعاد هيكلة هاته الثنائية بمفهوم جديد يختلف عن المفهوم التقليدي الكلاسيكي.

يعتبر النورسي أن العلاقات القائمة بين الأستاذ والطلاب وهي بمثابة الثنائية عند النورسي بدل مصطلح ثنائية الشيخ والمريد التقليدي ، حيث أعاد صياغة أو إعادة هيكلة هذه الثنائية إلى أبعاد ثلاثية هاته العلاقات لها ثلاثة أوجه تخدم تلك العلاقات وتمتتها وتربطها ببعضها البعض حيث حصر " النورسي " هذه العلاقات في ثلاثة مظاهر تمثلت في :

المظهر الأول : الأخوة بين الطلاب وبينه

المظهر الثاني : كزملاء في الدرس.

المظهر الثالث : الذي تجلى في نظر "النورسي" حول مساعدتهم له وإعتبارهم كأصحاب شورى من جهة أخرى.

من خلال هذه الصياغة النورسية نلاحظ ونستنتج أن ثنائية العلاقة بين الشيخ والمريد وملاحظتنا في كثير من الدراسات الصوفية إن لم نقل جها تلك الثنائية ذات الصبغة السلطوية التي تحمل في طياتها تلك السلطة الروحية والمعنوية للشيخ ، وما على المريد إلا الإذعان والخضوع والإنصياع للشيخ لأوامره وللإرشاداته حتى يحظى بالقبول وأن يبتعد

عن التساؤل والنقد وإلا قوبل بالرفض والتهميش والإبعاد، فالمريد أشبه في ذلك بما يكون عليه الميت في يد غساله لا يستطيع أن يعارض شيخه في أي شيء بل عليه أن يثبت العكس حتى ينال تلك المرتبة أو الترقى في مقام من حال إلى حال ومن مقام إلى مقام هكذا وبهذه الشاكلة تتجسد ثنائية الشيخ والمريد ذات الطابع السلطوي في المجتمعات الصوفية، غير أن "النورسي" تجاوز هذا النموذج السلطوي بأسلوب وبمنهج جعله متميزاً عن غيره من الشيوخ والصوفية وكسر تلك الثنائية التقليدية المعهودة لدى شيوخ الطرق الصوفية بصفة عامة والتي تتمثل في الشيخ الأمر والناهي والمريد المنصاع لشيخه وتلبية مطالبه ، أعاد هيكلته هاته العلاقة بين الشيخ والمريد ، حتى أنه لا يستعمل لفظ الشيخ والمريد وإنما إعادة صياغة هاته الثنائية شكلاً ومضموناً لفظاً وإحتواءً بمعنى الأستاذ والطالب وكيف غير وجدد هذه الثنائية التقليدية ذات العلاقة الرأسية أو العمودية إلى ثنائية تقوم على علاقة أفقية تتعدد في علاقاتها إلى الأخوة والزمالة وإلى أصحاب شورى. حيث يقول النورسي في هذا الشأن حول العلاقات بين الأستاذ والطالب

« سألين لكم وجهة نظري بما يفيدكم حول العلاقات القائمة بين الأستاذ والطلاب وزملاء الدرس وهي : أنتم يا إخواني ويا طلابي بما هو فوق حدي من جهة وزملائي في الدرس من جهة أخرى ، ومساعدتي وأصحاب شورى من جهة أخرى ، إن أستاذكم ليس معصوماً من الخطأ ، بل من الخطأ الاعتقاد أنه لا يخطئ»¹.

وفي موضع آخر يشير بقوله إلى مايلي :

« إنني أسر إن نبهتموني بكل صراحة لأي خطأ ترونه عندي بل أقول : ليرض الله عنكم إذا قلتموه لي بشدة... إنني مستعد لقبول أية حقيقة كانت يفرضها الحق، وإن كنت أجهلها ولا أعرفها فأقبلها وأضعها على العين والرأس ولا أناقشها وإن كانت مخالفة لأنانية النفس الأمانة... إعلموا أن

¹- بديع الزمان سعيد النورسي ، الملاحق في فقه الدعوة إلى النور ، ص 61.

هذه الوظيفة الإيمانية وفي هذا الوقت جليلة ومهمة فلا ينبغي لكم أن تضعوا هذا الحمل الثقيل على كاهل شخص ضعيف مثلي وقد تشتت فكره بل عليكم معاونته قدر المستطاع»¹.

وما يمكن إستخلائه من هاته الهيكلة النورية هو أن الخدمة الإيمانية لا يتوقف على الشيخ أو الأستاذ فقط وإنما يتعدى ذلك بكونه عمليه تفاعلية بين الأستاذ والطالب بطريقة أفقية ذات أثر رجعي وليس بطريقة عمودية تتميز بالسيطرة الروحية تلك التي تجسدها ثنائية المشيخة التقليدية بل تتجاوزها من أجل الوصول إلى حقائق وفق تنظيم وتصوير هذا الثنائية كعملية تفاعلية أفقية بناءة تخدم الحقائق الإيمانية.

كما أشار " النورسي " إلى ما يجب أن يتوفر في الشيوخ الحاليين هو قوله :

« ما تطلب من الشيوخ الحاليين الإخلاص الذي يترنمون به دوما ، الجهاد الأكبرالذين يرابطون في النكايا التي هي معسكرات معنوية بالطريقة التي هي جنديّة روحانية فيها ، وترك إلترام النفس وترك المنافع الشخصية الذي هو معنى الزهد ، الذي هو شعارهم والمحبة التي يدعونها وهي جوهر مزاج الإسلام هاهم قد أخذوا منا أجرتهم بإستخدامنا فالآن نطالبهم بالعمل وهودين في رقابهم»²

كيف يكونون ؟ فكان جوابه كالتالي:

« إما أن يولوا وينصرفوا عنا أو يرفعوا العناد والغيبة والإنحياز فيما بينهم لأن قسما من المنتشخين المبتدعين قد تسببوا في تشكيل فرق من أهل البدع والضلالة»³

كيف يتفقوا وأن يتحدوا فيما بينهم وبعضهم ينكر على بعض ؟ يخاطبهم النورسي بما يأتي :

« أيها الحمقى أما سمعتم أو أما علمتم أن الآية إنما المؤمنون إخوة ناموس إلهي وهل تعاملتكم عن الدستور النبوي الشريف لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»⁴.

¹ - بديع الزمان سعيد النورسي ، الملاحق في فقه الدعوة إلى النور ، ص 62.

² - بديع الزمان سعيد النورسي ، صيقل الإسلام ، ص 422.

³ - نفس المصدر ، ص 422.

⁴ - نفس المصدر ، ص 423.

ما الفرق بين الشيخ الولي والمتشيخ المدعي للولاية؟ كان جواب النورسي كالتالي:

« إن كان هدف الشخص وغايته الإتحاد بضياء القلب ونور الفكر وكان مسلكه المحبة وشعاره ترك حب الذات والأنانية وكما مشربه إنكار الذات وطريقته الحمية الإسلامية ربما يكون شيخا مرشدا حقا ، ولكن إذا كان مسلكه إظهار مزياءه بتتقيص الآخرين ويلقن محبته - إلى مردييه- بخصومة الآخرين وينحاز إلى نفسه ويلتزم جانبها مما يستلزم الإختلاف ، وكان يظهر أن محبته متوقفة على خصومة الآخرين مما ينتج الغيبة والميل إليها فما هو إلا متشيخ يتطلع إلى الرئاسة ، فلا ينتهي به الأمر إلا إلى جعل الدين وسيلة لجر مغنم الدنيا ، أو منخدع بلذة منحوسة مشؤومة أو بإجتهد خطأ يجعله يحسن الظن بنفسه وتفتح طريق سوء الظن في المشايخ الكرام والنوات المباركة»¹.

ولعل الدراسة التي قدمها الباحث الأنثربولوجي المغربي "عبد الله حمودي" لثنائية الشيخ والمريد تجسد ما أشار إليه النورسي ومن جهة أخرى تختلف عما صاغه النورسي حول هذه العلاقة وكيف حلها من منظوره ، سأورد بإختصار حول ثنائية الشيخ والمريد من خلال ما توصل إليه الباحث "عبد الله حمودي" من خلال إستغلال السلطة الروحية الدينية من أجل سلطة سياسية أو إقتصادية وكيف تتجسد علاقة المريد بالشيخ

إن علاقة الشيخ والمريد تبدأ بمرحلة زهد المريد في البداية بالتخلي عن كل مظاهر الحياة المادية، حتى يصير المريد زاهدا ثم وليا. ولحصول ذلك لابد له

« من المرور بمرحلة المجاهدة النفسية والتربوية. وتنقسم مرحلة التربية بواسطة الشيخ إلى مرحلتين: مرحلة التأهيل: تبدأ بقطع الصلة بالوالدين، ويترجم ذلك عمليا بالتخلي عن كل القيم الدنيوية و مرحلة التلقين: إذا كانت مرحلة التأهيل بمثابة عملية نفي للفضاءات والأمكنة والأزمنة الدنيوية»².

فإن مرحلة التلقين يتم عبرها تخريب كل قوى النفس والشهوات الغرائزية؛ فتسهل السيطرة والتحكم في الذات. إنها أساس المجاهدة التربوية والروحية، وعبرها يرث المريد إرث وسر

¹- بديع الزمان سعيد النورسي ، صيقل الإسلام ، ص 423 - 424.

²- عبد الله حمودي، الشيخ والمريد ، تر: عبدالمجيد جحفة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط.2، 2000م ، ص 114.

شيخه من جهة ولايته؛ ومن جهة أخرى يعيد إنتاج نمط حياة الشيخ وسلوكه إزاء نفسه والآخرين. إن المرور من مرحلة التأهيل إلى مرحلة التلقين بمثابة محطة أساسية في أدبيات الزوايا. فعبر هذا المرور يسلم المريـد إرادته لشيخه لكي يرث سره. وهكذا يرث المريـد سر شيخه، فيبدأ في إعادة تكرار نموذج هذا الشيخ سلوكه، سلطته. ليعيد الشيخ الجديد نفس الدور القديم. وهكذا تعمل ثنائية الشيخ والمريـد على تكريس السلطوية، والحفاظ على نسقها عبر عملية إعادة إنتاج نفس الدور.

نموذج الشيخ والمريـد قد أعيد تمثله حيث حسب الباحث عبد الله حمودي :

« إنتقل نسقيا من المجال الديني إلى المجال السياسي بعد أن وسعت مراقبتها لتشمل النشاط الحربي والمدني والسياسي والإقتصادي»¹.

مما يمثل كذلك ذلك التقاطع بين الثقافة الدينية الصوفية بالثقافة السياسية و التنظيمية التقاطع من خلال العلاقة التي تربط بين الشيخ و المريـد المتمثلة أساسا في التحكم و الخضوع و التي قد تبلغ حد الإذلال فعلاقة الشيخ و المريـد أسقطها على النسق السياسي و تنظيماته كالأحزاب و النقابات و الحركات الإسلامية.

ومن خلال التحليل النفسي نعتبر أن يقول الشيخ لمريده بأسلوب الوعي واللاوعي: مهمتك الإستقبال والدفاع ، إستقبال مشروع و الدفاع عن رأي ومن وجهة نظر التحليل النفسي: الأنا تصل الى درجة التضخم "الزرجسية القوية" -أنا وبعدي الطوفان- الآخر جحيم ، ممارسة الافتراضية "السادية" على من لا يقبل الطاعة وممارسة الأبوة والحضانة المعرفية فالعلاقة القائمة بين الشيخ والمريـد محكومة بالأبوة المطلقة التي يدعيها الشيخ في علاقاته بمريديه هي نفسها التي يمارسها الزعيم في علاقاته برعاياه.

لكن هذا المفهوم عند "النورسي" فيما يخص هذه الثنائية المتمثلة في علاقة الشيخ بالمريـد أنها تتميز بالتسامي عن هذه النعرة، بل يتسامى إلى البعد الرمزي للأفكار التي تتضمنها

¹ - عبد الله حمودي، الشيخ والمريـد ، ترجمة: عبدالمجيد جحفة ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ، الطبعة الرابعة ، 2010م ، ص23.

رسائل النور والتركيز والإهتمام والحرص على ضرورة التربية الروحية وبالتالي البناء الروحي حتى ولو كان في شخصه ومن خلال هذا نلاحظ ونستنتج أن عملية التسامي عن التفاخر وعن إظهار الذاتية وبالتالي نرجسية الشيخ قد تجاوزها ليجعل التبشير أهم غاية تسعى إليها الدعوة وإن دل هذا المفهوم فإنما يدل على أهمية أخلة العمل الدعوي من جهة ومن زاوية أخرى دفع التهم التي توجه إلى مجاله الدعوي وبهذا النموذج تتجسد أخلة العمل الإسلامي وإبعاد الذاتية ومن خلال هذا تكون مركزية الزعامة ومركزية المشيخة وبالتالي إستثمارها بما يتناسب ويوافق الشرع .

المطلب الثاني : معاني المعجزة والكرامة

الفرع الأول : المعنى اللغوي للمعجزة والكرامة

معنى المعجزة في اللغة :

« بفتح الجيم وكسرهما - مفعلة من العجز، وهو عدم القدرة»¹.

« الكرامة إسم يوضع للإكرام، كما وضعت الطاعة موضع الإطاعة، والغارة

موضع الإغارة، والمكرم: الرجل الكريم على كل أحد، ويقال: كرم الشيء الكريم كرما، وكرم فلان علينا كرامة»²

الفرع الثاني : المعنى الإصطلاحي للمعجزة والكرامة

المعجزة في الإصطلاح:

« ما خرق العادة من قول أو فعل، إذا وافق دعوى الرسالة أو قارنها ، على جهة

التحدي ابتداء ، بحيث لا يقدر أحد على مثلها ، ولا على ما يقاربها»³.

« أمر خارق للعادة ، يظهره الله تعالى على يد ولي من أوليائه تكريما له أو نصره

لدين الله»¹.

¹- ابن منظور ، لسان العرب ج5؛ دار صادر بيروت ، الطبعة الثالثة ، 1414 هـ ، ص369.

²- ابن منظور ، نفس المرجع ، ص 512.

³- د. عمر الأشقر، الرسائل والرسالات ، مكتبة الفلاح ، الكويت، الطبعة الثالثة ، 1405 هـ ، ص121

تعريف المعجزة : يعرفها العلامة ابن خلدون كمايلي : إذ قال :

« خوارق مخصوصة كالصعود إلى السماء، والنفوذ إلى الأجسام وإحياء الموتى، وتكليم الملائكة، والطيران في الهواء»²

أما الجرجاني فنجد تعريفه أكثر جلاء ووضوحا يقول :

« الكرامة هي ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة، فما لا يكون مقرونا بالإيمان والعمل الصالح يكون استدراجا، وما يكون مقرونا بدعوى النبوة يكون معجزة»³

ويقول ابن خلدون في الكرامة

« وخوارق الولي دون ذلك كتكثير القليل والحديث عن بعض المستقبل»⁴.

يقول الكلاباذي عن الكرامة :

« وأجمعوا على إثبات كرامات الأولياء وإن كانت تدخل في باب المعجزات كالمشي على الماء، وكلام البهائم وطى الأرض، وظهور الشيء في غير موضعه ووقته، وقد جاءت الأخبار بها وصحت الروايات ونطق بها بالتنزيل.»⁵

الفرع الثالث : الفرق بين المعجزة والكرامة

إنما سميت المعجزات ، لإعجاز الخلق عن الإتيان بمثلها فمن أثبت من ذلك شيءا لغير الأنبياء عليهم السلام فقد ساوى بينهم ولم يفرق بين الأنبياء وبينهم. هناك فرق بين الأنبياء

¹ - محمد بن صالح عثمين ، مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن عثيمين ، ج4 ، محقق : فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان ، دار الوطن للنشر ، 1413 هـ ، ص 311.

² - ابن خلدون ، تاريخ العلامة ، ج5، ص 165

³ - الجرجاني -التعريفات 184.

⁴ - ابن خلدون ، نفس المرجع ، ج5، ص 165.

⁵ - الكلاباذي ، التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص 87-88.

وهناك فرق بين المعجزة والكرامة وهذه الإختلافات حسب ما ذكره الصوسي في كتابه "اللمع" حيث حدد تلك الفروق كمايلي :

« الأنبياء مستعبدون لإظهار ذلك للخلق والإحتجاج بها على من يدعونهم إلى الله تعالى ، فمتى كتموا ذلك فقد خالفوا الله في كتمانها ، والأولياء مستعبدون بكتمان ذلك عن الخلق وإن أظهروا من ذلك بشيء للخلق لإتخاذ الجاه عنهم فقد خالفوا الله وعصوه بإظهار ذلك. والوجه الآخر في الفرق بينهم وبين الأنبياء ، أن الأنبياء عليهم السلام يحتجون بمعجزاتهم على المشركين لأن قلوبهم قاسية لا يؤمنون بالله عز وجل والأولياء يحتجون بذلك على نفوسهم كي تطمئن وتوقن ولا تضطرب ولا تجزع عند فوت الرزق لأنها أمارة بالسوء جاحدة ، مشركة مجبولة على الشك ليس عندها يقين بمن ضمن لها خالقها من الرزق وذكر القسم عليها»¹.

وهناك من يربط أنه كلما كانت له كرامات كثيرة كان دالا على صلحهم وعلى قوة إيمانهم وأشار الطوسي إلى هاته الحقيقة حيث يقول :

« والوجه الآخر في الفرق بينهم وبين الأنبياء عليهم السلام ، الأنبياء كلما زادت معجزاتهم وكثرت يكونوا أتم لمعانيهم وأثبت لقلوبهم كما كان بنينا عليه الصلاة والسلام قد أعطى جميع ما أعطي للأنبياء عليهم السلام من معجزات ثم زيادة أشياء أخرى لم يعط أحد غيرها مثل المعراج ، إنشقاق القمر ونبع الماء من بين أصابعه. فالأنبياء عليهم السلام ، فالأنبياء كلما زادت لهم من المعجزات يكون أتم لمعانيهم وفضلهم وهؤلاء الذين لهم الكرامات من الأولياء كلما زادت كراماتهم يكون وجلهم أكثر وخوفهم أكثر حذرا من أن يكون في ذلك من المكر الخفي لهم والإستدراج وأن يكون ذلك نصيبهم من الله عز وجل سببا لسقوط منزلتهم عند الله عز وجل»².

ومنه يمكن أن نستخلص أنه هناك فروق كثيرة بين المعجزة والكرامة من بينها :

¹- أبي نصر السراج الطوسي ، **اللمع** ، تحقيق: عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة ومكتبة المثني، مصر بغداد ، 1960م ، ص 393
²- نفس المرجع ، ص 394.

- 1- أن المعجزة مبنية على الإظهار والإشهار ، وأن صاحبها (وهو النبي) مأمور بإظهارها ، بينما الكرامة مبنية على الكتم والستر ، وصاحبها (وهو الولي) مأمور بكتمانها .
- 2- المعجزة تكون مقرونة بالتحدي وبدعوى النبوة ، أما الكرامة فغير مقرونة بالتحدي ، ولا بدعوى فضيلة ولا منزلة عند الله.
- 3- ثمرة المعجزة تعود بالنفع والفائدة على الغير ، والكرامة في الغالب خاصة بصاحبها.
- 4- المعجزة تكون بجميع خوارق العادات ، والكرامة تختص ببعضها.
- 5- المعجزات خاصة بالأنبياء ، والكرامات تكون للأولياء.
- 6- الأنبياء يحتجون بمعجزاتهم على المشركين لأن قلوبهم قاسية ، والأولياء يحتجون بالكرامة على نفوسهم حتى تطمئن وتوقن ولا تضطرب .

« إن في أمة محمد عليه الصلاة والسلام من لا يرى ذلك حالا أو مرتبة ولا كرامة يرى ذلك إختبارا ومحنة موضوعة على طرق الأصفياء والمخصوصين من أوليائه ، فهم يخشون من ذلك إن ظهر لهم سقوط منزلتهم عند الله تعالى ونكوصهم على عقبهم ونزولهم عن درجتهم ولا يعدون من ركن إلى ذلك ورضى به حالا أنه من أهل التصوف»¹.

إذن يمكن القول أننا نخلص إلى أن الأنبياء بالمعجزة، والأولياء بالكرامة، فالأنبياء يظهرون المعجزات دلالة على نبوتهم حجة وبيانا، والأولياء صفتهم وما يجعل الناس يلبسونهم ثوب الولاية هو ما يصدر عنهم من كرامات ومن بينها إجابة الدعاء. ونجد الكثير ممن تناولوا هذا الموضوع يتصدر حديثهم تقديم المعجزة مما يجعلنا نقول أن المعجزة أصل والكرامة فرع

الفرع الرابع : فوائد ودلالات الكرامة

إن من شروط الكرامة أن يكون من جرت على يده هذه الكرامة ملتزما بالإستقامة على الإيمان ومتابعة الشريعة ، فإن كان عكس ذلك فالجاري على يده من الخوارق يكون من الأحوال الشيطانية . كما يمكن عدم حصول الكرامة لبعض المسلمين وهذا ليس معناه نقص

¹- ابي نصر السراج الطوسي ، نفس المرجع ، ص 399.

في إيمانهم ، لأن الكرامة إنما تقع لأسباب منها تقوية إيمان العبد وتثبيتته ، والدليل على ذلك واقع الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ولهذا لم ير كثير من الصحابة شيئا من الكرامات لقوة إيمانهم وكمال يقينهم فهم لم يحتاجوا إلى الكرامات لتصديق إيمانهم لأن الرسول عليه الصلاة والسلام كان بين أظهرهم.

وكما أن الغرض من المعجزة يكون في المقام الأول لإثبات صدق نبوة الأنبياء، وأنهم رسل من عند الله، وعلى سبيل المثال عدم إحراق النار سيدنا إبراهيم عليه السلام وتحول عصا موسى عليه السلام إلى حية ، وإنشقاق القمر ونزول القرآن ، فإن القرآن هو أعظم معجزة الرسول على الإطلاق ، وكحنين الجذع ، ونبوع الماء من بين أصابعه ، وغير ذلك من المعجزات الكثيرة . للرسول صلى الله عليه وسلم . إذن فالكرامة هي محاكاة للمعجزة كانت منذ القديم ولا تزال .

أولا : فوائد الكرامة:

قال العلماء : كل كرامة لولي ، فهي آية للنبي الذي إتبعه ، لأن الكرامة شهادة من الله عز وجل أن طريق هذا الولي طريق صحيح وكذلك :

« الكرامات تكون تأييدا أو تثبيتا أوإعانة للشخص أو نصرا للحق ، ولهذا كانت الكرامات في التابعين أكثر منها في الصحابة ، لأن الصحابة عندهم من التثبيت والتأييد والنصر ما يستغنون به عن الكرامات ، فإن الرسول عليه الصلاة والسلام كان بين أظهرهم ، وأما التابعون فإنهم دون ذلك ولذلك كثرت الكرامات في زمنهم تأييدا وتثبيتا ونصرا للحق الذي هم عليه»¹.

فمن خلال هذا يمكننا إستخلاص مجموعة من الفوائد التي تتضمنها الكرامة وتتمخض عنها وهي كالاتي :

1- بيان قدرة الله تعالى.

2- نصره الحق أو الدين ، أو تكريم الولي.

¹-محمد بن صالح العثيمين ، مجموع فتاوى ورسائل فتاوى فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ج8، المحقق : فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان ، دار الثريا للنشر والتوزيع ، الرياض، ط2، 1996م، ص 630.

3- زيادة الإيمان، والتثبيت للولي الذي ظهرت على يديه.

4- أنها من البشرى للولي.

ثانيا : دلالات الكرامة

إن المراد بخوارق العادات ما يأتي على خلاف العادة الكونية وبالتالي فإن هذا الكرامات لها دلالات تتميز بها وتجعلها من خصوصياتها التي تميزها عن غيرها هي كمايلي :

« بيان كمال وقدرة الله تعالى ، حيث حصل هذا الخارق للعادة بأمر الله تكذيب القائلين بأن الطبيعة هي التي تفعل هذا ، لأنه لو كانت الطبيعة هي التي تفعل لكانت الطبيعة على نسق واحد لا تتغير ، فإذا تغيرت العادات والطبيعة دل على أن للكون مدبرا وخالقا.أنها آية للنبي المتبوع كما أسلفنا أن فيها تثبيتا وكرامة لهذا الولي».¹

ثالثا : أنواع الكرامة :

إن الكرامة تتنوع وتتعدد وقد أشار إلى هذا التنوع ابن العثيمين يرى أن أنواع الكرامة تنقسم بورها إلى إلى قسمين كالتالي :

«القسم الاول : قسم يتعلق بالعلوم والمكاشفات وفيما يخص العلوم : أن يحصل للإنسان من العلوم ما لا يحصل لغيره والمثال الذي يجسد ذلك ما ذكر عن أبي بكر أن الله أطلعه على ما في بطن زوجته - الحمل - أعلمه الله أنه أنثى. أما المكاشفات فأن يظهر له من الأشياء التي يكشف له عنها ما لا يحصل لغيره ومثال ذلك ما حصل لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، حيث كان يخطب الناس يوم الجمعة على المنبر ، فسمعه يقول يا سارية ! الجبل ! فتعجبوا من هذا الكلام ، ثم سألوه عن ذلك؟ فقال : إنه كشف له عن سارية بن زنيم وهو أحد قواده في العراق، وأنه محصور من عدوه ، فوجهه إلى الجبل وقال له يا سارية !الجبل ! فسمع سارية صوت عمر وإنحاز إلى الجبل وتحصن به ، هذه من أمور المكاشفات لأنه أمر واقع ، لكنه بعيد.أما القسم الثاني : قسم آخر يتعلق

¹- محمد بن صالح العثيمين، نفس المرجع ، ص 631.

بالقدرة والتأثيرات فمثل ما وقع لمريم عليها السلام من هزها لجذع النخل وتساقط الرطب عليها . ومثل ما وقع للذي عنده علم من الكتاب حين قال لسيدنا سليمان عليه السلام»¹

قوله تعالى في قصة سيدنا سليمان مع ملكة سبأ : ﴿قَالَ عَفَرْتُ مِنَ الْجِنَّ أَنَا أَتَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَأَهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾².

المطلب الثالث : موقع الكرامات عند النورسي

تحدث النورسي عن الكرامات ليس لإظهارها وإنما كانت عبارة عن سؤال وجه إليه حيث تضمن هذا السؤال مايلي:

« ما دامت رسائل النور ذات كرامة وتورث قارئها رقيا في إنكشاف حقائق الإيمان أكثر مما تورثه الطرق الصوفية ، بل إن قسما من طلابها الصادقين هم أولياء صالحون من جهة ، فلماذا لا تشاهد فيهم مظاهر وأذواق روحية وكشفيات معنوية وكرامات مادية ملموسة كالأولياء ، فضلا على أنهم لا يهتمون بمثل هذه الأمور ولا يتعقبونها ، فما الحكمة في هذا؟»³

فكان جواب النورسي حول هذا الموضوع بأن عدم تعقبه هو وطلابه لمثل هذه الكرامات المادية إنما مرجعه يكمن في سر الإخلاص الذي لا يتحرى مقاصد دنيوية ولا يطلب هذه الأذواق بل لو طلبت لفسد الإخلاص وقد تضمن جوابه :

« أولا : إذ أن الأذواق والكرامات المؤقتة في الدنيا تصبح مقصودة بالذات لدى أولئك الذين لم يتمكنوا من قهر نفوسهم بالأمانة بالسوء وتغدوا لديهم هذه الأذواق داعية للقيام بأعمالهم

¹- نفس المرجع ، ص 632.

²- القرآن الكريم ، سورة النمل ، الآية 39-40.

³- بديع الزمان سعيد النورسي ، الملاحق في فقه الدعوة إلى النور ، ص 271.

الأخروية . وهذا مما يفسد الإخلاص ، لان الأعمال الآخروية لا يتحرى فيها مقاصد دنيوية ولا يسأل فيها عن أذواق بل لو طلبت فيها تلك الأذواق لفسد الإخلاص»¹

ويشير النورسي أيضا إلى رؤية أساسية وقضية هامة في الفكر الصوفي وهي متداولة إلى عصرنا الحالي وهو أن هاته الكرامات تستعمل لجذب المريدين غير أنها تعكس ذلك النقص والضعف وإعتبارهم أنهم لم يبلغوا مرتبة الإيمان الحقيقي ويؤكد النورسي هذه بقوله :

« **ثانيا** : إن الكرامات والكشفيات إنما هي لبث الثقة في نفوس السالكين في الطريقة من الناس العوام الذين يملكون إيمانا تقليديا ولم يبلغوا مرتبة الإيمان الحقيقي وهي أحيانا لتقوية الضعفاء ممن تساورهم الشكوك والشبهات بينما الحجج التي تسوقها رسائل النور فيما يخص حقائق الإيمان لا تدع مجالا في أي جهة لدخول الشبهات والأوهام. كما لا تدع داعيا للكرامات والكشفيات لتطمين القلب والإقتناع فالإيمان الحقيقي الذي تمنحه رسائل النور هو أرفع بكثير من الكرامات والكشفيات والأذواق. لذا لا يتحرى طلاب النور الحقيقيون أمثال هذه الكرامات»².

ومن بين ما أشار إليه النورسي كذلك هي المبادئ التي يتبعها طلاب النور أينما وجدوا هو ليس لنيل مرتبة أو لنيل مقاصد دنيوية ونيلها كما هو مألوف في المسار الصوفي لكن مبدئهم الأسمى هو خدمة الإيمان خدمة مباشرة لنيل رضا الله وقبوله دون إستجلاب أو جذب مريدين إليها عن طريق الكرامات وما شابه ذلك كما هو معروف في الطرق الصوفية وإنما تكون خدمة الإيمان نتيجة إخلاصا لله ولمرضاته

« **ثالثا** : إن أساسا من أسس رسائل النور هو معرفة الشخص بقصوره في قرارة نفسه والإندفاع إلى خدمة الإيمان بتفان إبتغاء لمرضاة الله وحده دون الإلتفات إلى الآخرين»³

الفرع الأول :إختلاف الكرامات بين طلاب النور وأهل الطريقة من أصحاب الكرامات

¹ - نفس المصدر ، ص 271.

² - بديع الزمان سعيد النورسي ، الملاحق في فقه الدعوة إلى النور ، ص 271.

³ - نفس المصدر ، ص 271.

يوضح النورسي في هذا الصدد من خلال موازنته للكرامات التي تخص طلاب النور ومقارنتها والتي هي موجودة عند أصحاب الطرق الصوفية أو أهل الطريقة من خلال النقاط التالية :

أن الكرامات توجد المنافسة والحسد وتعمل على تكريسها فيما بين أهل الطرق ومن جهة أخرى قد تكون تدعي إلى أفضلية ولي على آخر بمجرد وجود هذه الكرامات التي تعتبر عند البعض دليل على هاته الأفضلية خاصة وذلك من جراء إنتشار الغرور والأنانية فحين أن هذا منعدم تماما عند طلاب النور ولا يهتمون لمثل هذه الكرامات يقول النورسي :

« بينما الإختلاف الموجود بين أهل الطريقة من أصحاب الكرامات والمتلذذين من الكشفيات ووجود شيء من الحسد والمنافسة فيما بينهم في هذا العصر الذي عمت فيه الأنانية والغرور كل ذلك ساق أهل الغفلة إلى إساءة الظن بأولئك الطيبين المباركين وإتهامهم بأنهم أنانيون ومن هنا نرى لماذا لا يسأل طلاب النور الكرامات والكشفيات لشخصهم ولماذا لا يلهثون وراء تلك الأمور وكيف أن هذا الطور هو الألزم لهم والأوجب عليهم¹»

« مسلك رسائل النور لا تعطي الأهمية للشخص حيث يكتفي الجميع بما نالت رسائل النور من حيث المشاركة المعنوية والفناء في الإخوان من آلاف الكرامات العلمية ومن يسر في نشر الحقائق الإيمانية ، وبما يجد أولئك الطلاب من بركة في معاشهم وأمثالها من الإكرامات الإلهية لذا لا يفتشون عن كمالات وكرامات أخرى شخصية².»

« إن الأولياء يستعذبون مشاق الأعمال ومصاعبها والمصائب والبلايا ، فلا يشكون ولا يتذمرون بل لسانهم دائما يردد الحمد لله على كل حال. وإذا وهب الله لهم كرامة أو كشفوا نوراً أو ذوقاً فإنهم يتناولونه بأدب جم ويعدونهم إلتفاتاً وتكرماً منه سبحانه وتعالى ، فيحاولون ستر الكرامة وإخفاؤها ولا يظهرونها ولا يتفاخرون بها ، بل يسارعون إلى زيادة شكرهم وتعميق عبوديتهم ، وكثيرون منهم يجأرون إلى الله أن يحجب هذه الأحوال عنهم ويحجبهم عنها ويتمنوا ذهابها وإختفائها خوفاً من أن

¹- بديع الزمان سعيد النورسي ، الملاحق في فقه الدعوة إلى النور ، ص 272.

²- نفس المصدر ، ص 273.272.

يتعرض الإخلاص في عملهم للخلل.حقا إن أفضل نعمة إلهية يمكن أن ينالها شخص مقبول عند الله هي التي توهب له من دون أي يشعر بها ، لكي لا يتحول من حال التضرع والدعاء إلى حال الإدلال بعباداته وطلب الأجر عليها ، ولئلا يتحول من موقع الشكر والحمد إلى موقع الدل والفخر»¹

كما يشير النورسي في موضع آخر حول الكرامات فيقول :

« إن تلك الكرامات لا تعود لي وليس من حدي أن أكون صاحب تلك الكرامات ، بل هي لرسائل النور التي هي ترشحات من العجزة المعنوية للقرآن الكريم ولمعات منها وتفسيرحقيقي له، متخذة شكل الكرامات، من أجل تقوية الروح المعنوية لطلاب النور فهي نوع من الإكرامات الإلهية وإظهار الإكرام الإلهي شكر وهو جائز ومقبول أيضا»² .

ويضيف النورسي في موضع آخر قائلا :

« إن حقيقة الإخلاص تمنعني عن كل ما يمكن أن يكون وسيلة إلى كسب شهرة لبلوغ مراتب مادية ومعنوية ، نعم إنه على الرغم من أن هذا يؤثر تأثيرا سيئا في خدمة النور إلا أنني أرى أن إرشاد عشرات من الناس إرشاد خادم لحقائق الإيمان إرشادا خالصا حقيقيا وتعليمهم أن حقائق الإيمان تفوق كل شيء أهم من إرشاد ألف من الناس بقطبية عظيمة . لأن النوعية تفضل على الكمية ... لذا أرجح الإتصاف بالخدمة على نيل المقامات حتى إنني قلققت ودعوت الله من أن لا يصيب شيء»³ .

كما أشار "النورسي" في مؤلفه اللمعات فيما يخص الكرامة مسترشدا بقول الإمام الرباني أحمد الفاروقي السرهندي بقوله :

« إن إنكشاف مسألة صغيرة من مسائل الإيمان لهو أفضل في نظري من مئات من الأذواق والكرامات»⁴ .

¹ - بديع الزمان سعيد النورسي ، المكتوبات ، ص 583.

² - بديع الزمان سعيد النورسي ، المكتوبات ، ص 251.

³ - نفس المصدر ، ص 266-267.

⁴ - بديع الزمان سعيد النورسي ، اللمعات ، ص 574.

يقول النورسي :

« إن الذين يرغبون في سلوك طريق الولاية والطريقة إن كانوا يرغبون في تناول بعض الثمرات الجانبية للولاية ، أمثال اللذات المعنوية أو الكرامات، ويتوجهون إليها ويطلبونها ويتلذذون بها .. فإن هذا يعني رغبتهم في تناول تلك الثمرات في هذه الحياة الفانية وهي - إذا حصلت لهم - ثمرات فانية على أي حال كان. وبذلك يفقدون الإخلاص في أعمالهم الذي به ينالون ثمرة الولاية. كما أنهم يمهدون السبيل لفقدان الولاية نفسها»¹.

الفرع الثاني : الكرامات النورسية :

ذكر النورسي لكراماته كان بسبب المضايقات التي كان يتعرض لها من قبل الناس، وكان يتجنب الحديث في هاته المسألة والبوح بها خشية الإشعار بالغرور والأناية يقول :

« إنني ما كنت أرغب مطلقاً أن أوضح هذه المسألة خشية الإشعار بالغرور والأناية ، وأكره أن أبوح بها فهي ثقيلة علي ، ولكن لأن أهل الدنيا تدور الأوهام والشبهات في نفوسهم لدى سؤالهم ، فهم يسألون : بماذا تعيش؟ وكيف تدار معيشتك دون عمل؟ ونحن لا نقبل في بلادنا المتقاعدين الكسالى الذين يقتاتون على سعي الآخرين وعملهم؟. فكان جوابه : " أنا أعيش على الإقتصاد والبركة . لا أقبل من غير رزاقى الله ، منة من أحد وقررت أن لا أقبلها طوال حياتي»².

قد أوضحنا وتطرقنا إلى هاته النقطة في سيرة النورسي في الفصل الأول حيث أنه منذ الطفولة كان يرفض الزكاة وأموال المتصدقين بها لأطفال القرية التي كان بها. كما انه كذلك في مسيرته السياسية وحتى الإجتماعية فيما بعد كان يرفض الهدايا التي تقدم له ، حتى عند توليه منصب في دارالحكمة الإسلامية رفض الراتب الحكومي الذي خصصته له لمدة سنتين، وعند إلحاح أصدقائه قبله بل أعطاه إلى ابن أخيه " عبد الرحمن" لطبع ونسخ رسائل النور .

¹ - بديع الزمان سعيد النورسي ، المكتوبات ، ص 583.

² - نفس المصدر ، ص 82.

فكان بمثابة دستور في حياته أن لا يقبل هدية أو صدقة من أحد مهما كانت ظروفه حتى في مرحلة نفيه كان يرفض تلك الهدايا التي يقدمها له أصدقائه ومحاولاتهم الشتى في قبوله لهداياهم إلا انها جوبهت بالرفض من قبل النورسي.

فإذا قيل : فكيف إذن تعيش؟

« أعيش بالبركة والإكرام الإلهي ، إلا أنني في الإرزاق أحظى بالبركة التي هي إكرام إلهي يمنح كرامة من كرامات خدمة القرآن»¹.

المطلب الرابع : نماذج من الكرامات عند النورسي:

ذكر النورسي بعض النماذج من الكرامات إضطرارا وليس بغرض التشهير بها أو لكسب وجذب مرئيين يقول :

« سأورد نماذج منها ، وذلك قياما بأداء الشكر المعنوي تجاه تلك النعم التي أكرمني الله بها وعملا بالآية الكريمة ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾²، ولكني رغم هذا أخشى أن يداخل هذا الشكر المعنوي شيء من الرياء والغرور ، فتمحق تلك البركة الربانية الطيبة ، إذ أن إظهار البركة المخفية بإفتخار مدعاة لإنقطاعها»³

الكرامة الأولى :

كان للنورسي كرامة الطعام ، حيث كان يدوم لمدة قاربت السنة بالرغم من قلته

« لقد كفاني في هذه الشهور الستة الماضية ستة وثلاثون رغيفا قد خبز من كيلة

من الحنطة ، ولا زال الخبز باقيا ، ولا أعرف متى ينفذ وقد دام سنة كاملة »⁴.

الكرامة الثانية :

¹- بديع الزمان سعيد النورسي ، المكتوبات ، ص 83 .
²- القرآن الكريم ، سورة الضحى ، الآية 11 .
³- بديع الزمان سعيد النورسي ، المكتوبات ، ص 83 .
⁴- الكيلة مقياس قديم للوزن والحجم وهي تساوي 40 لترا من الحبوب .

« في هذا الشهر المبارك شهر رمضان ، لم يأتيني طعام إلا من بيتين إثنين ، وقد أمرضاني كلاهما ، ففهمت من هذا أنه ممنوع علي طعام الآخرين ، ولقد كفتني أوقية واحدة من الرز وثلاثة أرغفة من الخبز بقية أيام شهر رمضان ، فالصديق الصادق "عبد الله جاويش"¹ صاحب البيت المبارك الذي يهيء لي الطعام يشهد بهذا ويخبر به ، بل إن الرز قد إستمر خمسة عشر يوما آخر بعد شهر رمضان»² .

الكرامة الثالثة :

« لقد كفتنا أنا وضيوفي الكرام أوقية واحدة من الزيد رغم تناوله يوميا مع الخبز طوال ثلاثة أشهر في الجبل ، حتى كان لي ضيف مبارك اسمه " سليمان " وقد أوشك خبزنا على النفاذ ، وكنا في يوم الأربعاء، فقلت له : إذهب إلى القرية وآت بالخبز، إذ ليس حوالينا أحد حتى مسافة ساعتين لنبتاع منه . فقال : إني أرغب في أن أبيت معك ليلة الجمعة المباركة على قمة هذا الجبل ، لأتضرع معك إلى الله. فقلت: توكلنا على الله . إذن إبق معي .ثم بدأنا بالسير معا حتى صعدا قمة جبل ، رغم أنه لا داعي ولا مناسبة لذلك وكان لدينا القليل من الماء مع شيء من الشاي والسكر قلت يا أخي أعمل لنا قليلا من الشاي، فبدأ بالعمل وجلست أنا تحت شجرة قطران ، أتأمل في مشاهدة واد عميق وأفكر بأسف وأسى : ليس لدينا إلا كسرة من الخبز متعفن ربما يكفيننا لكننا هذا المساء ، ولكن كيف باليوميين التاليين . فماذا أقول لهذا الرجل الطيب النقي السريرة ! وبينما أنا غارق في هذا إذا برأسي كأنه يدار إلى الشجرة فالتفت وإذا بي أرى رغيفا كبيرا فوق شجرة القطران ينظر إلينا بين أغصانها ، قلت : أبشر يا سليمان فقد أنعم الله سبحانه علينا برزق . فأخذنا الخبز من الشجرة وفتشنا عن أثر من آثار الحيوانات والطيور عليه . وإذا به سالم من أي تعرض كان من الحيوانات . فضلا عن انه لم يصعد هذا الجبل منذ ثلاثين يوما أحد من الناس . فكفانا ذلك الرغيف يومين . وما أن أوشك على النفاذ إذ بالرجل

¹- عبد الله جاويش : كان أول ساع لبريد النور ، يحما المسودات من الأستاذ النورسي ويسير الليل كله بعيدا عن عيون السلطة بين الجبال والوديان ليوصلها إلى " الحافظ علي " لتببيضها ومن ثم يعيد المبيضات منه إلى الأستاذ على الطريقة نفسها ، توفي سنة 1960م عن عمر ناهز خمسة وستون سنة رحمة الله عليه .

²- بديع الزمان سعيد النورسي ، المكتوبات ، ص 83.

الصادق "سليمان"¹ الذي كان صديقا صادقا طوال أربع سنوات يصعد الجبل متوجها نحونا آتينا لنا بالخيز «².

الكرامة الرابعة : إن هذه السترة "الجاكيت" قد إشتريتها مستعملة قبل سبع سنوات . وكفت أربع ليرات ونصف الليرة : لمصاريف خمس سنوات مضت للملابس والحذاء والجوارب ، فقد كفتني البركة والإقتصاد والرحمة الإلهية . وهناك أمثلة كثيرة شبيهة بهذا. إذ أن للبركة الإلهية جهات شتى ولا يردن في خاطرهم أنها أمثلة تدل على صحي .

الكرامة الخامسة : يقول النورسي :

« كانت لي دجاجة تجلب لي من خزينة الرحمة الإلهية بيضة واحدة يوميا في هذا الشتاء بإنقطاع قليل جدا. وذات يوم وضعت بيضتين معا ، فأحترت منها ، فأستفسرت عن أحبائي: هل يحدث مثل هذا في هذا الشتاء؟ قالوا ربما هي إحسان إلهي. كان لهذه الدجاجة فرخ في الصيف . بدأ الفرخ بوضع البيض بداية شهر رمضان المبارك ، وإستمر الوضع طوال أربعين يوما ، فلم تبق لدي شبهة ولا لدى إخوتي الذين يقومون بخدمتي من أن هذا الوضع المبارك للبيض في هذا الشتاء ومن فرخ صغير ، في شهر رمضان ، إنما هو إكرام إلهي ليس إلا. ثم إن الفرخ بدأ بالوضع حالما قطعته الأم فلم يدعني دون بيضة والحمد لله³ .

ومما يمكن أن نستخلصه من خلال قراءتنا لما ورد في مؤلفات النورسي لهاته الكرامات فاللافت للإنتباه هو أنه يعتبرها إكرامات إلهية تستعدي الشكر. على غرار ما أوردته بعض الكتب الصوفية خاصة فيما يخص الجانب الكرامة في أنها تعلن عند أغلب الأولياء الذين حصلت لهم هاته الكرامات بل يعملون على التشهير بها لجذب الناس إليهم والتباهي بها وأنها تدل على الأفضلية فكما تعددت هاته الكرامات فإنها تدل على أفضلية من يملكها .

¹ - هو سليمان كرواجي من السابقين في خدمة الإيمان ، كان مثالا للصدق والوفاء والإخلاص توفي سنة 1965م رحمه الله.

² - بديع الزمان سعيد النورسي ، المكتوبات ، ص 84.

³ - بديع الزمان سعيد النورسي ، المكتوبات ، ص 85.

لكن النورسي يؤكد على مصطلح الإكرام الإلهي بدل الكرامة ويعتبر إظهار هذا الإكرام الإلهي هو شكر معنوي وإذا ما ارتقت العناية إلى أعلى من الإكرام ، فلا محالة أن تكون كرامة قرآنية ، حيث يقول النورسي مايلي :

« قد حظينا بها وإظهار كرامة من هذا النوع دون إختيار منا ومن حيث لا نحتسب ومن دون علمنا ، ليس فيه ضرر ، وإذا ما ارتقت العناية فوق الكرامة الإعتيادية ، فلا شك أنها تكون شعل الإعجاز المعنوي للقرآن الكريم ، ولما كان الإعجاز لا بد أن يعلن عنه ، فإن إظهار ما يمده بالقوة يكون في سبيله أيضا ، ولا يكون مبعث تفاخر وغرور أبدا ، بل مبعث حمد وشكر»¹.

ويعتبر النورسي أن هاته الكرامات أنها تمثلت في تصوره على النحو التالي:

« أولا : وإنما هذه البركات هي إحسان إلهي إلى أصدقائي الضيوف المخلصين القادمين إلي ،ثانيا : أو أنها إكرام إلهي لخدمة القرآن الكريم ثالثا: أو إنها منافع مباركة للإلتزام بالإقتصاد .رابعا: أو أنها رزق لقطط الأربع التي تلازمني هنا وهي التي تذكر في هريرها : يا رحيم يا رحيم فهي أرزاقها تأتيها على صورة بركة وأنا بدوري أستفيد منها نعم إذ أنصت إلى هريرها الحزين تدرك جيدا أنها تذكر : يا رحيم يا رحيم يا رحيم»².

كما يشير إلى أن :

« كرامات الأولياء أغلبها ليست إختيارية ، فقد يظهر منهم أمر خارق للعادة من حيث لم يحتسبوا ، إكراما من الله لهم ، وأغلب هذه الكشوفات والكرامات يظهر لهم أثناء فترة السير والسلوك وعند مرورهم في برزخ الطريقة ، وحينما يتجرون - إلى حد ما - من حظوظ البشرية ينالون حالات خارقة للعادة»³.

كما يبين النورسي نقطة هامة في مجال الكرامات وما ميزانها من الشرع الإسلامي فيفصل هذا بقوله :

¹- بديع الزمان سعيد النورسي ، المكتوبات ، ص 478.

²- نفس المصدر ، ص 83-84.

³- بديع الزمان سعيد النورسي ، المكتوبات ، ص 62.

« إن الكشفيات التي لا ضوابط لها تقسم من الأولياء المستندين إلى شهودهم فقط ، لا تبلغ أحكام الأصفياء والمحققين من ورثة الأنبياء الذين لا يستندون إلى الشهود بل إلى القرآن والوحي ، فيصدرون أحكامهم حول الحقائق الإيمانية السديدة ، فهي حقائق غيبية إلا أنها صافية لا شائبة فيها ، وهي محدودة بضوابط وموزونة بموازن . إذن فميزان جميع الأحوال الروحية والكشفيات والأذواق والمشاهدات إنما هو : دساتير الكتاب والسنة السامية ، وقوانين الأصفياء والمحققين الحدسية»¹ .

وفي موضع آخر يشير :

« ولكني أقبل الإكرامات الرحمانية القادمة من حيث العناية الإلهية - كالبركة- من دون أن نقصدها وننويها ، أقبلها بروحي ، بشرط عدم تدخل النفس الأمارة ، ذلك لأنها علامة على قبول الخدمة والرضى عنها»²

وهذا ما يجعلنا نستنتج أن الكرامات لها قسمين بمعنى حسية ومعنوية، وتعتبر هاته الأخيرة هي الأفضل عند أهل الله، وهي كالمعرفة بالله والخشية له ودوام المراقبة له والمسارعة لإمتثال أمره وطاعته ، ودوام الثقة به، وصدق التوكل عليه... إلخ

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضى الله عنه:

« إنما هما كرامتان جامعتان محيطتان: كرامة الإيمان بمزيد الإيقان وشهود العيان، وكرامة العمل على الإقتداء والمتابعة ومجانبة الدعاوى والمخادعة، فمن أعطيهما ثم جعل يشناق إلى غيرهما فهو عبد مفتر كذاب وذو خطأ فى العلم والعمل بالصواب، كمن أكرم بشهود الملك على نعت الرضا فجعل يشناق إلى سياسة الدواب وخلع الرضا. وكل كرامة لا يصحبها الرضا عن الله ومن الله فصاحبها مستدرج مغرور أو ناقص أو هالك مثبور. إن الكرامة المعنوية أن يكرمك الله بالتأثير فى ذاتك

¹- بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات ، ص 105.

²- بديع الزمان سعيد النورسي ، الملاحق فى فقه الدعوة إلى النور ، ص 330.

أولاً، وأن تمحو منها كل النقائص وكل الشهوات، وهذا يؤهلك أن تؤثر في غيرك وتأخذ بأيديهم دون مشقة لهم إلى معرفة الحق، وهذه لا يؤتاها إلا أولو العزم من الأولياء»¹.

فمن وجهة نظره كل كرامه لا يصحبها الرضا من الله وعن الله والمحبه لله ومن الله فصاحبها مستدرج مغرور أو ناقص هالك مثبور.

نستنتج أن الله تعالى إفترض على الأولياء كتم الكرامات لئلا يفتتن بها الخلق وأوجب على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إظهارها بيانا وبرهانا بالحق.

« الكرامة ثابتة نقلا وعقلا إذا لا يمكن أن تتكر الكرامة، لا من وجه عقلي، ولا من وجه نقلي، فهي ثابتة نقلا وعقلا، والنقل يتوافق مع العقل، والعقل يتوافق مع النقل إن هناك صورا كثيرة من الكرامات قد أثبتها القرآن الكريم، وهناك أمثلة كثيرة من الكرامات أثبتها الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن هناك كرامات كثيرة وردت عن أصحاب رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، ورضوان الله عليهم»².

سنورد بعض الكرامات التي ذكرت في القرآن الكريم بحيث نعتبر الكرامة من الأمور الثابتة قطعا والتي لا يشكّ فيها نظرا للأدلة العقلية والنقلية. وقد تضمن القرآن الكريم العديد من الكرامات لكن سنورد البعض منها ليس للحصر وإنما على سبيل الإستدلال لما جاء في القرآن من كرامات على الأولياء والصالحين لما له علاقة بما جاء في هذا المطلب.

الفرع الثالث : نماذج من الكرامات الواردة في القرآن الكريم

أولا : قصة أهل الكهف من الكرامات التي وردت في كتاب الله:

¹- أنظر الموقع الإلكتروني : <http://ahbabalex.ahlamountada.com> يوم 2017-01-11.

²- <http://www.nabulsi.com> يوم 2017-01-22.

﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾¹ فَرَوَا مِنْ ظَلَمِ الْمَلِكِ الْكَافِرِ الَّذِي كَانَ فِي زَمَانِهِمْ. ﴿ فَأَوُوا إِلَى الْكَهْفِ ﴾² فِي بَعْضِ الْجِبَالِ، فَأَنَامَهُمُ اللَّهُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا ﴾³.

هل هناك إنسان ينام ثلاثمئة سنة وتسع سنين؟ طبعاً لا يوجد إذا فهذه كرامة، بينما لو أنهم أنبياء لكانت معجزة، لو أنهم رسل لكانت معجزة، وبالتالي ما داموا ليسوا بأنبياء ولا برسول بل هم صالحون، طيبون، مؤمنون، فنومهم المديد كرامة لهم، وهذا النوم المديد خرق من خوارق العادات، وقد أكرمهم الله بذلك وهم فتية مؤمنون، صالحون، وليسوا بأنبياء.

الفرع الثاني : كرامات السيدة مريم الصديقة عليها السلام

تعتبر قصة السيدة مريم الصديقة أيضاً من الكرامات حيث أجرى الله على يديها شيئاً من خوارق العادات، والتي خصها الله بها.

الكرامة الأولى : لقد ذكر القرآن الكريم إن مريم عليها السلام شبت وبيتها المسجد، وخلوتها فيه، وبلطف الله بها كان الطعام يأتيها من الغيب، وكلما زارها النبي زكريا عليه السلام وجد عندها رزقا، فكان يسأل عن مصدر هذا الرزق لأنه هو كافلها، وكان جوابها قول عز وجل: ﴿ كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ

اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾⁴، كانت تجد رزقها في محراب عبادتها

الكرامة الثانية : فقد حملت بسيدنا عيسى عليه السلام دون أن يمسه بشر، و يعتبر هذا خرقاً للعادات إذ لا يمكن لأي امرأة أن تنجب دون إقامة علاقة جنسية برجل قال تعالى: ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا

¹ - القرآن الكريم ، سورة الكهف ، الآية ، 13.

² - نفس المصدر ، الآية 16.

³ - نفس المصدر ، الآية 25.

⁴ - القرآن الكريم ، سورة آل عمران ، الآية ، 37.

فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ¹. كانت أنه قيل كانت تأتيها الفواكه من غير وقتها وهو أمر خارق للعادة .

الكرامة الثالثة : لما أحست السيدة مريم بقرب ساعات الوضع إبتعدت عن أهلها إلى مكان خال من الجهة الشرقية ، وجلست إلى جانب شجرة من أشجار النخيل التي لا ثمر فيها، وحصلت لها من المساعدات الربانية عند مخاضها أمور كثيرة، منها تساقط الرطب عليها من النخلة غير المثمرة لما هزت جذعها، قال عز وجل:

﴿ وَهَرَبِي إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا² ﴾

هذه كرامة لها هي ضعيفة من آثار الولادة، تستطيع أن تهز جذع النخلة فيتساقط عليها الرطب جنيا، أما في حق سيدنا عيسى فهي معجزة، لكنها ما دامت قد جاءت قبل الرسالة فهي إرهاب.

الكرامة الرابعة : لما وضعت ابنها عيسى عليه السلام حملته، وجاءت به إلى قومها، فجعلوا يوجهون إليها الأسئلة، ويحرجونها بالإتهامات الساخرة، وهي صامتة، لا تحير جوابا، وألحوا في إستجوابها عن سبب حملها الذي لم يتصوروا فيه على حد تفكيرهم الضيق إلا الفاحشة، وهي منها براء، فأشارت إلى ولدها الرضيع.

﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا³ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا

* وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا³ ﴾

هذه كرامة، لأنه ليس من السهل أن يتكلم طفل عمره ساعات، أو أيام، يتكلم، ويقول:

المطلب الخامس : علاقة الكرامة ببعض الأنماط الثقافية الأخرى

طرحت الكرامة على خلفياتها المجتمعية والفكرية والتاريخية ، فبدت مترابطة مع النتائج الأدبي ، وحصيلة أنثربولوجية متفاعلة مع الشرائح الأناسية من أساطير وخرافات وتراهاات

¹- نفس المصدر، الآية 47.

²- القرآن الكريم ، سورة مريم ، الآية 24

³- القرآن الكريم ، سورة مريم ، الآية 29-30.

ومزاعم شعبية وقصص.. الخ ، وظهرت وليدة مجتمع معين وثمره من ثمار فكر وقيم معينة موازية ذلك المجتمع ، ويعني هذا في الدراسة الأنثربولوجية والإجتماعية على أنها :

« أن الكرامة هي حدث إجتماعي لا نفسي فقط تاريخي لكونها : تنطلق من فرد يعيش في مجتمع ومتوجه، مهما إنعزل إلى المجتمع تنمو في أطر مسبقة جاهزة منطة وموروثة أي أنها ضاغطة وذات صفة إكراهية مرتبطة بوعي جماعي وينسق من القيم وبالسيكولوجيا الإجتماعية لا تنفصل عن الظواهر الأنثربولوجية أو الإجتماعية عموما ويرتبط فيها كل شيء بكل شيء»¹.

الفرع الأول : معنى الإستدراج في اللغة :

ذكر الفيروز آبادي فقال : « وإستدرجه : خدعه وأدناه كدرجه وأقلقه حتى تركه يدرج على الأرض، وإستدرج الله تعالى العبد : أنه كلما جدد خطيئة جدد له نعمة وأنساه الإستغفار أو أن يأخذه قليلا قليلا ولا يبلغته ، وإستدرجته جعلته كأنه يدرج بنفسه»².

وذكره ابن منظور فقال :

« وإستدرجه بمعنى أي أدناه منه على التدرج فتدرج هو ، ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما حما إليه كنوز كسرى اللهم إني أعوذ بك أن أكون مستدرجا فإني اسمعك تقول سنسترجهم من حيث لا يعلمون ، وروي عن أبي الهيثم إمتنع فلان من كذا وكذا حتى أتاه فلان فإستدرجه أي خدعه حتى حمله على أن درج من ذلك ، قال الأعشي : ليستدرجك القول حتى تهره وتعلم أنني منكم غير ملجم»³.

وذكر في المعجم الوجيز إصدار مجمع اللغة العربية ، «إستدرج فلانا : خدعه حتى حمله على أن يدرج إلى أمر من الأمور»⁴.

¹ - علي زيعور ، الكرامة الصوفية والاسطورة والحلم القطاع اللاوعي في الذات العربية ، دار الأندلس للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 2003م ، ص 83.

² - الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، ط 2 ، 1987م ، ص 240.

³ - ابن منظور ، لسان العرب ج2، ص 266.270.

⁴ - المعجم الوجيز ، مجمع اللغة العربية ، المركز العربي للثقافة والعلوم ، بيروت - لبنان ، ب ط ، ب س ، ص 224.

الفرع الثاني : الإستدراج في القرآن الكريم

وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم مرتين ، منها قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾¹. وكذلك قوله تعالى في سورة القلم ﴿ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكذِّبُ بِهِدَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾². وقد ذكر القرآن الكريم الذين يكذبون بآيات الله بأنه يستدرجهم إلى المقصود درجة درجة .أو إستدرج الله عز و جلا لرجل أمهله ولم يعجل عذابه. يقول جل ثناؤه سنكيدهم من حيث لا يعلمون، وذلك بأن يمتعهم بمتاع الدنيا حتى يظنوا أنهم متعوا به بخير لهم عند الله ، فيتمادوا في طغيانهم، ثم يأخذهم بغتة وهم لا يشعرون.

كما أن في القرآن الكريم يتغير مدلول من آية لأخرى لأرتباطها بمعاني أخرى شبيهة به كالمكر والخداع وكالكيد والهلاك والإملاء والحيلة... إلخ ، في معنى المكر لقوله تعالى : ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾³.

ومعنى الكيد قوله تعالى : ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾⁴. بمعنى سأملئ لهم ، أطول لهم ما هم فيه إن كيدي متين أي قوي شديد . ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالِي يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾⁵. وثالثا معنى الإملاء قوله تعالى ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لَأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾⁶ والإملاء بمعنى أن يبلغوا بمعصيتهم ربهم، المقدار الذي قد كتبه لهم من العقاب والعذاب ثم يقبضهم إليه.

¹ - القرآن الكريم ، سورة الأعراف ، الآية 182.
² - القرآن الكريم ، سورة القلم ، الآية 44.
³ - القرآن الكريم ، سورة آل عمران ، الآية 53.
⁴ - القرآن الكريم ، سورة الأعراف ، الآية 183.
⁵ - القرآن الكريم سورة النساء ، الآية 141.
⁶ - القرآن الكريم، سورة آل عمران ، الآية 178.

ورابعا بمعنى الإهلاك قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾¹. إنما معنى ذلك: فتحنا عليهم، إستدراجا منا لهم، أبواب كل ما كنا سددنا عليهم بابه، عند أخذنا إياهم بالبأساء والضراء ليتضرعوا، إذ لم يتضرعوا وتركوا أمر الله تعالى ذكره.

فكل هذه المعاني تبين وتفيد أن الله عز وجل سيكون بالمرصاد لهؤلاء الذين تسول لهم النفس الأمانة بالسوء فلا يعرفون حقيقة ما حل بهم ولا يأخذون العبرة، فيأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر وهذا من باب أنه يملي يمهلهم ويمتعهم بالنعمة والفضائل إلى حين. عن ابن رثاب ، عن بعض أصحابه ، قال سئل أبو عبد الله عن الإستدراج؟

فقال : « هو العبد يذنب فيملي له ، وتجدد له عندها النعم فتلهيه عن الإستغفار من الذنوب ، فهو مستدرج من حيث لا يعلم»².

الفرع الثالث في الإصطلاح : قال الجرجاني رحمه الله :

« الإستدراج هو أن يجعل الله تعالى العبد مقبول الحاجة وقتا فوقتا إلى أقصى عمره للإبتدال بالبلاء والعذاب ، وقيل بالنظر إلى المآل وقيل هو أن يرفعه الشيطان درجة إلى مكان عال ثم يسقط من ذلك المكان حتى يهلك هلكا. وقيل أن يقرب الله العبد إلى العذاب والشدة والبلاء في يوم الحساب ، كما حكى عن فرعون لما سأل الله تعالى قبل حاجته للإبتلاء بالعذاب والبلاء في الآخرة»³.

وقال أبو البقاء الكفوي رحمه الله

¹- القرآن الكريم ، سورة الأنعام ، الآية 45.
²- الشيخ الكليني ، الكافي ج2 ، تحقيق : علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية ، ط4، 1365 هـ ، طهران - إيران ، ص 452.
³- الشريف أبو الحسين علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني الحنفي ، التعريفات ، دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان ، الطبعة الأولى، 2000م ، ص 24.

« الإستدراج : هو أن يعطي الله العبد كل ما يريده في الدنيا ليزداد غيه وضلاله وجهله وعناده فيزداد كل يوم بعدا من الله تعالى»¹

«الإستدراج : هو السكون إلى اللذات ، والتنعيم بالنعمة ، ونسيان ما تحت النعم من النقم»².

« سنستدرجهم قليلا قليلا إلى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم ، وذلك أن يواتر الله نعمه عليهم مع إنهماكهم في الغي ، فكلما جدد عليهم نعمة إزدادوا بطرا وجددوا معصية ، فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف النعم ، ظانين أن مواترة النعم أثرة من الله وتقريب ، وإنما هي خذلان منه وتبعيد ، فهو إستدراج الله تعالى»³.

« الإستدراج : التمكين من النعم مقرونا بنسيان الشكر ، ويقال :الإستدراج : كلما إزدادوا معصية زادهم نعمة ، ويقال : الإغترار بطول الإمهال»⁴.

« الإستدراج ألا يزداد في المستقبل صعبة إلا إزداد في الإستحقاق نقصان رتبة ويقال : الرجوع من توهم صفاء الحال إلى ركوب قبيح الأعمال ، ولو كان صادقا في حاله لكان معصوما في أعماله»⁵.

الفرع الرابع : النورسي وموقفه من الإستدراج

يبين النورسي أن الإستدراج هو مباين للكرامة من خلال تقديم مقارنة بينهما حتى لا يكون هناك إلتباس بين المصطلحين حيث قال في الإستدراج :

¹- الكفوي أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني ، الكليات معجم في المصطلحات والفرق اللغوية ، تحقيق : عدنان درويش ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية ، 1993م ، ص 113.

²- الفاسي أبو العباس ، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجبية الحسيني الإدريسي الشاذلي ، البحر المديد ج8 ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية ، 2002م ، ص 116.

³- أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ج2 ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، ص 171.

⁴- عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري النيسابوري الشافعي ، تفسير القشيري المسمى لطائف الإشارات ج3 ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، 2000م ، ص 354.

⁵- عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري النيسابوري الشافعي ، تفسير القشيري المسمى لطائف الإشارات ج1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان ، الطبعة الثانية ، 2007م ، ص 371.

« فالشخص المتشرف بالكرامة إذا صدر عنه أمر خارق للعادة وهو يعلم ، فلربما يكون صدور ذلك الأمر الخارق إستدرجا إن كانت نفسه الأمانة باقية من حيث إعجابه بنفسه والإعتماد على كشفه وإحتمال وقوعه في الغرور»¹.

ويبين كذلك أنه يمكن أن الإستدرج مباين عن الكرامة في موضع آخر بوصفه للإستدرج على أنه:

« الإستدرج فيكشف له صورة الأشياء الغائبة وهو في غفلة ، أو يعمل أفعالا غريبة ، وهو مستند بنفسه وإقتداره فيزداد بعدا وأنانية وغرورا ، بينما الكرامة كالمعجزة فعل الله. ويتقطن صاحبها أنها منه سبحانه وليس من نفسه ويطمئن بأنه حام له رقيب عليه يختار له الخير ، فيزداد يقينا وتوكلا ، فقد يشعر بتفاصيل الكرامات بإذن الله وقد لا يشعر وهذا أولى و أسلم ، كأنه أنطقه الله بما في قلب واحد أو مثله يقظة لهدايته وهو لا يعلم ما يفعل الله به لعباده فلا التباس بين أهل الإستدرج وأهل الولاية في الطبقة الوسطى »²

من خلال هذه التعريفات حول الإستدرج و مفهوم الكرامة وما قدمه النورسي بمقارنته بينهما يمكن إستخلاص أن الإستدرج يمارسه العصاة البعيدين عن الطريق المستقيم وعلى هذا الأساس يمكن إعتبار أن الفرق بين ماعرفناه من خلال مفهوم الكرامة وخصائصها تلك الخوارق للأولياء والصالحين وبين من كان بعيدا عن الله هو أن هذا الأخير أي الذي ينتمي إلى زمرة الإستدرج إنما يقوم بمخادعة نفسه ويغتربها وبالتالي يعتبر ويظن أنها بمثابة كرامة جاءت له لكونه يستحقها ، وتغمره الغبطة ويشعر بالسرور وقد يصل به الأمر لإحتقار الآخر، ويظن أنه له الأفضلية من الجميع. ولكن الحقيقة هي غير ذلك إذ هو موصوف بالإهانة والمذلة ووليه الشيطان يقربه من المعصية ويزينها له ويكذب عليه حتى يفتريها.

¹- بديع الزمان سعيد النورسي ، المكتوبات ، ص 39

²- بديع الزمان سعيد النورسي ، المثنوي العربي ، ص 376.

أما الأولياء والصالحين فقد خصهم الله بالكرامة لصفة الصلاح فيهم ، فلا يستأنسون بما تفضل الله عليهم بالنعم بل تزيدهم تقربا من الله ويصير خوفهم منه أشد وحذرهم من قهره وبطشه أقوى.

الفرع الرابع : الكرامة والرؤيا

إحتلت الرؤيا منذ أقدم العصور مكانة هامة في إهتمامات الإنسان، وقد تعددت آراء المهتمين من عوام وفلاسفة ورجال دين وتراث شعبي ومتصوفة إلا أن هذه الفئة الأخيرة أعطوا للرؤيا طابعا وأساسا دينيا مميزا يضيف عليه طابع القدسية وإعتبرها خدمة للقيم الصوفية بل خدمة من أجل التقرب من الله تعالى أو النبي الكريم وألصقوا الرؤيا بالنبوة.

فالرؤيا عند المتصوفة هي

« بمثابة نوع من أنواع الكرامات يحقق من خلالها الصوفي خواطر ترد على القلب وأحوال تتصور في الوهم وهي بمثابة قوة للقلب وبصيرة ترى من خلالها حقائق الأشياء وبواطنها وظواهرها بل هي تطابق مع الواقع وإستمرارية له ، حيث من خلالها يتم إدراك ما يقع في الغيب وإستكشافه »¹.

فطبيعة الرؤيا عند الصوفي تختلف عن ما هي عند العامي ، فالمتصوفة يعتبرونها هي نتيجة ذلك الصفاء الروحي وكذلك التأمل والتعمق في الأشياء وهي تعتبر طريقة ومن الطرق التي يعتمد عليها الصوفي من أجل أن يرتبط ويتقرب من الله ومن النبي عليه الصلاة والسلام من قيمة ومعرفة وبالتالي سلوكا.

¹- عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري النيسابوري الشافعي، تفسير القشيري المسمى لطائف الإشارات ج1، المرجع السابق ، ص 175.

« فالولي يسلك في كراماته مسلك الأحلام سواء كانت في المنام أو اليقظة ، وهو يميز بين الحلم والرؤيا ، فالرؤيا من الله والحلم من الشيطان وعادة تكون الرؤيا حسنة مبشرة عكس الحلم وهو يربطها بالنبوة وهنا مكن المحاكاة ، لأن الرؤيا أحد درجات النبوة وهي طريقة معرفة وواسطة إتصال بالغيب وفرصة لإستقبال التعاليم من الكائن الأسمى»¹ .

كما أن الرؤيا في التحليل النفسي والأثنربولوجي هي نوع يظهر معطيات الولي وتعكس الظروف المحيطة به وظروفه حسب الباحث زيغور علي

« تظهر معطيات أخرى ترتبط بمعيشة الولي ومحيطه»² ،

تظهر الرؤيا معطيات وظروف محزنة في عمق لا شعور الولي ويحدث لها ترجمة وإخراج عن طريق الرؤية في منام الولي . وتشير نظرية الحافز النفسي وخلصتها كما يرى فرويد

« أن الحلم ليس سوى تحقيق رغبة أو كما تصاغ إن الحلم تحقيق مقنع للرغبة المكبوتة أو المضغوطة»³ .

مواطن إشتراك الكرامة مع الحلم حسب الباحث ميلود حكيم حول الكرامة الصوفية في تلمسان

« إلغاء عنصر الزمان والمكان فالمسافة الزمنية في واقعنا ليست هي نفسها في الرؤيا كما أن الأماكن يتغير فيها ويتشكل فيهما بصورة خاصة. وقد يكون المكان نفسه الذي نعيش فيه في الواقع ولكن فيهما يحدث عليه تغييرات كثيرة ولو كان البيت الذي نسكنه ، عدم الخضوع للمنطق والتسلسل المنطقي للأحداث ، يشتركان في لغة الرمز والإيحاء هي لغة تعبر بواسطتها

¹ - علي زيغور ، المرجع السابق ، ص 255-256.

² - حكيم ميلود ، الكرامة الصوفية في منطقة تلمسان ، دراسة أنثربولوجية سيميائية ، رسالة لنيل شهادة الماجيستر ، جامعة تلمسان ، 1997م ، ص 161.

³ - الشيخ نهر و محمد عبد الكريم الكسنزان الحسيني ، الرؤى والأحلام في المنظور الصوفي ، دار القادري للنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 2007م ، ص 25.

الخبرات الحميمة والمشاعر والأفكار كما لو كانت خبرات معيوشة في العالم الخارجي أو أحداثا من أحداث العالم الخارجي»¹.

كما تتشابهان من حيث الهدف والوظيفة حيث أن كليتهما :

« كنتاجهما تفصح عن أواليات لا واعية تحمي الذات، حيث نجد حقل اللاوعي ومساحة اللا شعور وغياب الفعل الإرادي هي المحيط الذي يتشكل من هذه العناصر ويوسم بهذه الصفات لهذين الجنسين، وهنا يكشف " اللاوعي عن الطبقات التحتية للمشكلات الشخصية ويطلعنا عن همومها المستقبلية وإسقاطاتها المختلفة ويطل على مخزن التجارب البشرية الأولى أو الأنماط الأساسية في اللاوعي الجماعي»².

كما أنهما تشتغلان بنفس الآليات فإذا كان الحلم بتعبير فرويد :

"« بديلا لشيء يجهله الحالم.»³ فإن مهمة تأويل الأحلام " هي إكتشاف هذا

اللاشعور»⁴.

أما فيما يخص إختلاف الكرامة مع الحلم فهو إختلاف طفيف حيث :

« أن الولي في كثير من الأحيان يكون واعيا بما يحدث له وما يقول ، لكن مهمة التأويل تعبر المقول إلى الكامن وتكشف التشابه ، كما أن كل حلم تتبناه رغبة تصبو لأن تتحقق لكن ما يجعل الحلم أحيانا غامضا وغير مفهوم والكرامة أيضا هو آليات رقابة الحلم التي تفرض على الفكرة الحقيقية تخفيفا تحويرا وتلميحا»⁵ .

¹ - إريك فروم ، اللغة المنسية ، ترجمة: حسن قبيسي ، بيروت لبنان ، دار البيضاء المغرب ، 1992م ، ص 17.

² - علي زيعور ، المرجع السابق ، ص 27.

³ - فرويد ، نظرية الأحلام ، ترجمة : جورج طرابيشي ، دار الطليعة ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ، 1980م ، ص 45.

⁴ - نفس المرجع ، ص 46.

⁵ - نفس المرجع ، ص 79.

هنا يكون عمل الحلم في تلك الحالة دلالة على رمزية معينة يتلقاها الرائي حيث أن :

« الفجوة القائمة بين عناصر الأحلام وركائزها التي تتمثل في علاقة الجزء بالكل، المقاربة أو التلميح، العلاقة الرمزية، التمثيل اللفظي التشكيلي.»¹

ويتم عمل الكرامة والحلم بواسطة عملية تسمى التكتيف والإزاحة "الإبدال" والصياغة الثانوية. حسب إريك فروم هي كالتالي :

« التكتيف فيعني أن الحلم الظاهر أقصر بكثير من الحلم الباطن ، أما الإزاحة تعني أن أحد عناصر الحلم الباطن ، وربما أحد أهم عناصره ، يتعبر عنه في الحلم الظاهر بعنصر غامض قد يبد لنا عادة بلا أهمية على الإطلاق أما الصياغة الثانوية فهي تدل على الجزء المخصوص من عمل الحلم الذي يستكمل عملية التقنيع والتنكر»² .
أما التكتيف حسب فرويد فإنه يتم بوحدة من الطرق الثلاثة حسب فرويد :

« إما أن تحذف بعض العناصر الكامنة برمتها ، وإما أن لا تبدو في الحلم الظاهر إلا نتف من بعض المجموعات التي يتألف منها الحلم الكامن. وإما أن تظهر العناصر الكامنة ذات السمات المشتركة مع بعضها في الحلم الظاهر»³ .

إن المعروف عن الرؤيا تعتبر نوع من أنواع الكرامات وهي تتمثل كالآتي :
أولا : رؤيا من الله تعالى وهي الرؤية الصريحة التي لا تحتاج إلى تأويل
ثانيا : رؤيا من الملك وهي رؤيا صادقة تحتاج إلى التعبير
ثالثا: رؤيا من الشيطان وهي أضغاث أحلام .

¹- فرويد، نفس المرجع ، ص 118.

²- إريك فروم ، المرجع السابق ، ص 68.

³- فرويد ، المرجع السابق ، ص 119.

« فالرؤيا وجه آخر للكرامة يتفقان ويتساندان ويكملان بعضهما البعض لقيامهما على المبدأ عينه يتم الصوفي في نومه ما يفعله في اليقظة أي أنه يبقى فوق المألوف ، مقدسا في رؤياه يحل كل مشكلة ويعطي الرد على كل غامض و سؤال ويغطي كل عجز حتى بعد وفاته، فنجد الصوفي يأتي أتباعه في المنام ليقدم لهم الإرشاد ، فيقر هذا على عمله، ويؤنب ذاك ، كأن تأثيره لا ينقطع»¹.

«كما عدت الأحلام التنبؤية تعبيراً عن الفعاليات الروحية الفائقة»²

فالرؤيا من هذا المنطلق والتي تتطابق مع مع الواقع بل إستمرارية له بحيث تمكن من إدراك الواقع حيث :

« ومن خلالها يتم إدراك ما يقع في الغيب وإستكشافه وقد إستعمل المتصوفة مصطلح المشاهدة كذلك للتمييز بينه وبين الرؤيا فالرؤيا تكون في المظاهر الكونية الحسية والخيالية والفرق بين الرؤيا والمشاهدة لابد أن يقدمها علم بالمشهود بخلاف فلا يشترط أن يتقدمها علم بالمرئي فكل مشاهدة رؤية ولا يعكس»³.

ومن خلال هذا نرى أن طبيعة الرؤيا لها إختلاف بحيث عند الصوفي تختلف عن العامي أو البقية فهم يعتبرونها نتيجة صفاء روعي وتعمق تأملي في دقائق الأشياء والمشاهدة تكون نتيجة المجاهدة الترقى وبين الأحوال والمقامات وأما الرؤيا فلا يشترط فيها التقدم وقد يشترك في الرؤيا الصوفي وغير الصوفي. ولكن الصوفي إعتمدها كنافذة على الروحي أو كجسر بينه وبين الغيب ، بل أعطى كبار الصوفية لرؤياهم قيمة كبرى لرفع الذات والتقرب من الله ومجاورة النبي عليه الصلاة والسلام وهكذا فإن الصوفي قد يداور بواسطة الرؤيا يقول الدكتور علي زيعور في كتابه الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم :

¹ - علي زيعور ، المرجع السابق ، ص 253.254.

² - عبد الستار عز الدين الراوي ، التصوف والباراسايكولوجي ، لمؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، الطبعة الأولى ، 1994 م ، ص 64.

³ - عبد الستار عز الدين الراوي ، نفس المرجع ، ص 64.

« بالكشف يرى الصوفي الملائكة وأرواح الأنبياء ، فيخاطب هؤلاء ويشاهدهم ويقتبس منهم فوائد ويسمع أصواتهم وهو في حال من اليقظة والوعي ، أما الرؤيا فتتم في النوم وهنا تزول المسافة بين المرئي والغيب ، يخاطبه الله ويجري حوار وهكذا يتوحد في الروح الصوفية عالما وبعده في معارجه فوق الأنبياء حتى يبلغ الله»¹.

الفرع الخامس فوائد الرؤية عند الصوفية

كما يمكن ملاحظة أن الرؤيا عند المتصوفة تعتبر أكثر المصادر اعتمادا في التلقي بمعنى ينتقلون فيها عن الله عز وجل ورسوله الكريم أو أحد شيوخهم بعض أحكام الشرع ، أو التنبؤ بمصير أمر ما ، وهي من المبشرات وبالتالي الحصول على المعرفة وتعتبر هذه الطريقة من أبر الرموز المعرفية التي توهب من الله للمتصوف وبالتالي استثمار هذه المعرفة ومنها تصبح طريقة لتفعيل التواصل.

« فالرؤيا عند المتصوفة هي رؤيا صحيحة وصادقة وقوية ومخبرة وهاتفة ومحقة ومن

الله تعالى»²

فأما الصحيحة لأن معانيها مستقيمة ومشاهدوها روحية عالية وأما صادقة لأن من رآها بلغ أرقى درجات الإيمان والصدق وصاحبها قوي الإيمان وعلى قدر كبير من الصلاح وروحه على قدر كبير من الشفافية ومصيرة لأن الله عز وجل أراد أن يميز من أحبه من الناس فأنت هذه الرؤيا هاتفة لإيضاح وحل مشكلة إستعصت على العامة ومحقة لأنها تدل على كرامة صاحبها ومن الله لأنها منة على عبده الصالح وبشارة له.

تتجلى فوائد الرؤيا عند الصوفية حسب "الكسزان" في كونهم يستبشرون بمناماتهم الصادقة ويرونها إلهاما إلهيا ، وإلقاء ربانيا ، فهي تارة أمرا ، وتارة زجرا ، وتارة تحذيرا وتنبيها ، وتارة إرشادا وتوجيها وحكايات الصوفية وأخبارهم عن مثل هذه المنامات لا يبلغها الحصر سنختصرها في النقاط التالية :

¹- علي زيعور ، المرجع السابق ، ص 256.

²- أحمد عوض الله ، أحلام الأنبياء والصالحين ، دار الأزهر للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الأولى ، 1969م ، ص 9.

« معرفة الطريق إلى الله تعالى ، معرفة جوانب من السلوك الصوفي ، معرفة حال العبد في الآخرة، الأمر بصالح الأعمال ، الموعدة ، التنبؤ ببعض الأحداث واكتساب بعض العلوم»¹

ويشير الكسنزان أن مما هو معروف أيضا أن الرؤيا هي ما يراه النائم أثناء نومه ولكن للصوفية رأي آخر في هذا الشأن . فعالم الرؤيا عندهم غير محصور بحالة النوم فقط ، بل بالنوم واليقظة معا ،

« وذلك لمن وصل من هم إلى مرتبة تسمى مرتبة اليقظة . وهذه المرتبة يكون في العبد في حضور دائم مع الله ، أي لا يغفل أو يسهو طرفة عين عن الله تعالى ، الأمر الذي يعني أن ليله كنهاره ، ويقظته كمنامه ، ورؤياه كرؤيته ويصف حضرة السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني أصحاب هذه المرتبة قائلا : "أهل اليقظة رأوا الله عز وجل بقلوبهم فاجتمع شتاتها .. تتساقط الحجب .. بينهم وبينه ، محيت المباني وبقيت المعاني ... فلم يبق لهم سوى الحق عز وجل ويقول عنهم في موضع آخر من كتابه الفتح الرياني: يروونه يقظة ومناما بأعين قلوبهم وصفاء أسرارهم ودوام يقظتهم»²

كما أن الرؤيا تتعلق بالعلاقة القائمة بين الصوفي وربّه ، وكثيرا ما نلاحظ ونقرأه عن رؤية الصوفي أو المرید لشيخه في المنام وهنا تصبح الرؤية كرباط وثيق الذي يجمع المرید بشيخه ، وإن صح التعبير فإنها تمثل الركيزة الذي تقوم عليه الطريقة الصوفية وبالتالي تكون العلاقة هنا جد قوية وشديدة بين مشايخ الصوفية ومريديهم ، حتى إن بعضهم زارهم النبي عليه الصلاة والسلام في المنام ، وقد لاحظنا هذا ما وقع للنورسي في صباه للرؤيا للنبي عليه السلام وقد ذكرنا هاته الحادثة بالتفصيل في الفصل الثاني من حياة النورسي ، كما يمكن أن تكون رؤية النبي عليه السلام لبعض المریدين او الصوفيين وهو يدلهم بالشيخ الذي ينبغي أن يتبعوه ، أو قد يظهر أحد الأولياء الصالحين في المنام ليقوم بهذا الدور . والمتتبع لهذه الأمور يلاحظ أنها موجودة ومتواصلة من جيل إلى جيل لإختيار المرید شيخه

¹- الشيخ نهرو محمد عبد الكريم الكسنزان الحسيني ، الرؤى والأحلام في المنظور الصوفي ، دار القادري للنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 2007م ، للإطلاع على فوائد الرؤيا بالتفصيل أنظر كتاب الكسنزان الرؤى والأحلام في المنظور الصوفي من الصفحة 37 إلى غاية الصفحة 40.

²- الشيخ نهرو محمد عبد الكريم الكسنزان الحسيني، نفس المرجع ، ص 35.

المناسب. ولا يقتصر الأمر فقد على معرفة الشيخ المناسب بل هناك العديد من المؤلفات الصوفية التي نجد بها رؤية المرید لشيخه وهو يلبسه الثوب المرقع وغطاء الرأس المبارك ومنح الثوب المرقع في المنام إنما يدل على إنتقال هذه البركة من الشيخ الذي يعتبر هو المانح إلى المرید الذي يمثل الممنوح وهذا ما يعكس لنا أن الصوفي كيف يعتبر وينظر إلى الرؤيا على أنها بمثابة واسطة للإستمرارية والتواصل بإعتبار أن إنفصال الصوفية عن شيوخهم عن طريق الموت ما هو إلا الإنفصال المادي الظاهري أي الجسدي فقط الذي يعيق إستمرار إجراء مقابلات بينهم. وعلى هذا يمكن إستخلاص ثلاث نقاط أساسية تخص الرؤيا وحقيقتها في التجربة الصوفية كما توصلت إليها الباحثة ملوكي جميلة تمثل مايلي:

« إستعمالها كمحدد للتلقي والإستدلال ، الرؤية ك مجال للحصول على المعرفة و إستخدام الرؤيا ك مجال وكواسطة للتواصل والإستمرارية »¹ .

فهو كما قال الكسنزان :

« هذا العلم كسائر العلوم والفنون محط أنظار جمهرة من المختصين ، وذلك لأنه متعدد النواحي متصل بالنفس الإنسانية وقواها ومظاهر حياتها ، ومتصل بالوجود ومراتبه ، ومتصل كذلك بالوحي والإلهام ومظاهر النبوة عامة»² .

الفرع السادس الرؤيا عند النورسي :

المعلوم عند القاريء لرسائل النور أن النورسي لم يكن يشتغل بالرؤيا وقد صرح ذلك بقوله

« أنا لا أعمل بالرؤيا »³

وكان ذلك ردا على أحد السائلين الذي بعث له رسالة فيها رؤيا صالحة لأحد الإخوة فتضمنت الرسالة مايلي :

¹ - ملوكي جميلة ، الرؤية ودرجة الإيمان عند الصوفية ، الفكر المتوسطي ، العدد 6 ، 2013م ، مكتبة الرشاد للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2013م ، ص 440.

² - الشيخ نهرو محمد عبد الكريم الكسنزان الحسيني ، المرجع السابق، ص 6

³ - بديع الزمان سعيد النورسي ، السيرة الذاتية ، ص 528.

« فقد رأى فيما يرى النائم مجلسا يحضره الرسول العظيم عليه الصلاة والسلام ومعه الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم والشيخ الكيلاني ، فدخل عليهم جبريل عليه السلام فيقول لهم : إن طبع رسائل النور ونشرها والقيام بخدمة القرآن على هذه الشاكلة المعنوية قد إنتهى دوره حيث جاء دور الجهاد المادي ... قرأنا هذه الرسالة على الأستاذ فطلب ورقا وقلما في الحال وأملى علينا الجواب : " إمن ما رأيتموه من رؤيا يا أخي هو رؤيا مباركة ولكنها تحتاج إلى تأويل وتعبير وتفسير فالجهاد المادي في الرؤيا هو جهاد معنوي في سبيل خدمة الإيمان لأن الظهور على الأعداء والغلبة عليهم لا يقتصر على الجهاد المادي إ فرؤياكم إشارة إلى إنتصار البراهين الإيمانية المعنوية الساطعة على الكفر المطلق ، فإياكم والتأويل المادي والظن بأن الجهاد هو جهاد مادي فحسب ، هذا فضلا عن أنني لا أعمل بالرؤيا»¹.

¹ - نفس المصدر ، ص 529..

خلاصة

من خلال ما تقدم نستنتج أن النورسي فعلا كان مدركا وواعيا بالتوجه بخطاباته التي كانت بمثابة الدعوة ، وبحسن إختياره للوسائل التي إعتدها في التأثير على المتلقي والمستقبل بغض النظر على الفئة المستقبلة إلا أنه حقق ذلك التأثير الذي طمح إليه وما قدرته على تحويل تلك السجون والمنافي إلى مدارس نورية حقة ساهمت في تغيير العشرات من الأفراد إلى أفراد إيجابيين إلا دليلا على حسن إستخدامه الوسائل في التبليغ والإرشاد والتوجيه وإلى نجاحه في التأثير عليهم. هاته السجون كانت بمثابة مدرسة يوسفية رمزية لتحقيق الصدق والأمانة والأخوة وكيف كان السجن كعامل أساسي في إرتقاء سيدنا يوسف على الصعيد الروحي حيث مارس الدعوة داخل السجن والدينيوي كيف أصبح عزيز مصر .فكان السجن سببا في إرتقائه الروحي والدينيوي معا هكذا إقتدى النورسي بسيدنا يوسف عليه السلام كرائد للدعوة من السجن وكنموذج للدعوة بحكم أن النورسي كانت حياته متأرجحة غالبا بين السجن والمنافي إلا أنه كان ذكيا بإستغلال هاته الظروف والأماكن وإن دل فإنما يدل على تميزه في تحويل هاته المحنة إلى منحة إيمانية حقيقية مما يعكس ذلك التجديد بخلاف الإعتقاد على التكية أو الزاوية كمكان أساسي للإرشاد والتوجيه فالفكر الصوفي بالمفهوم التقليدي الكلاسيكي المعهود ، بمعنى تلقي المرید التوجيهات والإرشادات يكون محصورا داخل الزاوية أو التكية كما هو معهود لدى الصوفية القائمة وعلى تلك الثنائية للشيخ والمرید المتميزة بالسلطوية ، كما أن الكرامات التي لا يمكن إعتبارها كدليل قاطع على صلاح الفرد فمن خلال ما قدمناه يمكن أن ترتبط الكرامة بغير الولي الصالح وكيف رأينا أن لها إرتباط بأنماط ثقافية أخرى كالإستدراج والرؤية ، فهي ليست الدليل القاطع على صلاح الولي أو الفرد داخل المجتمع.



خلاصات عامة حول التصوف عند النورسي

إن البناء الأخلاقي لا يقوم إلا على أساس السير في طريق طاعة الله تعالى وتطبيق أحكامه الإلهية وهي عامل الثبات والبقاء، فالدين هو أفضل دعامة للأخلاق وخير سبيل إلى تقوية الروح الإنساني ودعمها بالتسلح بالأخلاق .

فالبشر بحاجة إلى رقابة باطينية أو فلنقل إنه يحتاج إلى بوليس داخلي بحيث تكون هذه الرقابة رادعة له عن الوقوع في الجريمة أو الانحراف ولا يتكفل بهذا النبع الحيوي إلا أن يعيش الفرد تحت مظلة العقيدة الدينية لكي تحفظه من المعصية وتقوي فيه مواجهة الشهوات والمغريات. ففي باطن كل إنسان شعور بالواجب وأمر بعمله ، وعقوبة على مخالفته ومكافأة على طاعته وكما إنسان مسؤول أمام ضميره عن طاعة هذا القانون الأخلاقي ومسؤول كذلك أمام الله فقط ربط الله الثواب والعقاب بهذا القانون وجعل الجنة جزاء العدل والصدق ونحوها من الفضائل كما جعل النار عقابا لأضدادها من ظلم وكذب.

ولعل النموذج الذي يعكس هذه الصورة بأسمى معاني الأخلاق من عفة وصدق وهو منبع فروع الأخلاق الفضيلة قصة سيدنا يوسف عليه السلام حيث قال تعالى فإن الرادع الداخلي في وعي يوسف عليه السلام هو الذي حفظه من أن ينزلق ويتهوى ومن هنا يمكن القول أن هناك دعائم مترابطة بين الأخلاق والدين قبل أن تتجه لأي شيء .

يمكننا القول إذن أن المفهوم الأخلاقي في الإسلام هو عبارة عن المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني والتي يحددها الوحي لتنظيم حياة الإنسان على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه ويقول الشيخ محمد جواد مغنية :

« الوحي عندنا مصدر من مصادر الأخلاق ويكفي في الدلالة على ذلك أن كلها سلوك وعمل حتى ضبط النفس ، فإنه نوع من العمل ، ونحن نهتدي بكتاب الله وسنة نبيينا في سلوكنا معه سبحانه ومع الأسرة والمجتمع وسائر الكائنات ، وأيضا كل من دعوة الإسلام وعلم الأخلاق إنسانية عالمية لا تتقيد بزمان أو مكان ولا بأمة ولا طائفة»¹ .

فالنظام الأخلاقي له طابعان الطابع الأول طابع إلهي من حيث أنه مراد الله عز وجل إذ أنه يجب أن يتبع الإنسان نظاما محددًا ولذلك جاء الوحي بصورة هذا النظام وطلب من الإنسان أن يشترك في تطبيقه بإرادته قلبا وسلوكا .

الطابع الثاني : طابع إنساني وهذا ما يطلق عليه محكمة الضمير والعلاقة بين محكمة الدين ومحكمة الضمير هي علاقة تعاضد والتآزر وأن حكم أحدهما يزيد في حكم قوة الآخر يمكننا القول أن الأخلاق هي جوهر السلوك الإسلامي ولهذا فالبناء الأخلاقي وسيلة جوهرية للوصول إلى الغاية السامية العظمى والسر في إهتمام الإسلام بالأخلاق هو أنه لا بد منه لدوام الحياة الإجتماعية وأن الحياة الإجتماعية لا تتقدم ماديا أو معنويا إلا عن طريق هذا السلوك الأخلاقي فلا يمكن للإنسان أن ينسجم مع مجتمع أهملت فيه المبادئ الأخلاقية بحيث تسود فيه الخيانة والكذب والفسق والغش والسرقة وسفك الدماء والتعدي على حرمان والحقوق ولا يمكن للدين أن ينسجم مع مثل هذا السلوك ، ولعل رسائل النور لسعيد النورسي خير دليل على البناء الأخلاقي للفرد داخل المجتمع بل حثه على الأخلاق الإسلامية لمواجهة ذلك التغريب الذي يدعو إلى السفور بل التسلح بالصدق والأمانة والأمل والأخوة والتضامن والمحبة والإخلاص التام لله والفناء في الإخوان وبالتالي الحث على خلق الإيثار الذي أصبح مغيبا في مجتماعتنا المعاصرة ، فالتصوف من غاياته أن ينشر الخلق القويم بين طبقات المجتمع والخلق القويم هو الدعامة التي يبني عليها المجتمع أمنه وإستقراره. ومن خلال هذا يمكن القول أن فرضية بحثنا تحققت فالتصوف فعلا هو نموذج يبني الفرد أخلاقيا وينمي سلوكه مادام جوهر التصوف عند النورسي هو الأخلاق .

¹- حسين على المصطفى ، فلسفة العبادات ، دار الهادي للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 2006م ، ص 55.

إن "النورسي" هو واحد من هؤلاء الصوفية حتى وإن كان يتخرج من مصطلح صوفي أو ينفي نفيا تاما أنه صوفي لإعتبار ما داخل هذا المصطلح من عوارض أجنبية بعيدة كل البعد عن جوهر التصوف ، إذن وما رسائل النور إلا من وحي إجهاداته التعبديّة ومن وحي إقترابه ومعراجة الروحي إلى الله سبحانه وتعالى، وإن كان الصوفية يفرقون بين العلم والمعرفة فالعلم يتناول الجانب النظري للبحث أما المعرفة فهي معرفة الله تعالى وسبيل هذه المعرفة الوصول إليه من خلال العبادات و الأذكار وما شرع الله وما بينه النبي عليه الصلاة والسلام في السنة الشريفة وهكذا هو حال " النورسي " الذي رسائله تعكس فكره و قراءاته وروحانيته من القلب ووجدانيته وروحه في هاته الرسائل .

إن كليات النور و منهجه ومسلكه جاء ليبيّن في الإنسان المسلم تلك الروح الإيجابية التي تؤهله للعطاء وبالتالي تنمي فيه القدرة على العمل والعطاء بما يفتح له من آفاق التفكير والممارسة والأهم من ذلك بما يزوده من بناء ذاتي ودافع حركي ، ليصبح الإنسان إنسانيا ناضجا لممارسة الحياة بالطريقة التي يريدها ويرسمها ويخطط أبعادها الإسلام.

لم يحدث خطاب "النورسي" قطيعة عن خطاب الصوفية لا من حيث الطريقة ولا من حيث العرض و من حيث المصطلحات الموظفة فقد بين معنى الطريقة وهو مصطلح صوفي تناوله الشيوخ الصوفية وبينوا معنى الطريقة قال: الطريقة غرضها معرفة الحقائق الإيمانية والقرآنية ونيلها عبر السلوك والسير وهذا المعنى موجود في مظان الصوفية عند أولئك الذين أصلوا التصوف وبينوا معالمه فعلى سبيل المثال نجد أبا الحسن الشاذلي يقول في بيان الطريقة " التصوف تدريب النفس على العبودية وردها إلى أحكام الربوبية إذن فالتصوف إيمان شهودي إحترازا عن الإيمان النظري وهذا الذي كان يريده النورسي. أن ينتقل المؤمن من إيمان نظري إلى إيمان شهودي والانتقال إلى الإيمان الشهودي حالة يجدها المؤمن بعد السير والسلوك وهو مصطلح صوفي بمعنى السير إلى الله تعالى بإعتبار النظر إلى وظيفة الإنسان في الحياة الدنيا والمقصد من التكليف كما قال علماء الأصول عن التكليف والمقصد منه إنما يكون بتحقيق هاته العبودية لله سبحانه وتعالى قال ابن العباس في بيان العبادة

ليعرفوا الله سبحانه وتعالى أي تحقيق المعرفة وقوله تعالى كما يخشى الله من عباده العلماء" فالعلم معرفة الله تعالى والجهل عدم معرفته وعليه يمكن إستخلاص أن بالمعرفة الربانية

تتفجر إنسانية الإنسان وتتحقق أيضا عبودية هذا الإنسان وهذا خطاب الصوفية وهو عينه خطاب " النورسي " وهو كما أشرنا لا يختلف إلا في إستعمال مصطلح التصوف يمكن ملاحظة أن في التصوف الذي ينشده " النورسي " أو في السلوك أو في التحقق أو في العبودية لله هو تصوف عملي واقعي فهو ليس من قبيل ذلك التصوف الإنعزالي الذي يريد صاحبه من وراءه الهروب من هذا المجتمع وعدم مواجهة هذا المجتمع لأن مثل هذا التصوف لا علاقة له بمقاصد التكليف الشرعي . وهنا ندرك الجزء الأهم وهو أن من غير الممكن أن يتجاوز الإنسان الأنا في عزلة من الناس وهو شرط أساس في الحركة إلى الله والإنسان قد يتصور أنه إذا إعتزل الناس وإبتعد عن الحياة الإجتماعية ليتحرر من الهوى والشبهات والرغبات لكنه يخطيء كثيرا ، فإن نزعات الأنانية تبقى مطوية في خبايا نفسه من دون أن يشعر بها ، فإذا دخل الحياة الإجتماعية وإحتك بالناس برزت هذه النزعات المخبأة على السطح وبطبيعة الحال فإن هذه النزعات لا يمكن أن نستأصلها إلا من خلال صراع مرير مع النفس وسط الحياة الإجتماعية .

يحذر " النورسي " وينبه بشدة من أن تتحول هذه العبادة التي هي من مقتضى الفطرة الإنسانية والتي لا يمكن للإنسان أن يكون إلا عبدا لله تعالى وإذا أراد الإنسان أن يجد طريق السعادة في الدارين الدنيا والآخرة فعليه أن يسلك مسلك العبادة لله تعالى ، ويحذر بشدة من أن تتحول هذه العبادة من المعنى الروحي الباطني إلى أشكال ورسوم ، تتحول العبادة من حالة ذوق وشهود ومن حالة نفسية يعيشها الإنسان في كل لحظة وفي كل حين بعدد أنفاسه تتحول إلى أشكال ورسوم وظاهر وبالتالي يتحول ذلك التدين العميق الباطني إلى تدين شكلي ظاهري فقط وهو الذي أشار إليه الرسول عليه الصلاة والسلام في قوله في ترغيب الشباب من الزواج فقال: " من أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه " وهنا نرى إلزامية ربط التدين بالأخلاق ولهذا فإن الصوفية في تعريفهم للتصوف قالوا: " أن التصوف أخلاق قمن زاد عليك في التصوف زاد عليك في الخلق أو الأخلاق " ، ولهذا نرى "النورسي" حذر من هذا التدين الظاهري وبين أن التدين لابد أن يكون واقع يعيشه الإنسان بعدد الأنفاس وفي كل لحظة.

إن الخطاب النورسي لا يختلف عن الخطاب الصوفي بصفة عامة وإن اختلف من حيث الشكل ومن حيث الواقع ومن حيث المقترضات ، كما نبه وحذر من المزالق التي تقع فيها الكثير من الطرق الصوفية وما فيها من عيوب وأضرار وبالتالي من يسير في مسلك التصوف يجب أن تكون له ضابطه أولا أن يكون على مقتضى كتاب الله جل وعلا وعلى السنة النبوية الشريفة.

وبوعيه الإيمانى أدرك أنه ليس من الكياسة أن يعتزل الإنسان الناس ، لأن الإنسان نهى عن الإنزواء وإيثار حياة العزلة ، فالمسلم مكلف بأن يقدم للمجتمع أي جهد وبأي نوع بما فيه من خير ، ولقد كان "النورسي" على وعي تام بهذه المعاني القيمة التي تأخذ بالمسلم إلى سلوكية هادفة وواعية ، تلك السلوكية ليست خيالية أو وهمية ، بل إنسانية عملية تبلغ أقصى درجات الدقة في التحقق وذلك عندما تكون هناك عبودية خالصة لله عز وجل .

من الملاحظ أيضا وهي نقطة نجدها قلما تكون عند المتصوفة الكبار وهي الهجرة من وطنه فحين نجد الكثير من المتصوفة هاجروا من بلاد لأخرى من أجل السلوك والسير إلى الله أو التلذذ على بعض المشايخ والطرق الصوفية ، لكن "النورسي" عاش متنقلا بين المدن والقرى يقوم بنشر تلك الدعوة وقد واجه في سبيل ذلك العديد من الأذى من منافي وسجن والعناء الشديد ويذكر الباحث السايح

« عرض عليه وكيل وزارة المعارف الباكستانية الهجرة إلى باكستان وشجعه على ذلك بأنه سيجد هناك تقديرا أكبر لعمله ودعوته وينجو من العذاب الذي يعاني منه ، إلا أنه رفض هذه الهجرة لأنه يأبى أن يبتعد عن مكامن الداء وليس من كياسة الدعاة أن يهجروا أوطانهم لمجرد التضيق عليهم أولتعذيب يحل بهم»¹.

لقد عمل "النورسي" على تربية وإعداد الأجيال على أساس وحدة فكرية وسلوكية وعاطفية متماسكة ، حيث أن هاته الأجيال تقوم أساس التنسيق والتوافق الفكري والعاطفي والسلوكي الملتزم الذي لا يعرف التناقض ولا الشذوذ الناجم عن الاختلاف الفكري والعاطفي والسلوكي ، لذلك يجب أن يكون هذا التوافق على كل المواقف وأنماط سلوكهم بل حتى في نشاطاتهم.

¹- أحمد عبد الكريم السايح ، بحوث في فكر بديع الزمان سعيد النورسي ، مركز الكتاب للنشر ، مصر ، الطبعة الأولى ، 1999 م ، ص 12.

إن منهج النورسي في تصديه ومواجهته للتيارات التغريبية المعادية للإسلام والمحفزة على السفور والتكشف والإنحلال الخلقي وتوجيه الأنظار نحو كل ما هو مادي وما توفره الحضارة الغربية من مغريات الحياة ، إلا أن النورسي وبمنهج صوفي مخاطبا به الناس من موقع الداعية لا من موقع المشيخة التقليدية بل مخاطبا حتى الأعداء وذلك من أجل أن يبرز لهم الحقائق الإيمانية ويحثهم على إتباعها والتمسك بها من أجل صد عجلة التغريب المعادية للإسلام بل للقيم الإسلامية

ومنه نستنتج أن النورسي إستفاد من التصوف كمنهج لترشيد عمله الهادف للإصلاح والتغيير بل التجديد ، فالتصوف عنده هو ذلك التصوف المعتمد والمستند والمؤسس كليا على منهج القرآن الكريم ذو المنهج الشمولي للدعوة، مخاطبا كافة الطبقات وفئات المجتمع ، وعلى السنة النبوية الشريفة ترجمان القرآن الكريم سنة الرسول عليه الصلاة والسلام كنموذج مثالي للتصوف الحقيقي يجب الإقتداء به وبصحابته رضوان الله عليهم بإعتبار أنهم كانوا النموذج المتميز والمثالي لممارسة هذا التصوف أفعالا وأقوالا شكلا ومضمونا في تفاعلاتهم ومعاملاتهم اليومية مع بعضهم البعض أو حتى مع بعض أعداء الأسلام ، ذلك التصوف الذي لم يعرف ولا يعتمد في زمانهم على الذوق والرياضة الروحية فقط وإنما يتعاداه لإعتباره منهجا ناقصا لا يفي بحاجات وإحتياجات عصره الذي يمثل عصر تحدي الفلسفات المادية المعادية للدين وقيم الدين الإسلامي.فالتصوف من المنظور النورسي هو الذي يعتمد ويستند إلى :

« الذكر القلبي والتأمل العقلي ، مع الحضور الدائم والإطمئنان ودوام شحذ الإرادة والنية الصافية والعزيمة الصادقة هي الأسس التي تقوم عليها الطريقة النقشبندية والتي إستقى النورسي الكثير منها وغايتها هو خدمة الحقائق الإيمانية خدمة مباشرة من خلال خدمة الفرائض والسنة النبوية لإزالة الأمراض القلبية»¹.

¹ - بديع الزمان سعيد النورسي ، الكلمات ، ص 260.

وما دام التصوف هكذا فإنه يعتقد :

« أنه لو كان أقطاب الصوفية في عصره لعملوا ولبذلوا كل ما في وسعهم لتقوية الحقائق الإيمانية والعقائد الإسلامية لأنها منشأ السعادة الأبدية نعم لا يمكن دخول الجنة بدون إيمان ، لكن يدخلها الكثيرون بدون تصوف ، فالإنسان لا يمكن أن يعيش بدون خبز ولكن يمكنه العيش دون فاكهة ، فالتصوف فاكهة والحقائق الإسلامية خبز»¹.

من خلال هذا الخطاب نستنتج أن النورسي قد إستقى منهجه عن طريق جمع ما إعتبره من مزايا الطرق الصوفية وبنى عليها منهجه الصوفي التجديدي ، ولعل من بين أهم الطرق الصوفية التي أعتبرت كمخبر صوفي إستفاد منه النورسي وإستثمرها في ترشيد عمله هي الطريقة النقشبندية وبيتبين تآثر النورسي بالشاه النقشبند في أقواله التي إشتهر بها وكذا كتابه

الذي عنوانه بالمكتوبات إقتداءا به. كما إستثمر مخزونه الصوفي في صياغة خطابه بل يكاد يتمثل مسلكه منهجا وموضوعا ويرجع ذلك إلى الطريقة النقشبندية التي تعمل على :

« خدمة الحقائق الإيمانية ، خدمة الفرائض الدينية والسنة الشريفة تحت ستار الطريقة والسعي لإزالة الأمراض القلبية عن طريق التصوف والسير بخطى القلب وهي نفسها»²

بل من خلال قراءة كلياته لاحظنا أن التآثر بالطريقة النقشبندية من حيث التركيز على النقاط الأساسية السابقة الذكر هي ذاتها التي سار عليها النورسي وقامت دعوته عليها.

¹ - بديع الزمان سعيد النورسي ،الكلمات ، ص 27.
² - نفس المصدر ، ص 260.

إستنتاجات خاصة بملاحم ومعالم التجديد في الفكر الصوفي عند النورسي

إن المتتبع لسيرة "النورسي" وتكراره الملفت للإنتباه بأنه ليس صوفيا ولا شيخ طريقة ولا مؤسس لطريقة صوفيه وإنما خادم القرآن ، وهذا ما يدل على أن النورسي لم يقدم التصوف الكلاسيكي ، وإنما إنتهج نهجا جديدا مخالفا للشيوخ التصوف منهاجا وطريقة وسلوكا ، بل إستفاد من إنخراطه للطريقة النقشبندية ومن كتب كبار الشيوخ الصوفية كعبد القادر الكيلاني وأحمد الفاروق السرهندي وإستثمر معارفه لإنتقاء منهج إصلاحى متوازن ناجعا لزمانه ، ذات بعد منهجي متوازن ، يدل على قبوله للفكر الصوفي من جهة ، وتجاوزه له من جهة ثانية ؛ بناء على معطيات العصر الموصوفة قبل ، وما تفرضه من أولويات. لقد تشابهت حالة " النورسي" حالة متصوفة الصدر الأول – إلى حد ما – كأمثال الجنيد والحارث بن أسد المحاسبي... إلخ الذين لي يشتغلوا لا على الألقاب ولا على الأقطاب ولا حتى إتزموا شيئا معينا في طريقهم وسيرهم إلى الله بل جعلوا سنة النبي عليه الصلاة والسلام في مجمل عباداته أستاذا ومرشدا ، والنورسي كان أمثال هؤلاء في إتزام السنة النبوية الشريفة و جعل القرآن الكريم إذ يقول:

« فالقرآن هو أسمى مرشد ..وأقدس أستاذ على الإطلاق»¹.

ومن هنا نرى أنه ألغى وسائط المشايخ ومن بين معالم التجديد في الحقل الصوفي من المنظور النورسي مايلي :

- ثنائية الحقيقة والشريعة عند النورسي

إن الحقيقة والشريعة عند المتصوفة كمصطلح يشير إلى أن في الإسلام علمين علم يخص أهل الظاهر وهي الشريعة الإسلامية التي جاء بها النبي عليه الصلاة والسلام وهو الجانب العملي؛ من عبادات ومعاملات وأمور تعبدية، ومحلها الأعضاء الظاهرة الجسمانية، وقد إصطلح العلماء على تسميته بالشريعة، وإختص بدراسته السادة الفقهاء.

¹- سعيد النورسي ، العالم يتصفح كليات رسائل النور ، دار سوزلر للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، بدون سنة نشر ، ص 17.

« علم الحقيقة وهو الذي يعبرون عنه بالعلم اللدني وهو الجانب الروحي القلبي؛ وهو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وما ينتج عن ذلك من أحوال وأذواق وجدانية، ومقامات عرفانية، وعلوم وهبية، وقد إصطلح العلماء على تسميته بالحقيقة، وإختص ببحثه السادة الصوفية»¹،

إن ما أحدثه المتصوفة من تقسيم الدين إلى حقيقة وشريعة وعلم الباطن والظاهر وهذا مما عرض الصوفية للنقد من جراء هذا التقسيم والتفريق بين الحقيقة والشريعة ، لكن حذر النورسي من أن يفرق بين الحقيقة وبين الشريعة فلا معنى للحقيقة بدون شريعة ، ولا معنى للشريعة بدون حقيقة والقصد عندهم من الحقيقة معرفة الباطن وفقه الباطن أما الشريعة فهي فقه الظاهر أو الخارج ، ولن يكون هناك سلوك وتدين إلا إذا جمع المؤمن بين الأمرين أي بين الحقيقة والشريعة فقه الباطن مع فقه الخارج أو الظاهر. وفي هذه النقطة تكلم عنها أبو الحسن علي بن عثمان الهجويري العالم الصوفي في القرن 5 هـ الذي يعتبر من رجال التصوف المعتدلين وأكد على ضرورة الإتصال بين الحقيقة والشريعة حيث قال

« لا غنى عن الحقيقة (التصوف) عن الشريعة ، ولا شريعة عن الحقيقة ، فالشريعة بدون حقيقة ليست إلا رياء ..والحقيقة بدون الشريعة ليست إلا نفاقا»² .

ومن هنا ندرك التلازم الوثيق بين الشريعة والحقيقة كتلازم الروح والجسد بالمفهوم النورسي ، والمؤمن المتحقق هو الذي يجمع بين الشريعة والحقيقة، وهذا ما يصبوا إليه "النورسي"، مقتف بذلك أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصحابه الكرام رضوان الله عليه بحيث تحقق السلف الصالح، من الصوفية بالعبودية الحقّة، والإسلام الصحيح، إذ جمعوا بين الشريعة والحقيقة، وبين الظاهر والباطن، فشكّلوا بذلك نماذج في الكمال الخلفي. وقال :

¹- عبد القادر عيسى ، حقائق عن التصوف، دار المقطم للنشر والتوزيع، 2005م، ص 303.
²- محمد شلبي شتيوي ، التصوف والصوفية في ضوء النصوص الدينية والبراهين العقلية ، السحاب للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، 2007م ، ص 139.

« إن السلوك في الطريقة النقشبندية يسير على جناحين، أي الاعتقاد الصحيح بالحقائق الإيمانية، والعمل التام بالفرائض الدينية. فإذا ما حدث خلل وقصور في أي من هذين الجناحين يتعذر السير في ذلك الطريق»¹.

- نهج النورسي لثنائية العقل والقلب

لقد سلك "النورسي" في مسلكه ، مسلكا خاصا به جعله يتميز عن غيره من المصلحين والمجددين ، إذ تميز مسلكه هذا بالمزج بين العقل والقلب وما يبين هذا المسلك مزج بين ما يقوم على البرهان العقلي والإستدلال العقلي وبين ما يتحقق بالتجربة الوجدانية " الذاتية" والذوق ، وما يمكن الإشارة إليه ليس من السهل تحقيق هذا النهج في المزج خاصة عندما يتعلق الأمر في الجانب العقدي وأيضا في مجال الدفاع عن العقيدة من أجل ترسيخ أركانها. حاول "النورسي" بأسلوبه هذا التجديدي من خلال تناوله وصياغة المسائل والقضايا الإيمانية عن طريق البرهنة على صدقها وأحقيتها بهذا الأسلوب والذي يشتمل على فكر العقل ومشاعر القلب ، ولعله بهذا المسلك ومن خلال هذا الأسلوب وفي محاولته هذه قد حقق نجاحا واضحا وما يثبت ذلك النجاح قوة تأثير هذه المؤلفات " رسائل النور" على قارئها. حيث قال :

« ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو العلوم الحديثة، فبإمتزاجهما تتجلى الحقيقة، فتتربى همة الطالب وتعلو بكلا الجناحين، وبافتراقهما يتولد التعصب في الأولى والحيل والشبهات في الثانية»².

إذن كما قال الباحث عبد المنعم يونس :

« هكذا يهتم التصوف المعاصر بالعقل إهتمامه بالقلب، فبالعقل يستطيع الصوفي الدفاع عن الإسلام، والوقوف أمام تلك الحملات الموجهة إلى الإسلام»¹.

¹- بديع الزمان سعيد النورسي،المكتوبات ، ص 27.

²- بديع الزمان سعيد النورسي ، العالم يتصفح رسائل النور، دار سوزلر للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، بدون طبعة ، ب دون سنة نشر ، ص 39

- ثنائية الشيخ والمريد من المنظور النورسي

إن الطرق الصوفية بصفة عامة لا تخلوا من ثنائية الشيخ والمريد بل من إلزامية الطرق وجود هاته الثنائية ، كما أن الحديث عن الشيخ والمريد كثنائية هي علاقة عمودية تتميز بنوع من السلطة الروحية فالشيخ هو بمثابة الأب الروحي للمريد أما المريد فهو يمثل في علاقته بشيخة بالإبن الذي ينصاع لأوامر شيخه في الفكر الصوفي التقليدي وليس له الحق لا في النقد ولا السؤال بل الإمتثال لأوامره فقط ، لكن هاته العلاقة بهذا التصور والمفهوم أعاد النورسي صياغتها بما يتطلب مع حاجة العصر وأعطى لها صياغة جديدة ثلاثية الأبعاد إن صح القول تتميز بالمرونة وفي نفس الوقت تحقق التكامل والترابط فيما بين الطرفين أي الشيخ والمريد ويكمن هذا التجديد التصور النورسي لهاته الثنائية كالاتي :

يعتبر النورسي أن العلاقات القائمة بين الأستاذ والطلاب وهي بمثابة الثنائية عند النورسي بدل مصطلح ثنائية الشيخ والمريد بالمفهوم التقليدي ، حيث أعاد صياغة أو إعادة هيكلة هذه الثنائية إلى تقديم نموذج ذو أبعاد ثلاثية هاته العلاقات لها ثلاثة أوجه تخدم تلك العلاقات وتمتتها وتربطها ببعضها البعض حيث حصر " النورسي " هذه العلاقات في ثلاثة مظاهر تمثلت في :

المظهر الأول : الأخوة بين الطلاب وبينه

المظهر الثاني : كزملاء في الدرس.

المظهر الثالث : الذي تجلى في نظر "النورسي" حول مساعدتهم له وإعتبارهم كأصحاب شورى من جهة أخرى.

وبهذا المفهوم والتصور الجديد نرى كيف أن النورسي أعطى تصورا ونموذجا يتميز بالمرونة حول علاقة الشيخ بالمريد وتحويلها من علاقة عمودية إلى علاقة أفقية ثلاثية الأبعاد تعكس رؤية تختلف كل الإختلاف عما كان سائدا من قبل الصوفية والفكر الصوفي عامة.

¹- عبد المنعم يونس ، النورسي ورؤيته للتصوف المعاصر ، ، النور للدراسات الفكرية والحضارية ، مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم ، العدد 7 ، 2013م ، ص 112.

- نقده النورسي لوحدة الوجود

لقد رد النورسي على نظرية وحدة الوجود ، وهو ينكر ما جاء به محي الدين ابن عربي عن فكرة وحدة الوجود ولا يتهمه بالزندقة أو الكفر أو الفسوق وإنما قام بنقده دون تجاهل سعة علمه ولا علو مقامه ولا عمق أفكاره ، بل بين وجهة نظره قائلا :

« يعتبر وحدة الوجود التي تضم وحدة الشهود من المشارب الصوفية المهمة وهي تعني حصر النظر في واجب الوجود ، أي أن الموجود الحق هو واجب الوجود سبحانه فحسب ، وإن سائر الموجودات ظلال باهتة وزيف وهم لا تستحق إطلاق صفة الوجود عليها حيال واجب الوجود ، لذا فإن أهل المشرب يذهبون إلى إعتبار الموجودات خيالا ووهما ويتصورونها عدما ، في مرتبة ترك ما سواه، أي ترك ماسوى الله تعالى حتى إنهم يتطرفون ويذهبون إلى حد إعتبار الموجودات مرابا خيالية لتجليات الأسماء الحسنی»¹.

هكذا كان رده ورفضه حول وحدة الوجود دون تجريح أو إتهام له وإنما بالإقناع لقد كان النورسي مدركا ما تتضمنه وحدة الوجود من مضمون يتنافى مع التصور والمفهوم الإسلامي لذا رفضها مقيما الأدلة التي رأها كافية في رفض وحدة الوجود، ويمكن تلخيصها فيمايلي: حيث يرى النورسي

« أن وحدة الوجود مشرب ونزعة وحال وهي مرتبة ناقصة لكونها مشربة بلذة وجدانية ونشوة روحية فإن معظم الذين يحملونها أو يدخلون إليها لا يرغبون في مغادرتها فيبقون فيها ظانين أنها هي المرتبة الأخيرة التي لا تسمو فوقها مرتبة. أي أنه منزه عن الشبه والتحيز والتجزؤ وإن علاقته بالموجودات علاقة الخالق بالمخلوقات فالموجودات ليست أوهاما كما يدعي أصحاب وحدة الوجود

¹ - بديع الزمان سعيد النورسي، الكلمات ، 579.

بل هذه الأشياء الظاهرة هي من آثار الله سبحانه وتعالى، إذا فليس صحيحا قولهم لا موجود إلا هو وإنما الصحيح لا موجود إلا منه»¹.

مما يدفع به النورسي وحدة الوجود أن القائلين بها إذا كانوا يقولون لا موجود إلا الله وينزلون الموجودات منزلة العدم والخيال ولكن هاته الموجودات والكائنات ما هي إلا تجليات الله عز وجل ومن آياته . وهي مرايا لتجليات الله تعالى ولأسمائه الحسنى. فتحليلاته في رد القول بوحدة الوجود إلى مقامات روحية قاصرة تجعل صاحبها ينخدع وإن لم يكن قصده أن يخدع أحدا وعليه يكون القائل بها غير محل للقدوة والإتباع وهو بذلك في حاجة إلى تصحيح عقيدته بل قد يكون أحوج إلى التوجيه والإرشاد، ليكتشف منزلقه وما يتأدى إليه من مآلات فكرية خطيرة وقد لخص القول فيه بـ :

« بأنه لا يخدع ولكن ينخدع وهو مهتد لكن لا يكون هاديا لغيره في ما كتبه»².

حيث قال :

« إن أهل " وحدة الوجود " توهموا الكائنات عدما، فقالوا " لا موجود إلا هو " لأجل الوصول إلى الاطمئنان والحضورالقلبي . وكذا أهل " وحدة الشهود " حيث سجنوا الكائنات في سجن النسيان، فقالوا " لا مشهود إلا هو " للوصول إلى الاطمئنان القلبي . بينما القرآن الكريم يعفي الكائنات بكل وضوح عن الإعدام، ويطلق سراحها من السجن . فهذا الطريق على نهج القرآن ينظر إلى الكائنات أنها مسخرة لفاطرها الجليل، وخادمة في سبيله، وأنها مظاهر لتجليات الأسماء الحسنى، كأنها مرايا تعكس تلك التجليات . أي أنه يستخدمها بالمعنى الحرفي، ويعزلها عن المعنى الاسمي، من أن تكون خادمة ومسخرة بنفسها . وعندها ينجو المرء من الغفلة، ويبلغ الحضور الدائم على نهج القرآن الكريم. فيجد إلى الحق سبحانه طريقا من كل شيء»³.

ويلخص "النورسي" بعد ذلك منهج "محي الدين بن عربي" وقاعدته التي بنى عليها مذهبه، فيقول: إن ابن عربي يقول " لا موجود إلا هو "

¹ - بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات ، ص 106.

² - بديع الزمان سعيد النورسي ، اللغات ، ص 52.

³ - بديع الزمان سعيد النورسي، الكلمات ، ص 561.

« لأجل الحصول على الحضور القلبي الدائم، أمام الله سبحانه وتعالى، حتى وصل به الأمر إلى إنكار وجود الكائنات. أما الآخرون فلأجل الحصول على الحضور القلبي أيضاً قالوا: "لا مشهود إلا هو" وألقوا ستار النسيان المطلق على الكائنات واتخذوا طوراً عجبياً. بينما المعرفة المستقاة من القرآن الكريم تمنح الحضور القلبي الدائم، فضلاً عن أنها لا تقضي على الكائنات بالعدم ولا تسجنها في سجن النسيان المطلق، بل تنقذها من الإهمال والعبثية وتستخدمها في سبيل الله سبحانه، جاعلة من كل شيء مرآة تعكس المعرفة الإلهية وتفتح في كل شيء نافذة إلى المعرفة الإلهية»¹.

- موقفة من أفضلية الولاية على النبوة

إن مفهوم الولاية قد إعتراه إنحراف حيث أنه قال بعض الغلاة من المتصوفة بأفضلية الولاية على النبوة مستدلين في ذلك بقصة سيدنل موسى مع الخضر الذي لم يكن نبيا وكان له علم لم يكن لسيدنا موسى عليه السلام بالرغم من أنه نبيا وكيف الخضر علم النبي موسى عليه السلام ، من هذا المنطلق رأوا إلى تعظيم مقام الولاية على النبوة ، وقد سجل هذا الإنحراف في البحر المحيط لأبو حيان فقال :

« تعلق بعض الجهال بما جرى لموسى مع الخضر عليهما السلام على أن الخضر أفضل من موسى وطردوا الحكم وقالوا قد يكون بعض الأولياء أفضل من ، لدرجة أنهم قاموا بتفضيل الأولياء على أحد الأنبياء واستدلوا بقول أبي يزيد خضت بحرا وقف الأنبياء بساحله وهذا كله من ثمرات الرعونة والظلمة من النفس»².

وكما يقول ابن عربي: "إن الولي فوق النبي أو الرسول". وكذلك يرى بعض المتصوفة أفضلية الأولياء على الصحابة رضوان الله عليهم فقد حرص " النورسي " على أن يكشف هذا الإنحراف لما له صلة وثيقة بالعقيدة وشدد الإنكار لهذا الإنحراف حول من يرى إقتراب مقام الولاية من مقام النبوة بل بينه وإعتبره من المزالق الصوفية ممن لا يتبعون السنة الشريفة منهاجا لهم وبالتالي إعتقادهم بأرجحية الولاية على النبوة حيث قال :

¹- بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات ، ص 425.
²- أبي حيان ، البحر المحيط ج6، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، 1978م ، ص 136.

« أن من مزلق بعض الصوفية ممن لا يتبعون السنة على الوجه الصحيح
إعتقادهم أرجحية الولاية على النبوة»¹.

- موقفه من أفضلية الولاية على الصحبة

كذلك من بين الإنحرافات التي واجهها حقل التصوف لدى بعض المتصوفة، وقد تناول " النورسي" موضوع المفاضلة بين الولاية والصحبة من خلال سؤال وجه له عن حقيقة ما يروى من أنه حين تنتشر البدع يمكن أن يبلغ مؤمنون صادقون درجة الصحابة الكرام رضوان الله عليهم وربما يسبقونهم فهل هذه الروايات صحيحة؟ وإن كانت كذلك فما حقيقتها؟ فكان جوابه كمايلي :

« أن إجماع أهل السنة والجماعة حجة قاطعة على أن الصحابة الكرام هم أفضل البشر بعد الأنبياء عليهم السلام فالصحيح من تلك الروايات يخص الفضائل الجزئية وفي كمال خاص معين، وإلا فلا يبلغ أحد من حيث الفضائل الكلية غير الصحابة الكرام الذين أثنى الله عليهم في قرآنه المبين ووصفهم في التوراة والإنجيل كما هو في ختام سورة الفتح»².

كما أشار النورسي أنه في حالة إرضاء الفضول العلمي يجوز هذه المفاضلة ، وأما من أجل المفاضلة بين الأولياء والصحابة فإن الصحابة هم سادة الأولياء وفيهم تنزل وصف الولاية . لقد ذكر النورسي

« أن أعظم ولي من الأولياء لا يستطيع أن ينال مرتبة صحابي كريم لرسول عليه الصلاة والسلام حتى لو أن هذا الولي كان يرى النبي عليه الصلاة والسلام عيانا مرات عديدة، لأن الصحابي لقي النبي عليه الصلاة والسلام حال كونه نبيا رسولا أما الأولياء فإنما كانت رؤيتهم له بعد وفاته أي بعد إنقطاع نور الوحي، فهي صحبة بنور الولاية»³.

¹- بديع الزمان سعيد النورسي ، المكتوبات ، ص588.

²- بديع الزمان سعيد النورسي ،الكلمات ، ص 573.

³- نفس المصدر ، ص 574.

- تجديد مصطلح الفناء : من فناء في الرسول وفناء في الشيخ إلى فناء في الإخوة

إن مصطلح الفناء من التصورات التي تناولها العديد من الصوفية من جهات عديدة ومن جهة أخرى كان محل إنتقاد لبعض العلماء الشريعة والفقهاء ، ولقد كان الفناء من المصطلحات التي شغلت حيز المتصوفة وما تعدد إختلاف تناوله إلا لتصورات ترجع لإختلافات ثقافية وإجتماعية فمن بين هذا التعدد ما ذكره القشيري في رسالته القشيرية حيث قال :

« للفناء والبقاء بمعاني منها فناء المرء عن أوصافه المذمومة لتبقى الأوصاف المحمودة، وفناؤه عن شهواته لتبقى نيته وإخلاصه في عبوديته ومنها فناؤه عن الخلق بالحق ومنها فناؤه عن نفسه وعن الخلق بزوال إحساسه بنفسه وبهم»¹.

لكن النورسي قد قدم مفهوما مغايرا لهذا الفناء حيث قام بموزانة هذا المصطلح بما يتوافق مع الشريعة الإسلامية ، بل نرى تعامله مع المفاهيم الخاطئة بمنهج فكري متميز وذلك بإعادة هيكلتها وإنتاجها بما يتوافق مع روح الشريعة بل يعكس إستثماره لهاته المفاهيم الخاطئة وإعادة بلورتها وفق ما يتطلبه العصر ووفق إحتياجات هذا العصر. إن الفناء في الإخوان هو نتيجة هذا الإستثمار الذي مفاده تقديم العون لبعضهم والبعض حيث قال في اللمعات عن الفناء هناك اصطلاحات تدور بين المتصوفة

« أمثال الفناء في الشيخ والفناء في الرسول وأنا لست صوفيا ولكن الفناء في الإخوان دستور جميل يناسب مسلكتنا ونهجنا تماما أي أن يفنى كل في الآخر أي أن ينسى كل أخ حسياته النفسانية ويعيش فكرا مع مزايا إخوانه وفضائلهم حيث إن مسلكتنا هو الأخوة في الله وأن العلاقات التي تربطنا هي الأخوة الحقيقية وليس علاقة الأب بالإبن ولا علاقة الشيخ مع المريد وإن كان ولا بد فمجرد العلاقة بالأستاذ وما دام مسلكتنا هو الخيلية فمشرنا إذا هو الخلة والخلة تقتضي صديقا صدوقا ورفيقا مضحيا وأخا شهما غيورا إن الأساس هو الإخلاص التام»². ويقول:

¹- القشيري، المرجع السابق ، ص 62.

²- بديع الزمان سعيد النورسي، اللمعات ، 245.

« إن سر الأخوة هو إفناء الفرد شخصيته في شخصية إخوانه وإيثارهم على نفس »¹.

إن إعادة إنتاج هذا المصطلح وإستثماره لهذا الفناء بهذا المعنى لا يسعنا القول إلا أنه أعطاه صبغة جديدة ومعنى جديدا هذا المعنى المتجسد في كسر الذاتية والأنانية وظهور الإيثار وإلى المساعدة والتعاون مع الآخر مما يحقق بهذا المفهوم التماسك والإتحاد للنهوض بهذه الأمة ومواكبة الحضارة. وبهذا يكون جدد هذا المصطلح وفق مقتضيات وحاجات العصر وليس بالرفض والتهميش والإقصاء بل أثبت جدارته وقدرته في هذا التجديد .

- تجديد النورسي طريق الوصول إلى الله :

لقد صاغ النورسي طريقا للوصول إلى المعرفة الحقيقية دون الدخول في مقامات وأحوال التصوف بل إختصر هذا الطريق إن طريق السلوك لله في الطرق الصوفية كثيرة ومتعددة وما تتضمنه من مسالك طويلة التي تعتمد على الإجتهدات الذاتية التي قد تكون غير منضبطة بالكتاب والسنة. ونظرا لكون النورسي يخاطب وسطا مشحونا بأجواء التصوف ، فإنه يقدم طريقا ومسلكا سليما وآمنا للسلوك إلى الله. يشير النورسي إلى أنه هناك طرائق كثيرة وسبل عديدة للوصول إلى الله سبحانه وتعالى ، ومورد جميع الطرق الحققة ومنهل السبل الصائبة إنما هو القرآن الكريم ، إلا أن بعض الطرق أقرب من بعض وأسلم وأعم. ومن خلال تأمله في القرآن الكريم أنه إستفاد من فيض القرآن الكريم يقدم طريقا قصيرا وآمنا للسلوك إلى الله وهو بمثابة سبيلا سويا تمثل هذا الطريق في طريق:

العجز و الفقر و الشفقة و التفكير

طريق العجز إذ يوصل إلى المحبوبة بطريق العبودية. وطريق الفقر مثله يوصل إلى اسم "الرحمن" وكذلك الشفقة كالعشق موصل إلى الله ، إلا أنفذ منه في السير وواسع منه مدى ، إذ هو يوصل بإسم الله "الرحيم" وطريق التفكير هو سبب في إحراز الإخلاص الذي يكسب المرء حضورا وسكينة بالإيمان التحقيقي

تجديد نهجا ومشربا هذه الطريقة

¹- نفس المصدر ، ص 250.

قد بين أن الترقى والتدلي وذلك من خلال تقسيمه السير إلى السير الأنفسي والسير الآفاقي وهما مشربان ونهجان في الطريقة

"فالسير الأنفسي يبدأ من النفس ويصرف صاحب هذا السير نظره عن الخارج ويحدق في القلب مخترقا أنانيته. ثم ينفذ منها ويفتح في القلب ومن القلب سبيلا إلى الحقيقة. ومن هناك ينفذ إلى الآفاق الكونية فيجدها منورة بنور قلبه، فيصل سريعا إلى أن الحقيقة التي شاهدها في دائرة النفس يراها بمقياس أكبر في الآفاق، وأغلب طرق المجاهدة الخفية يسير وفق هذه السبيل، وأهم أسس هذا السلوك هو كسر شوكة الأنانية وتحطيمها، وترك الهوى وإماتة النفس.

أما النهج الثاني فيما يخص السير الآفاقي : فيبدأ من الآفاق ويشاهد صاحب هذا النهج تجليات أسماء الله الحسنى وصفاته الجليلة في مظاهر تلك الدائرة الآفاقية الكونية الواسعة، ثم ينفذ إلى دائرة النفس فيرى أنوار تلك التجليات بمقاييس مصغرة في آفاق كونه القلب، فيفتح في هذا القلب أقرب طريق إليه تعالى، ويشاهد أن القلب حقا مرآة الصمد فيصل إلى مقصوده ومنتهى أمله

أما أوراد هذه الطريقة فهي :

وأما فيما يخص أوراد هذا الطريق القصير وأذكاره ، فقد حصرها في : "اتباع السنة النبوية والعمل بالفرائض ، لاسيما إقامة الصلاة باعتدال الأركان ، والعمل بالأذكار عقبها وترك الكبائر.

وفما يخص الأوراد فقد أشار إلى ورطة يمكن الوقوع فيها وهي من مزلق الصوفية ، وهي تفضيل الطريقة وأورادها الخاصة على الطريقة الأم أي أوراد السنة النبوية الشريفة . وهي ترجيح بعض المتطرفين والمتعصبين جدا للطريقة؛ لأوراد طريقتهم وآدابها؛ على أذكار السنة النبوية الشريفة، فيسقطون بذلك في منزلق مخالفة السنة النبوية وتركها، في حين أنهم الذي يظنون مرتبطين بأوراد طريقتهم الخاصة التي إبتدعوها ، فيهوون في الورطة. وكما أثبتنا في كلمات كثيرة، وكما أكد كبار محققي الطرق، كالإمام الغزالي، والإمام الرباني:

« أن إتباع سنة واحدة من السنن النبوية يكون مقبولا عند الله أعظم من مائة من الآداب والنوافل الخاصة. إذ كما أن فرضا واحدا يرجح على ألف من السنن؛ فان سنة واحدة من السنن النبوية ترجح على ألف من آداب التصوف»¹.

فبديع الزمان لم يسجل قطيعة إبستمولوجية مع الفكر الصوفي؛ وإنما الذي يمكن قوله هو أنه جدد الفكر الصوفي نفسه؛ بمحاولة إعادة إنتاج الحقائق القلبية الإيمانية، لا بواسطة هياكل الطريقة وقواعدها، من زاوية أو تكية و من مشيخة وبيعة وأوراد قولية وفعلية، ولكن إعادة إنتاجه الإيماني كان ينطلق بصورة مباشرة من نبع القرآن الفيض الصالح لكل زمان ومكان، حيث إنه لم يستمر في سيرورة نظام المشيخة بمفهومها الصوفي. الكلاسيكي فبعد حصول التحولات المشهودة في حياته الإيمانية قدم خدمة مباشرة للحقائق الإيمانية بمنهج قرآني وما نص عليه من العبادات ومن تأدية الفرائض الدينية والإلتزام بها وترك المعاصي والكبائر والعمل بما جاء في السنة النبوية الشريفة دون إلزام أوراد ومقولات مخصوصة قد تؤثر على الإلتزام بالسنة وذلك بالإهتمام بالورد أكثر من السنة التي هي ترجمان القرآن الكريم.

ترك الطرق وأربابها دون التنقيص، والمشايخ وأشكالها دون التنقيص منهما، فلم ينصبها أمامه في مسلكه إلى الله، ولا أنتج طريقة جديدة كما هو معهود في نظام الطرق الصوفية في العصور المتأخرة. وإنما صار بما سلكه من منهج قرآني مجددا في الفكر الصوفي منهاجا وسلوكا وطريقة ولا يسعنا القول إلا أنه جدد الفكر الصوفي بإمتياز بل هو صوفي بإمتياز.

وفي الأخير ما يسعنا إلا القول بأن حتى وإن كان بديع الزمان سعيد النورسي يتحرج أو ينفي كلمة صوفي بقوله أنا لست صوفيا أو لست شيخ طريقة صوفية، إلا أنه يمكننا القول بأنه صوفي بإمتياز منهاجا ومسلكا وسلوكا.

إنه جدد الفكر الصوفي نفسه؛ وذلك من خلال محاولة إعادة إنتاج الحياة الروحية بالحقائق القلبية الإيمانية، لا بواسطة هياكل الطريقة وقواعدها بتشبيد الزوايا والتكايا وما تضمنته من

¹ - بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، ص 588.

مشيخة، وبيعة، وأوراد قولية وفعلية، ولكن إنتاجه كان بتجديد الإيمان بحد ذاته ذلك الإنتاج الإيماني الذي كان ينطلق بصورة مباشرة من نهج القرآن متشربا من فيوضاته ومنهج السنة النبوية الشريفة المطهرة التي هي ترجمان القرآن والناطق له . بدل إنضباطه وحصره لنظام المشيخة بالمفهوم الصوفي التقليدي فلم يستمر على هذا النحو بل ترك الطرق الصوفية ومشايخها وأشكال المشيخة ولم ينتج طريقة صوفية جديدة كما هو معهود وعهدناه من خلال المؤلفات الصوفية في نظام الطرق الصوفية في العصور المتأخرة وإنما إنتهج مسلكا متشربا من منهج قرآني دفعه إلى سلوك مسلك جديد لا من حيث الطريقة ولا من حيث الأذكار فوجد نفسه مطلوبا لهمة أخرى غير التربية الصوفية بمعناها التقليدي ومن هنا انطلق فاتحا مسلكا جديدا في مجال تجديد الدين بهذا العصر، دون أن يحدث قطيعة كاملة مع مفاهيم الصوفية ومصطلحاتهم بل حتى قواعدهم في التربية والتوجيه.

فالبرغم من تطورات الأحداث في عصره سواء على الجانب الإجتماعي والثقافي والسياسي ... إلخ لمحاولات بكل الوسائل وشتى الطرق لإستئصال الدين من المجتمع التركي من طرف التيارات التغريبية العلمانية بكل مظاهره والقضاء عليه لإعتبارهم أنه يقف في وجه الحضارة الغربية ومن تقدمها هذا من جهة ومن جهة أخرى تطورات الايمانية على المستوى الشخصي والمعنوي لبديع الزمان سعيد النورسي فبرغم من أن أغلب حياته تأرجحت بين السجون والمنافي والإعدام إلا أن هذه المحن لم تقف في وجهه بل كانت دافعا قويا وأوجدت قوى باطنة في نفسه توجهه توجيها وبقوة إلى يسلك مسلكا جديدا . ونلمس قدرته وكفاءته في تحويل هذه المحن إلى منح إيمانية حقيقية تقف بالمرصاد أمام تلك التيارات الغربية المعادية للدين الإسلامي بكل مظاهره التي أنقذت الأمة الإسلامية من وحل الشبهات و الإلحاد ، فبديع الزمان سعيد النورسي هو ذلك المجدد والمصلح لحال الأمة الإسلامية وبذكاءه ووعيه العميق الفكري والروحي تصدى هذه العدائية بإنتهاجه مسلكا جديدا مغايرا لما عهدناه من دور الطرق الصوفية ووظيفتها في الحفاظ على الدين أمام الأعداء ، بل جدد ذلك دون أن ينقطع عما كان تقليديا أي التربية الروحية بما يتوافق مع متطلبات العصر وإحتياجات إنسان اليوم وبما يحقق له التوازن المادي والروحي معا والأهم عند النورسي هو أن يصبح التصوف كسلوك ممارس قولاً وفعلاً ظاهراً وباطناً

وبالتالي إعادة إحياء الحياة الروحية في مقابل تطور الحياة المادية في هذا العصر فالتصوف من المنظور النورسي هو ذلك التصوف الذي يعمل على التغذية الروحية وتحقيق الإيمان القوي وإعطاء لهذه العبادات معنى روحي وتحقيق الأمن السيكولوجي والداخلي ومن إحتياجات نفسية لإنسان المعاصر والذي بدوره يوازي التطور المادي الملبي لإحتياجات مادية حسب مستجدات العصر وما تفرضه هاته المادية من إفرزات تؤثر على الفرد بشكل أساسي كالتوتر والقلق والكآبة التي هي كحتميات لهاته الحضارة المادية كما أن الإهتمام بالجانب المادي قد يؤثر على الجانب العبادات ويجردها من المعنى الروحي . حيث أن طبيعة الإنسان في حد ذاتها هي في تكوينها تتركب من جانبين جانب روحي "النفس " وجانب مادي " الجسم" فإذا كان التصوف بالمنظور النورسي يلبي إحتياجات الجانب الروحي فإن التطور المادي والحضاري يلبي الجانب المادي للإنسان المعاصر وبهذا نخلص إلى أن التصوف بهذا المفهوم يتميز بالمرونة ويتوافق مع متطلبات العصر بإعتبار أن منهج القرآن ومنهج السنة الشريفة هي ذات منهج صالح لكل زمان ومكان قابلة ونلمس هاته المرونة من خلال التعديل والتجديد وفق متطلبات ومستجدات العصر ويحقق التوازن الروحي والمادي معا للإنسان المعاصر. فرسائل النور درسا متخصصا في بيان خصائص هذا المسلك ،الذي يراه "النورسي" أنه مسلك المستقبل الذي به يتجدد عهد الأمة وميثاقها، وبه تكون وحدتها وإنبعاتها من جديد.

وعليه نختم بقول نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام حينما قال : " يبعث الله لكل أمة على رأس كل مائة عام من يجدد لها أمر دينها". فكان بديع الزمان سعيد النورسي أهلا بذلك التجديد وما رسائل النور إلا كشاهد على هذا التجديد ، حتى أنه يمكننا القول أنه يمكن إعتبار رسائل النور بحد ذاتها كمشيخة تعمل على التربية الروحية القويمة ، ويكمن سر نجاح دعوته الإسلامية لإنقاذ الإيمان في هذا العصر لأنه لم ينطلق من مناهج تاريخية ضيقة كانت تشكل صراعات ماضية بين الحضارات الغازية والتي إستنفذت أغراضها في العصر الحديث ، وظهرت مكانها مشكلات خارجية وداخلية ، وإنما إنطلق من الكل القرآني الذي يقرأ الكون ببراهينه الثلاثة : برهان الكون المنظور "الكائنات" وبرهان الكون المقروء " القرآن الكريم" والبرهان الناطق " رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام".

قائمة المصادر

أ - المصادر

- القرآن الكريم

- الأحاديث النبوية الشريفة

1. بديع الزمان سعيد النورسي، المعات ، تر: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، مصر، بدون سنة.
2. بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات ، تر : إحسان قاسم الصالحي ، شركة سوزلر، مصر ، الطبعة الثالثة، 2001م.
3. بديع الزمان سعيد النورسي ، السيرة الذاتية ، تر: إحسان قاسم الصالحي ، شركة سوزلر للتوزيع ، بدون سنة نشر .
4. بديع الزمان سعيد النورسي ، الشعاعات ، تر: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، القاهرة ، الطبعة الثالثة، 1993م.
5. بديع الزمان سعيد النورسي ، الكلمات، تر : إحسان قاسم الصالحي ، دار سوزلر للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، ب ط ، ب سنة نشر .
6. بديع الزمان سعيد النورسي ، العالم يتصفح كليات رسائل النور ، دار سوزلر للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، ب سنة.
7. بديع الزمان سعيد النورسي، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تر: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة ، 2002.
8. بديع الزمان سعيد النورسي، المنثوي العربي النوري ، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي ، دار سوزلر للنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1995م.
9. بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق في فقه دعوة إلى النور ، تر: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر ، القاهرة ، مصر،، الطبعة الثالثة ، 1999.
10. بديع الزمان سعيد النورسي، صيقل الإسلام ، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، مصر ، الطبعة الثالثة، 2002.
11. بديع الزمان سعيد النورسي ، رسالة الحشر ، تر: إحسان قاسم الصالحي، دار يني آسيا، إستانبول، 1985.

قائمة المراجع

ب - المراجع باللغة العربية

- 1- الخشاب أحمد ، دراسات أنثربولوجية ، دار المعارف ، القاهرة، مصر، 1970م.
- 2- السايح أحمد عبد الرحيم ، بحوث في فكر بديع الزمان سعيد النورسي ، مركز الكتاب للنشر ، مصر ، الطبعة الأولى ، 1999م .
- 3- إبراهيم سعيد ، الدعوة و الإرشاد في الغرب، المؤتمر العالمي الثالث لبديع الزمان سعيد النورسي، إستانبول.1995م
- 4- ابن خلدون ، المقدمة ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، 1991 م.
- 5- أبو العباس الفاسي ، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجبية الحسيني الإدريسي الشاذلي ، البحر المديد ج8، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، الطبعة الثانية ، 2002م.
- 6- أبو حمدان سمير ، جمال الدين الأفغاني وفلسفة الجامعة الإسلامية، دار الكتاب العالمي للطباعة والنشر ، بيروت ، 1992م.
- 7- أتلخان جواد رفعت ، الخطر المحيط بالإسلام الصهيونية وبروتوكولاته، ترجمة: وهيبي عز الدين ، بغداد، 1965.
- 8- إسماعيل فاروق ، دراسة أنثربولوجية في منطقة باو، دار النشر الجامعي ، 1980م.
- 9- الأشقر عمر ، الرسل والرسالات ، مكتبة الفلاح ، الكويت، الطبعة الثالثة، 1405هـ
- 10- أصاف يوسف ، تاريخ سلاطين آل عثمان ، تحقيق: بسام الجابي ، دار البصائر ، دمشق ، الطبعة الثالثة، 1405هـ أي 1984م.
- 11- أمين أحمد ، ظهر الإسلام ج2، مكتبة النهضة العربية ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الخامسة، 1977م.
- 12- أنجرس موريس ، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية تدريبات علمية، ترجمة: بوزيد صحراوي كمال بوشرف سعيد سبعون ، دار القصة للنشر ، الجزائر ، 2004 م
- 13- أنطونيوس جورج ، يقظة العرب، ترجمة: ناصر الدين الاسد وإحسان عباس ، دار الكتب العربية للنشر ، بيروت 1966م.
- 14- أنطونيوس جورج ، يقظة الأمة العربية ، دار العلم للملايين للنشر ، بيروت ، الطبعة الثامنة، 1987م.
- 15- أنيس محمد ، الدولة العثمانية والشرق العربي 1514-1914م ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة، لطبعة الأولى ، 1993م.

- 16- بكير حسن عبد الرحمن ، بديع الزمان سعيد النورسي وأثره في الفكر والدعوة ، بدون دار
وسنة نشر.
- 17- بل ألفرد، الفرق الإسلامي في الشمال الأفريقي، ترجمة: عبد الرحمان البدوي، دار الغرب
الإسلامي للنشر، بيروت، الطبعة الثالثة ، 1987م .
- 18- البلعاوي فتحي بشير ، مساق تاريخ الدولة العثمانية ، الجامعة الإسلامية، غزة ، 2008م.
- 19- بن الطيب محمد ، وحدة الوجود في التصوف الإسلامي في ضوء وحدة التصوف وتاريخيته ،
دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى، 2008م.
- 20- بن عجيبية أحمد ، معراج التشوف إلى حقائق التصوف ، تحقيق: عبد المجيد خيالي ، مركز
التراث الثقافي المغربي ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى، بدون سنة نشر.
- 21- التونسي محمد خليفة ، الخطر اليهودي برتوكولات حكماء صهيون ، بيروت ، 1961م
- 22- ثوما أميل ، تاريخ مسيرة الشعوب العربية الحديث ، ، دار الفارابي للنشر ، بيروت ، ج1،
1979م.
- 23- جابر الجزائري أبي بكر ، من رسائل الدعوة وجاءوا يركضون مهلا يا دعاة الضلالة ، مدرسة
الجامعة الإسلامية والواعظ بالمسجد النبوي الشريف ، 1406هـ.
- 24- الجندي محمد علي ، نظرية الإمامة بين الشيعة والمتصوفة، دار الزهراء للنشر والتوزيع ،
الطبعة الأولى، 1991م.
- 25- الحجر عبد الرحمن علي ، أضواء على الحضارة والتراث ، شركة الشهاب للنشر والتوزيع ،
الجزائر ، بدون طبعة ، بدون سنة نشر.
- 26- حرب محمد ، السلطان عبد الحميد الثاني آخر سلاطين العثمانيين الكبار، دار القلم، دمشق ،
الطبعة الأولى، 1990م.
- 27- حرب محمد ، مذكرات السلطان عبدالحميد الثاني ، دار القلم ، دمشق، الطبعة الأولى، 1991م.
- 28- الحسيني الشيخ نهرو محمد عبد الكريم الكسنزان ، الرؤى والأحلام في المنظور الصوفي ، دار
القادري للنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 2007م.
- 29- الحسيني محمد عارف ، أعظم مآثر السلطانية العثمانية السكة الحديدية الحجازية الشامية ، دار
الكتب الوطنية ، الظاهرية ، دمشق ، 1910م.
- 30- الحسيني محمود أبو الهدى ، المنهج الصوفي المعرفي والسلوكي في حياة الأستاذ النورسي
محاضرة أقيمت في ندوة الإدراك الروحي بين التصوف والنورسي. استانبول يوم 25-26/07/2005.

- 31- الحصري ساطح ، البلاد العربية والدولة العثمانية ، دار العلم للملايين للنشر ، بيروت ، 1965م.
- 32- حلمي محمد مصطفى ، الحياة الروحية في الإسلام ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، 1970م.
- 33- حلیم إبراهيم بك ، تاريخ الدولة العثمانية العلية ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، مصر ، الطبعة الأولى ، 2004 م .
- 34- حمودي عبد الله ، الشيخ والمريد ، ترجمة: عبدالمجيد جحفة، دار توبقال للنشر ،الدار البيضاء، المغرب ،الطبعة الرابعة، 2010م.
- 35- الخالدي أحمد الجوهري ، كرامات الأولياء في الحياة وبعد الإنتقال ، تحقيق: سعيد عبد الفتاح ، دار الآفاق العربية ، بدون سنة نشر .
- 36- الخفاجي محمد عبد المنعم ، الأدب في التراث الصوفي ، دار غريب للطباعة ، القاهرة ، 1938م.
- 37- الخوارزمي أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل في وجوه التأويل ج2، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، بدون سنة نشر .
- 38- دراز محمد عبد الله ، الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ، مطبعة عالمية ، القاهرة، 1952 م.
- 39- درويش هدى ، الإسلاميون وتركيا العلمانية ، دار الآفاق العربية ، القاهرة، الطبعة الأولى، 1998م.
- 40- رامزور أرنست ، تركيا الفتاة وثورة 1908م، ترجمة: صالح أحمد العلي وتقديم نقولا زيادة، مكتبة دار الحياة للنشر والطباعة ، بيروت ، 1960م.
- 41- الراوي عبد الستار عز الدين ، التصوف والباراسايكولوجي ، لمؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، ط1 ، 1994م.
- 42- رضوان فتحي ، مصطفى كمال أتاتورك ، دار مطابع المستقبل ومؤسسة المعارف ، بيروت ، 1983م.
- 43- الرفاعي يوسف هاشمي، الصوفية والتصوف في ضوء الكتاب والسنة، الكويت، الطبعة الأولى ، 1999 م.
- 44- رؤوف عماد عبد السلام ، مذكرات عبد المجيد محمود الوزير في العهد الملكي بالعراق ، دار الحكمة للطباعة والنشر والتوزيع، لندن ، الطبعة الأولى ، 2008م.

- 45- الزعبي محمد علي ، الماسونية في العراق ، معتوق الإخوان ، بيروت، الطبعة الأولى، 1972،
- 46- زيدان محمد عمر ، البحث العلمي ومناهجه وتقنياته ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1984 م.
- 47- زيدان يوسف محمد طه ، الطريق الصوفي وفروع القادرية بمصر ، دار الجيل ، للنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى، 1991م.
- 48- زيعور علي ، الكرامة الصوفية الأسطورة و الحلم ، دار الأندلس ، بيروت ، الطبعة الأولى، 1984م.
- 49- زيعور علي ، الكرامة الصوفية والاسطورة والحلم القطاع اللاواعي في الذات العربية ، دار الأندلس للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 2003م
- الزين مصطفى ، ذئب الأناضول، رياض الريس للنشر، لندن، بدون سنة نشر
- 50- السعيد سمي ، الحسين بن منصور الحلاج، حياته وشعره ونثره، دار علاء الدين، دمشق، بدون طبعة ، بدون سنة نشر.
- 51- سليم سلوى علي ، الإسلام والضبط الاجتماعي ، مكتبة وهبة للطباعة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1985م.
- 52- سليمان أحمد السعيد ، التيارات القومية والدينية في تركيا المعاصرة ، دار المعرفة ، القاهرة ، 1961م.
- 53- سليمان أحمد علي ، فلسفة الإصلاح التربوي عند الإمام النورسي ، رابطة الجامعات الإسلامية ، قسنطينة ، الجزائر، 2013م.
- 54- السماوي أحمد ، الاستبداد والحرية في فكر النهضة، دار محمد علي الخامي للنشر والتوزيع، تونس، 1988م.
- 55- الشافعي عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري النيسابوري ، تفسير القشيري المسمى لطائف الإشارات ج3، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، 2000م
- 56- الشافعي عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري النيسابوري ، تفسير القشيري المسمى لطائف الإشارات ج1 ، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت-لبنان ، الطبعة الثانية ، 2007م.
- 57- شتا إبراهيم الدسوقي ، الحركة الإسلامية في تركيا ، الزهراء للإعلام العربي للنشر ، القاهرة ، 1986م.

- 58- شتيوي محمد شلبي ، التصوف والصوفية في ضوء النصوص الدينية والبراهين العقلية ، السحاب للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، 2007م.
- 59- شكري محمد فؤاد ، السنوسية دين ودولة ، مركز الدراسات الليبية ، إكسفورد . 2002م
- 60- الشناوي عبد العزيز محمد ، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة، 1980م.
- 61- شميل أنا ماري ، الأبعاد الصوفية في الاسلام وتاريخ التصوف ، ترجمة: محمد اسماعيل السيد ورضا حامد قطب، منشورات الجمل ، كولونيا (المانيا) - بغداد ، الطبعة الأولى، 2006 م.
- 62- صابان سهيل ، عثمان علي، تطور الأوضاع الثقافية في تركيا من عهد التنظيمات الى عهد الجمهورية 1839-1990م ، المعهد العالمي للفكر الاسلامي ، مكتب التوزيع في العالم العربي، بيروت، لبنان، ، 2010م.
- 63- الصالحي إحسان قاسم ، بديع الزمان سعيد النورسي: نظرة عامة عن حياته وآثره ، دار سوزلر للنشر، استانبول، 1987 م.
- 64- الصالحي إحسان قاسم ، بديع الزمان سعيد النورسي، نظرة عامة عن حياته وآثاره، شركة سوزلر للنشر ، القاهرة، مصر، الطبعة العاشرة، 2013.
- 65- الصالحي احسان قاسم ، جوانب من حياة بديع الزمان، مركز بحوث رسائل النور ، استانبول، تركيا، 2015.
- 66- صقر حامد إبراهيم ، نور التحقيق في صحة أعمال الطريق ، دار التأليف للطباعة والنشر ، القاهرة ، مصر ، 1970م.
- 67- صلابي علي محمد ، الدولة العثمانية عوامل النهوض واسباب السقوط ، دار التوزيع والنشر الاسلامية، مصر، الطبعة الأولى، 2001م.
- 68- الصويص سليم ، أتاتورك منقذ تركيا وباني نهضتها الحديثة ، مطبعة تشلز للنشر والطباعة، عمان ، الأردن بدون سنة نشر.
- 69- طربين أحمد ، تاريخ المشرق العربي المعاصر، مطبعة طربين ، دمشق، 1981م.
- 70- الطهطاوي رفاة رافع ، مناهج الألباب المصرية في مناهج الآداب العصرية، مطبعة شركة الرغائب، القاهرة، مصر، 1912م.
- 71- الطوسي أبي نصر السراج ، اللمع ، تحقيق: عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة ومكتبة المثني، مصر بغداد ، 1960 م .

- 72- عبد الحميد محسن ، جهود بديع الزمان في تجديد الفكر الإسلامي، المؤتمر الدولي الخامس للنورسي، الرباط، 1999 م.
- 73- عبد الرحيم مصطفى أحمد ، في أصول التاريخ العثماني ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، بيروت، 1982م.
- 74- العثيمين محمد بن صالح ، مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن عثيمين ، ج4 ، محقق : فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان ، دار الوطن للنشر ، 1413 هـ .
- 75- العثيمين محمد بن صالح ، مجموع فتاوى ورسائل فتاوى فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ج8، المحقق : فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان ، دار الثريا للنشر والتوزيع ، الرياض، الطبعة الثانية، 1996م.
- 76- العثماوي فوزية ، تأثير التصوف في المجتمعات الأوروبية ، بجامعة جنيف ، 2010م
- 77- عودة بطرس عودة ، القضية الفلسطينية في الواقع العربي ، دار الكتب المصرية، القاهرة ، 1970م.
- 78- عوض الله أحمد ، أحلام الأنبياء والصالحين ، دار الأزهر للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الأولى ، 1969م.
- 79- عيسى عبد القادر ، حقائق عن التصوف ، دار المقطم للنشر والتوزيع، 2005م .
- 80- الغالي عربي ، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي 1288-19166م ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2007م.
- 81- غني قاسم ، تاريخ التصوف في الإسلام ، مؤسسة طهران ، إيران ، 1322 هـ .
- 82- فايد زكريا ، العلمانية النشأة والأثر في الشرق والغرب ، الزهراء للإعلام العربي للنشر ، القاهرة ، الطبعة الأولى، 1988م.
- 83- فروم إريك ، اللغة المنسية ، ترجمة: حسن قببسي ، بيروت لبنان ، دار البيضاء المغرب ، 1992م.
- 84- فرويد ، نظرية الأحلام ، تر: جورج طرابيشي ، دار الطليعة ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ، 1980م.
- 85- فضل الله مريم نور الدين ، المرأة في ظل الإسلام ، دار الزهراء للنشر والطباعة ، بيروت ، لبنان ، بدون سنة نشر.
- 86- القادري ابراهيم ، الإسلام السري في المغرب العربي ، منشورات سينا للنشر ، مصر، الطبعة الأولى ، 1995م.

- 87- القاضي علي ، ماذا تعرف عن بديع الزمان سعيد النورسي، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع ، تركيا، الطبعة الأولى ، 2001م.
- 88- القشيري عبد الكريم ،- الرسالة القشيرية ج2، دار الكتب الحديثة ،القاهرة. بدون سنة نشر .
- 89- كامل مصطفى ، المسألة الشرقية ، مطبعة مصر، الطبعة الأولى، 1898م
- 90- كشك محمد جلال ، القومية والغزو الفكري، مكتبة الامل، الكويت ، بدون سنة نشر،
- 91- الكليني الشيخ ، الكافي ج2 ، تحقيق : علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية ، الطبعة الرابعة، - ، طهران - إيران. 1365 هـ.
- 92- كوثراني وجيه ، السلطة والمجتمع والعمل السياسي من تاريخ الولاية العثمانية في بلاد الشام، مركز الدراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 1988م.
- 93- مجموعة من المؤلفين ، طرق البحث أدلة العمل الميداني في الدراسات الأنثروبولوجية ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، مصر، 2005م.
- 94- المحامي محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق : إحسان حقي ، دار النفائس، بيروت، 1981م.
- 95- محمد سمير رجب ، الداعية الإسلامي بديع الزمان سعيد النورسي، دار الهانيللنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1986م.
- 96- محمود عبد الحليم ، قضية التصوف المنقذ من الظلال ، دار المعارف، القاهرة، مصر ، الطبعة الثالثة، 1988 م.
- 97- محمود عبد الحليم ،قضية التصوف المدرسة الشاذلية ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثالثة، بدون سنة نشر.
- 98- مخزوم محمد ، أزمة الفكر ومشكلات السلطة السياسية في المشرق العربي في عصر النهضة ، معهد الإنماء العربي ، بيروت ، 1986م.
- 99- مذكور إبراهيم ، في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه ج 2 ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الثالثة، 2003م.
- 100- المصطفى حسين على ، فلسفة العبادات ، دار الهادي للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 2006م.
- 101- المنوفي محمود أبو الفيض ، التصوف الإسلامي الخالص ، دار نهضة مصر، القاهرة ، 1969م.

- 102- المنوفي محمود أبو الفيض ، جمهرة الأولياء وأعلام أهل التصوف ج1، مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى، القاهرة، 1967م.
- 103- موسى سليمان ، الحركة العربية الحديثة 1908-1924م ، دار النهار العربي للنشر والتوزيع ، بيروت ، 1977م.
- 104- ميشيل توماس ، النظرة القرآنية للإنسان من خلال رسائل النور، ترجمة: رضا عامر، بحث القى في المؤتمر العالمي الخامس لبديع الزمان سعيد النورسي، شركة نسل للطبع و النشر و التوزيع، ط 2003 م.
- 105- النبراوي خديجة ، النبوة وضرورتها للإنسانية بحث مستقى من رسائل النور للإمام الجليل بديع الزمان سعيد النورسي، سوزلر للنشر ، تركيا، الطبعة الأولى، 2000 م.
- 106- النعيمي أحمد نوري ، الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا، دار النشر عمان ، الأردن ، 1993م.
- 107- نيكلسون ، في التصوف الإسلامي وتاريخه ، ترجمة : مجموعة مؤلفين ، دون دار نشر ، 1947م.
- 108- الهجويري علي ، كشف المحجوب ، ترجمة: أسعاد عبد الهادي قنديل ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1980 م.
- 109- واحدة شكران ، الإسلام في تركيا الحديثة، بديع الزمان النورسي ترجمة: محمد فاضل ، سوزلر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2007 م.
- 110- ياوز خاقان ، تجديد الفكر الإسلامي في القرن العشرين وبديع الزمان سعيد النورسي، الصحيفة الحرة وسعيد النورسي ، استانبول – تركيا، 1995م.
- 111- يكن فتحي ، الإسلام والجنس ، دار الشهاب للنشر، باتنة ، الجزائر ، 1972م.
- ج- القواميس والمعاجم :

- 1- ابن منظور ، لسان العرب ج5؛ دار صادر للطباعة والنشر بيروت ، لبنان ، الطبعة الرابعة ، 1314هـ.
- 2- ابن منظور ، لسان العرب ج 9 ، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1968 م
- 3- أبي حيان ، البحر المحيط ج6، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، 1978م
- 4- الجرجاني الشريف أبو الحسين علي بن محمد بن علي الحسيني الحنفي ، التعريفات ، دار الكتب العلمية للنشر ، بيروت- لبنان ، الطبعة الأولى، 2000م.

- 5- جماعة من كبار اللغويين العرب ،المعجم العربي الأساسي ، جامعة الدول العربية ،القاهرة ، مصر ، 1989م.
- 6- الحسيني الكفوي أبو البقاء أيوب بن موسى ، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، تحقيق : عدنان درويش ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية ، 1993م
- 7- حمدي أيمن ، قاموس المصطلحات الصوفية ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2000م.
- 8- الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية ، 1987م.
- 9- مجمع اللغة العربية ، المعجم الوجيز ، ، المركز العربي للثقافة والعلوم ، بيروت – لبنان ، بدون طبعة ، بدون سنة نشر.

د - المجالات :

- 1- إزرال حسن ، بديع الزمان سعيد النورسي ومشروعه الاصلاحى فى التربية والتعليم ، مركز النور للدراسات والحضارات الاسلامية ، العدد 3، جانفي ، 2011م.
- 2- الأفغاني سعيد ، كانت الصهيونية هى خالعة السلطان ومقوضه المملكة العثمانية ، مجلة العربي، ديسمبر العدد 69، 1972.
- 3- الحكيم سعاد ، ما يقدمه التصوف للانسان المعاصر، مجلة الكسنزان الصوفية والثقافية والعلمية ، لجنة الاعلام والارشاد الطريقة الكسنزانية ، العدد 6 ، العراق ، 2008م.
- 4- الخطيب محب الدين ، أنقرة والدين الاسلامي . مجلة الفتح ، العدد 69 أكتوبر 1927م.
- 5- الخميسي عضيد جواد ، مفهوم القومية التركية (الطورانية) وجرائم الابداء، الحوار المتمدن،العدد46، 2015م.
- 6- خياطة نهاد ، توحيد الصوفية ، مجلة الموقف الأدبي ، العدد 169-170، ماي- جوان- جويلية ، 1985م.
- 7- دحماني محمد ، حكايات كرامات الأولياء فى منطقة الشلف، مذكرة لنيل شهادة ماجيستر ، جامعة بن يوسف بن خدة ، الجزائر، 2005-2006م.

- 8- زعيم صباح الدين ، الرؤية الحضارية من خلال رسالة الاقتصاد ، مجلة نور للدراسات الحضارية والفكرية ، العدد 5 ، استانبول ، 2007م ص
- 9- الشوبكي محمود يوسف ، مفهوم التصوف وأنواعه في الميزان الشرعي ، مجلة الجامعة الإسلامية – المجلد العاشر ، العدد الثاني ، كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية ، غزة، 2002م.
- 10- عبد المنعم يونس ، النورسي ورؤيته للتصوف المعاصر ، النور للدراسات الفكرية والحضارية ، مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم ، العدد 7 ، 2013م.
- 11- عجيلة محمد و بهاز الجليلي وعبد النبي مصطفى ، تأثير الطرق الصوفية على المجتمع الصحراوي في الجزائر، مجلة الواحات للبحوث والدراسات ، العدد 15 ، غرداية ، الجزائر، 2011م.
- 12- شفيح ، البعد الإيماني في فكر النورسي ، مجلة الشريعة الإسلامية، العدد 39، 1420هـ
- 13- المعتصم محمد ، الدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية وحركة الجامعة الإسلامية ، مجلة البحوث الإسلامية ، العدد 3 ، 1977 م.
- 14- ملكاوي محمد أحمد عبد القادر و صالح نهيل علي حسن ، المشكلات الاجتماعية ومعالجتها من خلال رسائل النور لبديع الزمان سعيد النورسي، مجلة الشريعة والقانون ، العدد 56 ، كلية القانون ، جامعة الإمارات العربية المتحدة ، 2013 م.
- 15- ملوكي جميلة ، الرؤية ودرجة الإيمان عند الصوفية ، الفكر المتوسطي ، العدد 6 ، 2013م، مكتبة الرشاد للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2013م.

هـ - المذكرات

- 1- صابان سهيل ، الأوضاع الثقافية في تركيا في القرن الرابع عشر هجري، رسالة دكتوراء ، جامعة الإمام كلية الشريعة قسم الثقافة الإسلامية محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، 1994م.
- 2- ميلود حكيم ، الكرامة الصوفية في منطقة تلمسان ، دراسة أنثربولوجية سيميائية ، رسالة لنيل شهادة الماجستير ، جامعة تلمسان ، 1997م ، ص 161.
- 3- هروس حفيظ ، "التصوف الإسلامي في الدراسات الإسلامية في الغرب" ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة عبد الملك السعدي ، تطوان ، المغرب، 2015م.

و- المواقع الإلكترونية :

- 1- <http://www.muslim.org> يوم 2016-05-25
- 2- <https://www.al-forqan.net> يوم 2017-03-17
- 3- <http://www.marefa.org> يوم 2017-03-12

-
- 2016-08-28 يوم <https://ar.wikipedia.org> -4
- 2017-01-11 يوم <http://ahbabalex.ahlamountada.com> -5
- 2017-02-23 يوم <http://www.nabulsi.com> -6
- 2017-02-15-<http://raseef22.com> -7
- 2016-07-11 يوم <http://islamstory.com> -8
- 2016-03-25 يوم -<http://www.ahewar.org> -9
- 2016-12-23 يوم <http://www.nabulsi.com> -10
- 2016-09-15 يوم <https://bayan13.wordpress.com> -11
- 2016-12-5 يوم -<http://www.darululoom-deoband.com>-12
- 2017-02-30 يوم <http://mawdoo3.com> -13

- المراجع باللغة الأجنبية:

- 1-BERNARD lewis ,The Ottman Empire in the Mid Nineteenth Century , a review Middle Eastern Studies, vol 4 , 1965.
- 2- GEERTZ clifford , Religion as Cultural system in Anthropological Approaches to the study of Religion, by Michael Baton, Tavistock publication , London , 1973.
- 3-MASSIGNON Louis, Recueil de Textes Inédits concernant L’histoire de la mystique en Pays d’Islam, librairie orientaliste , Paris , 1929.
- 4- MILLER William , the Ottoman Empire and is Successors 1801-1913., University Press, Cambridge ,1966
- 5-PARSONS Talcott, the structure of social action, the free press ,Glencoe Illinois ,1949.
- 6-SETON Watson, The Rice of Nationality in Balkans , , E.P. Dutton, New York ,1918.
- 7-WILLIAM jemes , The Varieties of Religious Experience , the modern library edition, New York , 1936.

